سلسلة إصدارات
الحكمة
- بريطانيا -





المقامة الحصيبية
في
المفاضلة بين الفنون وأربابها
وشرحها

للقاضي الرشيد أحمد بن الزبير
المتوفى سنة ٥٦٣ هـ/١١٦٨ م

أ.د. إبتسام مرهون الصفار أ.د. بدري محمد فهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

تصدر هذه السلسلة عن مجلة الحكمة

الصادرة في بريطانيا ـ ليدز

GREAT BRITAIN TEL: (441132) 741829,
P.O.BOX: HP70, LEEDS. LS61 XN, U.K

على الراغبين الحصول على مجلة الحكمة

أو سلسلة إصدارات الحكمة الاتصال

على ممثل مجلتنا في الشرق الأوسط على العنوان التالي:

السعودية ـ المدينة المنورة ـ ص.ب: ٦٦٠٤

ت: ٠٤/٨٣٦٤٥٩٨ ـ ف: ٠٤/٨٣٦٧٣٩٢

E.mail: alhikma59@hotmail.com

القاضي الرشيد ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م

هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغسّاني الأسواني المصري الشافعي. كان كاتباً شاعراً فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً مؤرخاً منطقياً مهندساً عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم[(١)].

وصفه السلفي -نزيل الإسكندرية- المتوفى سنة ٥٧٦هـ بأنه من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة. وأنه من أسرة كبيرة غنية بالصعيد[(٢)].

أما شكلُه فكان أسودَ الجِلدةِ جَهْم الوجه، سمجَ الخِلقة ذا شفة غليظة، وأنف مبسوط كخلقة الزنوج قصيراً[(٣)].

وأسرته التي -مرت الإشارة إليها- أسرة علم ووجاهة، وغنى، فوالده القاضي الرشيد سديد الدولة أبوالحسن علي ابن القاضي الرشيد الموفق ثقة الملك ابن القاضي أبي إسحاق إبراهيم المعروف بابن الزبير القرشي الأسدي الأسواني.

وكان أبوه فاضلاً شاعراً رئيسا، حَدَّث بشيء من شعره. وروى عنه ابن أخيه القاضي الموفق أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المعروف بابن الراعي[(٤)].

وجده القاضي الرشيد إبراهيم بن الزبير الذي رثاه علي بن محمد ابن النظير الإسواني (شيخ القاضي الرشيد الذي نترجم له). وكان أول مرثيته قوله:

يا مُزْنُ ذا جدثُ الرشيدِ فقِفْ معي   نسفحْ بساحتِهِ مزاد الادمع

(١) معجم الأدباء ١/ ٤١٦، الخريدة (القسم المصري) ١/ ٢٠٠، وفيات الأعيان ١/ ١٦٠: شذرات الذهب ٤/ ١٩٧، بغية الوعاة ١/ ٣٣٧، تاريخ الأدب العربي ٥/ ١٥٥.

(٢) معجم السفر ١/ ١١١.

(٣) الخريدة ١/ ٢٠٠.

(٤) الطالع السعيد ٣٦٤.

وهي طويلة رآها الأدفوي في ديوانه[1].

أما أخوه فهو القاضي المهذَّبُ الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير (ت٥٦١هـ). وكان أشعر من أخيه الرشيد، وهو مؤلفٌ لكتابٍ في الأنساب يقع في عشرين مجلداً[2].

وكانت بينه وبين أخيه مساجلاتٌ في الشعر. فمما قاله أخوه القاضي المهذب يستعطف الداعي باليمن عندما قبض على القاضي الرشيد:

نزلوا من العينِ السَّوادَ وإن نَأَوْا ... ومن الفؤادِ مكانَ ما أنا اكتُمُ

ومنها:

أقيال بأسٍ خيرُ من حَمَل القنا ... وملوكُ قحطان الذين همُ همُ

ومنها:

وكفاهمُ شَرَفاً ومجْداً أنَّهمْ ... أنْ أصبحَ الداعي المتوجُ منهمُ
هو بدرُ تَمٍّ في سماءِ علائِهمْ ... وبنو أبيه بنو زريعٍ أنجُمُ
مَلِكٌ حياهُ جُنَّةٌ بعفافهِ ... لكنّه للحاسدين جهنَّمُ[3]

فأجابه القاضي الرشيد بقصيدته التي أولها:

يا ربعُ أينَ ترى الأحبةَ يمّموا ... رحلوا فلا خَلَتْ المنازلُ منهمُ

وسنوردها كاملة في شعره.

وقد كان أخوه المهذَّبُ مقرَّبا من الوزير الصالح طلائعَ بن رزيك. وقد نفعه بهذا القرب كما سنرى في ترجمته.

---

(١) م. ن: ٤١١، ٤١٢.

(٢) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٠٠.

(٣) فوات الوفيات ١/ ٣٣٩ - ٣٤١، شذرات الذهب ٤/ ٢٠٤.

ولما كانت عائلته عائلةَ وجاهةٍ وغنى، وعائلةَ علم وأدب، فلهذا نشأ القاضي الرشيد في هذا الجو الملائم للنبوغ والنباهة. ويبدو أنه درس عند نشأته في مدينة أسوان على مشايخها وقد ذكر منهم القاضي الأديب علي بن محمد بن النظر الإسواني وكان فقيها عالماً أديباً نحوياً[(١)] وعلى الشيخ علي بن موفق، وعلي بن أبي بركات السعيدي، وابن القطاع، وأبي الفتح الجيشي[(٢)].

ثم هاجر من أسوان إلى مصر، واتَّصل بكبارِ رجالِ الدولة فيها، ومدحهم بقصائده[(٣)] ويبدو أنه كان من الملّمين بمجالسهم[(٤)]. لهذا وجدنا الشاعر عُمارة اليمني يطلبُ من الوزير شاورَ في وزارته الثانية أن يُجريَ له راتبا شهرياً بدلَ المِنَحِ التي تعطى في المناسبات. ولما سأله الوزيرُ عن سبب طلبه هذا، وعدم طلبه من الوزير الصالح، وابنه، فأجاب بأنه كانت له أسوة وسلوة بالشيخ الجليس ابن الحباب، وبابني الزبير الرشيد والمهذب[(٥)].

ومما ورد عنه خلال وجوده في القاهرة أنه كان يجتمع مع بعض أصدقائه في بيت أحدهم. وقد تأخر عن الحضور ذاتَ يوم، فلما جاءهم سألوه عن سبب تأخره، فأخبرهم أن امرأة جميلةً أومأت إليه، فذهب معها إلى بيتها، فلما وصلا الدار نادت على طفلة لها، فلما حضرت خاطبتها مهددة بان القاضي سيأكلها إذا هي عادت للتبوّل في الفراش. ثم استدارت ناحية القاضي، وشكرته على مجيئه معها[(٦)].

وهذا يدلُّ على ظرفه، وروح الفكاهة والدعابة عنده، مما يذكرنا بما كان يحدِّث الجاحظ به عن نفسه.

---

(١) الطالع السعيد ٤١٣.

(٢) المقفى الكبير ١/ ٥٣٣، الطالع السعيد ٤٠٨-٤١٤. وقد ورد في هامش الأدفوي: أبو الفتح الجيشي أو الحبشي.

(٣) معجم الأدباء ١/ ٤١٦.

(٤) النكت العصرية ١٢٢.

(٥) م. ن: ٨٦.

(٦) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٢٢.

لم ينقطع القاضي الرشيد عن سماع الشيوخ لاسيما المشهورين حتى بعد أن أصبح شاعراً ومؤلفاً معروفا، لهذا وجدناه يحضر مجالس الحافظ السلفي بالإسكندرية، ليسمع منه الحديث النبوي ولكي يهوِّنَ على نفسه تحمّلَ ما أُسنِدَ إليه من وظيفة المكوس التي رآها قليلة في حقه، لا تتناسب وعلمَه وفهمَه، فما دام في مدينة الإسكندرية فخيرُ من يسمعُهم هو الشيخ السلفي نزيلُ الإسكندريةِ الذي كان مجلسه محطةَ للأندلسيين والمغاربةِ القادمين من المغرب وللمشارقة أيضاً لعلوّ كعبه في الحديث النبوي[1].

إلا أن الشيخ السَّلفي وقد وجد فيه العلم والأدب بادر إلى كتابة ترجمته، ولعله أول من فعل ذلك، فنقلت عنه فيما بعد. وقد سمع شعره وروى عنه شيئا، كما أنه اطّلع على بعض مؤلفاته لاسيما المقامةَ الحصيبيةَ التي سماها الرسالة الحصيبية، فوصف علمه من خلالها بقوله (تدلُّ على جودة معرفتهِ بالفقهِ و النحو، واللغة، والتصريف، والأنساب، والكلام، والمنطق والهيئة والموسيقى، والطب وأحكام النجوم، وغير ذلك)[2].

يبدو أن القاضي الرشيد سكن القاهرة، وأصبح معروفاً بمواهبه لرجال الحكم الفاطمي؛ لهذا أُرسِل في سنة ٥٣٤هـ وقيل سنة ٥٣٩هـ إلى اليمن برسالة من الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (المتوفى ٥٢٤-٥٤٤هـ) إلى علي بن سبأ بتقليده الدعوة، فوجده قد مات، فقلَّد الدعوة أخاه محمد بن سبأ ونعته بالمعظَّم، ووصفه بالمتوَّج، ولقب وزيره بلال بن جرير بالشيخ السعيد الموفق السديد[3].

أن التواريخ اليمنية جعلت سنة قدومه اليمن ٥٣٤هـ كما في كتاب غاية الأماني، وكُرر ذلك في تاريخ ثغر عدن[4] بينما جعلتها بعض المصادر سنة ٥٣٩هـ

(١) معجم السفر: ١١٠.
(٢) م. ن: ١١٠.
(٣) غاية الأماني ١: ٢٩٧.
(٤) ثغر عدن ١: ٢١٧.

كما نقله الأدفوي عن ابن سعيد[1] وكذلك المقريزي[2]. ولا ندري كم بقي في اليمن؟ وهل زارها مرتين إحداهما سنة ٥٣٤هـ، والأخرى سنة ٥٣٩هـ إلا أنه ورد عنه أنه مكث بعض الوقت، وأنه سمع باليمن كما أن أهل العلم عرفوا فضلَه وأخذوا عنه العلم. وأنه ألف المقامة الحصيبية هناك.

ويروى عنه أنه قد أصبح صديقاً لصاحب ديوان الإنشاء في الدولة العلوية باليمن القاضي الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب وصادف أنْ قاما بزيارة للوزير اليماني أبي الغسان فأعتذر عن استقبالهما، وقيل لهما أنه نائم، فخرجا من عنده فقال الرشيد في ذلك:

تَوَقَّعْ بأيامِ اللّئامِ زوالَها ... فعمّا قليلٍ سوف تُنكِرُ حالَها

فلو كُنتَ تدعو اللهَ في كلِّ ساعةٍ ... لتبقي عليهم ما أمِنتَ انتقالَها

وقال صاحبه:

لئِنْ أنكرتمو عنا ازدحاماً ... ليجتنبنَّكُمْ هذا الزحامُ

وإنْ نِمتُمْ عن الحاجاتِ عَمْداً ... فعينُ الدهرِ عنكم لا تَنامُ

فلم يكن إلا أياماً بعد ذلك حتى نُكب الوزيرُ نكبةً كبيرة[3].

وأورد عنه المؤرخون معلوماتٍ تدل على طموحه السياسي -إن صح ذلك- فياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، وابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ) أوردا عنه أنه بعد أن أرسل إلى اليمن قلد قضاؤها ولقب بقاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمان، وقيل: علمُ المهتدين. وأنه لم يكتف بذلك بل سمت نفسه إلى الخلافة فسعى فيها، وأجابه قوم إلى ذلك، وسلّموا عليه بها. وضُربتْ له السكةُ فكان على الوجه الأول ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وعلى الوجه الثاني «الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد». ثم قُبِضَ عليه

---

(١) الطالع السعيد: ٩٨.

(٢) المقفى الكبير ١: ٥٣٤.

(٣) معجم الأدباء ١: ٤١٦، فوات ١: ٣٣٩-٣٤١، المقفّى الكبير ١: ٥٣٤، البغية ١: ٣٣٧.

ونُفّذَ مكبَّلاً إلى مدينة قُوص بصعيد مصر فدخلها، وهو مغطى الوجه، وهم ينادون عليه بين يديه: هذا عدو السلطان أحمد بن الزبير. وكان الأمير على الصعيد يومئذ طُرْخان، وكان سليطَ اللسانِ، وبينه وبين ابنِ الزُّبير عداوةٌ قديمة، فحبسه في المطبخ. وكان القاضي الرشيد قد تولّى أمرَ الطبخِ قديماً، ولعل ذلك في دور الخلافة الفاطمية، فقال الشريف الأخفش يخاطب الوزيرَ الصالحَ:

تولّى على الشيءِ أشكالُه فيصبح هذا لهذا أخا
أقامَ على المطبخِ ابنُ الزبير فولّى على المطبخ المطبخا

إلا أن بعض جلاّس الأمير طرخان، نصحه بعدم الإساءةِ للقاضي الرشيد، وذلك لأن أخاه المهذّبَ كان مقرّبا من الوزير الصالح رُزّيك، فهو لا شك سيستعطف الوزير من أجل أخيه، لهذا لم تمضِ ليلةٌ أو ليلتان حتى ورد كتابُ الوزير إلى الأمير طرخان يأمره بالإحسان إلى القاضي الرشيد فأكرمه وأحضره مجلسه[1].

فهل دعا القاضي الرشيد لنفسه في اليمن؟ وهل رأى اليمن ممزقةً والصراع فيها قائما بين حكّام أقاليمها فوجدها فرصة؟. وهل وجد في نفسه الكفاءةَ أو التفوُّقَ على من وجدهم يحكمون بمصر واليمن فسعى إلى ما سعى إليه؟. الحقيقة لا يستطيع الباحث الإجابة بالإيجاب، ولكن الأدفوي وهو صعيدي وعلى صلة ومعرفة بأدبائها وعلمائها، يشهد بشهادة تنفي عنه هذا الإدعاء وذلك بقوله «وقد وقفت على محضر كُتِبَ باليمن، فيه خط جماعة كثيرة أنه لم يّدع الخلافة. وأنه مواظب على الدعوة للخليفة، رأيت المحضر بأسوان»[2]. فهناك رواية أخرى عن سبب جلبه مكبّلاً من اليمن إلى الصعيد (قوص) تذكر أنه عندما دخل اليمن، وأدّى الرسالة تنقل بين مدن اليمن كمدينة زبيد وصنعاء وفي صنعاء توثقت علاقته بسلاطين بني حاتم الهمدانيين، وأنه أفاد من معرفته بالهندسة فبنى داراً للسلطان حاتم بن أحمد اليماني الهمداني (المتوفى عام ٥٥٦هـ) على صفة القاهرة لم يكن في اليمن

---

(١) معجم الأدباء ١: ٤١٧، الوافي بالوفيات ٧: ٢٢٣، بغية الوعاة ١: ٣٣٧.

(٢) الطالع السعيد: ٩٨.

مثلها، وإنّه خلال وجوده هناك مدح بعضَ رجالات اليمن كالسلطان علي بن حاتم الهمداني بقصيدته التي يقول فيها:

وإن جَهَلَتْ حقي زعانفُ خِندَفِ   فقد عرفت فضلي غطاريفُ همدانِ

فحسده الداعي الإسماعيلي المقيم في عدن، وكتب بالأبيات إلى الخليفة الفاطمي، فكانت السبب في الغضب عليه، ثم إلقاء القبض عليه وإرساله إلى مصر مقيداً حتى عُفي عنه[1].

فهل مسألة ادعائه الخلافة كانت افتراءاً عليه أشاعها خصومه؟. إن الذي يستوقف الباحث أن المؤرخين ذكروا أخلاقه وعزة نفسه، فعن المنذري «بأنه كانت في نفسه عظمة»[2].

وعن ابن شاكر الكتبي في مشيخته أنه كان «عالي الهمة، سامي القدر، عزيز النفس، يترفع على الملوك، ويرقى بنفسه عنهم»[3] وهذا يذكّرنا بالشاعر المتنبي وطموحاته الواسعة، فلعلّ هذا الخُلق الذي اتصف به القاضي الرشيد أثار حسد حسّاده، فهجوه شعراً. فمن ذلك ما جاء عن ابن سعيد أنه قال: «اجتمعت فيه صفاتٌ وخلائقُ تعينُ على هجائهِ، منها أنه كان أسودَ ويدّعي الذكاء، وإن خاطَره من نارٍ، فقال فيه ابن قادوس»[4]:

إنْ قلتَ من نارٍ خُلِقْـ   ـتَ وفُقتَ كلَّ الناسِ فهماً
قلنا صدقتَ فما الذي   أطفاك حتى صِرتَ فحماً

ومن هذا الهجاء هجاء الحاسدين له في اتخاذهم لونه مادةً لشتمه:

---

(١) الخريدة ١: ٢٠٠، معجم الأدباء ١: ٤١٦.
(٢) الطالع السعيد: ١٠٢.
(٣) م. ن.
(٤) معجم الأدباء ١/ ٤١٩، الخريدة ١/ ٢٢٩، الوفيات ١/ ٥٢. والقاضي ابن قادوس هو ابوالفتح محمود بن إسماعيل، كاتب الإنشاء بمصر توفي سنة ٥٥١هـ. أخبار الدولتين ١/ ٢٢٩.

بعثـــت لنـــا علـــمَ المهتديـــن ولكنـــــه علـــــمُ أســــودُ

قيل أن البيت من قصيدة قالها بعض شعراء اليمن عندما تلقب القاضي الرشـيد بعلَم المهتدين وأرسل بها إلى الخليفة الفاطمي[1].

وهناك في حياة القاضي الرشيد فجوات لا يمكن ملؤها، لقلة ما ورد عن حياتـه، فهناك نحو عشر سنوات بعد جلبه من اليمن، ومن ثم العفو عنـه حتى وجدنـاه في القاهرة سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بعد مقتل الخليفة الظافر وجلوسِ الخليفة الفائز وقـد عُقِدَ مجلس عزاءٍ حضره زعماءُ الدولة الفاطمية وشعراؤها فانشد الشـعراءُ مراثيهـم حسب مراتبهم، وسُمِح للقاضي الرشيد بإنشاد مرثيته فانشد قصيدته التي أوَّلُها:

مـــا للريـــاضِ تميـــلُ سُـــكْراً هـــل ســـقيت بـــالمُزْنِ خَمـــراً

إلى أن وصل قوله:

أفكرْبـــــــلاءٌ بـــــــالعراقِ وكربـــــلاءٌ بمصـــــر أُخـــــرى

فعجّ القصر بالبكاء والعويل، وانثالت عليه العطايـا مـن كـل جـانب، وعـاد إلى منزله بمال وفير حصل له من الأمراء وذوي السلطان[2].

وورد خبر عنه في سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م أنهُ وليّ في ديوان الإسكندرية، وقد قبل بهذه الوظيفة على مضض استحقاراً لها، وهذا ما يُفهم من قـولِ السِّلفي (أنـه ولي بغير إختياره) إلا أنه أرضى الناس وخصوصاً الفقهاء[3]. ويبـدو أنـه في هـذا العـام بالذات استنجد حكامُ مصر بالسلطان نورالدين حاكم الشام، فأرسل إليهـم جيشـاً بقيادة أسدالدين شيركوه عمّ صلاح الدين الأيوبي للوقوف بوجـه الصليبيـين ، ثـم دخل الأيوبيون مرة ثانية للسبب نفسه، وذلك سنة ٥٦٢هــ/ ١١٦٧م. وقـد أصبـح القائد شيركوه وزيراً للخليفة العاضد وعندما توفي خلفه في مركـزه هـذا ابـن أخيـه

(١) الطالع السعيد ١٠١.

(٢) معجم الأدباء ١/ ٤١٧.

(٣) معجم السفر ١/ ١١.

صلاح الدين الأيوبي، وقد تلا ذلك من الأحداث في مصر إلغاءُ الخلافـة الفاطمية على يد القائد صلاح الدين الأيوبي.

ويبدو أن القاضي الرشيد قد تعاون مع شـيركوه عند دخوله الأول إلى مصر، وحمل إليه أموال المكوس، فلما خرج شيركوه وابن أخيه من مصر رجع الوزير شاور إلى الإسكندرية، وولى بدل القاضي الرشيد على المكوس موظفاً آخر هو القاضي الأشرف أبوالقاسم عبدالرحمن بن أبي منصور. فهرب القاضي الرشيد نحو برقة إلا أن شاور بعث في أثره حتى قبض عليه، وقدم به إلى القاهرة في اسوأ حال بعد أن عذَّبه عذاباً شديداً. ويقال أنه بلغ شاور أن الرشيد قال وهو في تلك الحال «الهوانُ والعذابُ من الملوك في طلبِ المُلْكِ ليس بعار»[1] فأمر به فشُهِر على جملٍ بمصر والقاهرة وأُلبِسَ رأسُه طرطوراً ووراءه جلوازٌ ينال منه وهو ينشد:

إن كان عندَكَ يا زمانُ بقيةٌ مما تُهينُ به الكرامَ فهاتِها

ثم جعل يهمهم بشفتيه. فصُلبَ، ولم تمضِ أيام حتى قتل شاور وسُحبَ ورميَ في نفس الحفرة التي وضع فيها القاضي الرشيد، ثم نُقِل بعد ذلك كل منهما إلى حفرة بقرافة مصر[2].

وقد وصف لنا الشاعر عمارة اليمني نفسية الوزير شاور في هذه الفترة بقوله «لما عاد من حصار الإسكندرية أكثَر من سفك الدماءِ بغير حقٍّ، وكان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى إلى خارج الدار».

ثم يضيف عمارة اليمني إيضاحاً بقوله «ومما هو عليه لا له ظلم أخوته وأولاده وعبيده ومن يلوذ به..»[3].

---

(١) المقفّى الكبير ١/ ٥٣٤.

(٢) معجم الأدباء ١/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) النكت العصرية ٨٧.

ويقال أن سبب نقمة شاور على القاضي الرشيد أنه لما دخل صلاح الدين إلى الإسكندرية سنة ٥٥٩هـ خرج القاضي الرشيد متقلداً سيفاً، وقاتل بين يديه، وكان معه مدةَ مقامه[١].

وهناك من يرجّحُ حسدَ الشاعر عمارة اليمني[٢] وكرهه له وتحريضه الوزير شاور إلى أن أمر بصلبه. وإن مما كان يقوله من تحريضه للوزير شاور «هذا أبو الفتن ما برح يثير الكبائر ويجر الجرائر» يعني ميله إلى شيركوه. ومن المعروف أن الشاعر عمارة اليمني كان على صلة بالحكام الفاطميين، وكان محباً لهم. ويبدو أنه كان بينه وبين ابن الزبير الرشيد والمهذَّب منافسةُ أبناء المهنة الواحدة، فقد رأيناه خلال كتابه النكت العصرية، وهو أشبه بمذكرات يتهم القاضي الرشيد بإفساد ما بين عمارة ومجد الإسلام ابن الملك الصالح رزيك[٣].

ووجدنا عمارة اليمني يمدح الرشيد والمهذب بأبيات هي:

أرى آبنيْ عليّ ركَّبَ الله فيهما	سجايا نفوس بينهن شِتاتُ
فهذا له في المَكرُماتِ تَسَرُّعٌ	وهذا له في النائباتِ ثَباتُ
وأحمدُ ينبوعُ المحامدِ والنَّدى	إذا نضَبَ الإحسانُ والحَسناتُ
وللحَسنِ الفِعلُ الذي هو كآسمِه	وما كلُّ أسماءِ الرجالِ سِماتُ[٤]

فهل بلغ الحسد والغيرة بالشاعر عمارة اليمني ان يحرض شاور، كما وردت الإشارة عند الصفدي، رغم ما بينه وبين الأخوين الرشيد والمهذب من معاصرة، ومجالسة؟

لعل هذا ما استقر في ذهن الصفدي، ودعاه إلى التعليق بعد إيراده خبر تحريض عمارة للوزير شاور بقوله: «فإن كان ذلك صحيحاً فبحقٍّ ما صُلبَ الفقيهُ عمارة

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٢٣.
(٢) انظر ترجمة الشاعر عمارة اليمني في أخبار الدولتين ٢٩٧-٣٠٥.
(٣) النكت العصرية ٩٦.
(٤) م. ن. ٨٤.

اليمني، وسيأتي إن شاء الله، فإن المجازاة من جنس العمل، والمرء مقتول بما قتل به»[1].

وكان قتله يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة ٥٦٢هـ، وقيل قتل في المحرم سنة ٥٦٣هـ[2] ويعتقد السِّلَفي وتابعه الأدفوي بأنّه قتل ظلماً[3].

وقد رثاه فخر الكتّاب أبوعلي حسن بن علي الجويني الكاتب بقصيدة داليةٍ أوّلها[4]:

لـكَ يـا ابـنَ الزبـيرِ قلـتُ لأيّـا ... م سُـروري ولذَّتـي لا تعـودي
عـبراتي يـا أحمـدَ بـنِ علـيٍّ ... صِـرْنَ في الخـدودِ كـالأخدودِ
عـبراتٌ تدمـي بهـا في حـدور ... زفـراتٌ ترقـى لهـا في صُعـودِ
إنَّ حزنـي عليـكَ غـضٌ جديـدٌ ... وفـؤادي المحـزونُ غـيرُ جليـدِ
إن نَمُـتْ عبطـةً فـإن أياديـ ... ـكَ البواقـي قـد بشَّـرتْ بـالخلود
كيـفَ تحلـو ليَ الحيـاةُ وقـد حُلِّئْـ ... ـتُ عـن عَـذْبِ خُلقـكَ المـورود

مؤلفات القاضي الرشيد[5]:

١- منية الألمعي وبلغة المدعي.

٢- كتاب المقامات.

٣- كتاب جنان الجنان وروضة الأذهان - في أربع مجلدات يشتمل على شعراء مصر ومن طرأ عليها.

٤- كتاب الهدايا والطرف - وقد نشر باسم الهدايا والتحف[6].

---

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٢٤.
(٢) المقفى الكبير ١: ٥٣٤.
(٣) معجم الأدباء ١: ٤١٦، الطالع السعيد: ٩٨- ١٠٢.
(٤) الوافي بالوفيات: ٧: ٢٢٤.
(٥) معجم الأدباء ١: ٤١٦.
(٦) تحقيق محمّد حميدالله، الكويت ١٩٥٩م.

٥- كتاب شفاء الغلة في سمت القبلة.

٦- كتاب رسائل - نحو خمسين ورقة.

٧- كتاب ديوان شعره- نحوه مائة ورقة.

هذه هي الكتب التي أوردها ياقوت الحموي، أما بقية مترجميه فإنهم اكتفوا بذكر بعضها، وقد حصل وهمٌ وإلتباسٌ فيما أوردوه، فالعماد الكاتب لم يذكر له بعد [جنان الجنان] غير رسالة وصفها بأن القاضي الرشيد «أودع فيها من كل علم مشكله، ومن كلّ فنٍّ أفضله»[١] وهو يقصد كتاب [منية الألمعي].

وذكر ابن خلكان كتابين من كتبه المذكورة [كتاب الجنان]، وكتاب ديوان شعره[٢]. وكرر الذهبي ما ذكره ابن خلكان[٣]، واكتفى ابن العماد الحنبلي بذكر [ديوان شعره]، ومنية الألمعي (وهو الكتاب الذي بين إيدينا) وأنَّ له مصنفات أخرى[٤].

أما المحدثون فقد ذكروا ما أورده مترجموه لاسيما ياقوت، فبروكلمان أعادَ ذكر ما قاله ياقوت إلا أَنَّه سَمى كتاب المقامات باسم [المقامة الحصيبية] حيث أنهما كتاب واحد. ولم يزد على ذكر أربعة كتب مما ذكره ياقوت هي الأول والثاني والثالث والخامس[٥].

كذلك كرر بعض الباحثين ما ذهب إليه بروكلمان حول المقامة الحصيبية أنها كتاب، وأن منية الألمعي كتاب ثان[٦].

---

(١) خريدة العصر ١: ٢٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ١: ٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠: ٤٨٩.

(٤) شذرات الذهب ٤: ١٩٧.

(٥) تاريخ الأدب العربي (المترجم إلى العربية) ٥: ١٥٥.

(٦) الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري: ٤٧.

وقد تنبه الحاج خليفة إلى أن كتاب منية الألمعي وقد سماه [أمنية الألمعي] هو المقامة الحصيبية التي «رمى بها غرض الفكاهة، وأملاها بلسان الدعابة،.. وذكر فيها علوماً جمة، ثم شرح ما فيها من الفاظ لغوية، ومسائل علمية فصار نزهة للناظرين»[1].

شعر القاضي الرشيد:

ذكر السِّلفي أنَّ القاضي الرشيد أنشده[2]:

سمحنا لدنيانا بما بَخَلْت به ... علينا، ولم نَحفَلْ بجُلٍّ أمورِها

فيا لَيتنا لَّما حُرِمنا سرورُها ... وقينا أذى آفاتِها وشرورِها

وأورد له الصفدي[3]:

حَلَّتْ لديَّ الرزايا بل جَلَتْ هممي ... وهل يَضُرُّ جلاءُ الصارمِ الذكَرِ

غيري يغيِّرُه عن حُسْنِ شيمتِه ... صرفُ الزمانِ وما يأتي من الغِيَرِ

لو كانتِ النارُ للياقوت محرقةً ... لكان يُشتَبهُ الياقوتُ بالحَجَرِ

لا تَغْرُرَنَّ بأطماري وقيمتِها ... فإنَّما هي أصدافٌ على دُررِ

ولا تظنَّ خفاءَ النجمِ من صِغَرٍ ... فالذنبُ في ذاك محمولٌ على البَصرِ

وقوله[4]:

لئن خابَ ظني في رجائِك بعدما ... ظننتَ بأنّي قد ظفرتُ بمُنصِفِ

فإنك قد قلَّدتَني كلَّ مِنَّةٍ ... ملكتَ بها شُكري لدى كلِّ موقفِ

لأنَّك قد حذَّرتَني كلَّ صاحبٍ ... وأعلمتَني أنْ ليس في الأرض من يفي

---

(١)حاجي خليفة ١/ ١٦٩.

(٢) معجم السفر: ١١٠، الطالع السعيد: ١٠١.

(٣) الوافي ٧: ٢٢١، الطالع السعيد: ١٠٠.

(٤) الوافي ٧: ٢٢١، المقفى الكبير ١: ٥٣٥.

وقوله[1]:

فإن التداني ربما أحدث القلا ... وإن التنائي ربّما زاد في الودِّ
فإني رأيتُ السهمَ ما زاد بعدَه ... عن القوسِ إلاّ زِيدَ في الشكر والحمد
ولن يستفيدَ البدرُ أكملَ نورهِ ... من الشمس إلاّ وهو في غايةِ البُعدِ

ومما قاله في الكامل ابن الوزير شاور[2]:

إذا ما نَبَتْ بالحر دار بودِّها ... ولم يرتحلْ عنها فليس بذي حَزْمِ
وَهْبه بها صبّاً، ألْم يدر أنَّه ... سيزعِجهُ منها الحِمامُ على رَغْمِ
ولم تكنْ الدنيا تضيقُ على فتى ... يرى الموتَ خيراً من مُقام على هَضْمِ
ولولا الأجلُّ الكاملُ المُلكِ أرْقَلتْ ... بي العيسُ في البيداء والسُفن في اليَّمِ

وله قصيدة يمدح بها ابن فريج أو ابن قديح منها[3]:

ولما تناءت أرضُنا وديارُنا ... وخان زمانٌ ناقضُ العهدِ غدّارُ
كفانا معالي كلّ أمرِ أهمَّنا ... وحكّمنا فيما نُحبُّ ونختارُ
لِنِعمَ الذُرى يلقى به الجارُ رَحْبَهُ ... إذا ما نبتْ بالجارِ عن أهلهِ الدارُ
فظلْنا كأنّا نازلونَ بأهلِنا ... ولم تنْأ أوطانٌ علينا وأوطارُ

وأجاب أخاه المهذب[4]:

يا ربعُ أينَ ترى الأحبةَ يَمَّموا ... رحلوا فلا خَلتِ المنازلُ منهمُ
ويروى:
وسروا وقد كتموا الغداةَ مسيرَهم ... ونأوا فلا سَلَتِ الجوانحُ عنهمْ
وتبدَّلوا أرضَ العقيقِ عن الحِمى ... وضياءُ نورِ الشمس ما لا يُكتَمُ
... وروتْ جُفوني أيَّ أرض يمَّموا

(١) الطالع السعيد: ١٠١.
(٢) خريدة القصر ١: ٢٠٠، الطالع السعيد: ٩٩، المقفى الكبير ١: ٥٣٦.
(٣) الطالع السعيد: ٩٩.
(٤) معجم الأدباء ١: ٤٢٢.

نزلوا العُذيبَ، وإنَّما في مُهجتي ... نزلوا وفي قلبِ المتيَّمِ خيَّموا
ما ضرُّهم، لو ودّعوا من أودَعوا ... نارَ الغرامِ وسلَّموا من أسلموا
هم في الحشا إنْ أعرقوا او أشأموا ... أو أيمنوا أو أنجدوا أو أتْهموا
وهُمُ مجالُ الفكرِ من قلبي وإنْ ... بَعُدَ المَزارُ فصفُو عيشي مَعْهُمُ
أحبابَنا، ما كانَ أعظمَ هجرِكم ... عندي، ولكنَّ التفرقَ اعظمُ
غِبتُم فلا واللهِ ما طَرقَ الكَرى ... جَفْني ولكنْ سحَّ بعدكمُ الدَّمُ
وزعمتُمُ أنّي صبورٌ بعدكَمُ ... هيهاتَ، لا لُقّيتمُ ما قُلْتُمُ
وإذا سئلتُ بمن أهيمُ صَبابةً ... قلتُ: الذين همُ الذين هُمُ هُمُ
النازلين بمهجتي وبمُقلتي ... وسطَ السويدا والسوادُ الأكرمْ
لا ذنبَ لي في البُعدِ أعرفُهُ سوى ... أنّي حفظتُ العَهدَ لما خُنتمُ
فأقمتُ حين ظعنتُم وعدلتُ لمّـ ... ـا جرتُمُ وشهدتُ لما نِمْتُمُ
يا مُحرِقا قلبي بنارِ صدودهم ... رفقاً ففيه نارُ شوقٍ تَضرمُ
أسعرتُمُ فيه لهيبَ صبابةٍ ... لا تنطفي إلا بقُربٍ منكمُ
يا ساكني أرضَ العُذيبِ سُقيتمُ ... دمعي، إذا ضَنَّ الغمامُ المُرزِمُ
بعُدتْ منازلكم وشطَّ مزارُكمْ ... وعهودُكمْ محفوظةٌ مذْ غِبتمُ
لا لومَ للأحباب فيما قد جنوا ... حَكّمتهُمُ من مهجتي فتحكَّموا
أحبابَ قلبي أعمروهُ بذِكركُمْ ... فلطالما حفِظَ الودادَ المسلمْ
واستخبروا ريحَ الصَّبا تخبرْكمُ ... عن بعضِ ما يَلقى الفؤادُ المُغرَمُ
كم تظلمونا قادرينَ وما لنا ... حُرمُ ولا سببُ لمنْ نتظلَّمُ
ورحلتُمُ وبعدتُمُ وظلمتُمُ ... ونأيتمُ وقطعتمُ وهجرتمُ
هيهات لا أسلوكُمُ أبداً وهلْ ... بسلو عن البيتِ الحرامِ المُحرمُ
وأنا الذي واصلتُ حين قطعتمُ ... وحفظتُ أسبابَ الهوى إذ خنتُمُ
جارَ الزمانُ عليَّ، لمّا جرتُمُ ... ظلما ومالَ الدهرُ لمّا مِلتمُ
وغدوتُ بعدَ فراقِكم وكأنّني ... هَدَفٌ يمرُّ بجانبيه الأسهمُ
ونزلتُ مقهورَ الفؤادِ ببلدةٍ ... قلَّ الصديقُ بها وقلَّ الدرهمُ
في معشرِ خُلِقوا شخوص بهائم ... يصدى بها فِكرُ اللّبيب ويبهمُ

إنْ كرّمـــوا لم يكرمـــوا أوْ عُلّمـــوا لم يعلمـــوا أو خوطِبـــوا لم يفهمـــوا
لا تنفـــقُ الآداب عندهـــم ولا الـــ إحســـان يُعـــرفُ مـــن كثـــيرٍ منهـــمُ
صُـمٌّ عـــن المعـــروف حتـــى يســـمعوا هَجـــر الكـــلامِ فيقْدمـــوا ويقدّمـــوا
فـــاللهُ يغـــني عنهـــمُ ويزيـــد في زُهـــدي لهـــم، ويفـــكُّ أســـري مِنهـــمُ

النقول من كتبه:

ترجم العماد الكاتب للقاضي الرشيد مرتين؛ مرة في كتاب [الخريدة]، وأورد لـه مقطعات من شعره. ومرة في كتاب [السيل والذيل] الذي ذيـل بـه علـى الخريـدة. ووازن بين القاضي الرشيد وأخيه المهذب، وكان شاعراً كما مر بنا فقال: إن المهذب أشعر، والرشيد أعلم منه في سائر العلوم. وكان المهذب قد مات قبل أخيـه بسـنتين أي في عام ٥٦١هـ وقد نقل العماد الكاتب من كتاب القاضي الرشيد [جنان الجنـان وروضة الأذهان] الذي يشتمل على شعراء مصـر، ومـن طـرأ عليهـا نقـل تراجـم بعض الأدباء.

كما أفاد من كتب القاضي الرشيد لا سيما كتابه [الجنـان] المـؤرخ ابـن خلكـان فنقل معلومات عن ثلاث عشرة ترجمة[١]. وأفاد الغزولي في كتابه مطـالع البـدور في منازل السرور من كتاب الذخائر للقاضي الرشيد، فنقل عنه في ثمانيـة مواضـع[٢]. وكذلك نقل عنه المؤرخ المقريزي من كتابه خطط مصر في ثمانية مواضع أيضاً[٣].

وهذه النقول تظهر أهمية كتب القاضي الرشـيد، ومبلـغ الآعتمـاد عليهـا لـدى المورخين والأدباء. ولكن المقامة الحصيبية ستظهر مقدرة القاضي الرشيد العلميـة في فروع العلم المختلفة.

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٥٥، ١٩٥، ٢٤٥، ٣: ٣١٥، ٣٨٢ ، ٤١٠، ٦: ٢٣٦، ٧: ٣١، ٧٦، ٢٢٢، ٣٢٣.

(٢) مطالع البدور: ١: ٤٠، ٥٨، ٦١، ١٣٨، ٢٣٣ ج٢: ١٦٢، ١٨٩.

(٣) المقفى الكبير: ١: ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨ (مرتين)، ٤٢٣، ٤٩٢.

ولما كان كتاب السيل على الذيل لم يصل إلينا، فإنّ نقول العماد في الخريدة بين أيدينا ونعرض فيما يأتي النقول عن القاضي الرشيد:

١- الأديب الشاعر أبوعبدالله محمد بن مسلم بن سلاح، وهو من شعراء مصر القريبي العصر وقد نقل أبياتا من قصيدته[١].

٢- أبوعبدالله محمد بن بركات النحوي المصري، وذكر له بيتين من الشعر ثم نقل رأي القاضي الرشيد فيه، وإنه كان عالي المحل في النحو واللغة، وسائر فنون الأدب، وإنه كان منحطاً عن الشعر إلى أدنى المراتب[٢].

٣- علي بن عباد الإسكندري، نقل عن القاضي ببيتين من شعره[٣].

٤- داود بن مقدام بن ضفر المحلي رضا الدولة أبوسليمان، وأنه من أبناء الجند بأسفل مصر، إلاّ أنَّ همته سمتْ به من الأدب إلى دوحة يقصر عنها أمثاله. ولا يطلع فيها أضرابه وأشكاله، وعضّده في ذلك جودة الطبع ونفاذ القريحة، حتى أدرك بعفو خاطره، وسرعة بديهته ما لم يبلغ إليه كثرةٌ من أبناء عصره من الدأبِ على اقتناء الأدب. ومما أنشده المترجم للقاضي الرشيد قصيده مضمنة شرح حاله، وهي في ستة وعشرين بيتاً. والطريف أنَّ العماد الكاتب ذكر تاريخ تأليف القاضي ابن الزبير لكتابه جنان الجنان سنة خمسمائة وثمان وخمسين في أثناء ترجمة داود بن مقدام، وأنه عاد إلى ذكر تاريخ التأليف هذا في موضع آخر عند نقله ترجمة أبي الفرج سهل بن حسن الأسنوي الآتية ترجمته[٤].

٥- أبوالرضا سالم بن علي بن أبي أسامة (وبنو أسامة كانوا أصحاب الديوان في زمان الخليفة الحافظ) وهذا منهم. ذكره القاضي الرشيد في كتاب الجنان، ومما قاله عنهم. «بنو رياسة وأهل نفاسة ومعدن سماحة، ورجاحة.

---

(١) الخريدة ٢/ ٤١.
(٢) م. ن. ٢/ ٤٢.
(٣) م. ن. ٢/ ٤٣.
(٤) م. ن. ٢/ ٤٦، ١٦١.

وكان أبوالرضا واسطة عقدهم، وتاج مجدهم، واخترم قبل أن يدون شعره.

ومن شعره قوله في مركب أوقره حطباً فغرق (بيتان) ، ثم نقل عنه بيتين في معنى آخر(١).

٦- مجير بن محمد بن مجير الصقلي. ونقل العماد قول القاضي الرشيد فيه: أنه يعد من المصريين بحكم نشوئه، واشتهاره بمصر. ووصفه بقوله «غزير موارد الفكرة، واري زناد القريحة» ونقل من شعره قصيدة في ١٥(٢) بيت.

٧- أبوإسحاق إبراهيم بن شعيب. وعن القاضي الرشيد أن المترجم له «كان غريب الفكاهة، حلو الدعابة، ينقاد أبدا بزمام الخلاعة والمجون ويرى أنَّ باذل النفس في اللَّذة غير مغبون، ويستشهد ببيتين من الشعر. وحكى بعض خلطائه أنه جمعه وإياه مجلس أنس في منظرة مُطلة على النيل، وقد منطقت جدرانها بالماء وكللت شرفاتها بنجوم السماء، فلما أخذت منه حميا العقار، وعملت فيه نغم الأوتار، هفا به جناح الطرب، إلى أن وثب منشداً: وأورد بيتين. وأنه رمى بعدها نفسه في النيل، وأستنقذ بعد جهد جهيد(٣).

٨- الناجي المصري، وأورد له القاضي الرشيد بيتين في هجوه للأفضل ثم بعد أن نفاه الأفضل هجاه ببيتين أخرين.

وأورد القاضي الرشيد لهذا الشاعر ابياتاً من قصيدة كان مدح بها والد [القاضي الرشيد والمهذب] أولها:

جارى أبوالحسن الرشيد لذاته ... فأتى على الأعقاب وهو إمام

ومنها(٤):

رحلتْ ركابك فاكفهر الخلق من ... غمَّائه واستبشر القُدّام

(١) الخريدة ٢/ ٦٥.
(٢) م. ن. ٢/ ٨٢.
(٣) م. ن. ٢/ ١٠٢.
(٤) م. ن. ٢/١٠٣.

والأرض تحظـــى بالرجـــال وإنمـــا نعماؤهـــا وشـــفاؤها أقســـام

ونقل عن القاضي الرشيد عدة من فضلاء الصعيد وهم:

٩- أبوالمعمر الاسناوي، محمد بن علي الهاشمي. وكان أشعر أهل زمانه، وأفضل أقرانه، وأورد من شعره مقطعات بين البيتين والبيت والتسعة وبلغت المقطعات ١٤ مقطعة في أغراض مختلفة منها في المجون، والعذار، والخمر، وغير ذلك[١].

١٠- أبوالفرج سهل بن حسن الأسناوي. وقد أعتبره القاضي الرشيد من الشعراء المعدودين ومن مجيدي الشعراء. واورد من شعره بعض المقطعات وقصيدة[٢].

١١- القائد أبوطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة، وهو من شعراء مصر. وقد أكثر النقل عنه، فذكر اثنتين وعشرين قطعة[٣].

وحين ذكر العماد محاسن جماعة من فضلاء العصر بالقيروان ذكر من أوردهم القاضي أحمد بن الزبير في كتابه الجنان[٤].

وقال أنه طالع كتاب الجنان لابن الزبير فوجد فيه أبياتاً منسوبة لأبي محمد عبيدالله بن سارة الأشبيلي المتوفى سنة ٥٠٠هـ[٥]. ونقل تعليق ابن الزبير عليها بقوله: هذا معنى بديع لا يفطن لحسنه إلاّ من رأى فرسان الفرنج في طوارقها، ورؤوسهم أشبه الأشياء برؤوس السلاحف لما عليها من التخانيق[٦].

---

(١) م. ن. ٢/ ١٠٣.
(٢) م. ن. ٢/ ١٦١.
(٣) م. ن. ٢/ ٢٠٧.
(٤) م.ن. ج٢/ ٤٠٣.
(٥) م. ن. ٢/ ٢٧٨.
(٦) م. ن.

وذكر في ترجمة أبي نصر الفتح بن عبيدالله بن خاقان مؤلف كتاب قلائد العقيان نصاً نقله عن ابن الزبير في وصف ابن خاقان بأنه كان ذرب اللسان، غزير ركية البيان، كأنما يغرف من بحر زاخر، أو يقطف من زهر ناضر، حسن الصناعة، واسع البراعة، وله تواليف تشهد له بدراية، وتصانيف تدل على توسعة في الرواية. إلا أنه كان يضع من نفسه بشدة تبذله، وكثرة تنقله، وغضّه من ذوي الرتب، وإساءة الأدب على الأدب، وتحليه من الخلاعة بما تعزف عنه نفس كل ذي عقل رصين، وإسفافه في الدنايا إلى ما لا يرضاه أهل المروءة والدين، وهو متوسع في النثر، قليل البضاعة في النظم، ولم أجد له منه ما يدخله على أهل طبقته. أما رسائله فقد أورد منها ما يغني الوقوف عليه عن صفته. فمن ذلك رساله له يصف فيها نزهة وقنصاً.. ثم أورد ست رسائل له ورسالة في التعزية، وأخرى في وصف غريق[1] وتتجلى بوضوح من نقول العماد الكاتب هذه من كتاب القاضي الرشيد جنان الجنان الذي قرأه، قوة أسلوب ابن الرشيد، وسعة اطلاعه ومقدرته الأدبية فهو كاتب ومنشيء ذو أسلوب يذكّر بأسلوب كتّاب المقامات، فالقطع النثرية الواردة في تراجم هؤلاء الأدباء تعطي فكرة واضحة عنه. ولا عجب من ذلك فهو منشئ المقامة الحصيبية. وإنه لمما يؤسف له ضياع ديوان رسائله.

ولولا هذه التراجم للأدباء الشعراء التي حفظها العماد الكاتب في خريدته، لضاعت كما ضاع كتاب جنان الجنان. وقد كان لأصحاب التراجم ذكر في تاريخ مصر في أواخر العصر الفاطمي، ففيهم الذين جمعوا إلى شاعريتهم معرفة النحو والأدب، كما أن فيهم من أصحاب المراكز الإدارية. وما نقله العماد من القصائد و مقطعات الشعر لهؤلاء الأدباء الشعراء يظهر فنون الشعر المتداولة قبل زمن الرشيد وفي زمنه.

---

(١) م. ن. ٢/ ٦٢٤.

المقامة الحُصيبية:

من المعلوم أن المقامات العربية اتخذت شكلها الفني الواضح من خلال مقامات بديع الزمان الهمذاني، ومن بعده الحريري اللذين منحاها الشكل الفني، حيث هناك راوٍ يروي احداث المقامة، وبطل واحد يحمل الاسم نفسه في كل مقامة.

وفي المقامة الحُصيبية يبدو المؤلف نفسه هو الراوية الذي يتحدث عن قصة حدثت له حين نزل بالحُصيب في اليمن، ويصف علمه وثقافته التي تجعل من ينزل بهم يرحب به، بما هيّأ له يوماً أن يحضر مجلساً يضم كبار القوم من العلماء الأفذاذ، والألباء (فما منهم إلا من يفصح بالذكاء عن ابن ذكا، وتلهّب ألمعية وذكا). ويقتحم المجلس كهل كالأسد يلبس لباساً رثاً، فيحييهم بأدب، ويجلس قريباً منهم وحين يخوض القوم في نقاشهم، ومحاوراتهم، فضلّ كل واحد منهم علماً من علوم العربية على غيره، ويرد عليه آخر ناقضاً كلامه، مبيناً فضل العلم الذي اختاره، حتى إذا اشتد لغطهم، وجدلهم، انبرى لهم ذلك البطل الذي فاجأ المجلس أول انعقاده، وها هو يفاجئهم، ويعلن تبرمه منهم، ويتأفف مما سمع من أحاديثهم التي وصفها بالهذر، والسخف، وحاول ترك المجلس فيتشبث به الراوي، ويحاول أن يسمع منه سبب ما جعله مستخفا بما سمعه من أقوال علماء المجلس.

من خلال هذا الحوار بين الراوي والبطل يمنح المؤلف المقامة حبكة القصة بعلاقة البطل الكهل بالراوي، وعلاقته بأهل المجلس والمدينة.

ينبري البطل الكهل بتذكير القوم بأنَّ طلب العلم وعرٌ، ولا يمكن لشخص أن يدعي الإحاطة بعلم ما، وإنه لو سأل أي واحد ممن ناظر وناصر فنا معينا، أو علما خاصاً عن جزئيات العلم الذي ناصره لكشف جهله به، مما يمنح البطل الموقف العلمي الذي أظهره بتفوق لغوي عال: إذ ينبري لكل صاحب علم فيوجه إليه سؤالاً يبدو غريباً، أو مستغلقاً، حتى يستوفيهم واحداً واحداً. فلما شعر البطل أن اسئلته قد استعصت إجاباتها على القوم، وعدهم أن يجيب عنها بنفسه.

ويحدثنا الراوي أن القوم اعجبوا بالرجل أي إعجاب، وعرض كل واحد منهم

عليه إكرامه، واستضافته، فيتظاهر بالتواضع، ويشكرهم ويعلن أنه مزمع دائما على أن لا يؤويه غير المسجد بيت، فينزلونه في مسجد يختارونه له، ويكتظ المسجد بالزحام بعد أن شاع بين الناس خبره، وتنثال عليه الهدايا والطُرَف، والبطل (الرجل) يتظاهر بعدم المبالاة بما ينثال عليه من الأموال، ويكتفي برد السلام، والتسبيح والتلاوة مما يضفي عيه صفتي العلم والتقوى. وهنا تأتي نهاية الحكاية موائمة لخواتيم المقامات، حيث يفاجيء القوم صباحاً بهرب محدثهم، محملاً بكل ما قدم إليه، تاركاً على عضادة باب المسجد أبياتاً من الشعر:

أيها المبتغي فات	ما فات فارجعْ
واسمع العُذْرَ منعِماً	ثم ما شئتَ فاصنعْ
ودعِ اللَّومَ جانباً	ربَّ لومٍ مضيّعْ
أنا شمس ولا قرار لشمسٍ بموضع	

فيعجب الناس لشعره، ويتألمون لفقده..

إن بطل المقامة هنا يحمل سمات بطلي مقامات البديع والحريري بأنه ذكي، فطن، محاور، يخلب ألبابَ منْ يسمعه، ويستغل ذكاءه لعرض علمه، وتحقيق هدفه في الحصول على المال بطريق التحايل الذكي إلا أنه فاق بطلي البديع والحريري علماً، وأدباً، لأنه لم يتحدث عن موضوع واحد، أو فكرة واحدة، بل كان موسوعياً عارفاً كلَّ علوم عصره، وعلوم السابقين، وبذا منحت هذه المقامة الفرصة لشارحها وهو المؤلف نفسه، ليظهر علمه وتفوقه على معاصريه، بأن ينبري لشرح المقامة بنفسه.

وتدل المقامة على قوة عارضة القاضي الرشيد أحمد بن الزبير، وملكته الأدبية الرائعة في تملك ناصية اللغة بأسلوب لطيف سائغ سلس، والغريب الوارد في مقاماته لم يكن هدفه منه إظهار القدرة اللغوية التي تعين القاريء على المران في الإنشاء، وإنما هو منطلق لثقافة لغوية فكرية، صاغها القاضي الرشيد باسلوب فني معتمد على السجع والمزاوجة المعتمدين على التلاعب بعنان اللغة من إيراد

المترادفات والأضداد والجناس والسجع مثل قوله: (كنت لا أحطّ بوادٍ، ولا أنزل بحضر ولا بَوادٍ إلاّ صرت علماً لعلمائهم، وفضائلهم، ومَعْلَماً لأدبائهم، وألبّائهم، فلما نزلت بالحصيب نزول المتلوّم، ووضعت عصا الحاضر المتخيم). وكقوله واصفاً البطل بعد أن سمع نقاش القوم وجدالهم (وذلك الكهل يحملق إليهم بصره، ويغمّضُ ويقبلُ إليهم بوجهه، ثم يعرض في أثناء ذلك يبتسم تبسّمَ الجاهل المتعاقل، والعاقلِ المتجاهلِ، فلما تمادى لغطهم وغلطهم، وكثر خطأهم، وسقطهم، صدّ صدود متأفف، وتاوّه تاوّه متأسف..).

بعد أن أتم القاضي الزبير مقامته بدأ بشرحها وهو بهذا ينفرد بين كتاب المقامات الذين انبرى غيرهم لشرح مقاماتهم مبينين شرح الألفاظ الغريبة، مفسرين الغامض منها. أما صاحبنا القاضي الرشيد فلم يكن شرحه لمقامته شرحاً لغويا فحسب بل هو بيان لطبيعة العلوم والفنون المذكورة فهو شرح فكري حضاري.

وقد ذكر بين يدي شرحه أنه «رمى بها غرضَ الفكاهة وأملاها بلسان الدعابة». ومضى في كلامه ليبين غرضه من الشرح والتوضيح، لأن بعض ما أورده لا شك يقصر عن فهمه الكثير، إلا أن بعض المؤلفين لم يقرأوا الشرح كاملاً واكتفوا بقراءة أوله مثل حاجي خليفة، لهذا قرر بأن القاضي الرشيد «رمى بها غرض الفكاهة»[1] وأعادَ هذا الكلام سركيس[2]. وفي مجلة المشرق وجدنا وصفا مختصراً لهذه المقامة بأنها «تحتوي على معلومات أملاها بلسان الدعابة ومضمونها مناظرة أدبية بين عشرين عالماً مع شرح لصاحبها»[3]، إلا أن المؤلف بعد أن سار في مقدمته وبين الغرض من شرحه أشار إلى أن فيه فنونا من العلم وعرة المسالك وأنواعاً من الأدب مختلفة الطرائق.

وسوف يجد القارئ نفسه في هذا الشرح للرسالة الحُصيبية أمام عملاقٍ من

(١) كشف الظنون ١: ١٨٥.

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ :٤٤٧.

(٣) مجلة المشرق السنة الخامسة ص١١٠١.

عمالقة السلف، يصدق عليه وصف واصفيه من المؤرخين الذين ذكرناهم عند ترجمته.

يبدأ شرحه بعد هذا المدخل بتناول جمل الرسالة واحدة واحدة، ليتوسع في شرحها. ملتفتا إلى توضيح موقع مدينة الحُصْيب الذي سمى المقامة باسمه، وسبب تسمية جزيرة العرب متطرقا إلى حدودها الجغرافية. وبعض معالمها مستعيناً في ذلك بالأمثال والأشعار، ولاسيما أشعار المشهورين من الشعراء.

وتناول بعد ذلك العلوم التي حدث حولها الجدل والمناظرات بادئاً بالنحو مبيناً اسمه، ومن كتب فيه جيلا بعد جيل، مبرزاً فوائده للعلماء والفقهاء والمفسرين، ذاكراً بقايا اللهجة الحميرية في اليمن وما أصاب لهجة بعض قبائلها، فضلا عن بعض القبائل الأخرى وما طرأ عليها من الفساد.

ثم كان حديثه بعد ذلك عن الشعر منذ عصوره الأولى، وعن مكانة الشعراء في قبائلهم، وأخبار الشعراء، ومن رفعه الشعر أو من وضعه، وحال الشعراء في دولة الإسلام. وعن البلاغة في الشعر، وخصائص الشعر كالبديع وذكر أنواعه، وقد مثّل لكل نوع بشعر الشعراء على اختلاف أزمانهم.

ثم تناول العروض وأوزان الشعر، وصناعة النثر والبلاغة والخطابة، و الكتابة. انتقل بعدها إلى العلوم الشرعية بأقسامها بادئاً بعلم العقيدة أو أصول الدين الذي يرى فيه غنى عما سواه من الفلسفة. وقد تصدى لنصرته والرد على من خالفه من الآراء. ثم تناول علم الرواية، وعلم العمل، وتكلم عن الفرائض وأهمية علم الفرائض في قسمة التركات وحاجة الفرضي إلى معرفة الحساب والجبر، وقدم مسائل تخص الوزن النوعي يرى بأنها مما يجب أن يعرفه الفرضي حتى إذا تعرض لمسألة مماثلة استطاع حلّها، ومن ثم تقسيم التركة بشكل علمي وشرعي في آن واحد.

وتطرق إلى أول من ألف في علم الجبر، وحاجة الفرضي إلى معرفة كيفية القسمة لا سيما في مسائل الدور والتكملة ذاكراً بعض المسائل الجبرية العويصة وطريقة حلها.

انتقل بعدها إلى الهندسة، وإنها متضمنة لعلم المساحة الذي يعالج أشكالا مثلثة ومربعة ومنحرفة ومدورة. وعلاقتها بعلم الهيئة لأن نظرها في دوائر وقسي (أقواس) وزوايا وخطوط وأبعاد. ثم صلة الهندسة بالعدسات، والمرايا المحرقة، وانعكاس الأشعة. وتطرق لعملية الإبصار مفنداً الرأي الخاطيء عن عملية الإبصار بخروج الشعاع من العين إلى الأجسام المنظورة، وبرهن على أن الإبصار هو دخول صور الإجسام إلى داخل العين.

وتدرج إلى ذكر معرفة الشهور والأيام والسنين. وعقد مقارنة بين السنة القبطية والرومية و الفارسية، ثم انتقل بعدها إلى علم الهيئة وفوائده في تحديد القبلة. ثم بين كيفية تحديدها بمعرفة علم الهيئة، والإستعانة بعلم المثلثات الكروية. وتأكيده على أن في القرآن حقائق كونية تخصُّ علم الهيئة، وأنه تعرض لمسائل اتعبت أهل الهيئة في الوصول إليها. إلا أنه في مباحث علم الهيئة لم يكن يرضى بديلا عن ارآء بطليموس، وهكذا وجدناه لا يرضى عن ابن الزرقالة (إبراهيم بن يحيى الأندلسي). وقد أثبت البحث صحة ما ذهب إليه إبن الزرقالة لا سيما رأيه عن دوران الكواكب بشكل بيضوي الذي خالف فيه رأي بطليموس.

ثم تكلم عن معرفة أوقات الصلاة، وكيفية الإستعانة بعلم الهيئة من حيث خطوط الطول والعرض وتحديد مواقع البلدان وتناول الموسيقى في موضعين تناولَ خبير مبيناً الألحان والأنغام وأنواع الآلات، وأثر الموسيقى في النفوس الإنسانية والحيوانية. وكان في تعريفاته وشرحه كأنه من أبناء القرن العشرين يعرف السلم الموسيقي أهل الصنعة الغنائية، ويبين انتقال الصوت في موجات إلى آذان السامعين، ومن ثم أثره في الأسماع.

ومما تناوله في شرحه الكلام على الأمور النفسية وأثرها في سلوك الفرد، وبين صعوبة علمَ النفس الذي عجز الباحثون في زمنه وقبل زمنه عن تعريفه. يتطرق بعد ذلك إلى تقسيم الدماغ وفق وظائفه إلى أقسام وكأنه أحد أبناء القرن العشرين كالذاكرة في مؤخرة الدماغ، والمشتركة (أي القوة المشتركة) والمتصورة في مقدمة الدماغ، والمتخيلة في وسط الدماغ. وبين عمل الأعصاب والحواس بشكل مقرب

للقارئ بمثل الحواس بالجواسيس الذين يتسقطون الأخبار، والأعصاب بأصحاب البريد الذين ينقلون الأخبار المتجمعة لديهم، والقوى المتوهمة التي تتجمع عندها خلاصة الأخبار، وعملها كالرسول بين صاحب البريد والوزير. والذاكرة مثل كاتب الوزير الحافظ لما ينتهي إليه. والنفس الناطقة كالملك الذي تخدمه كل هذه الأمور.

وأنتقل إلى صناعة الطب وشبهها بالصناعات وبين نوعيها النظري والعلمي. وشرح وجهة نظره في المشابهة بين الطب والصناعات الأخرى، إذ يحتاج من يتعلم مهنة الطب إلى المراقبة والتقليد لمن يمارسها. وتقبل إرشاد الممارس لها، وتوجيهه، ثم المواظبة على ذلك مع استعمال القياس في الحالات المتشابهة. وإن موضوع صناعة الطب هو بدن الإنسان وأجزاؤه. وهذه تحتاج إلى معرفة الأعضاء والأرواح (النفوس) والأخلاط (الأمزجة)، ومعرفة الأسباب المغيرة لحال البدن. ولما كانت صناعة الطب معرفة من المعارف فهي من العلوم الطبيعية.

وهكذا انتقل إلى أقوال أرسطو في كتاب البرهان عن العلوم الطبيعية وانتقل بعدها إلى المنطق مبيناً أهميته، وأسماء كتب المنطق الثمانية التي ألفها أرسطو.

وتناول بعد ذلك علم أصول الدين (علم الكلام) ذاكراً أهميته في الدفاع عن العقائد الإيمانية. وأول من تكلم فيه مستشهداً بأقوالهم.

ثم تدرج إلى الكلام عن صناعة الكيمياء، ومن عنى بها من الفلاسفة ممن آمن بفكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة كالفضة و الذهب مثل الرازي، والمبطلين لها كالكندي وابن سينا.

وتناول الأنواء وأشهر المؤلفين فيه، ثم تدرج إلى ذكر البروج، وعاد بعدها إلى الحديث عن الشعر مبيناً عيوبه، وأوزانه، ثم ذكر ما شاع في زمنه من أقوال موزونة سميت بالموشحات والمقطعات وما جرى مجراها. وإن كان يلزم بعضها القافية. فهي ليست من الشعر الذي ورد عن العرب وفق أوزانه.

وأنتقل من الشعر إلى الكتابة والكاتب وإختراعه للمعاني حسب ما يطلب منه،

أو حسب الموضوع الذي يتصدى للكتابة عنه. وأورد أمثلة على أنواع من الكتابة.

وتكلم عن التفسير، وذكر من ألف في غريب القرآن، وعلـم الجرح والتعديـل، وحاجة المحدّث إليهما، ثم تناول أصول الفقه ذاكراً الأئمة الكبار ومـا انفـردوا بـه. وقد تطرق إلى حاجة الفقهاء ولا سيما الفرضيين منهم إلى معرفة الهندسة، وهنا عاد إلى الكلام عن الهندسة مرة أخرى، مبيناً أنواع الخطوط والزوايا ثم أورد عدة مسائل هندسية وبين كيفية حلها والبرهنة عليها. وكذلك عاد إلى الكلام عن الهيئة والفلـك والكواكب السيارة المعروفة وعن أفلاكها، وعن أقربهـا إلى الأرض وأبعدهـا عنهـا، ومقدار أحجامها بالنسبة للأرض.

وكذلك عاد إلى الأنغام، ليتناول أموراً أخرى مثل كيفية تولد الأنغام وطبقاتهـا، وتسمية ما بين الطبقات النغمية، وذكر أعلام الموسيقيين وما نسب لبعضهم من آراء في الأنغام. وتكلم عن آلة العود وأسماء اجزائها وأوتارها ومواقع الأصابع عليهـا. وجاء بأخبار عن أثر اللحن والغناء في الناس. وكان في كل عودة إلى المواضيـع الـتي خاض فيها يضيف إضافات جديدة وفي أثناء كلامه عـن الموسيقى كـان يـرد علـى اليونان بعض أفكارهم، وهكذا رجع إلى الكلام عن الطب، وحركة الفلك، والفرق بين النفس البشرية وغيرها. وعـن الحـواس، والعلـوم الطبيعيـة، ومنهـا تطـرق إلى الكلام عن الذاكرة والمخيلة والدماغ ومحل الذاكرة من الدماغ، ثـم القـوة العصبيـة، والقوة العقلية، والنفس الناطقة.

وعاد إلى مناقشة أهل الكلام عن الجزء و القطر وضرب أمثلـة هندسـية ليـبرهن على رأيه. كما عاد إلى الكـلام عـن الكيميـاء ليتنـاول في هـذه المـرة سـبب تسـمية الكيمياء بهذا الاسم. وبعض ما يقوم به أهـل الكيميـاء مثـل التصعيـد، واسـتعمال الزئبق.

وهكذا تبدو المقامة من خلال شرحها ثروة فكرية كبيرة لا تنبئ عن ذكاء مؤلفها وموسوعية معارفه فحسب بل تطلعنا على تطور الحضـارة العربيـة الإسـلامية مـن خلال ما توصل إليه الفكر العربي الإسلامي، من معارف وعلوم نمت بـين إيديهـم وطوروها أو اطلعوا عليها من خلال الترجمة فاستوعبوها خير استيعاب، وتمثلوها و

وأضافوا إليها مما شجعتنا على تجشم قــراءة مخطوطـة المقامـة الحصيبيـة، وتحقيقهـا، لنقدم للقارئ ثمرة الحضــارة العربيـة الإسـلامية متجلية بتنـوع موضوعـات هـذه المقامة.

تسمية المقامة الحصيبية

أقدم من ذكر هذا الكتاب هو معاصر لمؤلفها، وهو الشيخ السَّلفي الـذي أخـذ عنه القاضي العلم كمـا مـرّ بنـا. وقـد ذكـر السـلفي في ترجمتـه للمؤلـف الرسـالة الحُصَيبيـة[1]، ووصفهـا بأنهـا تـدل علـى جـودة معرفتـه بالفقـه والنحـو واللغـة و التصريف والأنساب والكلام.. الخ.

ويبدو أن العماد الكـاتب الأصفهـاني أخـذ هـذه التسـمية حـين ذكـر مؤلفـات القاضي فذكر أن له رسالة (أودع فيها من كل علم مشكله، ومن كل فن أفضله)[2]. وذكرها ياقوت الحموي باسم: منية الألمعي وبلغة المدعي[3].

أمـا ابـن العمـاد فقـد سماهـا في كتابـه شـذرات الذهـب بمنيـة الألمعـي، وبينّـة المدّعي[4]. ويبدوا أنه لم يطلع عليها بنفسه لأنه جعلها كتاباً آخر غـير كتـاب المقامـة الذي ذكره، وسماه بالمقامات، ووصفه بأنه على نسق مقامات الحريري[5]. والكتاب الذي بين أيدينا هو مقامة واحدة، ولم يذكر أحد غير العماد أنه ألف أكثر من مقامة.

أمّا السيوطي فقد سماها منية الألمعي ومنية المدعي[6].

وممن أطلع على المقامة وذكرها حاجي خليفة الذي ضبط أسمها ونص على أنها

---

(١) معجم السفر: ١١٠.

(٢) خريدة العصر ١/ ٢٠٠.

(٣) معجم الأدباء ١/ ٤١٦.

(٤) شذرات الذهب ٤/ ٢٠٣.

(٥) م. ن.

(٦) بغية الوعاة ٥/ ٤٦

الحصيبية، وليس الخصيبية كما سيرد في النسخ الخطية.

لقد ذكر حاجي خليفة المقامة الحصيبية، وأنها نفسها أمنية الألمعي ومنية المدعي وأنهما لمؤلف واحد هو القاضي الأديب أبو الحسن أحمد بن علي بن الزبير الأسواني المتوفى سنة ٥٦٣هـ قائلاً:

أمنية الألمعي ومنية المدعي، وهي المقامة الحصيبية، رمى بها غرض الفكاهة، وأملاها بلسان الدعابة على من استوجب الإنبساط إليه[١].

وهذا نص ما ورد في الورقة الأولى من شرح المقامة وهو قول المؤلف مخاطباً من طلب منه شرحها، ذاكراً ما فيها من فوائد لغوية وعلمية: (وأدام لي النعمة بما منحتنيه من خلوص ودادك، وثاقب بصيرتك، ما رغبّت إليَّ فيه، واهبتَ بي إليه من شرح ما اشتملت عليه المقامة الحصيبية من الفاظ لغوية ومسائل علمية).

وختم حاجي خليفة وصفه لشرح المقامة بأن مؤلفها بعد أن شرح ما فيها من ألفاظ لغوية أو مسائل علمية صار نزهة الناظرين[٢].

أما بروكلمان فقد ذكرها باسم المقامة الحصيبية، وذكر أن له كتاباً آخر هو منية الألمعي[٣]، وعنه أخذ د. الدجيلي في جعلهما كتابين[٤].

وذكر يوسف إليان سركيس أمنية الألمعي ومنية المدعي ـسماها المقالة الحصيبية ونقل كلام حاجي خليفة من أنه رمى بها غرض الفكاهة. وقال إن المقالة طبعت في إيليا بنفقة محمد محمد الجبالي ١٣١٨ وأن الشيخ طاهر الجزائري اختصر الشرح.

وفي صدر المقالة ترجمة المؤلف.. وفي آخرها تتمة للشيخ المومى إليه في العلوم وأقسامها، ومواضيعها، وغاياتها طبعت ١٣٢٠ وأشار إلى مجلة المشرق السنة الخامسة

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٦٩.

(٢) م. ن. ١/ ١٦٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٥/ ١٥٥.

(٤) الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ٤٧.

ص١١٠١[1] وحين عدنا إلى مجلةالمشرق وجدنا فيها وصفاً للمقامة بأنها كراسة تحتوي على معلومة أملاها بلسان الدعابة، ومضمونه مناظرة أدبية بين عشرين علماً مع شرح لصاحبها الأديب، اختصره من الأصل مع حذف زيادات في بعض المواضع العلامة الشهير افندي الجزائري. وإن الكراس طبع سنة ١٣١٨[2].

إن توكيد سركيس، ومجلة المشرق كون ما طبع كراساً أو مقالة يدل على أن الناشر طبع أصل المقامة مع إختصار الفاظها فغدت كراسة صغيرة.

أما تسميتها في فهارس المخطوطات فسنقف عندها في حديثنا عن وصف النسخ الخطية وهي كما يأتي:

١- نسخة راغب باشا: وهي النسخة التي ذكرها ووصفها ششن في نوادر المخطوطات[3] برقم ١١٥٩ وقد كتب في آخر نص المقامة:

كملت أمنية الألمعي ومنية المدّعي.

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلامه.

وحسبنا ا لله ونعم الوكيل

وقد تفضل الأستاذ وليد أحمد حسين بتيسير تصويرها من تركيا وإرسالها إلينا. فله الشكر والتقدير علىعمله العلمي.

تقع النسخة في ٢٥٩ ورقة. وهي بخط نسخ واضح مشكول كتب في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وهي النسخة الأم التي أعتمدناها لكونها مقابلة على نسخة أخرى كما يظهر في كثير من هوامشها، وإنها قد قرئت على عالم يؤيد ذلك تتابع لفظة (صح) في كثير من هوامشها، واضافات بإشارة سهم لما سقط من النسخة

---

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٤٤٧.

(٢) مجلة المشرق، بيروت، السنة الخامسة.

(٣) نوادر المخطوطات م٢/ ٣٠٥.

المقروءة. وفي الورقة الأخيرة من نص المقامة كتب على حسها (بلغت المقابلة بحمد ا لله وعونه).

٢- نسخة الأوقاف العراقية وتحمل رقم ٩٩٠٦ باسم المقامة الخصيبية. وقد وصفها اسعد طلس، وذكر أنها لمؤلف مجهول، وأنها تقع في مجلد لطيف أولها: (قال ناظم هذه القلائد، ومؤلف دررها الفرائد: كنت في عنفوان عمري وريعانه، وشرخ شبابي وعيسانه اشتاق إلى الاغتراب شوق الغريب إلى الإياب.. وأول الشرح بعد البسملة: فهمت أدام الله.. وهي مخرومة الآخر قديمة الخط.

٣- نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحمل رقم ١٥٠ وتقع في مجلدين. وصفها كوركيس عواد في كتابه مخطوطات المجمع العلمي[1] وضبطها بالمقامة الحصيبية، وشرحها في المفاخرة، والمفاضلة بين الفنون وأربابها للقاضي الرشيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الأسواني.

ويقع المجلد الأول في ٩٢ ورقة بوجهين من ١-٩٢ والقسم الثاني من ٩٣-١٧٥ ورقة. والواقع أنها في الأصل مجلد واحد، ولكنها مصورة عن الأوقاف قد جلدت بمجلدين بعد تصويرها.

وقد ضبط الاسم بالمقامة الخصيبية في الورقة الأولى بضم الخاء واحجامها، وفتح الصاد وإهمالها[2]. وقد تم تصوير هذه النسخة عن نسخة الأوقاف في ١٩/ ١/ ٦٦.

وعلى الورقة الأولى تمليك لمتأخر مدعو حجي محمد امين بن محمد كاتب خزني بغداد، وتنتهي بقول المؤلف: وأما حجة أهل الأحكام في الاعتراض المذكور من اتفاق هلاك جماعة في وقت واحد كالغرقى، والقتلى في الملاحم، والسفن وأنه لا يجوز أن تكون الأحكام النجومية اتفقت في حقه فإنهم ينسبون ذلك إلى.. هذا من الأقاويل الخطابية التي الأشتغال بإعادتها.

---

(١) مخطوطات الأوقاف ١٦٨.

(٢) مخطوطات المجمع العلمي العراقي ٢/ ١٣٨.

وواضح أن هذه النسخة قد سقطت منها ورقتان فقط يشرح فيهما المؤلف آخر المقامة حيث أنهى البطل اسئلته، وأثار إعجاب الحاضرين وذهابه إلى المسجد.. إلى آخر أحداث المقامة.

هذه النسخة التي وصفها طلس بأنها قديمة فيها عيوب كثيرة متمثلة بالخرم والتلف الذي أصاب كثيراً من الكلمات. وسهو الناسخ في كثير من المواضع إذ تسقط أسطر كثيرة منها، قد تتجاوز العدد إلى الصفحات، مما أشرنا إليه في مواضعه. وقد يضيف الناسخ بعض الهوامش التي يشرح فيها كلمات لم يشرحها المؤلف. وقد وضعناها في الهامش، وأشرها إلى ذلك.

- ويبدو خلط الناسخ وسهوه في آخر المخطوط حيث وجدنا خلطا في النسخ بدا فيه الكلام مقطوعاً غير متسلسل، وقد حلت النسخة الأولى هذا الإشكال فتبين أن الأوراق أختلطت عند الناسخ فنسخ ورقتين قبل موضعهما (الأوراق ١٥٩ب فما بعدها)، مما أشرنا إليه في موضعه.

- كما أن هناك أوراقاً في آخر المخطوط أهمل فيها المؤلف الشكل والتنقيط.

- نسخة المخطوطات المصورة. وقد وصفها فؤاد السيد[1]، وسمّاها المقامة الخصيبية، وشرحها في المفاخرة بين الفنون، وأربابها تأليف القاضي الرشيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الأسواني مات مقتولا سنة ٥٦٣هـ. وذكر أن أولها: كنت في عنفوان عمري، وريعانه. وأنها نسخة بخط معتاد بخط محمد رجب سنة ١٢٨٥ (وانظر على طرف النسخة بياناً عن هذا الخطاط بقلم ، السيد محمد حنفي المهدي، مقابلة على أصلها بمعرفة محمد حنفي في ١٠٧ ورقة، ومسطرتها ٢١×٣٣. كما ذكر بروكلمان أن عنها نسخة في الإسكندرية برقم ١٤٢،١٦٣[2].

وقد اعتمدنا على نسخة راغب باشا لكونها أكمل من نسخة الأوقاف والمجمع

---

(١) المخطوطات المصورة ق ٣/ ٩٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٥/ ١٥٥.

العلمي العراقي، لأن الأخيرة سقطت منها أوراق عديدة في أكثر من موضع، ووهم الناسخ في نسخها إذ اختلطت عليه الأوراق فنسخ ورقتين أو أكثرفي غير موضعهـا. كما أسقط فقرات في مواضع كثيرة أشرنا إليها في الهوامش. هـذا فضـلاً عـن خلـو كثير من صفحاتها (القسم الثاني) من التنقيط والشكل.

أما نسختا دار الكتـب والإسـكندرية، فلـم نسـتطيع الحصـول عليهمـا، ورأينـا الاعتماد على نسخة راغب باشا التي قوبلت وصححت. وعنها نسـخت مخطوطـتي دار الكتب والإسكندرية وبعد، فقد بذلنا جهداً كبيراً في تحقيق هذه المخطوطـة الـتي انفردت بموسوعية موضوعاتها، مما يقتضي مراجعـة كـل مـا يتعلـق بالمعـارف الـتي تناولتها. ولعل القارئ الكريم يحس بما تثيره أبواب الحساب والجبر مـن إشـكالات قابلة للاجتهاد والوهم. وحسبنا أننـا نضعهـا بـين أيـدي البـاحثين انموذجـاً لـتراث فكري زاخر سجله القاضي أحمد بن الزبير بدقة وأناة ومن ا لله التوفيق والسداد.

المحققان

أ.د. ابتسام مرهون الصفار أ.د. بدري محمّد فهد

الورقة الأخيرة من نص المقامة

في النسخة أ

الورقة الأولى من شرح المقامة

الحصيبية نسخة أ

الورقة الأخيرة من

النسخة أ

الورقة (٣) من (ب)

الورقتان ١، ٢ من نسخة (ب)

المقامة الحصيبية



بسم الله الرحمن الرحيم

قال ناظم هذه القلائد، ومؤلف دررها الفرائد:

كنت في عنفوان عمري، وريعانه، وشرخ شبابي وعَيْسانِه[1]، أشتاقُ[2] إلى الاغتراب شوق الغريب إلى الإياب، وأصبو إلى مفارقة الجَناب[3]، صبوةَ المحبّ إلى الأحباب، وأرى أن ملازمة الوطن مجلبةٌ للأفَن، ومشيةٌ[4] لادّراع الكفن، حتى فَلَوتُ الفلواتِ تشريقاً، وتغريباً، وأَبَدَتُ قوى البيداء إساداً[5]، وتأويباً[6]. وكنت لا أحطُّ بوادٍ، ولا أنزل بحضَر[7] ولا بوادٍ إلاّ صرت عَلَماً لعلمائهم، وفضلائهم، ومَعْلَماً لأدبائهم، وألبّائهم[8]، فلما نزلت بالحُصَيْب[9] نزولَ المتلوم، ووضعت عصا الحاضرِ المتخيّمِ[10] ألفيتُ بها من وجوهِ الأدبِ، وعيونِهِ[11]، وينابيعِ العلم وعيونِهِ مَن أظفرني بقصوى الطلب، ونزلتُ منه على آلِ المهلب[12]، وأذهلني عن الرّحْلِ[13] والوجناء[14]، وحبب إليّ بها طولَ الثواء.

---

(١) سيشرح المؤلف اللفظة ومرادفاتها في شرحه للمقامة.

(٢) في (ب) استاق.

(٣) الجناب بالفتح الفناء، وما قرب من محلة القوم.

(٤) في (ب) وعشربه، ولعلها ما أثبتناه.

(٥) الإساد: سير الليل، وسيشرحها المؤلف.

(٦) التأويب سير النهار.

(٧) في (ب) لحضر وصوابه بحضر، مساوقة لبوادٍ جمع بادية.

(٨) في (ب) وألبابهم.

(٩) مدينة في تهامة سيوضح الشارح موقعها.

(١٠) تخيم بمكان كذا: ضرب خيمته به. والقول في الأصل مثل سيشرحه المؤلف.

(١١) عيون: جمع عين وهم الأشراف، وعيون الثانية جمع عين الماء.

(١٢) سيقف المؤلف شارحاً هذه الإشارة.

(١٣) الرحل: مسكن الرجل، وما يستصحبه من الأثاث، والرحل أيضاً رحل البعير.

(١٤) الوجناء: الناقة الشديدة اللحم.

فبينا أنا ذاتَ يوم في ناد يَجْمل القعودُ[1] بها، وحُسنِ انتظـام يُـزري[2] بكوكـب الجوْزاء كمالَ بهجة والتئام، قد جمع فتياناً[3]، ما منهم إلا مـن يفصـح بالذكـاء عـن [ابن][4] ذُكا، وتلهب ألْمعِيَّةً وذَكا، ونحنُ نُجيلِ قِداحَ المذاكرة، ونجتني جَنا المحـاضرة، إذ وقف بنا كَهلٌ كالرئبال[5]، عليه طمْرٌ بالٍ، فحيَّانا تحيةَ سديد[6]، وجلس منـا غـيرَ بعيد، فرددنا عليه السلام ولم نكد، وخِلْنا أنَّ مجلسنا به قد تنكَّد، ثم ثُبنا إلى الحديث، والتمييز بين القديم[7] في العلوم والحديث. فقال أحدنا:

النحوُ أعلى العلوم منزلةً، وأعجلُها منفعةً، ولولاه ما عُرِف الخطأُ من الصـواب في الكلام. وهو من العلوم بمنزلة الملحِ من الطَّعام. بـه يُتَوصَّـل إلى فهـم كـلامِ ربِّ العالمين، وأخبار سيِّد المرسلين، صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين. ومـن جهلـه مـن الفقهاء لم يَأْمنْ أن يأثَم في فتاويه، ويلحنَ فيما يرويه.

قال آخر:

أشهدُ أنَّ علمَ النحو كما تقول، وما ذكرتَه من فضلهِ غير مجهول إلا أنَّ منزلتَه في علمِ اللغة بمنزلة الأعراض من الذوات، والآلـةِ مـن المصوغـات. ولا يَنتفـعُ بعلـم النحو مَنْ جهل مبانيه[8]، ولم يمتد باعُ نظرِه فيها إلى معانيه[9] وغايةُ النحو أن يعـرف في كل كلمة آخرها ويعلم ..ته[10] يعرف سائرها.

---

(١) في (ب) يحجل العقود.

(٢) في (ب) ويزري.

(٣) خرم في الأصل (فتنا..)

(٤) زيادة ليست في الأصل, شرحها المؤلف وفي لسان العرب مادة: (ذكا) الذُكاء: اسم الشمس.

(٥) الرئبال: الأسد.

(٦) السديد: القاصد.

(٧) في (ب) العديم.

(٨) في (ب) مباينه.

(٩) في (ب) بن.

(١٠) أصاب الكلمة خرم.

قال آخر:

أراكما ضربتما عن علم الشعر صفحاً، وطويتما دونه كَشْحاً[1]. وهو ميدان العرب وديوانها، ولسان الفصاحة وترجمانها، وعلما النحو واللغة له حاكمان، وبعده خاويان[2]. وقد فضّله رسول الله ﷺ قدماً بقوله: إن من الشعر لحكما[3]. وأهله أقلُّ الناس همَّاً، وأنفذهم حكماً. أقوالُهم مقبولة، ومؤنُهم محمولة[4]، ويُرْهَبُ منهم المَحال(٥) ولا يُستحسن إلا منهم المُحال. لا يخافون سطوَة قادر، ولا يَخشون من بَرّ ولا فاجر. لو قدحوا الكلب أكسبوه فخراً، أو هجوا المِسْك صيّروه ثرى.

قال آخر:

لعمري لقد أمرضْتَ[6]، ولكنك مرَّضت، ورويتَ لولا أنك ورَّيت[7]. ألمْ تعلَمْ أن الشاعر متى لم يحكم صناعة البديع، ويفرق بين البليغ[8] والتبيع، ويتحلى بمحاسن الإشارة، ويعتمدُ على مُلَح الاستعارة، ثم يعلم من صناعة العَروض والقوافي ما يميِّز به بين المؤتلِفِ والمتنافي، ويعلُم الوَقْص[9] والعَقْل[10]، ويُحكِم

---

(١) الكشح في الأصل: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وطوى فلان كشحه إذا أعرض عنك.

(٢) في الأصل حاويان.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/ ٥٩١، ٦٢، ٦٤، النهاية في غريب الحديث مادة (سحر) ويروى الحديث الشريف: لحكمة.

(٤) في (ب) مخمولة.

(٥) الأولى جمع محل، والثانية: المبالغة.

(٦) امرضت من قولهم: أمرض القوم كثر فيهم المرض، وأمرض الرجل في القول إذا أتى بما يقارب الصواب، وانظر شرح المقامة فيما سيأتي.

(٧) وريت: أظهرت غير ما أبطنت.

(٨) في (ب) التبلغ.

(٩) الوقص: اسكان الثاني من متفاعلن فيصير مُتْفاعلن، سمي بذلك؛ لأنه بمنزلة الذي اندق عنقه لسان العرب (وقص).

(١٠) العقل في العروض: اسقاط الياء من مفاعيلن و إسكانها في مفاعلن، لسان العرب (عقل).

الخَبْن[1] والشَّكْلَ[2] لم يكن بالشاعر الجيد، ولم يأمن ما حل بمرقشٍ[3] وعبيد[4]. ثم هو مضطر[5] مع ذلك إلى اتقان النسب والخبرة بأيام العرب، ولا بدَّ له من الحكاياتِ الباهرة، والأمثالِ السائرة ليحلّيَ بها أجيادَ قصائده، ويفصل بفرائدها دُررَ قلائدهِ، ومتى لم يفعل ذلك فهو معدودٌ في الأغبياء[6]، ورابعُ الشعراء.

قال آخر:

لقد صدقت أوصافُك، وإن قلَّ إنصافُك. ألم تعلمْ أنَّ صناعةَ النثر[7] أرفعُ قدراً، وأشرف ذِكْراً؟ وصاحبها غير معرَّض للنائل[8] ولا مُذَلَلٌ[9] بالوقوف في المحافل، وهو حاكمٍ لا محكوم عليه. ومرغوب في كل حالةٍ إليه. ثم صناعته يدُ الدولة، ولسانُها ووجُه المملكة وعنوانُها. وحسبك مالها من الشرف العظيم في مماثلتها في

---

(١) خبن الشعر يخبنه خبناً حذف ثانيه من غير أن يسكن له شيء، إذا كان مما يجوز فيه الزحاف كحذف السين من مستفعلن، والفاء من مفعولات، والألف من فاعلاتن. لسان العرب (خبن).

(٢) الشكْل من العروض ماحذف ثانيه، وسابعه، ونحو حذفك ألف فاعلاتن والنون منها، سمي بذلك لأنك حذفت من طرفه الآخر، ومن أوله فصار بمنزلة الدابة التي شكلت يدها، ورجلها. لسان العرب (شكل).

(٣) هناك مرقشان، الأصغر والأكبر. أما الأكبر فهو عوف بن سعد، ويقال عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة. من عشاق العرب، لحق بصاحبته أسماء بعد أن زوجت ومرض، وترك في غار، ولحقه بعض أهله وقد أكل السبع أنفه. وأما المرقش الأصغر فهو عاشق أيضاً، واسمه عمرو بن سفيان، قيل أنه ابن أخي المرقش الأكبر. انظر أخبارهما في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٠، والشعر والشعراء ١٠٣-١٠٩.

(٤) هو عبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي المشهور، وقد قتله النعمان بن المنذر. انظر الشعر والشعراء ١٤١-١٤٥.

(٥) في (ب) مصطر.

(٦) في (ب) الاعما.

(٧) في (ب) الثر.

(٨) النائل والنوال: العطاء.

(٩) في (ب) مدلل.

تفقد الورق[1] للقرآن الكريم.

فلما بلغ إلى هذا الفصل في الفضل برزَ أكبرُ الجماعة سِّناً، وأظهرهم سَناً[2]، وقال:

لقد طاشت عن الغرض سهامُكم، وكثر في الهذر كلامُكم، وشَغَلتُم أنفسَكم بالتُّرهات، وضيَّعتم فيما[3] لا ينفع الأوقاتِ. أين أنتم عن العلوم الدينية، والآداب الشرعية، والمسائل الخلافية، والأصول الفقهية، وقراءة[4] كتاب الله تعالى وتأويله، ورواية حديث رسوله. هي قواعد الإ سلام ومداركُ العلم بالحلال والحرام، وفصْلُ القضايا والأحكام[5]. ولولاها ما عُبَد اللهُ على التحقيق طَرْفَةَ[6] عَيْن، ولا عُرِفَ فرضُ كفاية من فرض عَيْن.

فاعترف له الجماعة له بالصدق، وسلَّموا إليه قَصَبَ السَّبق، إلا أنَّ أحدهم قال:

قد علمتم أن الفرائض عِلْمٌ مذكور، والخُبر فيه عن رسول الله ﷺ مشهور، ولا يعلم ما تضمنه من الوصايا والدّور[7]، والتكملة[8] من لم يُحكِم أصولَه في الجبر والمقابلة. ومن لم يكن كذلك لم يثبت له أن يكون مجتهداً، وكان في فتاويه مقلّداً. وحَسْبُ الحسابِ من الفضل المبين قول رب العالمين: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[9].

---

(١) لعله يريد بها تفقد ورق المصحف. أي أوراقه يريد أن الآيات القرآنية نثر، وكفى بذلك شرفاً للنثر.

(٢) في (ب) سنا .. سنا الأولى: سن العمر، والثانية بالتخفيف: الرفعة والمجد، وأصله ممدود.

(٣) في (ب) مما.

(٤) في (ب) قراه.

(٥) خرم حرف الكاف في (ب).

(٦) في (ب) طرفه.

(٧) في (ب) الدود، وصوابها الدور. وشرحها المؤلف بقوله: أن يدفع الناظر في المسألة إلى شبهة لا ينتهي منها إلى طرف، بل كلما أحكمها من وجه اختلّت من وجه آخر.

(٨) سيشرح المؤلف هذا المصطلح ويورد له شواهد وأمثلة.

(٩) الآية من سورة الأنبياء ٤٧/١.

قال آخر:

أُقسِمُ بآياتِ المُفَصَّل[1]، إلا أنه قد ثبت عند جميع العقلاء، وكافة العلماء أنَّ ذلك فرعٌ على العلم بالبراهين الهندسية، والعلامه[2] والأشكال الهندسية الخطوطية والسطوحية. وبها تتم[3] معرفة المسائح والقسم، ويُفرِّق بين المنطق والأصَمّ. ولولاها لجُهِلت المعرفةُ بالعلم والمتممين ذي[4] الموسطين بذي الاسمين. ثم هي صيقلُ الأذهان والخواطر، وأصلُ العلوم الإيغال[5] والمناظر، بل لها في كل علم دخول، ولذلك سميت بعلم الأصول.

قال آخر:

أشهدُ أنك ما فُهْتَ بزورٍ، ولا دَلَّيتَ بغرور، إلاّ أن علم الهندسة سُلَّم إلى علوم الهيئة، ومعرفةِ الأجرامِ العلوية والأشكال الفلكية. ولها عليه شرف الغلبة على (البداية)[6]. ولولا علم الهيئة لما عُرفت مداخلُ الشهور والأعوام، واختلافُ الساعاتِ والأيام، ولَجُهِلِ سَمْتُ القِبلة، ولم تُعلَمْ أوقاتُ الصلواتِ إلاّ على الجملة.

قال الراوي:

وأردْتُ مخاطبَته فسبقني إليها فتىً حلوُ الشمائلِ، حَسَنُ المخايل، كان قد أهدف[7] سمعه، لاستماع محاورتهم[8]، وأكبرهم عن مناظرتهم وقال:

أراك أطريت العلمَ بالحركة الفلكيةِ، وأغفلْتَ الصناعةَ الموسيقيةَ وبها تحدُثُ الحركاتُ النفسانية بإتقان النِسَبِ التأليفية، والإيقاعاتِ الصوتية، ولولاها لما علمت

---

(١) المفصل: ما دون الربع من الكتاب الكريم كما سيشرحه المؤلف. وقد أطلقت على القرآن الكريم جملة.

(٢) كذا في (ب)، وكذا في النسختين في شرح المقامة.

(٣) في (ب) يتم.

(٤) في الأصل: ذو.

(٥) في (ب) الاتعال.

(٦) خرم في الأصل.

(٧) أهدف سمعه: جعله هدفاً لكلامهم.

(٨) في (ب) مجاورتهم.

الألحانُ المشجية [الشجية][1] والنغمُ المطربةُ الملْهية.

قال آخر:

صناعةُ الطب [أولى][2] منها بالاطراء، وأنفُس قَدْراً عند العقـلاء، لأنَّـه إنْ كـان باللّحون يُطرَدُ عن القلبِ الهَمُّ فبـالطب يُنْفـى عـن الجسـم السَقَم. ولـولا اعتـدالُ الأعضاء، والسلامةُ من الأدواء لما انتُفعَ به، ولا بسواه، ولا لذَّتْ لامرئ[3] حياة. وقد اتفق أولو الأذهان، وفرسانُ البيان على أنَّ العلم علمان: علمُ الأديانِ، وعلم الأبدان.

فقال له بعضهم:

صدق كلامُك، وأصابت سهامُك، لكن قد أجمعَ أهلُ العلومِ العقليـةِ أنَّ صناعـةَ الطب تنقسم إلى علمية وعملية. وعلمنا أنها مُتَسَـلِّمة مـن العلـوم الطبيعيـة، لأنهـا الصناعةُ التي بها تُعَلمُ[4] الأمزجة والأركان، وقوى[5] النبات والحيوان، وبها تُعْرفُ الكيفيةُ والزمانُ والحركةُ والمكان. بل لولاها لما فُـرِّقَ بـين القـوة العقليـةِ والعصبيـةِ واشتَبَهَتْ النفسُ الحيوانيةُ بالنطقية.

فانتدب إليه أرفعُ الجماعة في العلم بَسْطةً[6] وقُدرةً، وأوضحُهـم تحجيـلاً وغُـرَّةً وقال:

يا قوم، لقد جُرْتُمْ عن السَّنَنِ[7] اللاّحبِ[8]، وأَضْلَلْتُمْ بالفَرْضِ الواجبِ أنسـيتُمْ أوَّلَ الواجباتِ شَرْعاً وعَقْلاً، وأحَقَّها بالشرف، وأولى[9] بالنظر المودي إلى معرفةِ الله

---

(١) أصاب الخرم أول الكلمة في الأصل.

(٢) أصاب أول الكلمة خرم.

(٣) في الأصل (لامرى).

(٤) في (ب) يعلم.

(٥) في (ب) القوة.

(٦) البسطة: السعة.

(٧) السَّنن: القصد.

(٨) اللاحب: من لحبت الطريق: إذا تبعته.

(٩) في (ب) وأولى النظر.

-تعالى- وصفاته، والاستدلال[1] عليها بمصنوعاته التي مَنْ لم يتعلقْ فيها بحبل البرهانِ تساوى في حقه الطاعةُ والعصيانُ، واشتَبَه الكفرُ عندَه بالإيمان؟!

فأقسمَ الجماعةُ بمن[2] أخرجَ النارَ من الوثيمةِ، والعِذْقَ من الجريمة[3] لقد جلا رِيْنَ[4] الشك عن السريرة، وزيد في العلم بسطة وبصيرة، واجمعوا على أنه عِلْمٌ زلْقٌ المقام صعبُ المرام، لا يصل إليه إلا مَنْ نظر بعين فكره، وأعمى عَمَى هواه، واستعبد نفسَه في طاعةِ مولاه، واقتنى جوامعَ من العلوم البرهانية، والقوانين المنطقية التي منزلتها من الصنائع العقلية منزلةُ النحوِ من العربية، ليأمن عن الشبهة المُضِلَّةِ، وتصح له مناهجُ الأدلة، ويَسْلَمَ من الغلط والزلل، ويقدر على رد السفسطة والجدل.

قال أحدهم:

قد كفانا الله فقد ما سواه، وأمَّننا به فقدَ ما نحذَرُه، ونخشاه. وفي علم أصول الدين، وأدلةِ المسلمين غنىً عن مذاهب الفلاسفة المتقدمين، ومن قصر العلمَ بجواز الجائزاتِ، واستحالِه المستحيلاتِ على معرفة النتائج والمقدِّمات، ولم يستدل على الصنائع بالمصنوعات، ويتساوى العقلاءُ في الاستدلالاتِ إذا تساووا في المحسوسات والضروريات[5].

فقال كهل منهم:

ما منكم إلا من وري زنادُ فكرِه، وذَلَّ على فضلهِ، وعلوِ قَدْرِه إلاَّ أنَّكم يا فرسانَ الكلام، ومصابيح الظلام تعلمون أنَّ صُفْرَ الأكياس[6]، والحاجةَ إلى الناسِ

(١) أصاب أول الكلمة خرم.

(٢) في (ب) ممن. ومعنى أخرج النار من الوثيمة: أخرج النار من الصخرة وهو مثل .لسان العرب مادة (وثم). وفي هامش المخطوط يساراً: الصخرة وشرحها المؤلف بأنها الحصاة الموثومة يعني ما يرفض تحت سنابك الخيل من الحصا فيقدح ناراً.

(٣) الجريمة، والجريم النخلة المقطوعة، والعذق: العرجون.

(٤) الرين: الظلمة، قال الحسن: الذنب على الذنب حتى يسود القلب. الصحاح، مادة (رين).

(٥) في الأصل الضروريات.

(٦) صفر الأكياس: كناية عن الفقر.

تعمى[١] أبصار القلوب، وهمّ المعاشِ أولى بذي الفاقة من همٍّ المرفـوع والمنصـوب. ومـن ذا الـذي يُصبـحُ[٢] طـاوِي الأحشـاء، ويبيـت مضطـراً إلى العشـاء فيجيـب مسألة[٣]، أو يجيل في العلم فكره؟ كلا. والله، ولو لم يكلـف إلا بَقْلـة. فطوبـى لمـن ظفر بصناعـةٍ تريحُـه مـن الكَـدِّ، والعَنـاء، وتُلحقُـه بالسـعداء. وتلـك والله صناعـة الكيمياء.

فقال بعضهم:

يا هذا إنك لفي هذاء[٤] منذ اليوم. أتنصبُ الحبالة[٥] للعنقاء؟ وتروم أن تقتنص نَسْرَ السماء؟ ألم تعلم أنَّ أكابرَ الحكماء والفلاسفةَ القدماءَ لم ينالوا منها غيرَ التعـبِ والنَصَبِ، وأعياهم أن يصنعوا ذهباً إلاَّ من الذهب. وما أحسنَ قولَ من يُشـارُ إليـه بالفضل: الكيمياءُ حفظُ ما يُنفَقُ عليـه. أيـن أنـت عـن تقويـم النـيرات[٦]، وإلقـاء الشعاعات والزجرِ، والطلّمساتِ التي بها يُعلَمُ تصرُّفُ الأحـوالِ، ومواقـعُ الأرزاق والآجال[٧].

وقال آخر:

بل العِلمُ [و][٨] الله صناعة السيميا، لأن صاحبها متصرفٌ في الأشياءِ بغيرِ جهدٍ ولا عناء.

---

(١) في (ب) تطمى، والقول اقتباس من القرآن الكريم في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهَـا لاَ تَعْمَـى الأَبْصَـارُ وَلَـكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج (٤٦/ ٢٢).

(٢) في (ب) يصح.

(٣) في (ب) مسلة.

(٤) الهذاء: الكلام غير المعقول.

(٥) الحبالة: المصيدة من الحبل.

(٦) في (ب) النبرات. والصواب النيرات وهي معرفة مواضع الكواكب السيارة وسيشرحها المؤلف.

(٧) في (ب) والآحال.

(٨) زيادة ليست في الأصل. أصابَ الكلمة خرم.

فأنكر الجماعةُ ما رآه، وأبوا تصديقَ دعواه وكثر بينهم في ذلك الجدال، واتسع عليهم المجال، وذلك الكَهْلُ يحملقُ إليهم بصرَه، ويغمض، ويقبل إليهم بوجهه، ثم يعرض في أثناء ذلك، يبتسم تَبسُّمَ الجاهل المتعاقلِ والعاقلِ المتجاهلِ. فلما تمادى لَغْطهُم، وغلطهُم، وكثر خطأهم، وسَقَطُهم. صدَّ صدودَ متأفِّفٍ، وتأوَّه تأوُّهَ متأسِفٍ وقال:

اللهم، يا مَن تفرَّدَ بالكمالِ صلِّ على رسولك الشفيع في المآل[1]، وأعِذْنا من الهَذْر في المقال، وحُبِّ الغَلَبةِ والجدالِ. ثم احتذى نعليه، واعتمد للقيام على راحتيه.

قال الراوي:

فاحفظني بتعريضِهِ[2]، وإعراضِه، وأغراني منه باعتراضه، فَحَذَيْتُ[3] رِدْنَ طِمْرِه[4]، وحِلْتُ بينه وبين ممرِّه. وقلت:

أيها المعجبُ بهواه، الزاري على مَنْ سواه. والله، لا كان لك مناصٌ ولا من أيدينا خلاص أو يُمتَحَنُ سنُّ بكرك[5]، وتستبينُ دخيلةُ فكرِك. فإنْ صَدَقَتْ مخيلةُ برقِك[6] حمدناه، وإن زاغ ناظرُ نظرك قوَّمناه. فعاد عَوْدَ القرم اللّحِم[7]، وأصَلَتَ

---

(١) في (ب) المأل. والمآل: المرجع، يريد به يوم القيامة.

(٢) في (ب) بتعويضه، واحفظني: أثار غضبي، والحفيظة: الغضب والتعريض: ضد التصريح.

(٣) حذيته صرت بحذائه.

(٤) الطمر: الثوب الخَلِق.

(٥) سنُّ بكرك: أي يختبر قدرك كما يخبر سن البكر بالفرار: وفي جمهرة الأمثال (١/ ٥٧٥)، قولهم: صدقني سن بكره: مثل يضرب للرجل يكذب في الأمر، وأصله أن رجلاً ساوم رجلاً ببعير، وسأل عن سنه، فأخبره أنه بكر، ففر عنه، فوجده هرماً. فقال: صدقني سن بكره. والبكر: الفتي من الإبل.

(٦) المخيلة من الخال: وهو النعيم. وقد أخالت السحاب، وأخيلت وخايلت بمعنى واحد إذا كانت ترجى مطر.

(٧) القَرِم: هو الشديد الشهوة للّحم، واللّحِم مثله. يقال: لَحِم بالكسر اشتهى اللحم فهو لَحِم.

لساناً كالعَضْبِ[1] الخَذِمِ[2]، ثم عقد نطاق حَبوته[3]، وهدر ملأ شقشقته[4] وقال:

أمَّا إذا ناديتُمْ هـل مـن مُنـافِث؟ ونخشتـم[5] غـير مبـاحِث، فسـترون مـا تهيـجُ النبائث[6]. وأيمُ اللهِ لأُريَّنكم جهلكم، بأنكم تجهلون، وليأتينَّكم أنباءُ[7] ما كنتم بـه تستهزؤن. أحسبتم يا أشباه الآلِ[8]، وأعلامَ الضـلالِ أنَّ كـلَّ مَـنْ نظـر في علـم أوْ علمين، وحفظ مسألةً أو مسألتين، ثـم قَصَّـرَ سـرباله، وقـصَّ سِباله[9] مظهـراً[10] للنُّسـك والزهـادة متصدياً للاستفادة في مَعْـرَض الافـادة فهـو يستغوي بذلــك الطغام[11]، ويحتطب الحطام، ويحتقب[12] الحرام، ويتسمى بالشيخ الإمام قد صَلُــحَ لأنْ يفضل بين العلومِ، ويُمَيِّزَ بين المحمودِ منها والمذمــوم؟. كـلا والله يَهْجُـرُ الدنيـا ويُودّعها، ويُطلِّق الدّعَةَ وبدعَها ويُميتُ هوى النفسِ، ويحيي ليلَه بالدرسِ. فلا يبقي علماً إلاَّ كشف حجابَ سره، وهَتَكَ قناعَ ستره. وهيهاتَ واللهِ كمـال المعرفـةِ ممـن ليست له هذه الصفة. فإن العلوم بمنزلة الأصابع لليد، والأعضاء في الجسد.

ولعلكم تقولون: هذا مَسْلَكٌ وَعْرٌ، ومطلبٌ فيه عُسْر. أجـل، مـن اشـتغل بحـبٍّ

---

(١) العضب: السيف القاطع.

(٢) الخذم السيف القاطع، وفي الأصل الحذم.

(٣) الحبوة، والحبوة بالفتح والضم: الكساء الذي يحتبى به.

(٤) الشقشقة في الأصل: الشيء كالرئة يخرجها البعير من فيـه إذا هـاج، وإذا قـالوا للخطيـب ذو شقشقة فإنما تشبيهاً له بالفحل. الصحاح (شقق).

(٥) نخشتم: أي حَرَّكتم، يقال نخش فلاناً فلاناً إذا حرَّكه وآذاه.

(٦) النبائث: من قولهم: نبثت البئر إذا أخرجت ما فيه من حما، الصحاح نبث.

(٧)في (ب) وليأتينكم أننا. والقول مقتبس من قوله تعالى: (فقد كذبوا بـالحق لما جـاءهم فسـوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) سورة الأنعام:٥.

(٨)الآل: ما يظهر في البيداء كالماء في أول النهار.

(٩) السبلة والسبال ما ظهر من مقدم اللحية بعد العارضين. لسان العرب (سبل).

(١٠) في (ب) مطهرا.

(١١) الطغام: أوغاد الناس.

(١٢)يحتقب يحتمل يقال: احتقب فلان الاثم كأنه جمعه. الصحاح (حقب).

الجاه والمال، وأهمَلَ الاستعداد للمآل، فأما من صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربه فإنه والله كقابِ قوسين، لا بل كطرفة العين. ثم أطرق إطراق المغمى عليه، ووضع رأسه على ركبتيه، حتى قلنا: أدركته خشية ربِّه، أو صَدَعَ خرقُ المآل أعشارَ[1] قلبِه، ثم صعَّد أنفاسه، وأنغَضَ[2] إلينا رأسه، وقال:

رأيت كلاً منكم قد نصر علماً، وانتحله وَمَّيزه على غيره، وفضَّله، ولعله، لو سُئِلَ عن حقيقته لجهِلهَا، أو خُبِّرَ بها لَمَا عَقَلها.

ولا بد أن أسبرَ دعواكم، وأمتحَن فراستي فيكم. وأبدأ بنحويّكم، ثم أشار إليه وقال:

أيها المدَّعي للإعراب، المفتري على الأعراب. لا أسألك عن التصريفِ وعلَلِه، وصحيحِ البناءِ ومعتلّه، ولا عن تكسير حضرموت، وكيف يُبنى من سَفرجلٍ وزنُ عنكبوت، بل أسألك عن نصبِ الفعلِ المستقبلِ بمعنى مقدَّر، أو عاملٍ مُضمَر كما تأوَّل النحويون قول الشاعر:

لنا هَضْبَةٌ لا ينزلُ الذُّلُّ وَسْطَها ويأوي إليها المستجيرُ فيعصِما[3]

وأمثالُ ذلك مما أكثروا فيه التأليفَ، وشَحَنوا به التصانيفَ. وقد رأيتُ العربَ تعرفُ من ذلك ما أوَّلوه، أو فسَّرتم أقوالَه بما جهلوه، فإنْ ادَّعيتم لهم المعرفةَ

(١) الأعشار جمع العشر: وهو القطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع. ومنه قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتقتلي بسهميك في أعشار قلب مقتّل

لسان العرب (عشر).

(٢) أنغض رأسه: حركه كالمستحيي من الشيء. الصحاح (نغض).

(٣) البيت للأعشى في لسان العرب (ذلل)، وانظر المعجم المفصل ١/ ١٢٤ ٧/ ٨٢، ورواية الشطر الثاني فيه:

ويأوي إليه المستجير فيعصما

والبيت منسوب لطرفة بن العبد في ديوانه ص٩٤، شرح الاعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب، وغير موجود في شعر الأعشى ولا في ديوانه.

فدعواكُم بهتانٌ، وإن نفيتموها عنهم فَهُمْ والعامةُ سيّان. ثم مالَ إلى صاحبِ اللغـةِ، وقال له:

يا ابن دُغَةَ[1]، بماذا تجيب إن سُئِلْتَ: كم جـاء من المضـاعف علـى لُبْـتَ؟ وإن أحببتَ الإقالةَ من هذه المسألةِ فكم جاء من اسم علـى وزن مَفْعلـة. ثـم أدار[2] إلى شاعرنا بصره، وأنشده إنشاد من استصغره:

أجِـزْ لنـا يـا مَـنْ يُـرى طرفُـه   في حَلْبـةِ الشِّـعْرِ غـدا فارهـا
أصبحْـتُ أرضَـى بـالذي ترتضـي   وللـذي تكرهُـه كارهـا

ثم أومأ بالسَّبابةِ للنسّابةِ وقال:

أيها المدّعي معرفَةَ أيامِ العربِ، والمالكِ لزمام الأدب، كم فيهم مَنْ اسمُـه عبـدةُ أو عبيد؟ وأيُّ ابني حرملةَ قاتِلُ ابنِ الشّريد[3]؟ وإن ادَّعيتَ علمَ العروضِ والأوزانِ فأيُّ بيت يُجمَع في حشْوِه ساكنان؟ وفي أيِّ بحرٍ قولُ بعضِ أهلِ الزمان:

يـا مُدَّعـي العلـم بـالعروض أبِـنْ لي   هل خُضْت لذا البحر في عروضك مِثْلا

ثم، مال إلى خطيبنا الأريب، وكاتبنا اللبيب فقال:

- لو أنَّ سلطاناً خَصَّك باصطفائه، واتخذك من أصفيائه و..[4] بعض الأيام ذكر، ومات من بنيه آخر، وافتتح له فتحٌ وهُزم له عسكر، فأمرك أن تكتـب بجميـع ذلـك منشوراً ينتشر ذكـره في البـلاد، ويُقـرأ علـى رؤوس الأشـهاد، فتحمـده الخـواص، وتستحسنه، وتفهمـه العـوام، ولا تسـتهجنُه. بمـاذا يكـون بـدؤك؟ وفي أيِّ طريقـة تسلك؟

---

(١) سيشرحها المؤلف. وخلاصة الآراء من معناها أنها اسم رجل أحمق، أو اسم امرأة، وقيل اسم دويبة .. انظر لسان العرب (دغا).
(٢) في الأصل: أشار.
(٣) سيطيل المؤلف الكلام عن هذا اليوم في شرحه المقامة.
(٤) أصاب الكلام خرم والسياق يقتضي: وولد له في.

ثم نظرَ شزراً إلى الفقيه، وقال له:

- لا أسألك عن كلٍّ ما يلزمك النظر فيه، ولا أكلِّفك حصرَ وجوه التفسير، والتأويل، ومعرفةَ أسبابِ التجريح، والتعديل، ولا عن أصناف النقض، والاستصحاب، والجمع، ودليل الخطاب[1]، بل اقتصرُ في ذلك على مسألة أخبر فيها كُنْهَ ذلك. أسألك عن رجل له امرأتانُ تدعى أحداهما زينَب، والأخرى رباب، رأى في السماء شبح طيرٍ يكاد يخفيه البُعْد عن الناظر فقال: أنت طالقٌ يا زينب، إن كان هذا الطائر غراباً[2]، وإن لم يكُنْه فأنتِ طالق يا رباب. ثم تمادى الطائر في طيرانِه إلى أن حُجبَ عن عيانِه، ومضت على ذلك الشهور والأعوام [إلى أن][3] أدرك إحدى زوجتيه الحِمام. هل يستحقُّ من ميراثها جزء؟ أو لا يرث منها شيئاً؟

-وما تقول عن رجل وامرأتِه في بيتٍ مُربع طولُه مثلُ ارتفاعِه. وكلُّ واحدٍ منهما عَشْرُ أذرعٍ بذراعه، قالت له: إن منزلنا هذا لضَنِكُ الأرجاء والمساحة، ضيقُ الأقطار والساحة، فقال: أنت طالق، إنْ لم أبن لك بيتاً على مِثْلَيْ مساحتِه، يشبهُه في شكلِه وصناعته. هل يمكنه أن يفيَ بما حكاه؟ أو يصحُّ طلاقُه وإنْ أباه؟

ثم أمهلَه بالجواب، ومال إلى صاحب الفرائض فقال:

- لا أسألك عن العِتْقِ[4] في المرض والهبة، ومسائل السُّلم والمناهبة، ولكني أسألك عن رجل أحضرك آلةً مصوغة من النُضار واللُّجين[5]، وأرادَ أن يعرف ما فيها من كل واحد من الصنفين، ليؤدي من ذلك فرض زكاته، أو ينتفعَ به في تجارته. هل كنت تعلم في ذلك طريقاً مقنعاً، أو تراه عسيراً ممتنعاً؟ أو لو أنَّ أُخوة أربعة خلَّفَ أبوهم أرضاً مربعةً، فاتفق أحدُهم مع اخوته على أن يأخذ منها شكلاً

---

(١) في الأصل: الحطاب.

(٢) في الأصل غراب، ولعلها سكّنت للسجع.

(٣) أصاب الكلمة خرم لم يظهر منها إلا النون.

(٤) في الأصل العنق.

(٥) النضار الذهب، واللجين: الفضة.

هلالياً يختصُّه. ما كنت[1] صانعاً في تحريرِ ذلك وقسمته؟.

وأقبل[2] على المهندس بابتسام وقال:

-كيف تقسم زاويةً ثلاثة أقسام؟ أو كيفَ تُخرج[3] خطين اذا خرجا دائماً لا يلتقيان، وهما أبداً متقاربان؟

وعاد إلى صاحب الهيأة وقال:

– ما عدد الأفلاكِ على الجملة؟ وما معنى وسط الكوكب؟ ومجاز[4] العَرْض؟ وكم مقدار فلك القمر من الأرض؟

ثم أشار إليَّ بالبنان وقال:

-أيها المدَّعي العلمَ بالألحان، هل النَغَمُ عشر أو عشر وثمان؟

وأيّ صنف من الإيقاع لا تنفر[5] عنه الطباع؟ وأيُّ آلـةٍ تدنو لصوتها السباع، ويعنو [لها][6] المجرّب الشجاع؟ ثم صمت ساعة كالمتعجب. وعاد إلى سؤال المتطبب وقال:

-لِمَ قَسَمَ أهل صناعتِك أحوال بدن الإنسان إلى ثلاثة أقسام: صحة وسقام، وحالةٌ ليست بصحة ولا سقام؟ وهذه قسمة تدفعها[7] بداهة العقول، لأن أحد أقسامها غير معقول، ولِمَ كان[8] عدد الأركان أربعة من غير زيادة ولا نقصان؟ وما

---

(١) في (ب) ماكانت.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٣) في (ب) تحرج.
(٤) في (ب) ومحاز.
(٥) في (ب) لا ينفر.
(٦) زيادة ليست في الأصل يقتضيها السياق.
(٧) في (ب) يدفعها بداية.
(٨) في (ب) كانت.

الفرق بين النبض والسريع والمتواتر؟ وليس بينهما خلاف في الظاهر؟

وعطف إلى صاحب العلوم الطبيعية فقال:

- أيُّ الأسبابِ أقدم الصُّورية أو المادية؟ وبماذا تدل على أن جميع حركة الفلك دورية؟ أو بأي شيء ترد على من زعم أن النطق تابع للنفس الحيوانية؟

ثم انثنى إلى صاحب المنطق وقال:

- أيها المموِّه المُمَخْرِق. ما الدليل على أن المقولات عشر، ولعلها[1] لا تدخل تحت حصر؟ وكم أصناف التأليفات الذاتية؟ وما السببية منها؟ والوجودية؟

ثم هتف بصاحب الكلام وقال:

- بماذا ترد في مسألة القطر على النّظام[2]؟ وما صيغة ذلك الصرف إلى الامتناع والمحال؟ وكم من وجه يكون الإثبات أو الإبطال؟

ثم جَعْجع بصاحب الكيمياء وقال:

- يا أيها المشغول بالعناء، أخبرني: أي روح يصير جسداً[3]؟ وأي جسد لا يَبْلى أبداً؟ وما حَجَر[4] القوم وطيّارهم[5]؟ وكيف أثالُهم[6] ونارهم؟

ورجع إلى المنجم، فقال:

---

(١) في (ب) ألا تدخل.

(٢) النظام هو إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق، من أهل البصرة، ومن شيوخ المعتزلة، توفي سنة (٢٣١هـ) فضل الاعتزال: ٧٠، ٢٥٤، ٢٨١، ٣٢٣، تاريخ بغداد ٦/ ٩٧.

(٣) في (ب) حسداً.

(٤) حجر: شرحه المؤلف بقوله: والحجر عندهم هو ما وقع التدبير فيه.

(٥) الطيار: الزئبق كما شرحه المؤلف.

(٦) الأثال: شجر، وهو نوع من الطرفاء، والأثال: المجد.

- أيها المفتون بالغرور، المدّعي علم ما في الصدور، خاب[1] والله قِدحُك، وكبا زَندُك وقَدْحُك. وعلى هناتك[2]، وعلّتك. فلابد من مسألتك[3]: لم وصف أهل صناعتك بعض الكواكب بالحرارة دون بعض؟ ومعلوم أن لا حرارة، ولا برد إلا فيما دون كرة القمر إلى الأرض. وأخبرني عن القتلى في الملاحم الكبار، وأهل السفن الغرقى في البحار؟ هل ذلك لأن عطايا كواكبهم نفذت؟ أو مواليدهم اتفقت؟ ثم مال إلى صاحب السيمياء وقال:

- أيها المدعي لكرامات الأولياء، إن كنت من الصادقين، فأتنا ببرهان مبين[4]. ثم صمت ينتظر جنى[5] دَبْره، وبَرْقَ حصاد بَذره. وأخلد كل واحدٍ منا حيرة في جواب مسألته، وفكرُه في فضله، وفطنته، إلى أن طالتْ به مدّة الانتظار، وصوَّح[6] نبْتُ البَّهار، وأدركه العُجْبُ والخيلاء. ومال به الصَّلَفُ والازدهاء. فقال:

- ما هذا الجمود الفاضح، والعجز الواضح؟ والله ما كلفتكم صنعاً مُعْضلاً، ولا سألتكم غامضاً مشكِلاً. ثم علي قالتكم إن استثقلتم والإنابة لكم إذا سألتم. فاعترفنا بالتقصير عن خوض بحره، وأفضنا في الثناء عليه وشكره، إلى أن استعفى من الإطراء، فقال:

- المدح في المحضَر كالهجاء[7]. ثم أخذ كل منا يستميله إلى ذُراه[8]، فيسأله أن يجعله أبا مثواه. فلما تيقن إعجابنا به، وسرورنا [به][9].

---

(١) في (ب) خان، والقدح: السهم.

(٢) الهنات جمع هنة وهي خصلات الشعر. ولا تقال في الخير. الصحاح (هنو).

(٣) في (ب) مسلتك.

(٤) اقتباس من قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ سورة البقرة (١١١).

(٥) في الأصل حنى. والدبر: النحل.

(٦) صوَّح: تشقق. وفي الأصل النهار، ولعلها البهار.

(٧) في الأصل كالمجا.

(٨) ذراه: كنفه وستره.

(٩) أصاب الكلمة خرم، وما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

قال:

أحبِب بقربي منكم قُرْباً[1]، وأهلاً بكم ورَحبا، إلا أنني كنت نويت ألا يؤويني غير المسجد بيت. فنزلنا على حكم هواه، وأنزلناه مسجداً اخترناه. ثم نما في الناس خبره، وشاع في المدينة ذكره، حتى طرقه الخاص والعام، واكتظ المسجد بالزحام، وجعلت التحف تنثال من كل وجه إليه، والأموال تُلقى بين يديه، وهو لا يُعيرها نظرة، ولا يميز درة من بعْرة، ولا يزيد على رجع السلام بالإشارة، والهيمنة[2] بالتسبيح والتلاوة إلى أن دجا الليل، وأخذ النعاس بالكظّم[3]، وضرب على الأذان، فلم يرعنا إلا صوت الأذان، فإذا قد أقوى ذلك المجمع، والمسجد منه ومما حُمِل إليه بلقع، فابلسنا لفقده، وذهلنا من بعده، ونهضنا نؤُم مخرجه، ونقتصُّ مدرجه، فألفيناه قد اتخذ الليل مَحملاً للذهاب، وكتب على عضادة الباب:

أيُّها المبتغي فات ما فات فارجع
واسمع العُذْر منعما ثم ما شئت فاصنع
ودع اللَّوم جانباً ربَّ لوم مُضيَّع
أنا شمس ولا قرار لشمسٍ بموضع

فأُعجبنا بشعره، وعجبنا من مكره، وتألمنا لذهابه [و] لفقد شبابه[4].

تمت المقامة بحمدلله.

يتلوها شرحها إن شاء الله تعالى، وهذا أوله:

---

(١) في (ب) قرناً.

(٢) الهيمنة: الصوت الخفيّ.

(٣) الكظم: أي القوم الساكتون.

(٤) كذا في الأصل. ومعلوم أنّ البطل كهل كما وصفه المؤلف.

شرح

المقامة الحُصَيْبية



وهذا أوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

[رب يسر، وأعِن، وصلى الله على محمد وآله][1].

١(أ) فهمت -أدام الله بهجة الفضل ببقائك، وحرسَ حوْزةَ العلم بحراسة حَوْبائك[2]، وأدام لي النعمةِ بما منَحْتنيه من خلوص ودادك، وثاقب بصيرتك- ما رغَّبت إليّ فيه وأهَبْت[3] بي إليه من شرح ما اشتملت عليه المقامة الحُصَيْبِيَة من ألفاظ لغوية، ومسائل علمية، ولم أدع -أدام الله عزك- أن أسبق اليك بمرادك قبل استبطائه، ولا أحوجك إلى اقتضائه إلا لما قدمته اليك من أن هذه مقامة رميت[4] بها غرض الفكاهة، وأمليتُها بلسان الدّعابة، على من استوجب الانبساط إليه، ولا استحسن الانقباض عنه لغرض اقتضته الحال، وسهَّله الاسترسال.

ولم أعرضها على محك الانتقاد، ولا صافحتها بيد التصفُّح والاختبار[5]. وما هذه سبيلُه بأن يُلفظَ ويُدرسَ أولى من أن[6] يحفظ ويدرس. فأما إذا أبيت إلا مُضيّاً على غلوائك، فسمعاً لأمرك، وطاعة لحكمك، وانقياداً لزمام اختيارك إلى غاية إيثارك. وإنْ قبضني عن ذلك علمي بان لابدَّ أن يقع بعضُ ما أورده في هذا الشرح إلى من لعلّه يقصر فهمُه عن تصوُّر معانيه، ولا يبلغ علمُه إلى الإحاطة بما فيه إذ كان يحتوي فنوناً من العلم وعرةَ المسالك، وأنواعاً من الأداب مختلفةَ الطرائق. وقلَّ من برز في فن من العلم إلا وصدَّه عن سواه، وشغله. والمرءُ عدوٌّ ما جهله، فيتخذه

(١) زيادة من (ب).

(٢) الحوباء: النفس. الصحاح مادة (حوب).

(٣) في هامش أ: أهبت: دعوت.

(٤) في (ب) رمت.

(٥) في (ب) والاجتهاد.

(٦) في (ب) منه.

دُرْءة[1] لطعنه واعتراضه، ويوسعه في صدوده وإعراضه، فقد شجَّعني عليه علمي بأني لن أُعدم عطفة كريم مثلك يسبل على خطاي سُجْفَ الاعتقاد، ويقيلني من الزَّلَلِ والعَثار، ويتعقب مالعلّي أخللتُ به بالإصلاح، أو قصَّرت فيه [بالتكميل][2] والإتمام.

فالنخل يجنى المُرَّ من نَبْتِ الفلا   فيصيرَ شُهْداً في طريق رضابِهْ

على أنَّ لي فيما أقاسيه من شوائب الزمان، وأعانيه من مكافحة الأيام شغلاً شاغلاً، وداءً داخلاً وهمّاً يكدّر من قَليب القلب[3] جِمامه[4]،وينهج من منهج الصفاء[5] أعلامه. هذا إلى ما مُنيتُ به من عُدْم المذاكر، والمُباحث، وفقد المعاضِد[6] والمساعد بحيث صارت الفضيلةُ مسبةً لصاحبها، وعاراً على طالبها، وعضيهةً[7] يُنْبزُ بها من فارقها، وجنايةً يعاقَب بها من أُلبس بها أو حاولَها، حتى أصبح الفكرُ عازباً، والصوابُ غائباً، والعقلُ ذاهلاً[8]، وأزمّةُ الآمال مصروفة بيد الاضطرار إلى غير وجهة الاختيار والحيلة مستهلَكةٌ بخيالات[9] الأوهام -ولا جَرَم- فهذه حال من استوطأ مركبَ الهُوَّينا والعجز، وخالف محجَّة أهل العزم والحزم. والله المستعان على الخلاص من دار الغرور، وإدراك الأمل[10] من السؤل [بمنه]. وما توفيقي إلاَّ به. عليه توكلت، وإليه أنيب. وهذا حين ابتدأ مستعيناً بالله عز وجل:

---

(١) في (ب) درنه، والدرءة، والدريئة: ما يستتر به.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) القليب البئر قبل أن تطوى، وقيل: هي البئر العادية القديمة.
(٤) الجمام، المكان الذي يجتمع فيه الماء، ويريد به هنا الهم الذي يكدر قلبه.
(٥) في (ب) العلم.
(٦) في (ب) المقاصد.
(٧) العضيهة: الإفك والبهتان.
(٨) في (ب) ذاحلاً والذاهل: الغافل.
(٩) في (ب) بحيالات.
(١٠) في (ب) والسؤل وما بين القوسين زيادة من (ب).

قوله:

شرخ شبابي يريد أوَّله، وشرته[1] وشرْخُ الشباب، وعنفوانُه وريعانُه، وعَيْسَانه، وريّقه، وغُرانقه، وشِرتُه، كل ذلك أولُّه، قال الشاعر:

إن شَــــرْخ الشـــباب والشَـــعَر الــــ   أسـود مـــا لم يُعـاص كــان جنونــا[2]

والُمسبَكّر من الشباب: التامّ المعتدل. والُمطْرهِّم مثلــه وزنـاً ومعنـى[3]. قـال ابــن أحمر[4]:

أُرجّـــى شـــباباً مُطْرهِمّـــاً وصحـــة   وكيـف رجـاءُ الَمرْء مـا ليـس لاقيـاً[5]

والأَفَنُ: قلة العقل، وضعفُه من الكبر والهرم. ومنه[6] الجوز المأفون الذي لا لُبَّ فيه. وأصل ذلك من قولهم: أَفَنَ الفصيل ما في ضرع أمه: إذا لم يُبـق فيـه شـيئاً مـن اللبن. وأَفَن الحالب: إذا لم يدع في الضرع شيئاً. قال الشاعر يصف ناقةً:

إذا أَفَنــتْ أروى عيـــالَك أَفْنُهـــا   وإن [جبنتْ][7] أربى على الوَطْب جبنُهـا[8]

---

(١) في (ب) وشدته.

(٢) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ١/ ٢٣٧ وهو في الحيــوان ٣/ ١٠٨ منسـوباً لـه ولابنـه عبـد الرحمن وهـو في جمهـرة اللغـة ١/ ٥٥، ٢/ ٢٠٧، الأمـالي الشـجرية ١/ ٣٠٩، وفي شـرح جمـل الزجاجي غير منسوب ١/ ٢٤٧.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) هو عمرو بن أحمر الباهلي، شاعر مخضرم، أسلم واشــترك في غـزو الـروم، وأصيبـت احـدى عينيه، وتوفي في زمن عثمان بعد أن بلغ سناً عالية: معجم الشعراء ٢٤.

(٥) البيت من شواهد لسان العرب منسوباً لابن أحمر مادة (طرم)، وهو في ديوانه ١٦٦ والمطرهم: المعتدل التام.

(٦) في (ب) ومن ذلك.

(٧) خرم في (ب) والتصويب من (أ).

(٨) في (ب) الوطن، والبيت في الصحاح واللسان مـادة (أفـن) وفي هـامش (أ) جبنـت الناقـة إذا جعلت لها في كل يوم وليلة وقتاً تحلبها به. انتهى. والوطب: سقاء اللبن. قال ابن السكيت: هو جلد الجذع مما فوقه. ويقال: لجِلْد الرضيع شكوة والجلد العظيم بدرة.

والفلوات: جمع فلاة، وهي الصحراء، ومثلها الفَيْفاء، والبَهْماء: التي لا يُهتدى فيها لطريق، والصرماء التي لا ماء فيها. والمَرْت[1] التي لا نبات بها، والمروراة[2] التي لا أنيس. بها قال الشاعر:

قِفــار مــروراتٌ تَحــارُ بهــا القطــا   يظَــلُّ بهــا السَّــبعان يعتركــانِ

والفلا[3]: مقصور الفلاة. قال تأبط شراً.

وأنضو الفلا بالشاجب المتشلشل[4]

يريد الذي قد تغير لونه، وتخدَّد[5] لحمه.

والبيداء: المفازة كأنها سميت بذلك لأنها تبيد سالكها: أي تهلكه.

وبادَ الشيء: هلكَ، وإنما سميت مفازة تفاؤلاً بالفوز.

والإساد[6]: سير الليل، والتأويب: سير النهار كله [قال الله تعالى: ﴿ياجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾][7]

---

(١) المرت: الأرض التي لا كلأ بها، وإن مطرت. لسان العرب (مرو).

(٢) المروراة: المفازة التي لا شيء فيها، وهي على فعوعلة والجمع المرورى والمروريات. وفي هامش الأصل قال إسماعيل بن حماد وزنها فعوعات والجمع المرورى والمروريات، والمراري. وقوله في الصحاح مادة (مرو).

(٣) في الأصل وفي (ب) وفي اللسان أيضاً (الملا) إلا أن المؤلف أورد الشاهد للفظ الفلا مقصور الفلاة.

(٤) صدره: ولكنني أروي من الخمر هامتي. والبيت في ديوانه: ٩١ والشاجب: الهالك، شجب يشجب بالضم شجوباً فهو شاجب أي هالك يريد فرسه، والمتشلشل الذي قد تخدد لحمه.

(٥) في (ب) وتحلأ، وتحلأ: تقشر. وكلاهما صحيح.

(٦) جاء في الصحاح (أسد) الإساد: الإغذاء في السير، وأكثر ما يستعمل ذلك في سير الليل، وقال أبو عمرو، الإساد أن تسير الإبل الليل مع النهار. وقال المبرد: الإساد سير الليل لا تعريس فيه، والتأويل: سير النهار لا تعريج فيه. وفي فقه اللغة: ٢٩٥ إذا سار القوم نهاراً، ونزلوا ليلاً، فذلك التأويب، فإذا ساروا ليلاً ونهاراً فهو الإساد.

(٧) من الآية (١٠) سورة سبأ ٣٤.

والإدلاج: سير أول النهار، والإدّلاج بالتشديد سيْر آخرهِ. ومما يسأل عنه في هذا المعنى قول الشاعر:

وتشكو بعين ما أكَلَّ ركابُها   وقيْلُ المنادي أصبح القوم أدلجِ[1]

أي: كيف يكون الإدلاج بالصبح. ومعناه استبطاء صاحبه عن الادلاج كما يقولون لمن يريدون[2] حثه على التغليس[3] بالفجر: أصبحتم، فصلُّوا[4].

وبَوادٍ جمع بادٍ، وهو الذي يسكن البادية، والحاضرُ الذي يسكن المدن والقرى.

والألبّاء: العقلاء، واللّبُّ: النُهْيَة، والحِجى. والحِجْر: العقلُ. قال الله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾[5].

والحُصَيْب[6]: مدينة بتهامة يجاورها وادٍ يسمى زبيداً تعرف به.

وتِهامةُ: أحد قسمي جزيرة العرب، وهما نجد وتهامة. وأولها في الطول عَدَن، وأبين[7]، وآخرها أيلة، وما والاها أطراف الشام كجفر أبي موسى[8] وما قرب منه[9]. وحدّها في العرض من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى [رمل يبرين أو][10] ريف العراق.

---

(١) البيت في ديوان الشماخ ٣٢ وله أيضاً في (الصحاح) وقد شرح الجوهري البيت بقوله: لم يجعل الادلاج مع الصبح، وإنما أراد أن المنادي كان ينادي مرة أأصبح القوم، كما يقولون: أصبحتم كم تنامون؟ ومرة ينادي: أدلج أي سيري الليل.

(٢) في الأصل يريد، والتصويب من (ب).

(٣) التغليس: السير في الليل بغلَس، والغَلَس ظلمةُ آخر الليل.

(٤) أصاب الكلمة خرم في (ب).

(٥) الاية (٥) في سورة الفجر ٨٩.

(٦) الحصيب مدينة في وادي زبيد هي للأشعريين معجم البلدان (طبعة بيروت): ٢/ ٢٦٦.

(٧) أبيَن: هو مخلاف باليمن فيه مدينة عدن، معجم البلدان (٢/ ٨٦) وانظر عن عدن ٤/ ٨٩.

(٨) من (ب) كجفرابي. الجفر: البئر الواسعة لم تطو، وذكر ياقوت أكثر من موضع يحمل اسم جفر: جفر البحر، وجفر الشحم، وجفر الهباءة، وغيرها ولم يذكر جفر أبي موسى.

(٩) في (ب) وغيره.

(١٠) زيادة من (ب).

والحِجاز هو الجبل الفاصل بين قسمي جزيرة العرب نجد، وتِهامة. فنَجْد اسم لما علا ذلك الجبل، وتهامة: اسم لما دونه، مما والى البحر. يقال للرجل: أنجَدَ، وجَلَسَ إذا أتى نجداً. ويقال لنجد: الجَلْس، والجَلْس ما غَلُظ من الأرض قال الشاعر:

وإذْ ما[1] جلسنا لا تزال تنوبُنا تميم لدى أبياتِنا وهوازنُ

وقال آخر:

وعن يمين الجالس المُنجِدِ[2]

ويقال للرجل: غار، أذا أتى الغَوْر، أي تِهامة.

ومن أمثالهم: أنجد من رأى حَضَنا[3]، وحَضَن جبل بأوسط نجد[4]، يضرب لمن أراد أمراً، فبلغ منه غايته.

ومن قرى نجد المشهورة تَبالة. وبها ضرب المثل[5]: أهونُ من تِبالةَ على الحجاج. وكان وليها. فلما دنا منها سأل عنها، فقيل له: هي وراء تلك الأَكَمة. فقال: ما أحقرَ عملاً تستره أَكَمةٌ. وعاد من وضعه. وإنما سميت بلاد العرب جزيرة، لأنها بين بحرين يكتنفانها، أحدهما من جهة المغرب بحر الحبشة، وأولُه عدن، وآخره المكان المعروف بالقُلْزُم[6]. ومسافة ما بين ابتدائه إلى انتهائه ألفٌ وأربعمائه ميل،

---

(١) في (ب) ولما.

(٢) أوله: شمال من غارب به مفرعاً.

(٣) جاء في جمهرة أمثال العرب ١/ ٧٨، هو مثل في معنى الدلالة على الشيء، ومعناه إن من رأى حَضَناً. وهو بنجد ، فقد أتى نجداً، وليس به حاجة إلى السؤال.

(٤) من قوله: وحضنا .. تأخرت في (ب) آخر الفترة.

(٥) المثل في جمهرة أمثال العرب ٢/ ٣٧٢، المستقصى ١٧٨، الحيوان ١/ ٣٢٣، وذكر العسكري قصة المثل. وفي لسان العرب: حضن بأعلى نجد، والعرب تقول: أنجد من رأى حضنا أي من عاين هذا الجبل فقد دخل ناحية نجد.

(٦) القلزم بضم القاف وكذا ضبطه ابن منظور وقال: هو المكان الذي غرق فيه فرعون وأهله. وهو ما يسمى الآن البحر الأحمر.

وسعتُه قريب من مائتي ميل، وعمقُه من أربعين إلى خمسين ذراعاً. والبحرُ الآخر من جهة المشرق: بحر فارس، وأوله عُمان، وما والاها، وآخره عبّادان إلى الخشبان[1]، وهي من قرى البصرة. ومسافةُ ما بين ابتدائه، وانتهائه قريب من ألف وأربعمائة ميل، وعرضه عند مبدئه في البحر هو المكان المعروف برأس الجمجمة[2] في الغرب[3]، وهو في بلاد مَهْرة[4] وتقابله من المشرق بلاد الدَّيْبَل[5] من السند خمسمائة ميل. والميلُ أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً عرضاً. والإصبع: ست شعيرات مصفوفة عرضاً بالعرض.

وقوله: نزول المتلوم: يريد المتطير.

وقوله: وضعت عصا الحاضر المتخيم. مثل يضرب لمن أراد الإقامة بمكان. ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

فلما وردْن الماء زُرْقاً جمامُهُ ... وضعن عَصِيَّ الحاضر المُتَخَيِّمِ[6]

ومنه قول المنصور على المنبر، وقد سقط سوطه عند أول خطبة خطبها فقال: إنه

---

(١) في الأصل الخشبات، وذكر ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٤٢٦، خشبان وأنه نقلها من كتاب نصر بضم الخاء المعجمة: موضع بخط الكوفي صاحب أبي العباس، احكم ضبط الاسم في قوله:

هوت امهم ماذا بهم يوم صُرِّعوا ... بخشبان من أسباب مجد تصرما

(٢) في الأصل الجمخة، والتصويب من (ب)، وفي معجم البلدان ٢/ ١٦١، (دار صادر): سنٌّ خارج من بحر عُمان بينها وبين عدن يسميه البحريون رأس الجمجمة، لأنه مما يستدل به راكب البحر إلى الهند.

(٣) في الأصل المغرب وهو تحريف.

(٤) مهرة: مخلاف باليمن ينسب إلى قبيلة مهرة، ويقع في وسط المسافة ما بين عمان وحضرموت. معجم البلدان ٥/ ٢٣٤.

(٥) الديبل مدينة على الساحل الغربي للهند معجم البلدان ٢/ ٤٩٥.

(٦) البيت من معلقته المشهورة في ديوانه صنعة الأعلم الشنتمري ٩.

ليس كما ساءَ الولي، وسرَّ العدو، ولكن كما قال الشاعر [وهو معقرُ بن حمار][1]:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[2]

وأصل ذلك: أن الإماء كُنَّ إذا رحلن أخذن عَصِيًّا يسقن بها الإبل فإذا بلغن المنزل طَرحْن العصي، واشتغلن ببناء الأخبية، ووضع الرَّحل.

وقوله: ونزلت[3] منه على آل المهلب[4]: يريد قول أبي الهندي، وهو أزهر ابن عبدالعزيز الرياحي يمدح آل المهلب:

نزلت على آل المهلب شاتياً ... غريباً عن الأوطان في زمن مَحْلِ

فما زال بي اكرامُهمْ وافتقارُهمْ ... وبرُّهُمُ حتى حسبتُهُم أهلي

[فلله قوم لم تلدْك نساؤُهم ... كأنّك منهم في المناسِب والأصل[5]

ومثل هذا في حسن الجوار قول [آخر، وهو][6] معدان بن المضرب[7]، أخو حجية[8] الشاعر:

إني حمدتُ بني شيبان إذ خمدتْ ... نيرانُ قومي، وشبَّتْ فيهمُ النارُ[9]

---

(١) زيادة ليست في (ب).

(٢) وله أيضاً في لسان العرب مادة (نوى) وله أو لعبد ربه السلمى أو سليم بن ثمامة الحنفي في لسان العرب (عصا) وبلا نسبة في خزانة الأدب ٤/ ٤١٣، ٧/ ١٧، انظر المعجم المفصّل ٣/ ٢٧٩.

(٣) في (ب) نزلت.

(٤) آل المهلب بن أبي صفرة، وأبو صفرة ظالم بن سرّاق بن صبح الأزدي أحد القادة المشهورين في العصر الأموي: انظر جمهرة أنساب العرب ٣٦٧.

(٥) البيت ساقط في (ب).

(٦) غير موجود في (ب).

(٧) هو معدان بن جواس بن فروة بن سلمة السَّكوني الهندي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. اختار له أبو تمام في حماسته مقطوعتين سماه في إحداهما معدان بن جوَّاس وفي الثانية معدان بن مضرب، نسبة إلى جده. وانظر ترجمته في الإصابة الترجمة المرقمة ٨٤٤٣، والاعلام ٧/ ٢٦٦.

(٨) حجية الشاعر هو حجية بن مضرب الكندي له خبر ومقطوعة في ديوان الحماسة. انظر شرح ديوان الحماسة لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي٣٦.

(٩) الأبيات منسوبة إلى يزيد بن حمان السكوني في يوم ذي قار في شرح الحماسة لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي ٢/ ١٩١، ورواية الشطر الثاني فيه: (نيران قومي وفيهم شبت الدار).

ومــن تكرُّمِهــم في المَحْــل أنَّهــم لا يعلــم الجــارُ فيهــم أنَّــه جــارُ[1]
حتــى يكــونَ عزيــزاً في نفوسِــهم أو أن يَبِــنَّ[2] جميعــاً وهــو مختــار
كأنــه صَــدَعٌ في رأسِ شــاهقةٍ مــن دونــه لعتــاق الطــير[3] أوكــارُ

ومن جيد ما قيل في الجوار، قول مسكين الدارمي[4] أيضاً:

نــاري ونــارُ الجّــارِ واحــدةٌ وإليــه قبلــي تُــنزَلُ القِــدْرُ
مــا ضــرَّ جــاراً لي أحــاورُه ألاّ يكــونَ لبابِــه سِــتْرُ

وإن كان هذا قد عيب بقول امرأته: صدقت فيما قلت؛ لأن القدر لجارك، ولا قدر لك، ولا يضر جارك أن لا يكون له ستر، لأنك تهتكه لو كان.

ومن أقبح ما قيل في ذم جوار، وهو عكس ما تقدم قول الآخر:

لا يقبسُ الجارُ منهم فضلَ نـارِهمُ ولا تكفُّ يدٌ عن حُرمـةِ الجـار[5]

---

(١) في شرح الحماسة: أنه الجار.

(٢) في (ب) يبتن.

(٣) روايته في شرح الحماسة لزيد بن علي الفارسي (لعتاق الخيل) وهو خطأ، لأن الشاعر يشبه الممدوح في العز والمنعة بصدع في رأس جبل لا تنتهي إليه جوارح الصيد. والصدع: الشق.

(٤) مسكين الدارمي بن أنيف بن شريح، شاعر كانت له مهاجاة مع الفرزدق. انظر ترجمته في الأغاني ٣/ ١٢٩٨، تحقيق احسان عباس، جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، وانظر طبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٠٩،٣١١.

(٥) البيت في شرح كتاب الحماسة لزيد بن علي الفارسي ٢٢١، منسوب لبعض آل المهلب، ثم ترجم له الشارح نقلاً عن دعبل بأنه عبدالله بن عبدالرحمن، ولقبه أبو الأنواء. وذكر المحقق أنه وجد في هامش المخطوط عن الشيخ أبي طاهر الشيرازي: قال بشار في بعض آل المهلب هـ. ولم نجد البيت في ديوان بشار وقبله في شرح كتاب الحماسة

قــومٌ إذا أكلــوا أخفــوا كلامهــم واستوثقوا مــن رتـاج البـاب بـالدار

ومعنى البيت: أنهم من شحهم لا يأخذ جارهم من نارهم، وهم مع ذلك يؤذون الجار، وينتهكون محارمه.

قوله: أذهلني: يريد: شغلني [ذهل عن الشيء يذهل ذهولاً][1].

والوجناء: الناقة الشديدة اللحم، مشتق ذلك من الوجين وهي الحجارة من جانب الجبل[2].

والثواء. والإقامة بالمكان. قال الشاعر [الحارث بن حلزة][3].

آذَنَتْنا ببيْنِها أسماءُ ... ربُّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء

والنادي: مجمع القوم ومتحَدثُهُم.

وقوله: ابن ذُكاء: يعني[4] الصبح [وذكاء الشمس][5] وهو ابن جلا أيضاً[6] سُمي بذلك؛ لاتضاحه وبيانه. قال سحيم بن وثيل الرياحي[7]:

أنا ابن جلا[8] وطلّاع الثنايا ... متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) الوجين العارض من الأرض، ينقاد ويرتفع، ويغلظ وشبهت الناقة به لصلابتها، لسان العرب (وجن).

(٣) زيادة من (ب) وليس فيها لفظ الشاعر، وهو أحد شعراء المعلقات المشهورة، والبيت هو مطلع معلقته انظر أخباره في الأغاني ١١/٢٨، ٣٨ طبعة الإبياري.

(٤) في (ب) يزيد.

(٥) ساقطة من النسخة الأصلية وفيها هامش: ذكاء غير مصروف معرفة ، لا تدخلها لام التعريف جاء الصحاح: الذَكاء: حدة القلب، وذُكاء بالضم غير مصروف اسم للشمس معرفة لاتدخلها الألف واللام. تقول: هذه ذكاءُ طالعة.
ويقال للصبح: ابن ذُكاء، لأنه من ضوئها.

(٦) تأخرت كلمة وسمي في (ب).

(٧) هو سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوعي التميمي، شاعر مخضرم كان شريفاً في قومه، وهو الذي نافر غالباً أبا الفرزدق في الإسلام. ذكره ابن سلام في طبقاته، ووصفه بأنه جيد الشعر، وشاعر خنديد. ونقل البغدادي في خزانة الأدب أنه عاش في الجاهلية أربعين سنة. وفي الإسلام ستين ١/ ١٢٩.

(٨) نقل البغدادي في الخزانة ١/ ١٢٩، أنه ليس في آباء سحيم من اسمه جلا، وابن جلا هنا: واضح الأمر، ومثله ابن أجلى، وهو مقصور من الجلاء البيان والوضوح، انظر طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٧٩.

تمثل بهذا البيت الحجاج بن يوسف في خطبته المشهورة عند دخوله الكوفة والياً على العراق. وفي هذه القصيدة يقول سحيم:

أغَرُّ الوجه من سَلَفي مَعَدّ كنصْل السَّيفِ وضّاح الجبين[1]
عذرت البُزْلَ إنْ هي خاطرتني فما بالي وبالُ ابن اللّبون[2]
وماذا تدَّري الشعراءُ مني وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين[3]

يعني بذلك الذين هاجوه، وخفض النون من الأربعين، لأنه جعلها حرف إعراب، ولم يجعلها عوضا من نون الجمع، كما قالوا في سنين: سنينَ وسنينُ، وسنينِ. قال الشاعر:

وإنّي من نجدٍ فإنَّ سنينهُ لَعِبنَ بنا شيباً وشيَّبننا مُرْدا

[فأضاف سنين إلى الهاء، ولم يسقطها للإضافة][4]، ولو كانت نون جمع أو تنوين لأسقطها مع الإضافة.

وقوله: لوذعية: اللوذعية [يريد][5] الحديد[6] القلب، الفصيح اللسان.

والرِّئبال: الأسد، شبه به هذا الرجل لإقدامه، وجرأته.

والطِمْرُ: الخَلِقُ الثياب، وفي الحديث: رُبَّ ذي طمرين [أشعث أغبر][7] لو أقسم

---

(١) تقدم البيت على الذي يليه في (ب).

(٢) ابن اللبون: ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة. والبزل البعير الذي يفطر سنه وذلك في السنة التاسعة وابن البون كناية عن الضعف.

(٣) روايته في طبقات فحول الشعراء:

وماذا يغمز الشعراء مني وقد جاوزت سن الأربعين

وتدَّري من قولهم: ادّرى الصيد أي ختله، أراد ماذا يقصدون بالمشاغبة.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) ساقطة من (ب).

علي الله لأبرَّ قسمه[1].

في فضل علم النحو

وقوله: ثبنا: أي رجعنا.

وقوله: النحو أعلى العلومِ منزلةً: مشتق من قولهم: نحوت كذا: أي قصدت إليه، لأنه يقصد به الناظر فيه إلى الصواب. ويقال: إن أبا الأسود الدؤلي[2] كان ليلة في سطح منزله وعنده بنتٌ له فرأت السماء والنجوم[3]، وحسن تلألؤ أنوارها مع اشتداد الظلمة، فقالت: [يا ابه][4] ما أحسَنُ السماء. فقال: أي بنية نجومها. وظنّ أنها أرادت أي شيء منها أحسن؟ فقالت: يا أبت، إنما أردت التعجب من حسنها. فقال: كنت إذاً تقولين: ما أحسنَ السماءَ.

ثم أصبح، فغدا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- فقال: يا أمير المؤمنين، حدث في أولادنا ما لم نعرفه وأخبره القصة. فقال: هذا لمخالطة العجم. ثم أمره فاشترى صُحُفاً بدرهم. فأملى عليه:

أقسام الكلام ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، وجملة من باب التعجب. وقال: انح نحو هذا[5]. فكان ذلك أوّل ما ألف في النحو.

---

(١) في اللسان رب ذي طمرين لا يؤبه له .. وانظر تخريجه في معجم أطراف الحديث ٥/ ١١٤، كنز العمال ٣/ ٥٩٣٦، ١٣/ ٣٦٨٥٥.

(٢) أبو الأسود الدؤلي، هو ظالم بن عمرو بن سفيان شاعر من مخضرمي صدر الإسلام والعصر الأموي يعد من الشعراء والتابعين والمحدثين توفي سنة (٦٩هـ) وإليه نسب وضع النحو انظر الشعر والشعراء: ٤٥٧ (طبعة ليدن) وطبقات النحويين (١٣-١٩).

(٣) في (ب) ونجومها.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل وفي هامش الأصل كتبت عبارة أول من دون النحو علي.

(٥) في (ب) انج نجو.

وروى الزجاجي[1] عن الطبري[2] يرفعه إلى أبي الأسود الدؤلي[3] قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا يا أمير المؤمنين[4]، وبقيت فينا هذه اللغة[5]. ثم أتيته بعد أيام، فألقى إلي صحيفة فيها[6].

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام كله [ثلاثة][7] اسم، وفعل، وحرف، فالاسم: ما أنبأ عن المسمَّى[8]، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف، ما أنبأ[9] عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال: تتبّعه وزِدْ فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود: أن الأشياء ثلاثة؛ ظاهر، ومضمر، وشيءُ ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر.

قال: فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه. وكان من ذلك الحروف التي تنصب الأسماء، وترفع الأخبار[10] فذكرت منها، إن، وأن وليت، ولعلَّ، وكأنَّ، ولم أذكر لكنَّ، فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بلى هي منها، فزدها فيها.

ثم جاء بعد أبي الأسود ميمون الأقرن[11]، فزاد على ما ألفه ثم تلاه في ذلك

---

(١) الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ) طبقات النحويين (١٢٩).

(٢) هو محمد بن جرير الطبري المؤرخ المفسر الفقيه (ت٣١٠هـ) انظر معجم الأدباء ٢/ ١٩٠، ١٩١، ٦/ ٢٤٤١، ٢٤٦٩.

(٣) ذكر القفطي الرواية في انباه الرواة ١/ ٣٩، على أنها مما قاله الجمهور من أهل الرواية، وأنها الأشهر في أمر ابتداء النحو. والرواية في معجم الأدباء ١٤/ ٤٩.

(٤) قدمت يا أمير المؤمنين في (ب).

(٥) في انباه الرواة ١/ ٣٩، ان فعلت ابقيت فينا هذه العربية.

(٦) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٧) النص في انباه الرواة ١/ ٣٩، وما بين القوسين من (ب).

(٨)في (ب) مسمّى.

(٩) في الأصل: ما أبان. وصوبت من هامش المخطوطة.

(١٠) في (ب) حروف النصب فذكر.

(١١) ميمون الأقرن النحوي من الطبقة الثانية. كان أبو عبيدة يقدمه على عنبسة، وكلاهما أخذ عن أبي الأسود. إنباه الرواة ٣/ ٣٣٨.

عنبسة بن معدان المهري[1]، الذي يقال له: عنبسة الفيل. ثم جاء عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي[2] و[أبو][3] عمرو بن العلاء[4] فزاد في ذلك، ثم الخليل بن أحمد[5].

وقد كان علي بن حمزة الكسائي[6] مولى بني كاهل[7] بن أسد رَسَم في ذلك رسوماً أخذها عنه الكوفيون، فهي[8] منسوبة إليهم. وقد روى في ابتداء النحو أحاديث غير هذه وما ذكرت أتمُّ وأوضح.

ثم أخذ سيبويهِ[9]، وهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي من بلحارث بن كعب مولى لهم عن الخليل بن أحمد، وألف في ذلك كتابه. وما فيه[10] اليوم من أصول هذا العلم أتم ما يوجد فيه. ثم أخذ عن سيبويه سعيد[11] بن مسعدة الأخفش وفي طبقته محمد بن المستنير قطرب[12]، وهو متسع في النحو، بازل[13] في

(١) انظر ترجمته في انباه الرواة ٣/ ٣٣٨، طبقات النحويين (٢٤).
(٢) في الأصل بن إسحاق، وهو عبدالله بن أبي إسحاق المقرئ النحوي البصري، قيل عنه أنه أول من بعج النحوتوفي سنة ١١٧هـ انظر طبقات النحويين ٢٥-٢٧.
(٣) ما بين القوسين إصابة الخرم في (ب).
(٤) أبو عمرو بن العلاء اسمه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني إمام أهل البصرة في القراءة والنحو، قدوة في العلم باللغة. أخذ عن جماعة من التابعين (١٥٤هـ) انظر إنباه الرواة ٤/ ٣١.
(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العربية المعروف وصاحب معجم العين (ت١٧٠هـ) انظر انباه الرواة ١/ ٣٧٦، فما بعدها، طبقات النحويين ٤٣-٤٧.
(٦) علي بن حمزة الكسائي، أحد أئمة القراء، من أهل الكوفة، استوطن بغداد، وعلَّم بها الرشيد ثم الأمين بعده. مات بالري سنة ١٨٠هـ انظر انباه الرواة ٢/ ٢٥٦.
(٧) بنو كاهل بن أسد بن خزيمة بن كنانة انظر جمهرة أنساب العرب ١٩٠-١٩١.
(٨) في (ب) فذلك منسوب.
(٩) صاحب الكتاب المشهور توفي سنة (١٨٠)، طبقات النحويين ٦٦-٧٤.
(١٠) في (ب) وما في كتابه وفيه الثانية يعني بها علم النحو.
(١١) في (ب) سعد، وسعيد بن مسعدة يكنى ابا الحسن المجاشعي، وهو الأخفش الصغير المتوفى سنة (٢١٥هـ). انظر طبقات النحويين ٧٤-٧٦.
(١٢) محمد بن المستنير قطرب، صاحب سيبويه، بصري له عدة مؤلفات في العربية. توفي سنة (٢٠٦هـ) العبر ١/ ٣٥٠.
(١٣) في (ب) نازل)، والبازل: المحكم، من قولهم بزل الأمر: استحكم.

النحو وممّن أخذ عن أبي الحسن سعد بن مسعدة بكر بن بقية أبو عثمـان المـازني[(١)] وأبو عمر الجرمي[(٢)]، وقرأ عليهما أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثُّمالي[(٣)] المعروف بالمبرد. وفي نسبه إلى ثمالة يقول الشاعر:

سـألنا عـن ثُمالـةَ كـلَّ حـي ... فقـال القـائلون: ومَـنْ ثُمالـة
فقلـت محمـدُ بـنُ يزيـدَ منهـم ... فقـالوا: زدْتنـا بهـم جَهالـة[(٤)]

ويقال: إنَّ هذا الشعر له صنعه، ليثبت نسـبه في ثمالـة. وكـان نـاقداً في صناعـة الإعراب، محرِّراً لما ينقله، متوسعاً في اللغة، وفنون الأدب، وإنما سُـمي المـبرِّد، لأنـه كان يسبق إلى المعاني عند قراءته على أبي عثمان فيقول له: أنت المبرد، يعني البريد، فنقله الناس [إلى معنى البرد][(٥)].

وقرأ على أبي العباس أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزَّجاج[(٦)]، وأبو بكر محمد ابن السري السراج[(٧)]، وأبو بكر مَبْرمان[(٨)]، وقـرأ علـى أبـي بكـر، وأبـي إسـحاق

---

(١) أبو عثمان المازني اسمه بكر بن عثمان المازني ت(٢٣٦هـ) وقيل (٢٤٨هـ)، من بني مازن ابن شيبان من أهل البصرة، وهو أسـتاذ المـبرد، وروى عـن أبـي عبيـدة والأصمعـي، وأبـي زيـد الأنصاري، قدم بغداد أيام المعتصم، وقيل أيام الواثق انظر انباه الرواة ١/ ٢٨٢.

(٢) أبو عمرو صالح بن إسحاق الجرمي البجلي، بصري قدم بغداد، ونـاظر بهـا يحيى بـن زيـاد الفراء، أخذ عن الأخفـش، ولقـي يونـس بـن حبيـب، وأخـذ عـن أبـي عبيـدة، وأبـي زيـد، والأصمعي توفي سنة (٢٢٥هـ) انظر انباه الرواة ٢/ ٨٠.

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالله الأكبر الثمـالي المعـروف بالمـبرد المتوفـى سـنة (٢٨٦هـ) صاحب كتاب الكامل، والفاضل وغيرهما، طبقات النحويين ١٠٨-١٢٠.

(٤) البيتان في انباه الرواة ٣/ ٢٥٣، وفيه أن المبرد هجا نفسه لتصحيح نسبه بأبيات منها..

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) وهو صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضـل والعلـم. تـوفي سـنة (٣١٦) وقيل (٣١١هـ) في بغـداد وقـد أنـاف علـى الثمـانين. انبـاه الـرواة ١/ ١٩٨ طبقـات النحويين ١٢١-١٢٢.

(٧) انظر ترجمته في طبقات النحويين (١٢٢-١٢٥).

(٨) أبوبكر مبرمان، محمد بن علي بن إسماعيل العسكري يلقب بمبرمان من عسـكر مكـرم. نـزل البصرة، وأخذ عن المبرد، وطبقته وهو الذي لقبه بمبرمان لكثرة ملازمته له وسؤاله إيـاه. تـوفي نحو سنة (٣٢٦هـ) انظر انباه الرواة ٣/ ١٨٩، طبقات النحويين ١٢٥.

أبوعلي [الحسن بن] أحمد بن عبدالغفار الفارسي[1]، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني[2]، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ولاَّد[3]، وأبو جعفر بن النحاس[4]، وأبو سعيد الحسن السِّيرافي[5]، وأبو القاسم الزجاجي[6] الصَّيْمري[7]. وقرأ على أبي علي أبو الفتح ابن جني[8]، وأبو الحسن علي بن عيسى الربعي[9]، وابن بجر

---

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الأصل وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان، أصله من فارس، قدم بغداد، واستوطنها، وأخذ عن علماء النحو حتى قيل عنه أنه فوق المبرد. توفي سنة ٣٧٧هـ انظر انباه الرواة ١/ ٣٠٩.

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني البغدادي الوراق. ولد سنة (٢٩٦هـ) ومات سنة (٣٨٤هـ). كان من أهل المعرفة، متفنناً في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة. انباه الرواة ٢/ ٢٩٤.

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن التميمي المصري توفي سنة (٣٣٢هـ) أصله من البصرة، وانتقل جده إلى مصر فنسب إليها، سمع عن أبي إسحاق الزجاج، ورجع إلى مصر، وأقام بها إلى أن مات. انظر انباه الرواة ١/ ١٣٤، طبقات النحويين ٢٣٨.

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، كان من أهل العلم بالفقه والقرآن، رحل إلى العراق، وسمع من الزّجاج، وأخذ عنه النحو توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر انباه الرواة ١/ ١٣٩.

(٥) في (ب) الحسن السيرافي أبو سعيد الحسن السيرافي ابن المرزبان، أصله من سيراف. سكن بغداد، وولي القضاء فيها. كان من أعلم الناس بنحو البصرة، قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة. و درسا عليه جميعاً النحو، أشهر مؤلفاته شرح كتاب سيبويه. انباه الرواة ١/ ٣٤٨.

(٦) هو عبدالرحمن بن إسحاق. نهاوندى، انتقل إلى بغداد، ولزم الزّجاج ابا إسحاق، وقرأ عليه النحو، وانتقل إلى الشام ثم إلى مكة وصنف كتابه الجمل فيها. توفي في طبرية سنة (٣٤٠هـ). انظر انباه الرواة ٢/ ١٦٠.

(٧) في (ب) الضمري، وكتب فوقها المضري، وصوابها الصيمري، لأن أصل الزجاجي من الصيمرة، وهي بلد بين بلاد الجبل وخوزستان. انظر مقدمة مجالس العلماء للزجاجي تحقيق عبد السلام هارون.

(٨) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي من أئمة الأدب والنحو. له جملة مؤلفات. توفي سنة (٣٩٢هـ) انظر الفهرست (٩٥) (طبعة إيران).

(٩) هو علي بن عيسى الربعي بن الفرج بن صالح الربعي توفي سنة (٤٢٠هـ) انظر معجم الأدباء ٥/ ٢٨٣.

الأسدي[1]، ومحمد بن حبيب الأندلسي[2]. وعند هؤلاء انتهى المشاهير النحاة، ومن بلغ فيه[3] إلى غاية يستحق بها له التفضيل. وكل هؤلاء يغتفرون من بحر سيبويه، ويستندون[4] إلى ما أصله لهم، ويعوّلون عليه.

قال المبرد: لم يؤلَف في العربية مثلُ كتاب سيبويهِ، وذلك أنه ما من كتاب إلا وهو مفتقر إليه، وليس هو مفتقراً إلى غيره.

ويقال: ان سعيد بن أبي مسعدة الأخفش حضر مجلس الكسائي، وهو لا يعرفه، فجلس في أخريات الناس فأنشد الكسائي:

فهَوِّنْ عليكَ فإنَّ الأمو ... رَ بكفِّ الإلهِ مقاديرُها

فليس[5] يأتيك منهيُّها ... ولا قاصرٌ عنك مأمورُها

وقال: إنما كسر الراء [في قاصر][6] لضرورة الشعر. فقال الأخفش لرجل إلى جنبه، قل له: فلو نصبه أ[7] كان ينكسر البيت، فقال له ذلك، فتيقظ. وألقى مسائل خطَّأه فيها إلى أن سأل[8] عن ملقيها، فأُعلم به. فقال: لعلك سعيد بن مسعدة قال: نعم، فرفع مكانه، وأمسك عن الإقراء، فقيل له في ذلك، فقال: أما وهذا الحِبْر جالسٌ، فلا، وسأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، فأجابه إلى ذلك، وأعطاه عليه مائتي دينار.

---

(١) في الأصل جرو.
(٢) لم نجد ترجمة محمد بن حبيب الأندلسي.
(٣) في (ب) منه.
(٤) في (ب) ويهمندون.
(٥) خرم في أول البيت في (ب).
(٦) ساقط من (ب).
(٧) في (ب) أفلو نصب.
(٨) في (ب) فسأل.

وحكى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[1]، قال: أهدى بعض النحويين كتابَ سيبويه إلى رئيس، فأثابه عليه ثواباً لم يرضه. فقال: أظننت أنّي لا أملِكُ نسخة من كتاب سيبويه؟ قال: ولكنني حملته اليك بخط الفرَّاء إمامِ الكوفيين ليعلم اهتمامه به، وأنا[2] اخذته من تحت وسادته حين غسَّلته، وسألت من كان يحضره عنه. فقال لي: لم يكن له بالليل أنيس[3] غيره.

وهذا وأمثالُه دليلٌ على تقدم سيبويه في هذه الصناعة، وانفرادِهِ بالكمال، والإعجاز فيها، وتتميمها.

وصناعةُ النحو بالجملة صناعةٌ لفظية، غايتها معرفة أحكام الكَلِم العربية عند تأليفها، ودلالاتها على المعاني، وما يلحقها من التغاير[4] باختلاف المعاني التي تدل عليها، وما الذي عليه جرت عادة الفصحاء من العرب، ينطقون به من ذلك.

الفصاحة

وفصحاءُ العرب هم الذين لم يخالطوا مَنْ سواهم من الأمم كثير مخالطة ولم يصاقبوا بلاد الأعاجم، بل حلوا في أوساط بلادهم بأنفسهم[5]، وهم أشدُّهم استيحاشاً، وأجهلهم أنفاً، وأعسرهم انقياداً لسلطان فقلَّ بسبب ذلك مخالطةُ الأمم إياهم. وبقيت ألفاظُهم سالمة من التغيير الذي لحق ألفاظ من خالط منهم، أو حاور الأعاجم. وهؤلاء الذين لم يخالطوا غيرهم وعنهم أُخذت العربية هم هُذيل، وكنانة، وبعضُ تميم [وبعض][6] قيس عَيْلان ومن يشابههم من عرب الحجاز، وأوساط نجد، فأما الذين يحلون من العرب أطراف بلادهم فإنهم مصاقبون لأممٍ أُخر مخالفة

---

(١) في (ب) أبوبحر عمرو بن عثمان، وصوبها الناسخ في الهامش.
(٢) في (ب) وإنما.
(٣) قدم الليل في (ب) على أنيس.
(٤) في الأصل: التغايير.
(٥) في (ب) أنفسهم
(٦) ما بين القوسين من (ب).

ألفاظهم، وعباراتهم لهم كحِمْيَر، والأزد، وهمدان، وخَولان، فإنهم مصاقبون[1] الحبشة، والزنج، فأدركت لغاتهم العُجمة الحِميرية، وكادت ألا تكون عربيةً أصلاً.

ويحكى عن[2] قومٍ من العرب وردوا على ملك من ملوك حمير، وهو في غرفة له [وهي بلغتهم المشربة][3] فلما مثلوا عنده، قال لهم: ثِبوا[4]. أي: اجلسوا فرموا بأنفسهم من على السطح إلى[5] الأرض، فهلك أكثرهم، فشق[6] ذلك على الملك ما رأى من أمرهم، وسأل عن حالهم، فأُعلم ما يدل عليه من لفظة ثبوا في لغتهم من الوثوب[7] وهو الطفر. وأنَّهم[8] أرادوا طاعته، فأسف[9] وقال: من ورد ظفار حَمَّر [فأرسلها مثلاً][10]. ومعناه:[11] أنَّه من توسَّط بلادَ قومٍ وجب عليه تعلُّم لغتهم، وسلوك سبيلهم. وظفار[12] مدينة في بلاد حمير [وفي ألفاظهم عجمة شديدة][13] وهم يبدلون أبداً لام التعريف ميماً.

---

(١) في (ب) يصاقبون.

(٢) في (ب) أن.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في هامش الأصل حاشية: يقال وثبت يثبت وثباً ووثباناً اذا ظفر.

(٥) في (ب) خرم.

(٦) في (ب) فاستعظم.

(٧) في الأصل من لفظه من الوثوب، وهو الطفر.

(٨) في (ب) فإنهم، وفي لسان العرب (وثب) الوثب: القعود بلغة حمير، وذكر الرواية مختصرة وأن الملك أضاف ليس عندنا عربية كعربيتهم.

(٩) في (ب) فاشتق.

(١٠) ساقطة من (ب).

(١١) في (ب) ومعنى وفيها تقدم المثل على الجملة.

(١٢) ظفار مدينة في اليمن وإليها ينسب الجزع الظفاري، والعود الظفاري، وهو الذي يُتبخر به. لسان العرب مادة (ظفر) وفي الخصائص (١/ ٢٥٦) أن زيد بن عبدالله بن دام وفد على بعض ملوك حمير فألفاه في متصيد له على جبل مشرف.. (وفيه الخبر مع اختلاف طفيف).

(١٣) زيادة من (ب).

ومن ذلك قول بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: أيجوز[1] إمصيام في امسفر. فقال ﷺ: لا يجوز إمصيام في امسفر. فخاطبه بلغته.

ومن حمير مَنْ قد غلبت العجمة على لغته [وقد سمعت ذلك منهم][2]، وسمعت [مرة] رجلاً منهم، وأنا ببلادهم يقول -وقد ذكر رجلاً حسناً يخيم معنا- سوسمنا وآسيناه. فظننته حبشياً إلى أن سألت عنه، فأخبرت بأنه حميري، وأنه يذكر انهم التمسوا الرجل، ليأكل معهم إلى أن سيموا فلم يجدوه.

ومن هؤلاء من يُبْدل كاف المخاطب شيناً، فيقول: قلت لشِ [إذا أراد قلت لك][3] وأنشدوا على هذه اللغة[4]:

هل لشِ أن تنفعني وأنفعك   وتأخذينَ اللذ معي واللَّذّ معك

..................................[5]

ومنهم من يبدل التاء التي للمخاطب كافاً، فيقول مكان قلت: قلك، وقد يجمع بعضهم اللغتين[6]: قلكُ لَشْ، يريد: قلت لك، وقد سمعت ذلك من قبيلة منهم في بلادها.

---

(١) ، (١٧٤) في (ب) من أم بر، وانظر الحديث وخبره معجم اطراف الحديث (٦/ ٨٦١)، كنز العمال (٧/ ٢١، ٧٩).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ليست في (ب) ذكر المبرد كشكشة تميم بأن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها ابدلت منها شيناً، لقرب الشين من الكاف في المخرج. الكامل ٢/ ٧٦٥.

(٤) في (ب) وعلى ذلك انشدوا ذكر الشاهد في (ب) بثلاثة أشطر، تداخل الثاني والثالث في لفظيهما والرجز في العين (٧/ ٢٦٦) وغير منسوب أيضاً.

(٥) حذفنا الشطر الثالث لفحشه..

(٦) في (ب) ومنهم من يجمع بين اللغتين. وقد ذكر ابن جني كشكشة ربيعة وأن فيهم من يقول مع كاف ضمير المؤنث انكش، ورأيتكش، واعطيتكش تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت. الخصائص ٢/ ١٨٧.

ومن فسدت لغته [أيضاً][1] من العرب طي، وغسان، فإنهم كانوا يجاورون الروم بالشام[2] [ولم توجد أيضاً في لخم وجذام وغسان، لقربهم ثم أهل مصر والشام ولا في تغلب، والنمر بن قاسط فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين الروم، وأكثرهم نصارى، ولا في بكر بن وائل ولا حنيفة، لمجاورتهم النبط، ولسكناهم اليمامة وما قارب البصرة من بلادهم وطي فإنهم كانوا يجاورون الروم بالشام] فطي تجعل مكان الذي ذو، قال حاتم بن عبدالله الطائي:

إذا ما أتى دهر يفرِّقُ بيننا بموتٍ فكُن يا وهْمُ ذو يتأخرُ[3]

أراد الذي يتأخر[4]، ووهم اسم رجل، وهو وهم بن عمرو بن امرئ القيس ابن عمة حاتم.

وقال أبو تمام [حبيب بن أوس الطائي][5] متبعاً لهذه اللغة، متحققاً بالطائية، وإن كان يعلم اللغة الفصيحة[6]:

أنا ذو عرفت فإن[7] عَرَتْك جهالةٌ فأنا المقيمُ قيامةَ العُذّالِ

ولسلوكه[8] هذا السبيل، واعتماده على هذا الأسلوب يقول فيه مخلد بن بكار الموصلي[9]:

---

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب) زيادة فيها وهم في النسخ إذ يعد القبائل التي فيها عجمة وسبب عجمتها مع نصّه على عدم وجود عجمة فيها وهي لم توجد (يكمل النص).
(٣) البيت في ديون حاتم الطائي ٢٧٢.
(٤) في معنى ذو عند طيّ. انظر الكامل ٣/ ١١٤١.
(٥) ساقط من (ب).
(٦) البيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء في ديوانه ٢/ ٣٧.
(٧) في (ب) وإن.
(٨) أصاب أول الكلمة خرم في (ب).
(٩) معاصر لأبي تمام له مختارات في الأشباه والنظائر للخالديين ٢/ ٣١٢.

انظــــــر إليـــــه وإلى حُمْقــــــهِ كيــــف تَطايـــا وهــــو منشـــور
ويحــــك مــــــن دلاّك في نســــبةٍ قلبُـــك منهـــا الدهـــر مذعـــور
إن ذُكِـــرتْ جيـــم علـــى فَرْســـخٍ أظلـــم في نـــاظرك النـــور

يُعرِّض في قوله ذكرت جيم بإنه[1] من قرية تسمى جاسم[2]، وإنـه ليـس بعربـي الأصل.

حاجة الفقهاء لعلم النحو

وممن لحقته العجمة من العرب أيضاً [تميـم][3]، وعبـد القيـس، لمجاورتهم أهـل الجزيرة، وفارس، ففيهم السكسكة، والعَنْعَنة المشـهورتان. فلمـا جـاء الله بالإسـلام وتألفت به القلوب بعد تنافرها، واختلطت الأمم بعضها ببعض [لما جمعهم من كلمة الإسلام][4] تغيرت اللغة العربيـة تغـيراً شـديداً، واحتيـج إلى فهـم القـرآن وكـلام الرسول ﷺ ألجأت الضرورة من أراد ذلك إلى تعلم القوانين الـتي وضعـت مسـددة للألفاظ كاللغة العربية الفصيحة، وحافظة لها من الخروج عنها، وأحـوج النـاس إلى ذلك الفقهاء، لأن [عمدة][5] صناعتهم الأخـذ بكتـاب الله، وسـنة رسـول الله ﷺ، وقياس ما يفرعونه من الفروع على الأصل المأخوذ منهما. وقد يظن بعضهم أنـه لا يحتاج إلى صناعة العربية وليس كما يظن، إذ لو تقدم خصمان إلى قاضٍ لا علـم لـه بالعربية، فادعى أحدهما على الاخر مائة دينار، فقال المدعى عليـه: لـه علـي مائـة

(١) في (ب) يعرض أنه.
(٢) عرف ياقوت الحموي قرية جاسم بأنها بينها وبين دمشق ثمانيـة فراسـخ علـى يمـين الطريـق الأعظم إلى طبرية. معجم البلدان ٢/ ١١٠.
(٣) ما بين القوسين من (ب) في الخصائص ١/ ٢١١، ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوازن.
(٤) ما بين القوسين من (ب)
(٥) ليست من الأصل، زيادة من (ب).

دينار إلا عشرة، ورفع العشرة لظن أنه [قد][1] أقر لخصمه بتسعين ديناراً وليس الأمر كذلك، بل إقراره بالمائة كاملة؛ لأن إلاّ هاهنا لم تقع للاستثناء، وإنما وقعت للصفة، كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا﴾[2]. فكأنه قال له: علي مائة ليس عشرة. وأقام غير مكان ليس، وأقام إلاّ مقام[3] غير إذ كانت تنوب منابها. ولو أراد الإقرار بالتسعين لنصب العشرة، إذ كان الاستثناء قد تم قبله الكلام. أو لو[4] أن إنساناً ادعى على خصم مائة دينار. فقال خصمه: له علي مائة إلا تسعين، إلا ثمانين، إلا سبعين، إلا ستين، وكذلك إلى عشرة لم يكن يعلم أن الذي وقع الإقرار به خمسين ديناراً، لأن كل واحدٍ من هذه الأعداد مستثنى من الذي قبله. وإذا نقصَّ آخر ما استثنى به من الذي قبله، ونقَّص ما تبقى مما قبله، وفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى المائة لم يبق منها غير خمسين.

وقد أخطأ بعضُ الفقهاء خطأً قبيحاً إذ ظن في رجل قال لامرأته: كلما أجنبتُ جنابةً فدخلتُ الحمام فأنت طالق [ثلاثاً][5] فأجنب منها ثلاثاً، ودخل الحمام [مرة][6] فحكم بوقوع طلاقه لها ثلاثاً. وليس الأمر كذلك، إذ الاغتسال في الحمام مُشْتَرط[7] مع كل إجنابة [في وقوع الطلاق][8] لمكان الفاء.

ولم يغتسل مع الجنابة إلا مرة واحدة، فلا تطلَّق إلا طلقة واحدة. وإنما تطلق ثلاثاً[9] إذا كان الفعل المشترط وقوعه مما لا[10] يتكرر، كما لو قال: كلما أجنبتُ

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) من سورة الأنبياء الآية ٢١.
(٣) في (ب) مكان.
(٤) في (ب) ولو.
(٥) زيادة في (ب) يصح بها الكلام.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٧) في (ب) شرط.
(٨) زيادة من (ب).
(٩) كل ثلاثاً رسمت في (ب) ثلثا.
(١٠) في (ب) لا يتكرر.

منك إجنابةً فإن مات [فلان][1] فأنت طالق؛ لأن موت فلان مما لا ينكرر ويتردد مع كل إجنابة[2]. ويكون المعنى: أنت طالق بعدد كل إجنابة أجنبها منك. ولو[3] قال رجل لامرأته: أنت الطلاق ثلاثاً، فسأل من لا علم له بالعربية من الفقهاء عن وجه الحكم بإيقاع الطلاق لجهله، [وذلك يكون لوجوه أحدها: أن يكون قوله: الطلاقُ][4] مصدراً موضوعاً موضعَ اسم الفاعل، فيكون المعنى: أنت طالق كما قالوا رجل عدلٌ أي عادل ورجل زورٌ أي زائر. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾[5] أي غائراً. وقد يقع المصدر موقع المفعول أيضاً كما قالوا: رجل رضيٌّ أي مرضيٌّ. والمصدر اذا وُضع موضع اسم الفاعل أو[6] المفعول فلك أن تتركه على لفظه المفرد أو[7] أن تثنيه، وتجمعه، وتؤنثه، وتذكره كما قال الشاعر:

طَمعتُ بليلى أن تريعَ[8] وإنما ... تُقطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ
وبايعتُ ليلى في خَلاءٍ ولم يكن ... شهودٌ[9] على ليلى عُدولٌ مُقانع

فجمع عدلاً، ومقنعاً.

ووجه آخر في قوله: أنت الطلاق، وهو[10] أن يكون حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه أراد أنت ذات طلاق كما قال الله تعالى[11]: ﴿وَاسْأَلِ

---

(١) زيادة من (ب) ليست في الأصل.
(٢) في (ب) جنابة.
(٣) في (ب) ولو
(٤) ساقطة من الأصل وهي من (ب).
(٥) الآية من سورة الملك ٦٧.
(٦) في (ب) والمفعول.
(٧) في الأصل و
(٨) تريع من الريع وهو العود والرجوع، والبيت الأول في الصحاح (ريع) واللسان منسوب للبعيث في اللسان (ريع) وهو في ديوان قيس لبنى ص١٠٦ .
(٩) في (ب) شهودي، والمقانع جمع مقنع بفتح الميم وهو العدل من الشهود.
(١٠) في (ب) فهو.
(١١) في (ب) عزَّ وجل.

الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ [الَّتِي أَقْبَلْنَـا فِيهَـا]﴾[1]. أي[2] أهـل القريـة، وأصحـاب العير، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. ومثل ذلك قول الخنساء، واسمها تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد[3]:

فمـا عَجُـولٌ علـى بَـوٍّ تَطيـفُ بــه لهـا حنينـان إصغـارٌ وإكبـار[4]

ترتـع مـا رَتَعـت حتـى اذا ذكـرت[5] فإنّمـا هـي إقبـال وإدبـار

يريد ذاتَ إقبال وإدبار. وعلى هذا التأويل أجروا قول الشاعر يخاطبُ امرأةً:

فـإن ترفقـي يـا هنـد فـالرفق أيـمن وإن تخرقـي يـا هنـد فـالخرق أشـأم

فـأنت طـلاقٌ، والطـلاقُ عزيمـةٌ ثلاثـاً ومـن يخـرق أعَـقُّ وأظلَـمُ

فبيـني بـذا إن كنـت غـير رفيقـةٍ ومـا لامـرئ بعـد الثـلاث مُقـدَّم

ونصب ثلاثاً في قوله الطلاقُ عزيمة ثلاثاً بطالق[6]، كأنه قـال: أنـت طـالق ثلاثـاً [وقوله: فالطلاق عزيمة مبتدأ وخبر][7] كأنه قال: وذاك عزيمة مني وجدٌ، ولـو رفـع ثلاثاً لكان ثلاثٌ خبراً ثانياً عـن الطـلاق و[8]موضحـاً للعزيمـة كأنـه قـال: وعزيمـةُ الطلاق التي يقع بها الفراق ثلاثٌ. ويجوز نصب عزيمة اذا رفع الثلاث بها فيقـول[9] فالطلاق عزيمة ثلاثٌ. فينصب العزيمة على إضمار فعل، كأنه قال: والطلاق ثلاث.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل. وهو من الاية ٨٢ من سورة يوسف.

(٢) في (ب) يريد.

(٣) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث شاعرة من العصر الجاهلي رثت أخويها صخـر، ومعاويـة، عدّها ابن سلام من طبقة أصحاب المراثي، طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٠٣.

(٤) البيتان في ديوانها: ٤٨، ورواية شطر الأول: فما عجول. والعجول، الثكلـى: سميـت بذلـك لعجلتها في مجيئها وذهابها حزناً. والبو: ولد الناقة يؤخذ، ويحشى، ويدنى من أمه فترأمه.

(٥) روايته في الديوان .. أذّكرت.

(٦) في (ب) ونصب ثلاثاً بالطلاق.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) في (ب) أو.

(٩) في (ب) ويقال.

أعزمُ ذلك عزيمةً[1]. وجائز أن يكون تقدير قوله: إذا كان عزيمة ثلاثٌ كما يقول: عبدالله راكب أحسنُ منه ماشياً. تقديره إذا كان راكباً أحسن منه إذا كان ماشياً. وكما تقول: هذه النخلة بسرا أطيب منه رطباً. يريد إذا كان بُسراً أطيب منه إذا كان رُطباً.

وأما قوله: (ومن[2] يخرق أعق وأظلم) فمن قبيح الكلام الذي لا يجوز إلا في الشعر، لأنه جازى[3] بمن فجزم به[4] يخرق، ولابد للجزاء من جواب بالفعل أو الفاء [من يكرمني أكرمه، فيجزم الفعل و يأتي بالفاء][5] فيجوز في جوابه الاسم، والفعل فيرتفع الفعل في الجواب. قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[6] فكان سبيل [الشاعر المذكور أن يقول في الأبيات المذكورة][7] ومن يخرق فاعقْ وأظلم.

وعثراتُ الفقهاء إذا ادعوا الغنى عن العربية في الأمور الفقهية لا تقفُ عند غاية، ولا تنتهي عند نهاية. وفيما ذكرت دليل على غيره.

قوله[8]: إن منزلة علم النحو في اللغة منزلة الأعراض في الذوات والآلة من المصوغات [إلى آخر الفصل فذلك بيِّن لأن] علم اللغة العربية هو معرفة ما يدل على لفظة من الألفاظ العربية، وما الأفصح منها، وغير الأفصح، والدخيل وغير الدخيل. فإذا كان النحو هو علم أحكام الألفاظ، و[علم][9] اللغةِ هو[10] معرفة

---

(١) أصاب الكلمة خرم في (ب).

(٢) في (ب) فمن.

(٣) في (ب) جاء.

(٤) في (ب) به.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) من سورة الحديد ١١.

(٧) في (ب) سبيله أن، وما بين القوسين ساقط منها.

(٨) في الأصل: رجع قوله.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(١٠) في الأصل هي.

دلالات الألفاظ [نفسها][١] فبيِّن[٢] أنه يجب أن يتقدم علم النحو تقدم المادة على الصُّورة، مثل تقدُّم خشب السرير على السرير، والغَزْل على الثوب.

ويقال: إن أول من تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

علم الشعر وفضله

قوله: أضربتما عن علم الشعر صفحاً، وطويتما دونه كشحا -الى آخر الفصل

يقال: أضرب عن الشيء صفحاً إذا تركه، وأهمله، وطوى دونه كَشْحاً أي: أعرض عنه. وسُميَ الشّعرُ شعراً من قولهم: شَعَرتُ بالشيء أي: علمتُه من غير تعليمٍ، لأن الشاعر يتيقَظُ للمعاني، ويشعرُ بها.

والشعرُ قول مؤلَّف تأليفاً مخصوصاً ملائماً لقوة السمع[٣]، يُقصد به تخييلُ معنى ما في نفس السامع. وله أركان أربعة [فأولها][٤]: الوزن ثم المعنى ثم القافيةُ، ثم القصد. فالوزن أخصُّها به، لأنه الذي يفارق النثر، ويتميَّز عنه، ويسهُلُ على الطباع حفظه، ويحسن في الأسماع موقعُه، وكذلك المعنى في الوزن يدركه الطبع، وتعسر معرفة ماهِّيته [وصفته][٥]، وحاله من ذلك قريب من حال الألحان الموسيقية.

سأل الرشيد إسحاق الموصلي[٦] كيف تفرِّق بين الألحان مع كثرتها، واختلافها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، من الأشياء [أشياءٌ][٧] ما تدركه المعرفة، ولا تحيط به[٨] الصفة. فأحسَنَ الاعتذار.

---

(١) في (ب) أنفسها.
(٢) في (ب) فتبين.
(٣) خرم في (ب).
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٦) إسحاق الموصلي بن إبراهيم الأديب المغني توفي (٢٣٥هـ) انظر معجم الأدباء ٢/ ١٩٧-٢٢٥.
(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٨) في الأصل بها.

ويشبه أن تكون علةُ استلذاذ الاسماع[1] بالموزون، ونفارها من مخالفة مشابهةِ قوةِ السمع في ذلك سائر القوى الأُخر. ولكل واحدة منها محسوسات تستلذها، وأُخر تنفر عنها كاستلذاذ الذَّوق الطعومَ الحلوة، وما قاربها وتألّمه [بالطعوم][2] المُرَّةِ، وما قاربها. وكذلك الشم يستلذ الروائحَ الطيبةَ وما جانسها، وينفر من [الخبيثة][3] المنتنة، وما قاربها، وكذلك السمع [أيضاً][4] له ما يلتذه من محسوساته، وهو ما كانت بين أجزائه إحدى نِسَب ما بعينها، فإذا وقع في السمع صوت مفرد، ثم تلاه مناسب له كان ملّذاً للسمع، وذلك [الصوت المركَّب من أجزاء متناسبةٍ. وما تركب من أجزاء غير متناسبةٍ غيرُ ملائم للسمع وهو الموزون، وإن تلاه مايخالفه كان مؤلماً له، وذلك هو المكسور. ألا ترى أنه لا يقوم بيت شعر إلا أن تتكرر فيه ألفاظ متشابهة الأجزاء كما عرضَ في بحرِ[5] الطويل، وما في دائرة المختلف [من دوائر العروض][6]، أو متفقة الأجزاء كما في دائرة المؤتلف والمتفق. والإغراق في البحث عن ذلك خارج عما أنا بسبيله.

والشعر أفضلُ علوم العرب[7] في الجاهلية، وأنفسُ معلوماتِهم، به يفتخرون، وإليه يحتكمون، وبجودته يفضلُّون قائله، ويقدِّمونه على غيره، وهو حقيق، إذ كان لا يزيده قدم الدهر إلا جدة، وتداول الألسن إلا بهجةً وغضاضةً، كما قال المسيب ابن علس[8]:

---

(١) في الأصل ما يسمع.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب) فالسمع.
(٥) في (ب) البحر.
(٦) ساقط من (ب).
(٧) في (ب) علومهم.
(٨) هو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وخال الأعشى، وكان الأعشى راويته، واسمه زهير، ولقب المسيب لبيت قاله. الشعر والشعراء ٨٢ (طبعة ليدن).

فلأَهْدِيَنَّ مع الرياحِ قصيدةً مني مغلغلةً إلى القَعْقَاع
تردُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً في القوم بين تمثُّلٍ وسماع

وكما قالت الخنساء:

وقافيةٍ مثلِ حدِّ السِّنا ن تبقى ويفنى الذي قالها
نطقتُ ابنَ عمرو فسهَّلْتُها ولا ينطقُ الناسُ أمثالَها

وقال[1] بشار بن برد:

ومثلُكَ قدْ سَيَّرْتُهُ بقصيدةٍ فسارَ ولم يبرحْ عِرَاصَ المنازل
رميْتُ بها شرْقاً وغرباً فأصبحتْ بها الأرضُ ملأى مِن مُقِيمٍ وراحلِ[2]

وكما قال بشر بن أبي حازم[3]:

فأبعثُهُنَّ أربعةً وخمساً بألفاظ مُثَقَّفَة عِرابِ
وكنتُ إذا وَسَمت بهُنَّ قوماً كأطواقِ الحمائمِ في الرقابِ

وكقول ابن هرمة[4]:

وإنِّي إذا ما امرؤٌ خفَّتْ نعامتُه واستحصدتْ مرةً منه قُوى الوذَمِ
عقَدْتُ في مُلتقى أوداج لُبّته طوقَ الحمامةِ لا يَبلى على القِدمِ[5]

(١) في (ب) وكما.
(٢) البيتان مفردان في ديوانه (٢/ ٨٤).
(٣) البيتان غير موجودين في ديوان بشر تحقيق عزة حسن. وبشر شاعر جاهلي من بني أسد، وصفه أبوعمرو بن العلاء بالفحولة مع ما عرف من اقواء في شعره. الشعر والشعراء ١٤٥.
(٤) ابن هرمة، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر، شاعر غزل من أهل المدينة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة (١٧٦هـ). انظر أخباره في الأغاني ٤/ ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٥، وقد نشر شعره وحققه عبدالجبار المعيبد في العراق سنة ١٩٦٩.
(٥) البيتان في ديوانه ٢١٤-٢١٥ ورواية الشطر الثاني من البيت الأول: (إلي واستحصدت منه قوى الوذم) ومعنى استحصدت: أحكمت قوته وفتله. والوذم: السير.

وكما قال أبو الطيب المتنبي:

قَـوافٍ إذا سِـرْنَ عـن مِقْـوَلي   وثَبْـن الجبـالَ وخُضْـنَ البحـارا[1]

وقال:

إذا قُلْتُـه لم يمتنـعْ مـن وصولِـه   جِـدارٌ مُعلّـى أو خِبـاءٌ مطيـب[2]

وقال:

ومـا الدهـرُ إلاّ مـن رُواةِ[3] قصـائدي   إذا قلـتُ شـعراً أصبـح الدهـرُ منشـداً
فسـارَ بـه مَـن لا يسـير مشـمِّراً   وغنَّـى بـه مـن لا يغـني مغـرِّداً

وكان العربُ في الجاهلية يتقون الشعراء أكثر من اتقائهم بها اليوم الأمراء، لأنهم كانوا يخافون[4] نوافذَ أقوالِهم، وما يخلد على الدهر من أشعارهم، فرُبَّ خاملٍ رفعه الشعر، ووضيع رفعه[5]. فممن رفعه الشعر بعد الضِّعة، وأغناه بعد الفقر المحلَّق، واسمه عبدالعُزى بن خيثم بن شداد، من بني عامر بن صعصعةَ. وإنما سمي المحلَّقُ لعَضَّةِ فرس بخدِّه، مستديرة كالحلقة، وذلك أنه كان رجلاً مُعيلاً ذا بناتٍ، وعيال، فقدِمَ الأعشى: [أعشى بني قيس بن ثعلبة][6] عكاظَ، وبها المحلق، وكانت له امرأة عاقلة. فقالت له: [إن الأعشى][7] قد قدِمَ فلو تعرَّضَت له، رجوتُ

---

(١) البيت من قصيدة قالها وقد استبطأ سيف الدولة(١/ ١٩٨ ورواية الشطر الأول في (ب): إذا سرن عن مقولي مرة.
(٢) البيت في ديوانه ١/ ٣١٢ من قصيدته المشهورة:
أغالب فيـك الشـوق والشـوق أغلـب   وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
(٣) في (ب) وراه وهو تحريف. والبيتان في شرح ديوان المتنبي ١/ ١٤.
(٤) في (ب) يتقون.
(٥) في الأصل وضعه والتصويب من (ب) وهو مما يقتضيه السياق.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) ما بين القوسين من (ب).

أن ينفعَك الله[1] به. فقال: كيف[2] لي بذلك ولا شيء عندي؟ فقالت: تنحر ناقتك. وأحتالُ لك بشراب[3]، وطيب. ففعل. وخرج إلى الأعشى، فأخذ[4]بزمام ناقته، وقد سبق إليه الناسُ. فقال: من هذا الذي غلبنا على زمام ناقتنا؟ قال: المحلَّق. فقال الأعشى لقائده: خلِّ له عنه، واقتاده المحلَّق إلى أن أنزله منزلَه، واشتوى له من سنام ناقتِهِ، وكبدها، وأحضره الشراب، فسقاه، وأطعمه إلى أن سكر. فلما نام، جعلت بنات المحلق يَغْمِزْنَهُ ويخدمْنَه فقال: من هؤلاء؟ فقال: بنات أخيك، وهن تسعٌ. فلما أصبح الأعشى احتمل، ولم يقل[5] شيئاً. فلما اجتمع الناس بعكاظ أقبل ينشد قصيدته:

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّق ... ومابيَ مِنْ سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَقُ

[إلى أن انتهى إلى قوله]:

نَفَى الذَّم عن رهْطِ المحلَّق جَفْنَةٌ ... كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تَفْهَقُ[6]
لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار في يَفاعٍ تَحرَّقُ[7]
تَشُبُّ لمقرورَينِ يصطليانِها ... وباتَ على النار النّدى والمحلّق
رضيعَي لَبان ثَدْي أُمٍّ تحالفا ... بأسْحَمَ داجٍ عَوْضَ لا يتفرقُ[8]
فإن عتاقَ العِيسِ سوفَ تزورُكم ... ثناءً على أعجازِهِنَّ مُعَلَّقُ[9]
[به تنقضي الأحْلاسُ في كلِّ منْزِلٍ ... وتعقَدُ أطراف الحبال وتَطْلُقُ][10]

---

(١) تقديم وتأخير في لفظ الجملة في (ب).
(٢) في (ب) خرم.
(٣) في الأصل في شراب، والتصويب من (ب).
(٤) في (ب) وأخذ.
(٥) في (ب) له شيئاً.
(٦) الجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل لتشرب منه. وفي رواية الديوان كجابية السيح، وفي هامش (ب) قيل: أراد بالشيخ العراقي كسرى، وقيل: إنما هو السح بإهمال طرفيه وهو الماء الجاري على وجه الأرض.
(٧) اليفاع: التلال، والأرض المرتفعة.
(٨) في الديوان لا نتفرق. والأسحم الداجي وهو الليل، وعوض: أبدا.
(٩) رواية الشطر الأول في الديوان (٢٣٥) (وإن عتاق العيس سوف يزوركم) والعيس: الإبل، وعتاقها: كرامها، والبيت الذي يليه ساقط من (ب).
(١٠) البيت ساقط من (ب).

فما أتمَّ[1] القصيدة إلا والناسُ ينسلون[2] إلى المحلق، ولم تبت بنت لـه إلاَّ في ذمّـة عصمةِ رجُلٍ شريف.

ممن رفعه الشعر

وممن رفعَهُ الشعر [أيضاً][3] بنو أنف الناقة، وهو جعفر بن قُريع بـن عـوف بـن كعب، وكانوا يَفْرقون من هذا الاسم حتى أنَّ الرجل منهم كان إذا سُئل عـن نسبه قال: من بني قريع، فيتجاوز جعفر[4] أنفَ الناقة. وإنما سمي جعفرُ أنفَ الناقـة، لأن جدهم نحر ناقة، وقسم أعشارها بين ولده، فجاء جعفر ولم يبق إلا الـرأس، فـأخذه بأنفه، فسمي أنف الناقة، فلم يزالوا[5] يُعيَّرون بهذا الاسم إلى أن قال فيهم الحطيئـة العبسي، وقد نـزل بهـم، فأحسـنوا ضيافتـه لما جفتـه امـرأة[6] الزبرقـان بـن بـدر، وأطَّرحته فقال فيه:

لقـد مَريتُكُـمُ لـو أنَّ دِرَّتَكُـم ... يومـاً يجـيءُ بهـا مَسْـحي وإبساسـي

جـار لقـوم أطـالوا هَـوْنَ منزِلـه[7] ... وغـادروه مقيمـاً بـين أرمـاسِ

ملّـوا قِـراه وهَرَّتْـهُ كلابُهـم ... وجرَّحـوه بأنيـاب وأضـراس

مَـنْ يفعـلِ الخـير لا يعـدمَ جوازيَـهُ ... لا[8] يذهـب العُـرْف بـين الله والنـاس

[وزعمت العرب أن هذا البيت من أصـدق مـا قالتـه العـرب][9]، ولـه في هـذا الشعر خبر طويل، ثم احتمل إلى آل لأي فقال فيهم:

---

(١) في (ب) خرم.

(٢) في الأصل يتسللون، ورواية (ب) هي الأوب.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بـن زيـد منـاة. انظـر جمهـرة أنسـاب العـرب ٢١٩-٢٢٠.

(٥) في الأصل فلم يزالون، وهو خطأ من الناسخ.

(٦) في الأصل امرأته ابنة وهو تحريف.

(٧) الأبيات في ديوانه (٢٨٣).

(٨) سقطت (لا) وهما من الأصل.

(٩) زيادة من (ب).

سيري أُمامُ فإنَّ الأكرمين حصىً والأفضلونَ إذا ما [يُنْسبون أبا][1]
قوم هم الأَنْفُ والأذنابُ غيرهم ومن يساوي بأنفِ الناقةِ الذّنبا

فصار هذا النسب لهم فخراً، يتبجَّحون به، وعزاً يباهون بفضله [وشرفه][2].

ممن وضعه الشعر

وممن وضعه الشعر بنو العجلان، كانوا يفخرون بهذا الاسم، لأن جدَّهم سمي بذلك لتعجيله قِرى الأضياف، فلم يزالوا يباهون به إلى أن قال فيهم النّجاشي[3]:

وما سُمِّيَ العَجْلان إلا لقولِهم خُذِ القِعْبَ فاحلبْ أيُّها العبدُ واعجل[4]

فبلغ ذلك منهم كل مبلغ إلى أن استعدوا عليه عمر بن الخطاب ﷺ، فقالوا: هجانا، وسبَّنا. فقال: وما قال فيكم؟ قالوا:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلانِ رهطَ ابنِ مقبلِ

فقال عمر بن الخطاب: إنما دعا عليكم، ولعله لا يجاب[5]، قالوا: فإنه قال:

قبيلة لا يغدرون بذمَّة ولا يظلمون الناسَ حبَّة خَرْدلِ

قال عمر: ليت الخطاب منهم. قالوا: فإنه قال:

ولا يَرِدُونَ المـاءَ إلاَّ عشيةً إذا صدر الورّاد عن كلِّ منهلِ

قال عمر ذلك[6] أصفى لهم، وأقل للركال -باللام- يعني الزحام[7].

[قالوا: فإنه قال:

(١) في (ب) خرم في الكلمتين الأخيرتين، والبيتان في ديوان الحطيئة ١٢٨.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) هو قيس بن عمرو بن مالك بن كهلان شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي نحو (٤٠هـ) انظر الشعر والشعراء ١٨٧ فما بعدها وفيه الخبر والأبيات.
(٤) في الشعر والشعراء: واحلب.
(٥) في الشعر والشعراء: إنما دعا، فإن كان مظلوماً استجيب له، وإنْ كان ظالماً لم يستجب له.
(٦) في (ب) ذاك.
(٧) في الشعر والشعراء: للّكاك.

تَعافُ الكلابُ الضارياتُ لحومَهُم وتأكل من كَعب بن عوف ونهشلِ][1]

قال عمر[2]: كفى ضياعاً من تأكل الكلابُ لحمَه[3]. قالوا: فإنه قال:

ومـا سمّـيَ العَجـلان إلا لقولِهِـم خُذِ القِعْب فاحلبْ أيُّها العبدُ واعجلِ

فقال عمر ﷺ كلنا عبد. فقالوا: يا أمير المؤمنين، هجانا. فقال: ما أسمع هجاءاً. قالوا: فاسأل حسان بن ثابت، فسأله، فقال: ما هجاهم ولكن سَلَحَ عليهم. فصاروا من أقل العرب[4] مجداً بذلك، وفخراً، بعد أن كانوا من أجلّهم ذكراً، وأبعدهم[5] صيتاً.

وكذلك بنو نمير كانت تعدُّ من جَمَرات العرب الثلاث[6]، وهي بنو نمير، وبنو ضبة، وبنو ثعلبة. وكان أشدهم بنو نمير، ولا تعدل بها قبيلة جرأة، وعزة، فطفِيت بهجاء جرير إياهم بقصيدته التي يسميها الدمَّاغة والفاضحة، وهي التي [أولها:

أقلّي اللومَ عاذلُ والعِتابا وقولي إنْ أَصبْت لقد أصابا

قال عمارة بن عقيل بن بلال عن جرير: بلغني أن راعي الإبل يرفع الفرزدق وقومه حتى لو يقدر أن يجعلهم في السماء فعل، ويقع في بني يربوع. فقال له: يا أبا جندل إني قد أقمت بهذا المصر سبع سنين لا أكسب أهلي دنيئاً ولا خزياً[7] إلاّ أن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وهو من (ب). وأصاب الكلمة الأولى من البيت خرم.

(٢) خرم في (ب).

(٣) سقط جواب الخليفة عمر من الأصل.

(٤) في (ب) من أجل ذلك.

(٥) في (ب) أجلها .. وأبعدها.

(٦) جاء في الصحاح (جمر): قال أبو عبيدة: جمرات العرب ثلاث: بنو ضبة بن اد، وبنو الحارث ابن كعب، وبنو نمير بن عامر، فطفئت منها جمرتان طفئت ضبة، لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحارث، لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تُطفىء، لأنها لم تحالف، وعن أبي عبيدة أيضاً في اللسان (مادة جمر) أنه جعلها أربعاً وأضاف إليها عبساً.

(٧) في الأصل: اخرة.

أسبَّ من سبَّهم، فلا تقع بيني وبين هذا الرجل فقد بلغني عنك ما أكره. وأنت شيخ مضر، وشاعرها وقولك مسموع. فمهلاً. فقال: معاذ الله، لا أفعل. قال جرير وأنا قائم لازم بعنان بغلته فقال: ميعادك، وقومُك غداً مجلسكم في المسجد، فاعتذر إليكم عمّا بلغكم، وارجع مما ساءكم، قال: وابنه واقف وراءه ساعة على فرس، فقال لرجل: من هذا الذي أبي واقف عليه؟ قال: ذلك جرير بن الخطفى. فأقبل تشتد به فرسه حتى أهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه[1]، قال: فرمحتني[2] واللهِ رمحة وقعت منها على وجهي في الأرض وندرت قلنسوتي. قال: وسمعته يقول: أئنك لواقف على كلب بني كليب تعتذر إليه! قال: فمضيت وأنا أوعده، وأقول كلما مررت بمجلس: جاء أبو يربوع برواحله من أهله بخلصَ وهَبُود[3] ليكسبهم غِلَّة. أما والله لأوقِرَّنها له، ولأ هله خزيا. فلما انتهيت إلى منزلي اجتمعت إلى مشيخة قومي، فذكروا ما كان مني، ومنهم تلك العشية. فقالوا: غلام سفيه فلا تفعل، ولا تعجل، فإن الشيخ يلقانا، فلما انصرفنا في الجمعة اجتمعنا في حلقتنا، ومجلسنا في المسجد فلم نحسَّه، حتى صلَّينا العصرَ، وأردنا الانصراف، فوقف علينا رجل من بني أسد قد علم الأمر، فسمع منا، فقال: ها هو ذا جالس[4] في حلقة بني نمير، فقلنا: اذهب، فتعرَّض له، واذكر مجلسنا، فلعله أن يكون نسي الذي قال بالأمس، فأتاه، فقال: يا أبا جندل، هذه بنو يربوع تنتح حباهم[5] العرق ينتظرون ميعادك منذ اليوم، فوثب، ليأتينا، فادركته حلقة بني نمير، فأخذوا بأسافل ثيابه. فقالوا: اجلس، فواللهِ، لئن تُنْضَج قدرك غداً في الجبَّانة[6] أحب إلينا من أن يراك بهذا الناس تعتذر إلى هذه

---

(١) في الأصل: ابنه.

(٢) في الأصل: فرجمتني، وصوابها، فرمحتني، ورمح الفرس والبغل والحمار: ضرب برجله.

(٣) لعله يريد بخلص وهبود تهديدهم أي سيأتيهم بما يؤذيهم ويعريهم كما يخلص العظم من اللحم، ويقطع ولم نجد للكلمتين أصلين في اللغة. والغِلة: الحقد.

(٤) في الأصل: جالساً.

(٥) تنتح: تنضج، وحباهم: جمع الحُبية والحُبْية من قولهم احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته. يريد أنهم اجتمعوا واستعدوا للقائه.

(٦) الجبَّانة: الصحراء، ويريد بها المقبرة.

الكلاب، فأتانا الرجل فأخبرنا الخبر، فانصرفنا. قال جرير: فانصرفت من ليلتي، فقلت ثمانين بيتاً، فلما انتهيت في آخر الليل إلى قولي:

فغضٍّ الطَّرْف إنَّك من نُميرٍ   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

قال: أخزيتهم، أخزاكَ الله، فلما أتيت إلى قولي:

أجَندلُ ما تقول بنو نمير   إذا ما الأيْر في آستِ أمك غابا

قال: تقولون، والله شراً، يا غلام: اركل[1]، فبئس والله، ما كسَّبنا قومنا. فنمير تعير بهذا آخر الدهر][2].

وصارت لهم مسبةً يُعيِّرون بها، وعاراً يُنبَزون به إلى آخر الأبد. على أن فيهم من أجاد النصح بقوله[3]:

ولولا أنْ يقالَ هجا نُميراً   ولم نسمعْ[4] لشاعرهِم جوابا
رغِبْنا عن هجاءِ بني كلاب   وكيف تشاتِم الناسُ الكلابا

فلم يصنع شيئاً [ولم تزد نمير به إلا ضيعة][5].

وللشعر في كل أمرٍ جداً كان أو هزْلاً، حقاً كان أو باطلاً مدخلٌ لا يحلُّه سواه. لا جرم إنَّ صاحبه إذا كان جيد التصرف، حسن التوصل بلغ به إلى كل مبلغ، وقال به كل بغية.

ويقال: إن الحارث بن حلزة اليشكري لما أنشد عمرو بن هند قصيدته التي أولها:

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) النص الطويل ما بين القوسين من ص٥٩ ساقط من (ب).
(٣) البيتان في ديوانه ١٨.
(٤) في (ب) يسمع.
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

آذَنْتنــــا ببينِهـــــا أسمــــــــاءُ رُبَّ ثــاوٍ يُمَــلُّ منــه الثَّـــواء[1]

أنشدها، وبينهما سبعة حجب، فلم يزل يرفع حجاباً حجاباً؛ لاعجابه بشعره إلى أن أجلسه معه على بَرَص قبيحٍ كان به. والعرب تعاف ذلك، وتفرَقُ منه فَرَقاً شديداً.

ومن ذلك خبر الربيع بن زياد العبسي[2] -وكان نديم النعمان بن المنذر- سنين طويلة، لا يحل أحد من الناس عنده محلَّه[3] إلى أن تعرض لوفد بني عامر، وقد قدموا على الملك، وكانوا يفدون عليه، وينصرفون إلى رحالهم، وفيها لبيد بن ربيعة صبيٌّ ليس ممن يدخل مثله على الملوك، فرأى ما بهم من الضجر والهمِّ. فسألهم عمّا بهم، فذكروا له خبر الربيع بن زياد. فقال: اغدوا بي معكم، فإني أكفيكموه فلا يلتفت النعمان بعد إليه[4]. قالوا: وهل عندك من شيء؟ قال: نعم. قالوا: فإنا نبلوك بأنْ تشتم هذه البقلة -وكانت بين أيديهم [بقلة][5] رقيقة القضبان لاصقةً بالأرض، يقال لها التربة- فقال: هذه التربة لا تُذكي ناراً، ولا تؤهِّل داراً، ولا تَسْتُر جاراً، عودُها ضئيل، وفرعُها ذليل، وخيرها قليل. أقبحُ الحقول مرعى وشرها[6] فرعاً، بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فألقوا بي أخا عبس، أردُّه عنكم بتعس، وأتركُه من أمره في لَبْس. فقالوا[7]: نصبحُ، ونرى رأينا فيك. فقال عامر: انظروا إلى غلامكم هذا، إن بات نائماً فليس عنده شيء، وإن رأيتموه ساهراً

(١) هو مطلع معلقته المشهورة. انظر شرح القصائد السبع الطوال ٤٣٣ وفيه خبر الحارث، ورفعه الستر السبعة عن الشاعر.

(٢) الربيع بن زياد بن عبدالله بن سفيان أحد دهاة العرب، وشجعانهم، ورؤسائهم في الجاهلية، له شعر جيد، ذكرت قصته مع لبيد في الأغاني ١٦/ ١٩.

(٣) تقدمت الكلمة على سابقتها في (ب).

(٤) قدمت الكلمة على ما قبلها في (ب).

(٥) ليست في (ب).

(٦) في (ب) وأشدّها.

(٧) في (ب) قالوا.

فهو صاحبه. فوجدوه ساهراً، فغدوا به [معهم] [بعد أن امتحنوه فحمدوا قوله][1].

فلما دخلوا على الملك وجدوه على طعامه، والربيع بن زياد معه وحده. فتقدم لبيد فأنشد الملك:

يا رُبَّ هيجا هي خـيرٌ مـن دَعَـهْ   نحـن بـني أم البنـين الأربعـة[2]

ونحـن خـير عـامر بـن صعصعـة

إلى أن قال:

مهلاً أبيـت اللعـن لا تـأكُلْ معـه

فقال له النعمان: ولمه!! فقال:

إن استه مـن بـرص ملمَعَّـه[3]

فقال النعمان: وما عليّ من ذلك فقال:

وأنـه يـولج فيهـا إصبعـه
يولجها حتـى يـواري أشـجعه
كأنمـا يطلـب شـيئاً ضيعـه

ويروي: أطمعه.

فرفع النعمان يده [عن][4] الطعام. وقال: ما تقول يا ربيع؟ فقال: أبيت اللعن [كذب الغلام][5]، فقال لبيد: مُرْهُ، فَلْيَنْحِهِ[6] فقال النعمان: أجب يا ربيع فقال:

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) أم البنين هي ليلى بنت عمرو جدة لبيد، وبنوها خمسة فقد جعلهم لبيد أربعة أما الضرورة القافية، وأما لأن أباه كان ميتاً. انظر ديوان لبيد شرح الطوسي/ ١٠٩.

(٣) البيتان مهلاً..إن في لسان العرب مادة لمع.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في هامش (ب) فلينج ثيابه، وتحتها كتب فلينحه.

والله لما تسومني أنت من الخسف[1] أشد علـي مما عضهني[2] بـه الغـلام. فحجبه النعمان بعد ذلك، وسقطت منزلته عنده. وأراد الاعتذار إليه. فقال النعمان:

قـد قِيـل مـا قيـلَ إنْ حقـاً وإن كَذِبـا   فمـا اعتـذارُك في شـيء إذا قيـلا[3]

وقد سمع رسول الله ﷺ الشعر، وأثاب عليه قائله ولما رجع [رسـول الله ﷺ][4] من غزاة حنين، قسم الغنيمة أرباعاً، فأعطى الأقرع بن حابس[5] ربعاً، والمهلهل بـن زيد[6] ربعاً، وعيينة بن حصن[7] ربعاً، وعدي بن حاتم[8] الطائي ربعاً. فقال العباس ابن مرداس[9] من قصيدة له يذكر ذلك[10].

أصبَـحَ[11] نهـبي ونهـبُ العبيـد   بـيـنَ عُيَيْنَـةَ والأقـرعِ
ومـا كـان بـدرٌ ولا حـابسٌ   يسـودان[12] مـرداسَ في مَجْمـعِ
ومـا كنـتُ دونَ امـرئٍ منهمـا   ومـا تَضَـعُ اليـومَ لا يُرْفَـعِ

---

(١) في الأصل: السخف ورواية (ب) أصوب.

(٢) العضه: البهتان.

(٣) البيت في العقد الفريد (٢/ ٤٤٥)، غير منسوب وفيه: قد قيل ذلك...في قول.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، صحابي من سادات العرب في الجاهلية. وفد على النبي ﷺ مع أشراف تميم المؤلفة قلوبهم. توفي سنة (٣١هـ). انظر أسد الغابة ١/ ١٠٧.

(٦) لم نجد اسم مهلهل فيمن أعطاه الرسول ﷺ بعد غزوة حنين في السيرة ولا في تاريخ الطبري.

(٧) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر من فزارة، كانت بينه وبين زبان بن سيار منافرة شهدها الحطيئة. أسماه الرسول ﷺ الأحمق المطاع. انظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١١٢.

(٨) عدي بن حاتم، أبو طريف، أسلم، ولم يشترك مع قومه في الردة معجم الشعراء ٨٤.

(٩) العباس بن مرداس شاعر، إسلامي، أسلم قبل فتح مكة. انظر الشعر والشعراء ٤٦٧-٤٧٠ أسد الغابة ٣/ ١١٢.

(١٠) الأبيات في ديوانه (٨٤)، وشرح شواهد العربية (٢٣٤).

(١١) في الديوان: وأصبح.

(١٢) في الديوان: يفوقان.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اقطعوا عني لسانه، فأعطوه مائة من الإبل. واحتمل الرسول ﷺ جرأته.

ولما كان من حسان بن ثابت في أمر[1] الإفك ما كان، وأوجب رسول الله ﷺ على حسان، وعلى أمثاله الحدَّ، لثبوت الإفك عليه، قال من قصيدة اعتذر فيها مما فعله[2]:

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي

فإنَّ الذي قد قيل[3] ليس بلائطٍ ... ولكنَّه قيلُ امرئٍ بيَ ماحلِ

فبهتَ، وكذب في شعره، ولم يعدْ ذلك ذنباً عليه، ولو لم يكن شاعراً، وفعل ذلك للزمه عقاب على بهته وكذبه[4].

ولما أسلم بجير بن زهير كتب إليه أخوه كعب بن زهير[5]:

ألا أبلِغا عني بُجيراً رسالةً ... فهلْ لك فيما قلتَ بالخيف هل لكا

سُقِيتَ بكأسٍ عند آل محمّد ... فانهلَكَ الساقي بها ثُمَّ علَّكا[6]

فخالفتَ أسبابَ الهدى وتبِعتَه ... على أيِّ أمرٍ وَيْبَ غيرِك دلَّكا

---

(١) تقديم وتأخير في ألفاظ الجملة في (ب).

(٢) البيتان في ديوانه (٣٨١) من قصيدة مطلعها:

حَصَانٌ رزانٌ ما تَـزِنُّ بريبةٍ ... وتصبحُ غرثى من لحوم الغوافل

(٣) الشطر الثاني في الديوان: بها الدهر بل قول امرئ بي ماحل ورواية الكلمة الأولى من الشطر الأول وإنَّ.

(٤) تقدمت الكلمة على سابقتها في (ب).

(٥) انظر أخبار بجبير وكعب في الشعر والشعراء ٥٩، ٦٠، ٦٧، السيرة لابن هشام ٤/١٤٤-١٥٨، طبقات فحول الشعراء ١/ ٨٩، معجم الشعراء ٢٣٠.

(٦) في هامش الأصل:

سقاك أبو بكر بكأس روية ... فانهلك المأمون منها وعلّكا

وعلق عليه. هذا هو الرواية الصحيحة.

وكتب إليه أخوه: أن رسول الله ﷺ قد ظفر بمن خالفه من شعراء قريش[١] كابن الزبعرى، وهبيرة بن وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه يقبل من جاءه تائباً. فضاقت به الأرض إليّ[٢] أن أتى رسول الله ﷺ متنكراً، فلما صلّى الفجر، وضع كعب يده في يده[٣]. وقال: يا رسول الله إنَّ كعب بن زهير أتى مستأمنا تائباً، أفتؤمِّنه فآتيك به؟ قال: هو آمن. فحسر كعب عن وجهه وقال: بأبي أنت يا رسول الله، مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير[٤]، فأمَّنَهُ رسول الله ﷺ، فأنشده قصيدته التي أولها:

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبْولُ ... متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ

إلى أن انتهى إلى قوله:

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمولْ

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ القرآنِ فيها مواعيظٌ وتأميلُ

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم ... أذنبْ ولو كثُرتْ فيَّ الأقاويلُ

فتجاوز ﷺ عنه، ووهبه بُردَتَه، فاشتراها منه معاوية بن أبي سفيان بثلاثين ألف درهم[٥]، فهي التي يلبسها بنو العباس اليومَ.

وسأل رسول الله ﷺ العلاءَ بن الحصين[٦]: هل تروي من الشعر شيئاً، فأنشده:

---

(١) في (ب) (فقتلهم يعني خطل وابن حبابة، وإن من بقي من شعراء قريش) وهي زيادة، ولم يرد اسم من ذكر فيها فيمن أمر الرسول ﷺ بقتله. وذكر محمود محمّد شاكر أن النبي ﷺ لم يقتل أحداً صبراً إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر.

(٢) خرم في (ب).

(٣) قصة قدوم كعب على الرسول ﷺ في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٠٠) فما بعدها.

(٤) في (ب) أنا كعب.

(٥) لم يحدد ابن سلام المبلغ الذي قدمه معاوية لكعب، وإنما قال: اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سمي. وأضاف: فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين.

(٦) كذا في الأصلين. وفي معجم الشواء ٢٩٦، أنه العلاء بن عبدالله بن حماد بن سلمى الحضرمي، =

وحيّ ذوي الأضغان تملكْ قلوبَهُم تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل
فإن دحسوا باللؤم فاعفُ تكرُّماً وإن كتموا عنك الحديث فلا تَسَلِ[1]
فإن الذي يؤذيك منه استماعه[2] وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال ﷺ: إن من الشعر لحكما، وروي لحكمة، فدل ذلك من قول رسول الله ﷺ، وفعله على فضيلة الشعر، وشرفه، ووجب الاقتداء برسول الله[3] ﷺ في تكرمة قائله ورفع مكانه والإغضاء عن زلاته، وإن عظُمتْ قدراً، وبلغت مبلغاً صعباً.

هذا ما أردنا إيراده في فضيلة الشعر. وعلى الجملة فالبلاغةُ محمودةٌ شعراً كانت أو نثراً. قال رسول الله ﷺ لعمرو بن الاهتم التميمي[4]، وقد سأله عن الزبرقان بن بدر، فقال: هو مانعٌ لحوزته، مطاعٌ في أدنيه. فلم يرض الزبرقان منه بذلك وقال: أما إنه قد علم أكثر مماقال، ولكن حسدني شرفي. فقال عمرو: أما لإن قلت ذاك، فإنك ما علمت ضيق العَطَنِ[5]، زمر[6] المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى.

وفد على النبي ﷺ فأنشده.. الأبيات. وفي السيرة النبوية ٤/ ٢٦١ أن الرسول ﷺ بعث العلاء ابن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى، فأسلم وحسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده. وضبط ابن قتيبة اسم قائل الأبيات بأنه العلاء بن الحصين: الشعر والشعراء ٢٩٦ طبعة دار الكتب العلمية.

(١) روايته في معجم الشعراء:

وإن دحسوا بالكره فاعف كريهة وإن خنسوا عند الحديث فلا تسل

ورواية الشطر الأول في (ب): فإنْ دخسوا في القول.

(٢) في (ب) سماعه.

(٣) في (ب) به.

(٤) هو عمرو بن الاهتم التميمي: عمرو بن سنان بن سمي التميمي، يكنى أبا ربعي، أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. توفي عام (٥٧هـ) انظر البيان والتبيين ١/ ١٠، ٤٥، ٥٣، ٣٥٥ الشعر والشعراء ٤٠١-٤٠٣ والخبر في السيرة النبوية ٤/ ١٦٣-١٦٤.

(٥) العطن في الأصل: مبارك الإبل حول الماء، ويقال فلان واسع العطن إذا كان رحب الذراع.

(٦) في الصحاح واللسان (زمر): الزمر: القليل المروءة. وقد ذكر في أصل المخطوط زمن، وصوبت في الهامش.

ثم نظر إلى رسول الله ﷺ، فرأى في وجهه تغـيراً فقال: والله[1] يا رسـول الله، ما كذبت عليه في الأولى، ولقد صدقـت في الثانيـة، ولكـنْ أرضـاني، فقلـت بالرضـا، وأسخطني، فقلت بالسَّخط. فقال رسـول الله ﷺ: إنَّ مـن البيـان لسـحرا. [وليـس ذلك بمزية][2] إلا أنه مع ذلك. فلا ينكر تقدم النظم على النثر، إذْ كـان رسـول الله ﷺ قد أعطى كل واحدٍ منهما حقه.

وللشعر بعدُ ماله من الخصائص التي [انفرد بها، وفاز بفضلها][3]. وقد تقدم ذكر بعضها. وإن أعظم مزاياه أن الكذب الذي [عند أمة من الأمم لا يحسـن بحـال مـن الأحوال، والبهت الذي لا يحمد به][4] أحد من النـاس يُسـوَّغ فيـه، ويتجـاوز عـن قائله إذا ضمَّنه إياه. ولو اعتمد ذلك في النثر لاستبيح دمه، ولم تقبل معذرته.

وسمع رسول الله ﷺ قول كعب بن مالك الأنصاري:

زَعَمَتْ سخينةُ أنْ سـتغلِبُ ربَّهـا   وليَغلِبَـنَّ مغـالبُ الغـلاَّبِ

فقال له: أترى الله نسي قولك:

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربها

كأنه أنكر تسميته قريشاً سخينة. ثم عفا عنه، وتجاوز عن قوله.

وسخينةٌ نبزٌ تُنبُز به قريش؛ لأكلها السخينةَ وهي الحساء. وأوَّلُ من سماها بذلك خداش بن زهير[5] في قوله:

يـا شِـدَّةً مـا شـدَدْنا غـيرَ كاذبـةٍ   علـى سـخينَة لـولا الليـلُ والحَـرَمُ

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في الأصل.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل. وقول الرسول ﷺ في نهاية الغريب ٢/ ٣١٢، ١/ ١٧١.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في الأصل فقط وما بعدها إلى... لا يحمد به زيادة من (ب).

(٥) خداش بن زهير، من شعراء قيس في الجاهلية يعد من الطبقة الخامسة وكان يهجو قريشاً لأنها قتلت أباه يوم الفجار، انظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٥، الشعر والشعراء ٤٠٩-٤١٠.

وإنما سماها بهذا الاسم، لحساء كانت تتَّخذُه عند غـلاء الأسـعار، وحسبُك في ذلك قول الأخطل متجرئاً على الدين، متظاهراً بالكفر[1]:

ولســتُ بصـائمٍ رمضـانَ عُمْـري[2] ولســت بـآكل لحـم الأضـاحي
ولسـت بقـائمٍ كالعِـيرِ أدعـو قُبَيْل الفجـر: حـيَّ علـى الفـلاح[3]
ولسـتُ براكـبٍ غَلَسـاً[4] بكـوراً إلى بطحـاء مكـةَ النجـاح
ولكنّـي سأشـربُها شَـمولاً وأسـجدُ قبـلَ منبلـجِ الصَّبـاحِ[5]

فلم يعرض[6] له أحد من التابعين على كثرتهم في زمانه، ولا ذُمّ ذلك عليه.

ولم تـزل الشـعراء في الجاهليـة والإسـلام يجنـون الجنايـة العظيمـة، فيحتملـون، ويُشَفِّعون في الأمر الجليل، فيشفعون.

ولما أوقع الحارث بن أبي شمر الغساني[7] بالمنذر بن ماء السماء أسر جماعـة مـن أصحابه[8] وفيهم شاس بن عبدة في تسعين رجلاً من تميم، وبلغ ذلك أخـاه علقمـة ابن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس، فوفد عليه، وامتدحه بقصيدة أولها:

طحـا بـك قلـبٌ في الحِسـانِ طَـروبُ بُعَيـدَ الشـبابِ عصـرَ حـان مشـيبُ

إلى أن انتهى إلى قوله:

---

(١) الأبيات في ديوانه ٦٧٨.
(٢) روايته في الديوان: ولست بصائم رمضان طوعاً.
(٣) في (ب): ولست منادياً أبداً بليل كمثل. وفي الديوان: ولست بقائم أبداً أنادي.
(٤) في (ب) عيساً، وكذا في الديوان.
(٥) تقديم هذا البيت الذي سبقه في (ب).
(٦) في (ب) فلم يعترض.
(٧) الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب القصة مع الشاعر السموءل حين استودعه امرؤ القيس سلاحه انظر أخباره في الشعر والشعراء ٤٦،٥٠، ٧١،٧٧..
(٨) في (ب) وكان فيهم.

إلى الحارث الوهّاب أعملت ناقتي لكلكلِها والقُصْرَيَيْن وجيب[1]

إليك -أبيْتَ اللّعن- كان وجيفُها بمشتبهات هَوْلُهُنَّ مَهيب[2]

هَداني إليكَ الفرقدانِ ولا حِبٌ له فوقَ أعلامِ المنارِ عُلُوبُ[3]

فلا تحرِمَنّي نائلاً عن جنابةٍ[4] فإني امرؤٌ وَسْطَ القبابِ غريبُ

وفي كل حي قد خبطتُ بنعمةٍ فحُقَّ لشاسٍ من نَداك ذَنوب[5]

فقال الحارث: نعم، وأذنبة[6]، وأطلق له شاساً [أخاه][7] وجماعةً من أسرى بني تميم، ومن سأل فيه، أو عرفه من غيرهم.

ولما نافر علقمة بن علاثة بن عوف[8] عامر بن الطفيل[9]، وكان علقمة كريماً

(١) الحارث الوهاب وهو الحارث الأكبر يريد به الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني. والكلكل: الصدر والقصريان: آخر أضلاع الصدر. الوجيب: اضطراب وخفقان من شدة السير. والكلكل: الصدره.

(٢) الوجيف: سرعة السير، والمشتبهات: طرق يشبه بعضها بعضاً، فهي تشكل على من سار فيها. المهيب: المخوف.

(٣) الفرقدان: نجمان، واللاحب: الطريق الواضح، والعلوب: الآثار.

(٤) في (ب) جناية. والجنابة: الغربة.

(٥) في الأصل بذاك ذنوب، وهو تصحيف. وشاس أخو علقمة ويقال ابن أخيه، وكان قد اسر يومئذ. الذنوب، الدلو، ويكنى به عن الحظ والنصيب.

(٦) في الأصل: وادنيه، وصوابها اذنبة جمع ذنوب، وهي الدلو التي يكون الماء دون ملئها، وقيل هي الدلو الملآى. ولا يقال لها وهي فارغة والجمع في أدنى العدد اذنبة، والكثير ذنائب. لسان العرب مادة (ذنب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري، كان في الجاهلية من أشراف قومه، نافر عامر بن الطفيل، أسلم وارتد أيام أبي بكر، ثم عاد إلى الإسلام توفي عام (٢٠هـ) الإصابة ترجمة رقم (٥٦٧٧).

(٩) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، شاعر وفارس جاهلي :جمهرة أنساب العرب ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٦، الشعر والشعراء ١٣٩، ١٥١، ١٩١، ١٩٢.

عفيفاً رئيساً، وكان عامر عاهراً سفيهاً، وساقا معهما إبلا جَمَّة لينحرها المقرُّ له، فهاب حكام العرب أن يحكموا بينهما بشيء، وأتوا هَرم بن قُطبة بن سنان فقال: أنتما كركبتي البعير تقعان معاً، وتنهضان معاً. قالا: فأيُّنا اليمنى؟ قال: كلاكما يمين. وأقاما سنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما إلى أن قدم الأعشى ميمون بن قيس[1]، وكان ممالياً لعامر على علقمة لشيء كان بينهما. فركب ناقته، ووقف على نادي القوم، قوله[2]:

علقمَ لا، لسْتَ إلى عامرٍ ... الناقضِ الأوتارَ والواترِ[3]

إن تَسُدِ الحوضَ فلم تعدهم[4] ... وعامرٌ سادَ بني عامرِ

حكَّمتموه[5] فقضى بينهم ... أبلجُ مثلُ القمرِ الزاهرِ

لا يقبلُ الرشوةَ في حكمِهِ ... ولا يبالي غَبَنَ الخاسرِ

فتنادى الناس: نُصِر عامر على علقمة، ورووا الشعر، وأمضوا حكم الأعشى، ودعواه أنهما حكَّماه، وإن كان الناس يعلمون أن ذلك باطل.

وليس يسوغ لأحد إطراء نفسه عند ملك أو سوقةٍ، ولا مخاطبة الملك مخاطبة الأكفاء إلاَّ أن يكون شاعراً. فمن ذلك قول علي بن الجهم[6] للمتوكل مترفعاً عن محل المادح، والقاصد إلى درجة المُساوي[7]، والمماثل مخاطباً له باسمه وهو الخليفة

---

(١) زيادة من هامش (ب) وذلك أن الأعشى جاء إلى علقمة مستجيراً به، فأتى عامراً وقال: أجيرك من الأحمر والأسود. قال: ومن الموت؟ قال: لا، فأتى عامراً وقال له مثل ذلك. فقال: ومن الموت؟ قال: نعم، قال: وكيف؟ قال: إنْ في جواري وديتك، فقال علقمة: لو علمت أن ذلك مراده، لهان علي.

(٢) الأبيات متفرقة، مختارة من قصيدة تقع في ستين بيتاً. ديوانه ١٧٨-١٨٥.

(٣) في (ب) الناقص.

(٤) في الديوان: سُدت بني الأحوض لم تعدهم.

(٥) روايته في الديوان: حكمتموني.... القمر الباهرِ.

(٦) علي بن الجهم بن بدر شاعر رقيق الشعر، أديب من أهل بغداد، اختص بالمتوكل العباسي توفي سنة (٢٤٩هـ).

(٧) خرم في (ب).

الذي ليس فوق محله في الدنيا أحد[1]:

ومــا الشّـــعرُ ممـــا اســـتظلُّ بظلّـــه ... ولا زادني قَـدْراً، ولا حـطَّ مِـنْ قَـدري
ولكـــنَّ إحســـانَ الخليفـــةِ جعفـــرٍ ... حداني على ما قلتُ فيـه مـن الشـعر[2]
فسـار مســيرَ الشـمسِ في كـلّ بلـدةٍ ... وهـبَّ هبـوبَ الريـح في الـبَّرِ والبحـرِ

وقول أبي تمام سالكاً هذا السبيل[3] مع محمّد بن عبدالملك الزيات الوزيـر وهـو من هو ذهاباً بنفسه، وإعجاباً بأدبه، ورئاسته:

لقـد زدتَ أوضـاحي اتّضاحـاً ولم أكـنْ[4] ... بهيماً، ولا أرضى مـنَ الأرض مجهـلا
ولكـــنْ أيـــادِ صـــادَفَتني جســـامُها ... أغــرَّ فوافــتْ بــي أغــرَّ محجَّــلاً[5]

فجعل ما أفاده الممدوح من رفع القدر، وعلوٌّ الذكر دونَ ما كان له مـن الفضـل قبل لقائه، والامتداح له؛ ومثَّل[6] ما استفاده منه بالتحجيل، وما كان له قبله بالغُرَّة، [ولا مناسبة بينهما][7]. فهذا وأمثاله [مما قدمنا ذكره] من مزايا الشـعر الـتي [يتمـيز بها أهله][8]، وعظم لها قدره. وهو بعد جزء من الكـلام يـزداد فيـه حسـنه حسـناً، ويرى[9] قبيحه قبيحاً، [وهو][10] كالبحر الذي يجمـع الـدر والحصبـاء[11]، والعنـبر

---

(١) من قصيدته المشهورة التي مطلعها ديوانه ١٤٦:
عيـون المهـا بـين الرصافـة والجسـر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
(٢) رواية الشطر الثاني في الديوان: دعاني إلى.
(٣) في (ب) المسلك.
(٤) رواية الشطر الأول في الديوان: لقد زدت أوضاحي امتداداً. والأوضاح: جمع وضح، وهو البياض.
(٥) البيتان من قصيدة يمدح بها محمّد بن عبدالملك الزيات، ويعاتبه: ديوانه ٢/ ٤٧.
(٦) في (ب) إذ مثل.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) ساقطة من (ب).
(٩) في (ب) وترى.
(١٠) ساقطة من (أ).
(١١) في (ب) والحصى.

[والكمأ][1] وفنونه متشعبة، وطرقه متسعة، كما قال السري [من][2] أحمد، واصفاً ذلك[3]:

والشّعر كالرَّوضِ ذا طامٍ وذا خضِلُ ... وكالصَّوارمِ ذا نابٍ وذا خَذِمُ

مثلُ العرانينِ[4] هذا حظُّه خنس ... مزرٍ عليه، وهذا حظه شَمَمُ[5]

أو كما قال الآخر:

وما الشِّعر إلاَّ ما استرقَّ مُمدَّحاً ... وأطربَ مُشتاقاً، وأرضى مغاضباً

أطاعَ فلم توجَد قوافيه نُفَّراً ... ولم تأتِه الألفاظ حَسْرى لواغِباً

فما وفق قائله لاختيار ألفاظه، وإجادة سبكه، وإتقان وصفه، وتحرير معانيه، فقد أصاب [شاكلة][6] الصواب، وظفر بغاية الطلب[7]، وسار شعره مسير الشمس، وبقي بها الدهر، كما قال دعبل بن علي الخزاعي[8]:

سأُرسِلُ بَيتاً يحمَدُ الناسُ أمرَه ... ويكثُر من أهل الرواية حاملُه

يموتُ رديءُ الشّعر من قبلِ ربِّه ... وجيِّده يبقى وإن مات قائلُه

فهذا ماعنَّ ذكره في هذا الباب

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) زيادة من الأصل، والسري بن أحمد بن السري، الكندي، أبو الحسن شاعر أديب، انتقل إلى بغداد، وكانت وفاته سنة (٣٦٢هـ) انظر معجم الأدباء ٤/ ٢٢٦.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٢٧٦.

(٤) روايته في الديوان ٢/ ٢٧٦ أو كالعرانين.

(٥) البيتان في ديوانه ٢/ ٢٧٦.

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب) المطلب والمطلوب.

(٨) في الأصل الجرمي. وهو دعبل بن علي الخزاعي شاعر هجّاء، أصله من الكوفة أقام ببغداد، توفي سنة ٢٤٦هـ انظر العبر ١/ ٤٤٧.

[رجع إلى ما انقطع[1]] قوله: **لعمري لقد أمرضت، ولكن مرضت، ورويت ولكنك ورَّيْتَ**

في التورية والتعريض

[يقال][2] أمرض القوم [إذا] كثُر فيهم المرض، وأمرض الرجل في القول: إذا أتى منه بما يقارب الصوابَ، ومرض ضعَّفَ اشتقاقاً من المرض.

وروى: حفظ، وأخبر، وَوَرَّى: أظهر غير ما أبطن وأبدى غير ما ستر، يقال ذلك للرجل إذا أراد معنى، وأظهر سواه يستره به.

وقد أحسن عبدالله بن المعتز[3] في قوله:

لما رأيتُ الحُبَّ يفضَحُني ... وقَضَتْ عليَّ شواهدُ الصَّبِّ
أوقعتُ غيرَك في نفوسِهِمُ[4] ... فسترتُ وجهَ الحبِّ بالحبِّ

وسئل: ممن أخذ معنى هذين البيتين؟ فقال: من فعل يحيى بن أكثم[5] القاضي، فإن المأمون [لما][6] أراد أن يوليه القضاء بحضرته، فأحضره[7]، وأعلمه ذلك، وقال له: لا تظهرن ذلك لأحد[8] حتى آمرَ به. فلما خرج يحيى من عنده، كتب إليه صاحب البريد: إن يحيى يشيع أنَّ أمير المؤمنين عوَّلَ عليه أن يوليَه قضاءَ البصرةِ،

---

(١) غير موجودة في (ب).
(٢) غير موجودة في (ب).
(٣) هو عبدالله بن محمّد المعتز بالله ابن المتوكل العباسي، شاعر مبدع تولى الخلافة يوماً وليلة. قتل سنة (٢٩٦هـ) انظر المنتظم ٦/ ٨٤ والبيتان غير موجودين في ديوانه تحقيق يونس السامرائي..
(٤) في (ب) ظنونهم.
(٥) يحيى بن أكثم، أبو محمّد التميمي المروزي قاضٍ تولى منصب قاضي القضاة ببغداد، كان مقرباً من المأمون. توفي (٢٤٢هـ) العبر ١/ ٤٣٩.
(٦) ليست في (ب).
(٧) في (ب) أحضره.
(٨) في الأصل إلى أحد.

فاستدعى المأمون يحيى منكراً عليه ذلك، وسأله عن من أذاعه؟ فقال: أنا أذعته. قال: ولِمَ؟ قال: لأن الظنون المختلفة لم تتزاحم على شيء إلا أخرجته، فأردت أن أشغلها بما أظهرته عما كتمتَه.

ومن التورية قولُ رجل من بني العنبر كان أسيراً في بكر بن وائل، وأرادوا الغارة على قومه. فقال لهم: إأذنوا لي أن أرسل رسولاً إلى قومي لعلهم يفدونني[1]، وإنما أراد أن ينذرَهم بما أزمعَ[2] البكريون من الإغارة عليهم[3]، وحربهم. فقالوا: لا ترسل إلاّ بحضرتنا. فجاءوا بعبدٍ أسود. فقال: أتعقل ما أقول؟ قال: إنِّي لعاقل. قال: ما أراك عاقلاً. قال: نعم، إني لعاقل. قال: فما هذا؟ وأشار بيده إلى الليل. فقال[4]: أراك عاقلاً. ثم ملأ كفّه من الرمل، فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري، وإنّه لكثيرٌ. قال: أيما أكثرُ النجومُ أو النيرانُ؟ فقال: كل كثير. فقال: أبلغْ قومي التحيةَ، وقلْ لهم فلْيكرموا[5] فلاناً: يعني أسيراً عندهم، فإنَّ قومَه يكرمونني، وقل لهم: إن العَرْفَجَ قد أدبى، وقد شكت النساء وأأمرهم أن يعروا[6] ناقتي الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم[7] الحيْس، واسألوا الحارث عن خبري، فلما أدّى العبد الرسالةَ. قالوا: جُنَّ والله [الأعور][8]، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب. ثم سرحوا العبد، ودعوا الحارث، فقصُّوا عليه القصة. فقال: أنذركم الرجل.

---

(١) في (ب) فسألهم أن يأذنوا له في إرسال رسول إلى قومه، وزعم أنه يلتمس منهم فداءه.
(٢) في (ب) أزمعه.
(٣) في (ب) علهم.
(٤) في (ب) قال.
(٥) في (ب) ليكرموا.
(٦) في الأصل يعرفوا، والتصويب من (ب).
(٧) في الأصل معكم.
(٨) غير موجود في الأصل، وهي في (ب) فقط.

أما قولُه: أن العرفجَ قد أدبى[١]، فإنه يريدُ أنَّ القومَ قد لبسوا السلاحَ. وقوله: شكت النساء: أي اتخذوا الشكاء للسفر.

وقوله: ناقتي الحمراء: أي ارتحلوا عن الدهناء، واركبوا الصّمان، وهو الجمل الأصهب.

وقوله: بآية ما أكلت معهم الحَيْس: يريد: أنَّ القومَ أخلاطٌ من الناس، لأنَّ الحَيْسَ يجمَعُ التمر، والسمن، والأَقَطَ. فعرفوا فحوى كلامه، وامتثلوا ما قال. وقد نظم ذلك [بعضهم][٢] فقال:

حِلُّوا عن[٣] الناقةِ الحمراءِ أرحُلَها ... والبازلَ الأصهَب المعقولَ فاصطَنعوا
إن الذئابَ قد اخضرَّت براثِنُها ... والناسُ كلُّهم بكراً إذا شبعوا[٤]

يريد أن أعداءه قد أخصبوا، فاخضرَّتْ نعالُهم من المشيء في الكلأ، وأنَّ الناس[٥] كلَّهم إذا شبعوا بطروا وأشروا. وقد يسمى[٦] هذا المعنى اللحن. يقال: لحن الرجل فهو لحِن إذا [كان قادراً على][٧] قصد التورية[٨] قال الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[٩] أي: فحوى الكلام. وقال الشاعر[١٠]:

---

(١) في (ب) أدبى العرفج، والعرفج نبت سهلي، سريع الاتقاد وإذا قيل أدبى العرفج فمعناه: صلح أن يؤكل لسان العرب (دبا).
(٢) ساقط من (ب).
(٣) أصاب أول البيت خرم في (ب).
(٤) البيت الثاني بلا نسبة في لسان العرب مادة (بكر)، وانظر المعجم المفصّل ٦٣.
(٥) في (ب) وانهم.
(٦) في (ب) سمى.
(٧) في الأصل فقط.
(٨) في (ب) نافذا في القول.
(٩) من سورة محمّد الآية (٣٠).
(١٠) البيتان لمالك بن أسماء، والثاني منهما في لسان العرب مادة (لحن) ومعنى صائب: قاصد الصواب، وان لم يصب.

وحديـــــثٍ ألـــــذُّه هـــوَ ممـــا   تشْـتهيهِ النفـوسُ يـسوزن وَزْنـا
منطِـق صـائِب وتلحـنُ احيـانـاً   وأحلـى الحديـثِ مـا كـان لحنـا[1]

أي هي فصيحة عارفة بمناحي القول، فهي تورِّي عما تريد، وذلك من محاسن الكلام.

وشبيه باللحن التعريض ومنه. قول معاوية للأحنف بن قيس[2]: ما الشيء الملفف في البجاد[3]؟ فقال: السخينة، يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر[4]:

إذا ما مـاتَ ميْـتٌ مـن تميـمٍ   فسـرَّكَ أن يعيـشَ فجِـئْ بـزادِ
بخُـبزٍ أو بتَمـرٍ أو بسـمنٍ   أو الشـيءِ الملفَّـفِ في البِجـاد
تـراهُ يطَـوِّف الآفـاقَ حِرصـاً   ليـأكلَ رأسَ لقمـان بـنِ عـادِ

يعني بالشيء الملفف [في البجاد][5]: وطب اللّبن [ويهجو بهذا الشعر تميماً لحبهم الطعام وشرههم فيه. ويقصد البرجمي وهو من بني تميم لما أوقع[6] رجل منهم يوم أوارة، وهو اليوم الذي أوقع فيه [عمرو بن هند الذي يقال][7] مضرط الحجارة ببني

---

(١) البيت الثاني بلا نسبة في لسان العرب مادة بكر. وانظم المعجم المفصل (٢٦٣).

(٢) الأحنف بن قيس قيل اسمه ضحاك، وقيل صخر، وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج. وهو ابن معاوية بن حصين يضرب به المثل في الحلم والسؤدد. كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ. توفي سنة ٦٧هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦.

(٣)في (ب) تقول. ورد في لسان العرب مادة (سخن) أن معاوية أراد أن يمازح الأحنف بن قيس بهذه المحاورة، والملفف في البجاد: وطب اللبن يلف فيه ليحمى ويدرك، وكانت تميم تعيّر به. والسخينة: الحِساء يؤكل في الجدب، وكانت قريشاً تعيّر به، فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه، مازحه الأحنف بمثله.

(٤) الأبيات ليزيد بن عمرو الصعق، أو لأبي المهوس الأسدي كما ورد في لسان العرب (لفف) ولأبي المهوس في تاج العروس (لفف).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) في (ب) وقد كان.

(٧) خرم، في (ب) والزيادة من الاصل.

تميم، فقتل منهم [يوم اوارة][1] تسعةً وتسعين رجلاً، وألقاهم في النـار، لنـذر كـان عليه فيهم، وبقي من نذره واحد، فجاء رجل من بني تميم من البراجم وشـم رائحـة القتار، ورأى الدخان، فظنه طعاماً يصنع، وأنها مأدبة أو وليمة، فأقبل حتـى انتهـى إلى عمرو بن هند. فقال له عمرو: من أنت؟ فقال: رجـل مـن الـبراجم. فقـال: إن الشقي وافد البراجم. فأرسلها مثلاً، وألقاه في النار. [فقد بيّنَ الشـاعر مـا أراد مـن هجائهم بالشر، بقوله بعد البيتين المتقدمين:

تـراهُ يطـوِّفُ الآفـاقَ حرْصـاً ليـأكلَ رأسَ لقمـان بـنِ عـادِ][2]

وأراد الأحنف بقوله السخينة: ما تعير به قريش من أكلها الحسو وذلك من شأن أهل الحضر عند غلاء الأسعار ومن لا خير عنده[3]. وقد تقدم ذكر أول من سماها بذلك.

ومثل هذا من التعريض[4] قول أبي بكر بن عياش[5] -وكان أبرص- لرجلٍ من قريش يرمى[6] بشرب الخمر: زعموا أن نبيا قد بُعِث يحل الخمر، فقال القرشـي[7]: إذاً لا نؤمن به حتى يبرئ الأكمه، والأبرص. فأحسن جوابه.

ومثل ذلك قول رجل من فزارة لآخر من بني نمير يسـايره علـى بغلـة: أغضـض

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب). واوارة اسم ماء أو جبل لبني تميم قيل بناحية البحرين، وهـو الموضع الذي حرق فيه عمرو بن هند بني تميم. معجم البلدان مادة (اوارة).

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في (ب) تعير بأكلها السخينة، ولا يفعل ذلك إلا أهل الحضر ومن لا خير.

(٤) في (ب) ذلك.

(٥) أبوبكر بن عياش الإمام، الأسدي الكوفي الخياط، شيخ الكوفة في القراءة والحديث. كان مـن أجلّ أصحاب عاصم توفي سنة ١٩٣هـ. العبر ١: ٣١١.

(٦) طمست الكلمة في (ب).

(٧) في (ب) إذا.

من جماح ناقتك، فقال: إنها مكتوبة. أراد الفزاري قول جرير[1]:

فغضّ الطرْفَ إنَّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً[2]

وأراد النميري قول ابن دارة:

لا تأمننَّ فزارياً خلوتَ به على قلوصِك، واكتبْها بأسيار[3]

وقول الآخر من تميم لرجل من بني نمير: إن لنمير بازاً صيوداً. فقال: النميري: لا سيما للقطا، يا أخا تميم. أراد التميمي قول جرير [أيضاً][4]:

أنا البازي المُطِلُّ على نُميرٍ أُتِيحَ له من الجو انصبابا

وأراد النميري قول الآخر:

تميمٌ بطَرقِ اللّؤم أهدى من القطا ولو سلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضلَّتِ

ومن ذلك قول عبدالرحمن بن الحكم لمعاوية[5] -وقد دخل عليه مغضباً لعزل أخيه مروان عن المدينة- فأنشده:

---

(١) حدث تقديم لشاهد النميري على شاهد جرير في (ب).

(٢) من قصيدة طويلة تقع في (١١٤) بيتاً يهجو بها جرير الراعي النميري. ديوانه ٢/ ٨٢٥.

(٣) البيت في الأصل شطران من بيتين من الشعر. الثاني منهما:

وإن خلوت به في الأرض وحدكما فاحفظ قلوصك واكتبها باسيار

شرح الحماسة ١/ ٢٠٥، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٤٣.

(٤) زيادة من الأصل. والبيت في ديوانه ٢/ ٨١٩ وروايته:

أنا البازي المدلُّ على نُميرٍ أُتِحْتُ من السماء له انصبابا

وفي (ب) اتيح له من الحق.

(٥) عبدالرحمن بن الحكم كانت بينه وبين عبدالرحمن بن حسان مهاجاة، طلب يزيد بن معاوية بسببها من الأخطل أن يهجو الأنصار هجاءه المشهور انظر الشعر والشعراء ٣٠٢.

أتتـــك العِيـــسُ تنفَـــحُ في بُراهـــا   تَكَشَّـفُ عـــن مناكبِهـــا القطـــوعُ[1]
بـــأبيضَ مـــن أميَّـــةَ مضرجـــيٍّ[2]   كـــأنَّ جبينَـــه ســـيفٌ صنيـــعُ

فقال له معاوية: أزائراً جئت أم مكابراً، أم مفاخراً؟ فقال: أي ذلك شئت. فقال: لا أشاء من ذلك شيئاً. وأراد أن يقطعه عن كلامه.

فقال: على أي ظهر أتيتنا؟ فقال: [على فرس. قال: وما صفته؟][3] قال: أجش هزيم. يعرِّضُ بقول النجاشي في معاوية حيث اشتدت عليه الحرب بصفين، [ودعا بفرس ليركبه وينجو][4]:

ونجّى ابنَ حـــربٍ ســـابحٌ ذو غُلالـــةٍ   أجـــشُّ هزيـــمٌ والرمـــاح دوانـــي[5]
إذا قلـــتُ أطـــرافَ الرمـــاحِ يَنَلْنَـــهُ   مَرَتْـــه بـــه الســـاقان والقدمـــان

فغضب معاوية وقال: أما أنه لا يركبه صاحبه في الطلب إلى الريب، ولا هو ممن يتسور على جاراته، ولا يتوثب على كنائنه[6] بعد هجعة الناس. وكان عبدالرحمن يتهم [بذلك][7] في أمر جارية أخيه. فخجل عبدالرحمن، وخجل مَنْ عنده.

---

(١) في اللسان (مادة ضرح) نسب البيت للأعشى، ونسبه ابن بري لعبد الرحمن بن الحكم يمدح معاوية (كذا). ويقال لزياد الأعجم في مادة (صرح وصنع)، وله أو للأعشى أو لزياد الأعجم في لسان العرب والتاج مادة (قطع) وهو بلا نسبة في معجم مقاييس اللغة. والبيت غير موجود في ديوان الأعشى تحقيق محمّد حسين، ولا في شعر زياد الاعجم بتحقيقنا.
والبري جمع برة، وهي الحلة من فضة أو صفر تجعل في أنف الناقة أو البعير والعيس الإبل تضرب إلى الصفرة، وتنفح ترمح برجلها وقيل تضرب برجلها.

(٢) المضرجي في الأصل هو الفرس الجواد الشديد العدو، ويروى مضرحي.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) في الأصل غلالة اجثن، وحذفت أجشُّ من الشطر الثاني، والبيت الأول للنجاشي في ديوانه ١٠٧ وهو في لسان العرب، تاج العروس (نجش) وانظر المعجم المفصل ٨/ ٢٠٠، والهزيم من الخيل: الشديد القول.

(٦) في (ب) كنائنه.

(٧) ساقط من (ب).

وكما قال الحطيئة للفرزدق، وقد[1] دخل على سعيد بن العاص، وهو أمير على المدينة هارباً من زياد، وفي مجلس سعيد الحطيئةُ، وكعبُ بنُ جعيل التغلبي، فصاح الفرزدق بسعيد: أنا عائذٌ بالله ثم بك[2]، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، فأطرق سعيد ملياً، فلم يجب. فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً، ولا مالاً حراماً، فرفع رأسه فقال: إن كنت كذلك، فأنت آمن. فأنشده[3]:

إليك فَرَرْتُ منك ومن زيادِ ... ولم أحسَبْ دمي لكما حلالا
[ولكني هجوتُ وقد هجاني ... معاشرُ قد رضَخْتُ لهم سِجالا][4]

فإن يكنِ الهجاءُ أحلَّ قتلي ... فقد قلنا لشاعركم وقالا
أرقْتُ ولم أَنَمْ ليلاً طويلاً ... أُراقِبُ هل أرى النَّسرين[5] زالا

فأعطاني الذي يعنيه شاني ... مُخيلةَ نصحِه سراً وقالا[6]
عليك بني أمية من قريش ... بنوا لبيوتهم عَمَداً طِوالاً[7]

ترى الغُرَّ[8] الجحاجحَ من قريشٍ ... إذا ما الخَطْب بالحدثان هالا
قياماً ينظرون إلى سعيد ... كأنَّهم يَرون به هلالا

---

(١) في (ب) باذ.

(٢) في (ب) وبك.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب) لشاعرهم وفي الديوان: ولكني هجوت وقد هجتني.

(٥) الكلمة مطموسة في (ب).

(٦) البيت والذي يليه اختلف ترتيبه عن رواية الديوان. ورواية البيت في الديوان:

فقال لي الذي يعنيه شاني ... نصيحة قوله شرا وقالا

(٧) البيت في الأصل بيتان في الديوان وهما:

عليك بني أمية فاستجرْهم ... وخذْ منهم لما تخشى حبالاً
فإنَّ بني أمية من قريش ... بنوا لبيوتهم عمداً طوالاً

(٨) في الديوان: ترى الشم.. إذا ما الأمر في. والغر: جمع أغر، وهو الشريف. الجحاجح: جمع جحاجح وهو السيد الكريم، الحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر. هالا: صار مهولاً.

فلما أنشد[1] هذا البيت قال الحطيئة: هذا والله الشعر، لا ما كنا نعلّلُ به منذ اليوم. فقال[2] كعب بن جعيل[3]: فضِّله على نفسك، ولا تفضِّله على غيرك. قال: بلى، والله إنه ليفضلني، ويفضل غيري. يا غلام، أدركتَ مَنْ قبلَك، وسبقتَ من بعدَك. وإن طال عمُرك لتبرُزَنَّ. ثم عبث به الحطيئة فقال: يا غلام، أنجدتْ أمك؟ قال: بل أبي. أراد الحطيئة: إن كانت أمك انجدت فإنّي قد أصبتُها، فولدتك تشبهني. قال: لا، ولكن أبي، فأراد أنه أخوه [وإنَّ أباه قد أصاب أمه فانتصف منه][4].

وأمثال[5] ذلك في كلامهم كثير، لو استقصيته لاحتمل أن يكون كتاباً مفرداً. وقد عني بذلك قوم.

علم البديع

قوله: يُحكِمُ صناعةَ البديع، ويفرّقُ بين البليغ والتَّبيع، ويتحلّى بمحاسن الإشارة، ويعتمد على ملح الاستعارة.

[رجع][6] صناعة البديع هي الصناعة التي يتمكن بها الشاعرُ من إظهار رونقِ الشعرِ وتهذيبِهِ [وتمييز رائقه عن خبيثهِ][7] حتى يَلِجَ الأذن بغير[8] أذنَ، ويعلَقُ بالقلب من غير كَدٍّ، وكأنها أخصُّ باللفظ من المعنى، إذ كان الشعر -كما قيل فيما

(١) في (ب) فأنشد.

(٢) في (ب) قال.

(٣) كعب بن جعيل التغلبي شاعر تغلب في عصره، مخضرم كان شاعر معاوية وأهل الشام توفي نحو ٥٥هـ انظر أخباره في طبقات فحول الشعراء ٢٩٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٤٦١، ٥٧١ الشعر والشعراء ٣٠٢، ٤١١.

(٤) ساقط من (ب) والخبر مع تقديم وتأخير في بعض ألفاظه في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٢١-٣٢٢.

(٥) في (ب) ومثال.

(٦) ليست في (ب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) في (ب) في غير.

سلف[1]- يتم بأربعة أشياء وهي: اللفظ، والمعنى، والوزن والقافيـة، إلا أن القافيـة مشترطة في القصيدة.

فأما البيت فمبنيٌّ على الثلاثة الأوَل، وبها يكمل بناؤه، وتتم أجزاؤه، وهو شـبيه في ذلك بالإنسان، فاللفظ كالجسم. والـوزن كـتركيب الجسـم علـى الهيـأة الخاصـة بالإنسان. والمعنى كالروح الحاصل فيه. فعلى حسب قوة الجسـم وحسـنه، وجـودة تركيب أعضائه بعضِها في بعض، وظهور آثار الروح فيه يكـون مـن فضلـه وكمالـه وكذلك الشعرُ لا يسـتحق أن يكـون شـعراً حتـى يجتمـعَ فيـه لفـظٌ ومعنـى ووزنٌ وبحسْبِ قوة معناه، ونقاءِ[2] ألفاظه، وانتظامِ وزنهِ يكون علوقُـه بـالنفس، واتصافـه بالجودة. وكما أن الإنسان إذا كمُلتْ له صورةُ الإنسانية بالصفات الثلاث المذكـورة التي بها قوامه، فقد يزيد فيه معنى رابع به يشرُفُ على جنسه، ويعلو قدره وقيمتـه. وهي الفضائل العلمية والعملية، فكذلك الشعر قـد تلحقـه صفـات[3] بعـد كمـال أجزائه، وانتظامها تكسوه حُلَل البهاء والجمال، وتُلبسُـه حلـى العذوبـةِ والرشـاقة. وكما أنه في الناس مَنْ هو حسن الظاهر، عاطلُ الباطن، وحسَنُ الظـاهر والبـاطن، وقبيحُ الباطن حسَنُ الظاهر، وقبيـح البـاطن والظـاهر، فكذلـك في الشـعر مـا هـو كذلك. فمثالُ الحسَنُ الظاهر العاطلُ الباطنِ ما حسُنَ سبكُ ألفاظِـه، واتّسـقَ نظـامُ وزنِه ولم يكنْ تحت ذلك من المعنى طائلٌ كقول القائل:

ولما قضينـا مِـنْ مِنـيً كـلَّ حاجـةٍ ... ومَسَّـحَ بالأركـان مَـنْ هـو ماسِـحٌ
أخذنـا بـأطرافِ الأحـاديثِ بيننـا ... وسـالتْ بأعنـاقِ المطـيِّ الأبـاطح[4]

---

(١) في (ب) كما قيل.
(٢) في (ب) وبقا.
(٣) في الأصل صفاته. وصوبت في الهامش مع لفظ (صح).
(٤) البيتان مما تمثل بهما ابن قتيبة في الضرب الثاني من أضرب الشعر، وهو ما حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى. الشعر والشعراء ٨، وأثار رأي ابن قتيبة هذا خلافاً كبيراً. انظر الصناعتين (٥٩)، الخصائص ١/ ٢٢، أسرار البلاغة ١٨-٢٢، ومحاضرات في تاريخ النقد ٢٨ فما بعدها. وبعده: وهما منسوبان لكثير في ديوانه ٧٩، ولآخرين. ديوانه (طبعة الجزائر)، وهو لابن الطثرية في الكافي ١٧٤.

وشدَّت على حَدْب المهاري رحالُنا ... ولمن ينظرِ الغادي الذي هـو رائـح

ومثل[1] قول الآخر:

وليلتنا بالجمار والعِيسُ بالفَلا ... مُعَقَّلَةٌ أعضادُها[2] بالحقائبِ

سمعت كلاماً من ورا سَجفِ مَحْمِلٍ[3] ... كهاطلِ مُزْنٍ صائبٍ من سحائبِ

وقائلةٍ لاحَ الصباحُ منوَّراً ... عسى الركبُ أن يحظى بسيرِ الركائب

عسى نُدرك التعريفَ[4] والموقفَ الذي ... شُغِلنا به عن فقدِ ذكرِ الحبائب

وقول أبي حية النميري:

رمتْنِي وسترُ الله بيني وبينها ... عشيةَ آرام الكِناس رَميمُ[5]

رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بيتِها ... ضَمِنْتُ لكم أنْ لا يزالُ يهيمُ[6]

وأما ما قَبُحَ لفظاً وحَسُنَ معنى فكقول[7] ابن أذينة:

فاسقِ العدوَّ بكأسِه واعلم به ... بالغيبِ أنْ قد كان قبلُ سَقاكها

واجزِ الكرامةَ مَنْ يرى لو أنَّه ... يوماً بذلتَ كرامةً لجزاكها

فهذا معنى حسنٌ لا يُهجِّنُه إلا قلقُ الألفاظ، وسوءُ التركيب.

وأمَّا حسنُ اللفظ والمعنى فكقول الخنساء:

---

(١) في (ب) وقول.

(٢) الأعضاد: جمع عضد، وهي الركائب، والحقائب جمع حقيبة: وهي الرفادة تكون على عجز البعير.

(٣) السجف: يريد به ستر الحجلة في المحمل.

(٤) يريد بالتعريف الوقوف بعرفات.

(٥) البيت في ديوانه ١٧٢، وهو له في تاج العروس (كنس)، وبلا نسبة في لسان العرب في مادتي حجر وكنس. وانظر المعجم المفصل ٧/ ٢٥٩.

(٦) في (ب) بهيم.

(٧) في (ب) ما قبح لفظه وحسن معناه. وعروة بن أذينة، من بني ليث كان شريفاً شاعراً غزلاً وفقيهاً. توفي عام ١٣٠هـ. انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٣٦٧ فما بعدها.

وإنَّ صَخْـراً لتـأتَمُّ الهـداةُ بـهِ كأنَّـه عَلَـمٌ في رأسِـه نـارُ[1]

وكقول العرندس الكلابي[2]:

لا ينطقـونَ علـى العميـاء إنْ نطقُـوا ولا يُمـارون إنْ مـاروا بإكثـارِ
من تلْـقَ[3] منهـم تقـلْ لاقيـتُ سـيِّدَهم مثلَ النجـوم الـتي يسـري بهـا السـاري

وقول[4] النابغة الذبياني:

ألَـمْ تَـرَ أنَّ الله أعطـاكَ سُـورةً تـرى كـلَّ مُلْـكٍ دونَهـا يتذبـذَبُ
بـأنَّك شَـمْسٌ والملـوكُ كواكِـبٌ إذا طلعـتْ لم يَبْـدُ منهـن كوكـب[5]

وأما ما قبح لفظه ومعناه فأكثر من أنْ يُحْصر، [وأشهرُ من أن يذكر][6] فأول ما يجب على الشاعر اختيار المعنى، وانتحاله، ثم يتخَيَّرُ اللفظَ السهلَ الرائق له، وليس يكفي فيه أن لا يكون حوشياً غير مستعمل، ولا يكون رذلاً ساقطاً[7]، حتى يكـونَ متَّسقَ التركيب. غيرَ قلقِ البناء أو ماقد اعتُمِدَ فيه من التقديـم والتأخـير، ومـا غـيَّر ديباجته، وكدَّر صفوُه، فيكلّ الذهن فيه، وينبو السمعُ عنه كقول الفرزدق:

ومـا مِثلُـهُ في النـاسِ إلا مُملَّكـاً أبـو أمِّـه حـيٌّ أبـوه يُقارِبُـه[8]

---

(١) البيت في شرح ديوان الخنساء لأبي العباس ثعلب: ٢٣٠.
(٢) الكلابي وهو العرندس. والعرندس معناه الناقة القوية أو الأسد الشديد، وهو لقب لشاعر من شعراء الحماسة انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٥٥٣، وذكر له ابن منظور بيتاً يبدو أنه من ضمن القصيدة التي ورد منها بيتان في أعلاه. مادة (سور).
(٣) في (ب) يلق.
(٤) في (ب) وكقول.
(٥) البيتان في ديوانه (تحقيق عاشور) ٥٦، والبيت الثاني فُضّل به النابغة على سائر الشعراء انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢١.
(٦) ساقط من (ب).
(٧) تقدمت الجملة الثانية على الأولى في (ب).
(٨) البيت من الشواهد الشعرية الذي كثرت فيه أقوال اللغويين والنقاد انظر الموشح ١٥٢، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ومحاضرات في تاريخ النقد (٧٤).

ولا يجمع في ألفاظه حروفاً متنافرة[1] المخارج، أو متقاربة الصيغ، فيصعب على اللسان النطقُ به، ويشقُّ على السمع إدراكُها، ويتهجّن المعنى، ولو حسُنَ بها كقول الشاعر:

لم يَضُرْهـا والحمْـدُلله شـيءٌ ... وانثَنَتْ نحوَ عزفِ نفسٍ جَهولِ

فأنت تنظر إلى تنافر أجزاء القسم الأخير من هذا البيت، وتباين حروفه فيه كفايةٌ فإذا كمَّل الشاعر في شعره ما تقدم ذكره، وأراد[2] أن يزيدَ شعره بهاءاً ويكسبه رونقاً وجمالاً ضمَّنه من البديع ما يقرُبُ أخذه، ولا يعسُرُ تناولُه من غير استكراه، ولا تعسّف لئلا يضيع الأصل بالتماسِ الفرْعِ، ويقع من طلب الزيادة في النقص، ولله در القائل:

وقافيةٍ باتَتْ تتابعُ ربَّها ... فنازعْتُها شيئاً فألفَتْ إلى الصلح

ما أحسن ما أبان عن مطاوعة القوافي له، وتمكنه منها بقوله: (فألفت يد الصلح)، ولم يقل فاقتدرتُ عليها، وبلغتُ ما أردتُه منها، خوفاً [من][3] أن يظُنَّ به استكراهُ الألفاظ، ومغالبةُ القوافي، وكأنه نظر إلى أبي تمام:

تغايَرَ الشّعرُ فيه إذ سَهِرْتُ له ... حتى ظَنَنْتُ قوافيه ستَقْتَتِلِ[4]

على أن أبا تمام في هذا المعنى صاحب دعوى؛ لأنه أول من لزم طريقة البديع في شعره من المولدين[5]، واتخذها له أسلوباً لا يقلع عنه[6]، ولا ينام دونه، وعَرفَ

(١) في الأصل متنافية .. متباينة واثبتنا ما في (ب).

(٢) في (ب) ثم أراد.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) البيت في ديوانه ٢/ ٧ من قصيدة يمتدح بها المعتصم، وفي الأصل ستقتل، ولا يستقيم بها الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل، وفي (ب) الموازين، والسياق يقتضي ما اثبتناه.

(٦) في الأصل دونه.

بالتصنع فيه، وإن كان قد تقدمه في ذلك مسلم بن الوليد[1]، وبشار والعتّابي[2]، والنمري[3]، وغيرهم. فلم يتحقق به أحد [منهم][4] كتحققه؛ وذلك أنه لا يُخلي قصيدةً له من أبيات قد ضمَّنها فيه ما يظهر عليه أثُر التصنُّع والتنقيح، كقوله:

وأحسَنُ من نَوْرٍ يُفَتِّحُه النَّدى بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ

وقوله في هذه القصيدة:

إذا ألْجَمْت يوماً لُجَيمٌ وحولها بنو الحِصْن نجلُ المحصنات النجائب

جحافل لا يتركن ذا جَبَريّةٍ سليماً ولا يحربن غيرَ المحارب[5]

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصِمٍ تطولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وليس الأمر في البديع كما يظنه المحدثون من أنهم تفردوا[6] به، وفازوا بحظّه دونَ مَن سواهم من المتقدمين، بل كان أولئك بيستعملونه طبعاً لا تطبعاً، كحالهم في النحو، والعروض، وغيرهِما من علوم اللسان، فإنَّ المتقدمين كانوا يستغنون بطباعهم في ذلك عن تعلّمه، بل لم يكنْ شيءٌ من ذلك معروفاً باسم يخصُّه، ولا صفةٍ تميّزُه.

وأنواع البديع -وإن أكثَر المؤلفون في عُدَّتها، واختلفوا في ألقابها- قريبٌ من خمسةَ عشرَ نوعاً، وأكثرها في الشعر استعمالاً، بل الذي لا يوجد أكثر الشعر خالياً

---

(١) مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل من أهل الكوفة. سكن بغداد، توفي سنة (٢٠٨هـ) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٢٨ فما بعدها.

(٢) العتابي هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، كاتب حسن الترسل، شاعر مجيد، من أهل الشام، سكن بغداد، وتوفي عام (٢٢٠هـ) نشر شعره د.ناصر حلاوي في مجلة كلية الآداب جامعة البصرة وانظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٤٩ وما بعدها.

(٣) النمري، هو منصور بن الزبرقان بن سلمة، شاعر عباسي من أهل الجزيرة الفراتية كان مقدّماً عند الخليفة الرشيد. انظر الشعر والشعراء ٥٤٦، ٥٤٧ (طبعة برلين).

(٤) زيادة من الأصل.

(٥) يريد بالجبرية الكبر، وفي (ب) ولا يجرين، وفي الديوان ولا يحربن من لم يحارب.

(٦) في (ب) انفردوا.

منه الاستعارة: وهي نقل اسم عن معنى آخر قد رُتِّب له معنى آخر على أن يكونَ بين المعنيين تشابهٌ كقول ذي الرمة:

أقامَتْ بـه حتى ذوى العُـوُد في الـثَّرى   وسـاقَ الثريّـا في ملاءَتِــه[1] الفجــرُ[2]

فاستعملَ للفجر ملاءةً، لانتشاره وبياضِهِ، ولكونه يشمَلُ الثريا، واسُمها مؤنَّـثٌ فحسُنت هذه الاستعارة، وعذُبتْ، ومتى أخلَّ الشاعرُ بالشرطِ المذكورِ من التشابه كانت الاستعارة إلى تهجين الشعر أقرب منها إلى تزيينه. كما قال أبو تمام[3]:

لا تسـقِني مـاءَ المـلامِ فـإنَّني   صَـبٌّ قـدْ استعذَبتُ مـاءَ بكـائي

قال أبو عمرو بن العلاء: كانت يدي في يد الفرزدق، وأنا أسايرُه، فأنشدت:

أقامتْ بـه حتى ذوى العـود في الـثَّرى   وسـاقَ الثُريّـا في ملاءَتِـه الفجـر

فقال: أُرشِدك ام أدعُك؟ قلت: بل، أرشدْني، فقال: إنَّ العودَ لا يذوي ما دام في الثرى. والصواب حتى ذوى العود والثرى.

وفي معنى الاستعارة من أنواع البديع الإشارة، وهو أن يريدَ الشاعرُ معنىً فيذكرَ معنى آخر يستدل به عليه[4]، كقول ذي الرمة يشير إلى طول العنق:

والقُـرْطُ في حُـرَّةِ الذِّفـرى معلَّقَـةٌ   تبـاعَدَ الحبـلُ عنـه فهـو يضطـرب[5]

ومنها المطابقة: وهو أن يقابل بين شيئين متضادين مثل قـول عبدالله بـن الزبـير الأسدي[6]:

---

(١) في (ب) ملاته.

(٢) البيت في ديوانه ١٠٢ من قصيدة يهجو بها بني امرئ القيس بن زيد بن مناة مطلعها:

إلا يا أسلمي يا دار ميّ على البلـى   ولا زال منهـلاً بجرعـائك القطـر

(٣) من قصيدة مطلعها:

قـدك اتئـب اربيـت في الغَلْـواء   كـم تعذلـون وأنتـم غربـائي

(٤) عرف التبريزي الإشارة في الكافي ١٧٧ بأنها اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة.

(٥) في ديوانه (١٢) ورواية الشطر الثاني فيه: تباعد الحبل منه فهو يضطرب.

(٦) عبدالله بن الزبير الأسدي من شعراء الدولة الأموية، كوفي المنشأ والمنزل توفي نحو (٧٥هـ) الأغاني (١٤/٢٠٨-٢٢٤) ط.التقدم).

رمـــى الحدثـــان نســـوةَ آل حَـــرْب   بمقـــدار سَـــمَدْنَ لـــه سُـــمُوداً
فـــردَّ شـــعورَهَنَّ السُّـــودَ بِيضـــاً   وردَّ وجوهَهُـــنَّ البيـــضَ سُـــوداً[1]

ومنها المجانسة، وهي أن يتفق اللفظ، ويختلف معناهما[2] كقول جرير:

ومـا زالَ معقـولاً عِقـالٌ عـن النَّـدى   ومـا زال محبوسـاً عـن الخـيرِ حـابِسُ[3]

ومنها التقسيم وهو أن يأتي [الشاعر][4] بمعنى ثم يذكُر أقسامَه، فيستوفيها كلَّهـا كقول بشار:

بضَـربٍ يـذوقُ المـوتَ مـن ذاقَ طعمَـهُ   ويُـدركُ مَـنْ نَجّـى الفـرارَ معايبُـه
فـراحَ فريـقٌ في الأسـارِ ومثلُـهُ   قتيـلٌ ومثـلٌ لاذَ[5] بـالبحرِ هاربُـه

ومنها التتميم وهو أن يكمل معنى البيت قبل أن يستوفي من لفظه ما يقوم به الوزن، فيؤتى بلفظ يزيد المعنى حسناً، وتماماً، مثل قول أبي الطيب:

صلّـى عليـك الله غـيرَ مـودَّعٍ   وسقى ثَرى أبوَيْك صوبُ غَمـامِ[6]

فقوله [غير مودع تتميم للمعنى، وزيادة حسنة][7].

وشبيه به الالتفات[8] كقول جرير:

أتنـس إذْ تودِّعُنـا سُـلَيْمى   بفَـرعِ بشـامةٍ سُـقيَ البَشـامِ[9]

---

(١) البيتان في الصناعتين ٣١٢، وعيار الشعر، ولسان العرب مادة (سمد) السمود: الحزن.
(٢) في (ب) وذلك.. المعنى.
(٣) البيت غير موجود في ديوانه تحقيق نعمان محمّد امين طه.
(٤) ساقط في (ب).
(٥) في الأصل في البحر، والبيتان في ديوانه ١/ ٢٧٣-٢٧٥.
(٦) في ديوانه شرح البرقوقي ٤/ ١٦٥، وروايته للشطر الأول فيه: صلى الإله عليك غير مودع.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) الالتفات: عرفه التبريزي ١٨٥ بأن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتمَّ الأول، فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول، وزيادة في حسنه.
(٩) من قصدية في ديوانه ٢/ ٢٧٩، وروايته نسخة (ب) إذ تودعها، وفي الأصل: وتنس. والبَشامُ: شجرٌ طيبُ الريح يُستاك به.

بينا هو مقبل على المعنى الذي أراده حتى التفت إلى البشام، فاستسقى له. وإذا كان ذاك الحشو في القافية سمُّوه تبليغاً [وربما سمّاه قومٌ غيرَ هذا الاسم][1]، وأسماءَ أُخَرَ، كقول امرؤ القيس[2]:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائِنا وأَرْحُلِنا الجزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

وربما سموا هذا إيغالاً[3].

ومن أنواعه[4] التتبيع، وهو أن يريد الشاعر معنى فيذكر ما يتبعه كقول امرئ القيس:

ويُضحي فَتِيتُ المِسكِ فوقَ فراشِها نؤومُ الضُّحى لم تنتطقْ عَنْ تَفضُّلِ

فدلَّ بذلك على كسلها، ورفاهيتها[5]، وسَرْوِها، وإنْ لم يذكر شيئاً، [وإنها ممن تخدم، ولا تخدم][6].

ومن أنواع البديع التصدير وهو أن يذكر كلمةً في صدر البيت ثم يأتي بها أخرى. وهذا إذا كان في شعر سَهُل[7] على سامعه معرفة قافيته عند سماع صدره [وقيل استتمامه][8] كقول جرير:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) من قصيدة في ديوانه (٨٣).

(٣) في (ب) وقد يسمونه إيغالاً. والإيغال: أن يوغل بالقافية في الوصف، ويؤكد التشبيه بها، والمعنى قد يستقل دونها، وإنما يأتي بها لحاجة الشعر من أن يكون شعراً فيزيد معناها في تجويد ما ذكره. الكافي: ١٧٩، وذكر له التبريزي شاهد امرئ القيس المذكور.

(٤) في (ب) ومن أنواع البديع.

(٥) السّرو: المروؤة والشرف، وتطلق على العزة، الكرم.

(٦) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٧) أصاب الكلمة خرم في (ب).

(٨) زيادة من (ب).

سقى الرَّمْلَ جونٌ مُسْتَهِلٌّ ربابُهُ   وما ذاكَ إلا حبُّ مَنْ حلَّ بالرمل[1]

ومن أنواع البديع الاستثناء[2] وهو كقول[3] النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم   بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

ومن أنواعه الاستطراد[4] وهو الخروج من معنى يكون الشاعر مستمراً في ابتداء قصيدته عليه إلى معنى آخر كقول البحتري يصف فرساً[5]:

كالهيكلِ المبنِيّ إلا أنَّه   في الحسن جاءَ كصورةٍ في هَيْكَلِ
ما إنْ يعافُ قذىً ولو أوردَتَه   يوماً خلائقَ حمدويهِ الأحولِ[6]

[وإنما أخذ ذلك من أبي تمام في قوله[7]:

وسابحٍ هَطِلِ التّعداءِ هَتّانِ   على الجِراء[8] أمينٍ غيرِ خَوّانِ

فلو تَراهُ مشيحاً والحصى زِيَمٌ[9]   تحت السنابك من مَثنى ووِحدانِ
أيقنتَ إنْ لم تثبّتْ أنَّ حافِرَه[10]   من صخرِ تدمُرَ أو مِنْ وجهِ عثمانِ

---

(١) البيت في ديوانه (٢/ ٩٤٨) من قصيدة يجيب بها البعيث، ويهجو الفرزدق، والجون: الأسود من السحاب.
(٢) ويسمى أيضاً المدح بما يشبه الذم.
(٣) في (ب) كقول.
(٤) انظر الكافي ١٨٨، وقد ذكر التبريزي شاهداً له بيت البحتري أيضاً.
(٥) البيتان في ديوانه من قصيدته المشهورة:
أهلاً بذلكم الخيال المقبل   فعل الذي يهواه أو لم يفعل
(٦) حمدويه هذا من الذين هجاهم أبوتمام، أيضاً في القافية نفسها. أنظر هامش ١٨ ديوان البحتري. والقذى ما يقع في الشراب من تبن، وعود.
(٧) من قطعة تقع في أربعة أبيات. ديوانه ٢/ ٣٧٣، والقطعة غير موجودة في ديوانه شرح التبريزي.
(٨) في (ب) الجرا.
(٩) رواية الشطر الأول: فلو تراه مشيحاً والحصا فلق، والزيم: المتفرق.
(١٠) روايته في (ب) إن لم تبت، وروايته في الديوان: حلفت أن لم تثبت، والسابح: الفرس، الهطل: السريع الجري، وهتان: صفة للمطر استعيرت للفرس هنا.

ويقال: أن أول من سلك ذلك في الجاهلية السموأل بن عادياء[1] في قوله:

وإنّـا لَقَـومٌ لا نـرى القتـلَ سُـبَّةً ... إذا مـا رأتْـهُ عـامرٌ وسَـلولُ
يُقـرِّبُ حـبُّ المـوتِ آجالَنـا لنـا ... وتكرهُـهُ آجـالُهُم فتطـول

ومن أحسن ما يعد في ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي أولها:

عفا ذو حَساً من فرتنا فالمرابع[2]

إلى أن قال:

وقـد حـالَ هَـمٌّ دونَ ذلـك بـالِغٌ ... مكـانَ الشِـغافِ تبتغيـه الأصـابع

وخرج إلى المدح والاعتذار. وهذا معنى كَثَّرَ فيه المحدثون، وكادوا يغلبـون عليـه، وكثرته في أشعارهم تمنع من استقصاء القول فيه][3].

ومن أنواع البديع الشبيه، وأحسنه ما جمع المشبه والمشبه به عدة معانٍ، وأشبهه في عدة أحوال، كقول بشار:

كـأنَّ مثـارَ النَقْـعِ فـوقَ رؤوسِـنا ... وأسـيافَنا ليـلٌ تهـاوى كواكبُـه[4]

وكقول امرئ القيس:

كـأنَّ قلـوبَ الطـيرِ رَطْبـاً ويابِسـاً ... لدى وكرِهاً العنـابُ والحَشَـفُ البـالي[5]

---

(١) هو السموأل بن غريض بن عادياء، شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر انظر أخباره في الشعر والشعراء ٤٥، ٤٦، ٤٧، ١٣٩، ١٤٠، ٣٨٨.

(٢) الشطر الثاني منه: فجنبا أريك فالتلاع الدوافِعُ وعفا: درس، ذو حسا، وفرتنا وأريـك أسماء مواضع. والبيت مطلع قصيدة في ديوانه (تحقيق عاشور): ٣٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل وهو زيادة من نسخة (ب).

(٤) من قصيدته البائية، التي مرّ ذكرها ديوانه ٢/ ٢٧٣.

(٥) البيت في ديوانه ٦٨، والحشف: البالي من التمر ورديئه، أي كأن قلوب الطير رطبة العناب، وكأنها يابسة الحشف البالي.

وفي هذا البيت نوعان من البديع، وهو حُسْنُ التشبيه والتبليغ. أما حُسنُ التشبيهِ فإنَّه شبَّه القلوبَ في حالتين بشيئين. وأما التبليغُ فهو قولُه البالي. وذلك حين كَمَّل المعنى، واحتاج إلى إقامة وزن البيت، فجاء بما زاد المعنى حسناً.

ومن أنواع البديع الاغراق وهو الغلو في المعنى [المقصود](1) إلى الغاية البعيدة من الإمكان كقول مهلهل(2):

فلولا الريح أُسمِعَ من بحجر ... صليلُ البيضِ تُقْرَعُ بالذُّكور(3)

ومن أنواع البديع المثلُ السائر، وهو كثير. ومن أحسنهِ قولُ الحطيئة، ولجمعه مَثَلَيْن في بيت واحد مع إصابة المعنى، وسلامة اللفظ:

مَنْ يفعل الخيرَ لا يعدِمْ جوازيَه ... لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ(4)

ومن أنواع البديع(5) التفسير وهو أن يبتدأ الشاعر معنى، ثم يفسره بما يشتمل عليه ذلك المعنى، كقول عروة بن الورد:

[وذو أَمَلٍ يرجو تراثي وإنَّ ما ... يَصيرُ له منه غداً لقليل](7)
ومالِيَ مالٌ غير درعٍ ومغفرٌ ... وابيضُ من ماءِ الحديدِ صقيلُ
وأسمر خطِيّ الكُعوبِ(6) مثقَّفٌ ... وأجردُ عريانِ السَّراة طويل(8)

(1) ساقط من (ب).
(2) هو مهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس طبقات فحول الشعراء (١/ ٤١).
(3) البيت في الموشح ٩٢ (تحقيق محمد حسين شمس الدين) وحُجْر مدينة باليمامة. والذكور: أجود السيوف.
(4) البيت للحطيئة في ديوانه ٢٨٣.
(5) في (ب) ومن أنواعه.
(6) في (ب) القناة.
(7) زيادة من (ب).
(8) الأبيات غير موجودة في ديوانه.

ومن أنواع البديع التشكك كقول أبي يزيد[1] الوضّاح بن محمّدٍ التميمي يمدح المستعين[2]:

وقائلةٍ والليلُ قد نَشَرَ الدُّجى ... فغطّى بهِ ما بينَ سَهْلٍ وقَرْدَدِ[3]
فظَلَّ عذارى الحيّ ينظمِنَ حولَه ... ظفاريةَ الجِزْعِ الذي لم يُسَرَّدِ
أضاءتْ له الآفاقُ حتى كأنَّنا ... رأيْنا بنصفِ الليلِ نور ضحى الغدِ
فقلتُ هو البدرُ الذي تعرفينَه ... وإلاّ يكنْ فالنورُ من وجهِ أحمدِ
أرى بارقاً يبدو من الجَوْسَقِ الذي ... به حلَّ ميراثُ النبي محمّدِ[4]

ومنه الأطّراد وهو أن تطرد الأسماء في نسب أو ما يشابهه في بيت أو أبيات من غير تكلف، وذلك كقول دريد بن الصِّمة الجُشْمي:

قتلنا بعبدالله خير لِداتِه ... ذوابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ[5]

ومن أنواع البديع التضمين، وهو أن يسوق الشاعر المعنى في شعره إلى بيت أو قسم قد سبق إليه غيره، فيأتي به على لفظه فيكون واقعاً موقعه، وأجود من ذلك أن يصرفَ المعنى الذي قصدَه الشاعرُ إلى معنى غيرِه قصدَه هو في شعره، فيحسن موقعُه، كقول بعض المحدثين، [والبيت المضمن للنابغة الذبياني في صفة الثّغر][6]:

---

(١) في (ب) يزيل، والتشكك والتشكيك من ملح الشعر وطرف الكلام، وله في النفس حلاوة، وحسن موقع، وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما. معجم المصطلحات البلاغية ٢٢٥.

(٢) هو أحمد بن محمد بن المعتصم من خلفاء الدولة العباسية. توفي سنة ٢٥٢هـ. انظر أخباره في تاريخ الطبري ١١/ ٨٢.

(٣) في (ب) تردد، وصوابها قردد وهو: ما ارتفع من الأرض، وقيل ما غلظ منها.

(٤) البيت أضافه من هامش نسخة (ب). وشرح الجوسق بأنه القصر.
ومن اللسان: الجوسق: الحصن، وقيل القصر شبّه بالحصن.

(٥) من قصيدة في ديوان دريد ٢٧، واللّدة: التربُ الذي ولد معك وذؤاب هذا من غطفان، وقد قتله دريد في يوم: الضلعاء بثأر أخيه.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

يا سائلي عن جعفرٍ عَهْدي به   رطبُ العِجانِ وكفُّه كالجَلْمدِ
كالأُقحوانِ غداةَ غِبٍّ سمائِه   جَفَّتْ أعاليه وأسفَلُه ندِي[1]

ومن حُسنِه قولُ ابن الرومي[2]:

وسائلةٍ عن الحَسَنِ بن وَهْبٍ   وعمّا فيه من كَرَمٍ وخَيْرِ
فقلتُ: هو المهذَّب غيرَ أنّي   أراه كثيرَ إرخاءِ السَّتورِ
وأكثر ما يُغنّيه فتاه   حسينٌ حين يخلو بالسّرور[4]
فلولا[3] الريحُ أسمع من بِحجرٍ   صليلُ البيض تُقْرَعُ بالذكور

البيت المضمَّنُ لمهلهل في صفة حربٍ [فنقله نقلاً حسناً][5]. وهذا ما أردت إيراده في هذا الباب، وإطلاق عنان القول في هذا يخرج عن غرض هذا الكتاب.

وقد أفرد له قدامة[6] وغيره كتبا. وأول من ألف فيه عبدالله بن المعتز[7]. وإنما ذكرت ها هنا ما هو شرط هذا الكتاب. رجع ما انقطع[8].

علم العروض والقافية

قوله: ثم يعلم من صناعتي العروض والقوافي ما يميِّزُ به بين المؤتلف

---

(١) البيت في ديوانه ٩٧ تحقيق محمد الطاهر عاشور.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ١٧١.
(٣) روايته في الديوان لولا الريح.. وبغير الفاء لا يستقيم الوزن.
(٤) روايته في الديوان «حسين حين يخلو بالسرير» وهي الأرجح.
(٥) ساقط من (ب).
(٦) يعني به قدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٦هـ) في كتابه نقد الشعر، وقد طبع في القاهرة ١٩٤٩ وبتحقيق المستشرق س.أ. بويناكر، ليدن ١٩٥٦ وبتحقيق كمال مصطفى ١٩٦٣.
(٧) في كتابه البديع، الذي طبعه المستشرق أ.كراتشكوفسكي. ليدن (١٩٣٥)، وبتحقيق محمّد عبدالمنعم خفاجي في كتابه ابن المعتز وتراثه الأدبي.
(٨) في (ب) هذا الشرح.

والمتنايِفُ، ويعلمُ الوقصَ والعَقْلَ، ويُحكمُ الخَبْلَ، والشَّكْلَ لم يكن بالشاعر المُجيد، ولم يأمنْ أنْ يحلَّ به ما حلَّ بمرقش وعبيد.

والعروض صناعة لفظية تشتمل على معرفةِ أوزانِ أشعارِ العرب، وتمييزِ الملائم للطباع من الأشعار من غيرِ الملائم، وإحصاءِ الأوزانِ [المستعملة][1] في لسان العرب، وتبيينِ العِلَل المغيِّرة للأوزان التي تسمى زحافاً، وما منها جائز مستعمل، وما منها غير جائز، ولا مستعمل.

وأول من عني بتأليف هذه الصناعة الخليل بن أحمد، ثم تبعه الناس بعد ذلك، وإنما سمي العَروض بهذا الاسم، لأنه شُبِّه البيتُ في الشعر بالبيت من الشَعَر، فاخترع[2] للصناعة وأجزائها اسمَ البيت من الشَعَر وأجزائه كالوَتَدِ والفاصِلة، والسَّببِ، والعَروض، والضربِ. فالفاصلة هي الحجابُ الذي يفصل بين جزأي البيت. والسّبب هو الطُنُب الذي يُشَدُّ به البيتُ. والوَتَدُ معروف. والعَروض هي العصا المعترضةِ في البيت، وبها قوامه، ولذلك أجازوا الزِّحاف في أجزاء البيت جميعِه بالزيادة والنقص[3] في الأسباب، لأن السبب وهو الحبل ربّما طال أو قَصُرَ[4]. ولم يجيزوا في الوَتَدِ إلا القَطْعَ فقط، لأن الوتد يُقَصَّر، ولا يزاد فيه.

ولم يُكْمِلْ هذه الصناعةَ ويهذّبْها كأبي نَصْر إسماعيل بن حمّادَ الجوهري[5] فإنه تعقَّب ما ألفه الخليل فيها، فأحسن التعقُّبَ والإصلاحَ، واطرَّحَ الفُضول، وهذَّبَ الصناعَة أحسَن تهذيبٍ. فمن ذلك أن الخليل ذكر أن الأجزاء[6] التي تتكرر في كل الشعر ثمانية، وهي: فَعُولُنْ، فاعِلُنْ، مفاعِيلُنْ، فاعلاتُنْ، مفاعَلَتُنْ، مُسْتَفْعِلن،

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) واخترع.

(٣) تقدمت الجملة الثانية على الأولى في (ب).

(٤) في (ب) وقصر.

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، لغوي من الأئمة المشهورين، وصاحب معجم الصحاح المعروف. توفي سنة ٣٩٣هـ. انظر ترجمته مفصلة في مقدمة الصحاح التي كتبها المحقق العطّار.

(٦) في (ب) الأوزان.

مُتَفاعِلُن، مَفْعولات. فحذف[1] الجوهري مفعولات، وذلك أنه ليس في هذه الأقسام إلاّ إذا كُرِّرَ على حِياله وحدَهُ يُركَّبُ منه بيتٌ إلا مفعولات. وزعم أنه لو كان جزءً صحيحاً لتركَّبَ منه على حياله[2] بيت بحر كما تركَّبَ من السبعةِ الباقيةِ فليس منها.

وذكر الخليلُ أنَّ أنواعَ شعرِ العرب التي تُسمّى البِحار خمسةَ عشرَ نوعاً وهي: الطويل، والبسيط، والمديد، والوافر، والكامل، والهزج، والرَجَز، والرَّمَل، والسَّريع، والمُنْسرح، والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتثّ، والمتقارب، واطَّرح من جملتها المنسرحَ والمقتضب والمجتث والسريع. وبقيت عدةُ البحورِ بعد زيادةِ بحرٍ سمَّاه المتدارك اثني عشر بحراً[3]، فسبعةٌ منها مفرداتٌ، كلٌّ واحدٍ منها مبنيٌّ على مثال من السبعة الأمثلة على حِيالهِ. وخمسةٌ يتركب[4] كلٌّ واحدٍ منها من اثنين من الأمثلة.

أمّا السبعةُ المفرَدَة[5] فهي: المتقاربُ، وهو مبني على فعولن ثماني مرات. ثم الهزج: وهو مبني على مفاعيلن أربع مرات. ثم الرمل وهو مبني على فاعلاتُنْ ست مرات.

ثم الرجز وهو مبني على مستفعلُنْ ستَ مرات. ثم المتدارك وهو مبني على فاعِلُنْ ثماني مرات. ثم الوافر وهو مبني على مفاعَلَتُن ستٌّ مرات. ثم الكامل وهو مبني على مُتفاعِلنُ ست مرات.

والخمسة المركبة: الطَّويلُ وهو مركب من جزء من المتَقارِب، وجزءٍ من الهزج ثماني مرات. والمضارع وهو مركب من أربعة أجزاء جزء من الهزج [وجزء][6] من الرمل. [وجزء من الهزج، وجزء من الرمل][7] أربعة أجزاء والخفيف وهو مركب من [ستة أجزاء جزٌ من] الرمل، و[جزء من الرجز][8] ستة أجزاء فاعلاتن

---

(١) في (ب) فاسقط.

(٢) في (ب) حيالية، وحياله: مقابلته.

(٣) في (ب) تقديم وتأخير في الجملة.

(٤) في (ب) مركب.

(٥) في (ب) المفردات.

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) زيادة في (ب).

(٨) تغيير طفيف في (ب) فيه تقديم وتأخير.

مستفعلن، والبسيط وهو مركب من المتدارك، والرجز [على] ثمانية أجزاء مستفعلن فاعلن. والمديد وهو مركب من المتدارك والرمل على ستة أجزاء فاعلاتن فاعلن. ثم أطَّرح أيضاً الكلام في الأعاريض والضروب.

والعروض هو الجزء الآخر من أجزاء نصف البيت الأول. والضرب هو الجزء الأخير من البيت بأسره. وأطّرح الاستشهاد على ذلك[1] فأراحَ النّاظرَ في هذه الصناعة من تَعبٍ عظيم[2] لا فائدة فيه، إذ كان لابد له من النظر في الزِّحاف والزِّحاف تغيّرُ بعضُ أجزاءِ البيتِ إمَّا بحذفِ [حرفٍ][3] أو إسكانِ متحرّكٍ، أو ما يجري مجرى ذلك.

وعلل الضروبِ والأعاريضِ التي أوجبتْ انقسامُها إلى العدةِ التي ذكرها الخليلُ وهي: أربعةٌ وثلاثون عروضاً، وستةٌ وثلاثون ضرباً. وهي أيضاً حذفٌ وإسكانٌ فسمى ذلك كلَّه زحافاً، كما أنَّه إذا وقع في أجزاء الحشو سُمي بهذا الاسم[4] وجعل الكلام عاماً لها.

وأما حجته في إسقاط البحور الأربعة المذكورة فهي[5] أنه وجدها تتفرَّعُ من بعضِ البحور الاثني عشرَ إذا دخلها زحافٌ، فالسريع من البسيط، والمنسرح من الرجز، والمقتضب من المنسرح، والمجتثُّ من الخفيف. فإذا تأمل الحاذق ما وصفه الخليل من هذه الصناعة، ومَنْ تبع[6] أثره [وما اعتمده الجوهري][7] وتأمَّل ما وضعه هذا الرجل عَلِم موضعَ المنفعةِ ونفاذَ بصيرته.

---

(١) في (ب) علها.
(٢) في (ب) طويل.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب) زحافاً.
(٥) في (ب) فهو.
(٦) ساقطة من (ب).
(٧) زيادة من (ب).

وبالجملة فالعروض ميزان الشعر يعرف به ما تقبله الطباعُ، وما لا تقبله وهو المزحوف. وأكثر الناس مستغن عنه[1] بالذوق والطبع. وأما مَنْ لم يبلغْ بطبعِه إلى معرفةِ الموزونِ من غيرِ الموزون فربَّما احتاج إليه غيرَ أنَّه إنْ رام أن يصنع شعراً بالاعتمادِ على معرفة العَروضِ دون الطبع جاء ما يصنعه متكلَّفاً غَثّاً كما قال أبو فراس[2]:

تكلف المكرمات كَدّاً تَكَلُّفَ الشّعرِ بالعروض[3]

وقال الجاحظ: العروضُ علمٌ مولَّدٌ، وأدَبٌ مستبرَدٌ، ومذهبٌ مرذول[4]، وكلامُ مجهول، يَكدُّ العقول بمستفعلن وفعول، من غير فائدة ولا محصول. وشهادة الجاحظ على العروض غير جائزة لتناقضها، إذ هو القائل في مدحه: العروض ميزانُ الشعرِ ومعيارُه، به يعرف الصحيح من السقيم، والعليل من السليم، وعليه مدار القريض و[قطبه الذي عليه مداره][5]، والشعر يَسْلَمُ فيه من الأَوَدِ والكَسْرِ، وكثيرٌ من الشعراء، يكونُ له نَفاذٌ في توليدِ المعاني، وفصاحةِ اللفظ، وتقصُر أذهانُهم عن معرفة الوزن، فيأتون بأشعار هي بأن تسمّى نثراً أولى منها بأن تسمى[6] شعراً.

ومن أولئك عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر الأسدي[7] فإنه لم يقل الشعر

---

(١) هناك تقديم وتأخير في كلمات الجملة الأخيرة في (ب).

(٢) أبو فراس الحمداني هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أمير شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني، قتل سنة (٣٥٧هـ) يتيمة الدهر ١/ ٤٨-٧٥.

(٣) كتب البيت نثراً في (ب) والمكرمات كل. وهو تحريف. والبيت في ديوانه ص ١٧٨ مع بيت آخر هو:

تناهض القوم للمعالي لما رأوا نحوها نهوض

(٤) في (ب) مرفوض.

(٥) ما بين القوسين من (ب) مع إضافة صح عليها.

(٦) في (ب) تدعى.

(٧) شاعر جاهلي قال عنه ابن سلام: بأنه عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف إلا قوله: أقفر من أهله ملحوب. وانظر الشعر والشعراء: ٣٧، ٣٩، ١٤٣-١٤٥.

إلا بعد ما اكتهل، وذلك أنه رأى في منامه كأنه أُلقِمَ كبةً من شَعَرٍ، فأصبح فقال الشعَر، وأتى أكثرُ ما يقول أشبه شيء بالنثر من النظم، من ذلك قصيدته التي أولها:

عيناكَ دمْعُهُما سَروبُ ... كأنَّ شأنيْهِما شَعيبُ[1]
فقردة فقفا حِبَرٍ ... ليس بها منهم عريب[2]
أرض توارثَها شعوب ... فكل من حلَّ بها محروب
فكل نعمة مخلوسُها ... وكلُّ ذي أملٍ مكذوب
وكلُّ ذي إبلٍ مسلوبها ... وكل ذي سلبٍ مسلوب[3]

وأكثر هذه القصيدة على هذه الصفة، لكنها تدخل في خفارة بيت منها سلَّمَ معناه [ولفظه][4] واستقام سبكه [ووزنه] وهو قوله[5]:

من يسْألِ الناسَ يحرمُوه ... وسائلُ اللهِ لا يخيبُ

[فإنه سالمُ الوزنِ واللفظ حسَنُ المعنى][6]، وبعض الرواة يزعم أن عبيداً لم يقل هذه القصيدة إلا على أنها خطبة، فلما اتّزن بعضُها أُلحِقت بشعره، فكان فيها من الأمثال السائرة المستحسنة ما أُحتمِلَ معه فاحشُ الزِّحافِ الذي فيها مع كون قائلها من أقدم الشعراء عهداً، وأطولهم عمراً، فإنه [كما يقال][7] كان في وقت حجر أبي امرئ القيس شاعراً مشهوراً عالي السن، وهو القائل مخاطباً له لما طرد بني أسد، وآلى إلاّ يساكنهم:

---

(١) من قصيدته المشهورة أقفر من أهله ملحوب.. في ديوانه ٢٤، وسروب: من سرب الماء إذا جرى، الشأنان: عرقان في الرأس قيل يجري الماء منهما. شعيب: السقاء البالي.

(٢) في الأصل فقردة ففقاح دير، وهو تصحيف صوّبناه من الديوان.

(٣) في الديوان مخلوس، والمخلوس: المسلوب أيضاً.

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) ساقطة من (ب).

حـــلا -أبيـــتَ اللَّعْـــنَ- حـــلا إنَّ فيمــــا قُلْـــتَ آمـــــه[1]
في كـــل وادٍ بـــينَ يـــثر بَ والقصـــور[2] إلى اليمامـــةْ
تطريـــبُ عـــانٍ أو صيـــا حُ محـــرَّقٍ أو صـــوتُ هامـــة[3]

ومنها:

العبـــدُ يُقْـــرَعُ بالعصـــا والحـــرُّ تكفيـــه الملامـــة

وقتله النعمان بن المنذر بن ماء السماء[4]، وذلك أنه مرّ عليه في يوم بؤسه، وكان له يوم بؤس لا يمرُّ عليه أحد إلا قتله، ويوم نعيم لا يمرُّ به أحدٌ إلا أحسن إليه، فأمر بإحضاره، واستنشده شيئاً من شعره، فقال له: حالَ الجريضُ دونَ القريضِ، والجريض: الغصص عند الموت. فأرسلها مثلاً. فأمره أن ينشده:

أقفر من أهله ملحوب

فأنشد:

أقفَـــرَ مـــن أهلِـــه عبيـــدُ فليـــسَ يُبـــدي ولا يعيـــدُ

فأمر به فقتل.

(١) الأبيات في عبيد بن الأبرص شعره ومعجمه (١١٦). وفي أصل المخطوطتين حلاً. والأمه: بالمدّ من قولهم أمّه أي شجّه، والأمة التي تبلغ أم الدماغ حين يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق يريد: أن تصرف الملك يؤدي إلى مصيبة قاصمة.

(٢) في (ب) فالقصور.

(٣) العاني: الأسير، والمحرّق: الغراب، والهامة: طائر كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك ثأره تصير هامة، فتزقو عند قبره، تقول: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت، يحذر الملك من مغبة الحرب.

(٤) في ديوانه (١١٦)، وفي أخباره في الأغاني أن الملك هو المنذر بن ماء السماء وأنه هو الذي بنى الغريين، وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم.

وأما مرقش فهو مرقش[1] الأكبر، واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني وقال غيره: عوف بن سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة، وإنما سمي مرقشاً لقوله:

الــــدارُ وَحْـــشٌ والرســـوم كمـــا رَقَّــش في ظهْـــرِ مُهـــرَق قَلَـــمْ[2]

وفي هذه القصيدة أبيات كثيرة ينبو عنها الطبع، قد احتال لها العروضيون وجوهاً من الزحاف، وكذلك يفعلون في كل ما ورد عن العرب، مسامحةً لهم بما لا يسامحون به غيرهم. وأنشد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بيت امرئ القيس:

لقـــد انكرتِنْـــي بعلبـــكُ وأهلُهـــا وابـن جريـج في قـرى[3] حمـص أنكـرا

وأُنشِد عن أبي زيد جريبة بن الأشيم[4]:

لقـد طـال ايضـاعي المخـدَّمِ لا أرى مـن النـاس مثلـي مـن معـدٌ يخطُـبُ

والزيادة في هذا البيت حرف في أولـه، [وآخـر في أول النصـف الثـاني منـه][5]، وأُنشدوا لطرفة بن العبد في كلمته التي أولها[6]:

أشَـــجاكَ الرَّبْـــعُ أو قِدَمُـــه أم رمـــــادٌ دارسٌ حِمَمُـــــه
هـــل تذكـــرون إذ يقـــابلُكم إذ لا يضـــرُّ معدمـــاً عدمُـــه

---

(١) المرقش الأكبر هو عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل عم طرفة بن العبد. طبقات فحول الشعراء (١/ ٤٠)، العمدة (١/ ٧٠).

(٢) المهرّق: الصحيفة، وجمعها مهارق.

(٣) البيت في ديوانه (٦٨)، ورواية الشطر الثاني في (ب) وابن جريج كان في حمص انكرا.

(٤) في النسختين جزيئة، وصوابه جريبة بن الأشيم الفقعسي، وهو من شعراء الحماسة، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمة، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام. الإصابة ١/ ٢٧٢ وفيه جريبة بن الأشيب.

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) البيتان غير موجودين في ديوانه شرح الأعلم الشنتمري، وهناك بيتان مفردان، وبيت مفرد أيضاً في القافية، والبحر نفسيهما للبيتين المذكورين في أعلاه، لعلها من القصيدة نفسها. ديوانه ١٨٣.

والزيادة في أول هذا البيت حرفان في وسطه مثلهما [وفي آخره آخران وهم][1] يسمون هذا الخرم[2] وهم يستسهلون [فيه] ما كان من ذلك في أول البيت حتى أنهم ربما زادوا [اكثر من حرف] وتعدوا إلى زيادة الحروف الكثيرة. وأنشدوا لكعب ابن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان ﷺ:

لقد عَجِبْتُ لقومٍ أسْلَموا بعد عزِّهم[3] إمامَهُمْ للمنكراتِ وللغَدْرِ

[والزيادة ثلاثة أحرف في أول البيت][4]. ويروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انشد:

اشْدُدْ حيازِ يمَك للموتِ فإن الموتَ لاقيكا
ولا تجزَعْ من الموتِ إذا حَلَّ بواديكا[5]

[والزيادة أربعةُ أحرف في أول البيت. وأمثالُ هذا كثيرٌ جداً في أشعار الجاهليين والمخضرمين. فأما المحدثون، والإسلاميون فقلَّ ما يجيزون لهم في الزحاف إلاّ ما قبله الطبعُ، وحسُنَ في الذوق بعضَ الحسن. كقول بعض العصريين:

ضَفَتْ نعمتانِ عَمَّتاك وخُصتا حديثُهما حتى القيامة يذكر[6]

ويسمون هذا الزحافَ القبضَ، وهو حذفُ الخامس الساكن من مفاعيلن، وأمثال ذلك مما يسهل، ويحتمل.

---

(١) زيادة غير موجودة في (ب).

(٢) الخرم في لسان العرب عن الزجاج هو حذف فاء فعولن، وهو يسمى الثلم. وفي كتاب الجامع في العروض والقوافي للعروضي حذف أيضاً، ولكنه مخصص في مفاعلن، وهو عن أبي إسحاق الزجاج عن الخليل. فأما سقوط الحرف الأول من الجزء الأول إذا كان في فعولن فهو أثلم، وإذا كان في مفاعلتن فهو أعضب، وإذا كان في مفاعلن فهو أخرم ٢١٠.

(٣) في الأصل غيرهم وهو خطأ في النسخ. والبيت مفرد في ديوان كعب بن مالك ٥٠.

(٤) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب).

(٥) البيتان في كتاب: من الشعر المنسوب إلى الإمام الوصي علي بن أبي طالب ٩٥.

(٦) ضفت: أسبغت.

هذا ما عنَّ ذكره من أمر العروض.

فأما صناعة القوافي فهي الصناعةُ التي يعلَّمُ بها الشاعرُ ما يحتاجُ إلى تكرارهِ في آخر كلِّ بيتٍ من القصيدة، وما له أن يُخلَّ به، ويستغني عنه. وهي أيضاً مما أحدثه الإسلاميون. وأول من تكلم فيها الخليل بن أحمد، وتبعه المحدثون كالفرّاء وابن كيسان، وأبي موسى الحامض، وغيرهم. فأما أهل الجاهلية فقد كان أكثرهم يغنى بطباعه عنها، كما استغنوا عن سائر الصنائع وأخواتها، وربما غَلَط بعضُهم فيها، كما غلطوا في الوزن. ويقال: إن أول من أحسَّ بعيوب القوافي زياد، نابغة بني ذبيان، وذلك أنه دخل المدينة فأنشد قصيدته التي أولها:

مــن آلِ ميــةَ رائــحٌ أو مغتــدِ　　　عجــلانَ ذا زادٍ وغــيرَ مُــزَوَّدِ

إلى أن انتهى الىقوله فيها:

زَعَـمَ البـوارحُ أنَّ رحلتَنـا غـداً　　　وبـذاكَ خَبَّرنـا الغـدافُ الأسـودُ

فنُعيَ عليه ذلك، فلم يفطن له حتى لُحِّنَ له، وَغنَّتْ به قينةٌ من قيان المدينة، فاهتدى إليه وصنع البيت بعد ذلك:

وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ

وأمثال ذلك كثيرة.

والقافية: اسمٌ لما يلزَم الشاعرُ إعادَته في آخر كل بيت. وهي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه. وإنما سميت قافية لأنها تقفو أي تتبع. وليست القافية الحرف الذي يردده الشاعر في آخر كل بيت كالقاف في قوله:

تَذَكَّـرتُ مـا بـينَ العُذَيـبِ وبـارقٍ　　　مَجـرَّ غوانينـا[1]، ومجـرى السـوابق

كما يذهب العامة إليه. فإن ذلك يسمى حرف الروي. وليس يكفي الشاعر

(١) في الأصل: غوالينا.

بإعادته وحده، بل وتلزمه مع إعادته أشياءً أُخَر، لو أخل بها لم يكن الشعر ذا قافية، ولو لم يلزم الشاعر إلاّ باعادة ذلك الحرف وحده، لجاز أن يجتمع في قصيدة واحدة بيت آخره السوابق، وبيت آخره فيلق. ولا يجوز ذلك.

والشعر إما مطلَقٌ أو مقيَّدٌ، فالمطلق ما كان حرفُ الرويّ منه متحركاً والمقيَّدُ ما كان حرفُ الرويّ منه ساكناً. وكلٌّ واحدٍ منهما إمّا أن يكون مُجرَّداً أو مُرْدَفاً أو مؤسساً. فالمردف هو ياء أو واو أو ألف ساكنين قبل حرف الروي يعيدها الشاعر في كل بيت.

والتأسيس هو ألف قبل حرف الروِيّ بينها وبينه حرف يسمى الدخيل. والمجرد ما ليس بمردف، ولا مؤسس وملاكُ الأمرِ في هذه الصناعة، معرفةُ ستةِ حروفٍ وستُ حركاتٍ، وخمسةُ عيوب.

أما الحروف فهي الروي. والردف وهو ياء أو واو أو ألف يكون مثل الروي. وقد ذكرناه، وتتعاقب الباء والواو، ولا يعاقب الألف شيء. وقد ذكرناه. والوصل وهو ألف أو هاء أو واو أو ياء تلي الروي. والخروج وهو كل حرف مدٌ كان بعد هاء الوصل. والدخيل وهو الحرف الذي بين ألف التأسيس وبين الرويّ.

وأما الحركاتُ فهي حركةُ ما قبلَ حرفِ الرويّ في المقيَّد. وتسمى التوجيه. والحركة التي قبل الردف، وتسمى الجدو. والإشباع وهي حركة الدخيل هو الرّس، وهو حركة ما قبل التأسيس. والإطلاق وهو حركة الروى.

والنفاذ، وهو حركة هاء الوصل: وكلها يلزم الشاعر إعادتها بعينها في كل بيت من القصيدة إذا بدأ به أول بيت منها إلا الدخيل][1].

فأما[2] العيوب الخمسة فهي:

الاقواء وهو أن يكون حرف الروي في بيت مرفوعاً، وفي آخر مجروراً، وهم

(١) إلى هنا ساقط من (ب).

(٢) في (ب) وأما.

يجيزونه للعرب دونَ مَنْ سواهم، ولا يجيزون النصب مع غيره أصلاً[1].

والاكفاء[2] وهو اختلاف حرف الروي بحرفين متقاربين كعين مع غين كقوله:

قُبِّحْتِ من سالفةٍ ومن صُـدُغْ

كـأنَّهُ كُشْيَةُ ضَبٌّ في صُقُع[3]

[والسناد وهو كل عيب يلحق القافية][4]

والتضمين[5] وهو أن تكون قافية البيت متعلقة بالذي يليه.

ولابدّ أن يكون في آخر كل بيت ساكناً، فإذا كان بينه وبـين السـاكن الـذي قبلـه أربع متحركات فهو المتكاوس[6]. فإذا كان ثلاثاً فهو المـتراكب[7]، أو حركتـين فهـو

(١) من وهم .. أصلاً غير موجود في (ب) وفيها: ولا يجوز النصب مع الرفع ولا مع الجـر، قـال العروضي: الاقواء رفع قافية، وخفض أخرى، وذلـك معيـب الجـامع ٢٨٣. وقـال التـبريزي ١٦٠ فإذا كان مع المرفوع أو المجرور منصوب سمي إضراماً.

(٢) في الجامع ٢٨٤ الاكفاء فساداً في القافية، فمن الناس من يجعل الاكفـاء بمعنـى الاقـواء، وهـو مذهب الخليل. ومنهم من يجعله اختلاف الحركـات قبـل حـرف الـروي، ومنهـم مـن يجعلـه اختلاف الروي. وانظر الكافي ١٦١.

(٣) في الأصل كشيه. وكشية الضب: أصل ذنبه، وقيل: هي شحمة صفراء مـن أصـل ذنبـه حتـى تبلغ إلى أصل حلقه. وأقوال أخرى في تحديد الكشية في الضب. انظـر لسـان العـرب (كشـا). والصقع: ناحية الأرض. والبيت في لسان العرب (صقع) و(صقغ) وانظر الكافي ١٦١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل. وقد ذكر التبريزي خمسة أضرب للسناد ١٦٤.

(٥) في الأصل وتضمين. التضمين كما عرفه العروضي: هو بيت يبنى على كلام يكـون معنـاه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً له. الجامع ٢٨٥. وحدده التبريزي في الكـافي ١٦٦ بأنـه إن تتعلـق قافية البيت الأول بالبيت الثاني.

(٦) عرف العروضي المتكاوس بأنه كل قافية توالت فيها أربع حركات بين ساكنين، وذلك أكثر ما يقع في الشعر من المتحركات الجامع (٢٦٤)، وكذا عرف المتراكب بأنه كـل قافيـة فيهـا ثـلاث متحركات بين ساكنين، وذلك نحو مفاعَلَتُن ومفتَعِلن، وفعلن. والمتـدارك عنـده حركتـان بـين ساكنين ايضاً، والمتواتر كل قافية وقع فيها حرف متحرك بين ساكنين. وذكر التبريزي في الكافي ١٤٨ إن المتكاوس سمي متكاوساً للاضطراب، ومخالفة المعتاد، ومنه كاست الناقـة إذا مشـت على ثلاثة قوائم وذلك غاية الاضطراب، والبعد عن الاعتدال..

(٧) انظر الكافي ١٤٨، شرح تحفة الخليل في العروض ٣٤٤.

المتدارك، أو حركة فهو المتواتر، أو لا حركة فهو المترادف.

صناعة النثر وفضله

قوله: **ألم تعلم أن صناعة النثر أرفع قدراً... إلى آخر الفصل.**

يريد بصناعة النثر: صناعة البلاغة، وهي الخطابة. وبعض الناس يجعل الكتابةَ، والبلاغةَ والخطابةَ اسمين مترادفين، وليس الأمرُ كذلك، فإنَّ هذه الثلاثة وإن كانت [معانيها] متقاربةً فبينها خلاف بيِّن.

أما الخطابة[١] فهي الصناعة التي يقدر الإنسانُ باقتنائها على اقناع المخاطَب في نحوٍ من الأمور الجزئية، سواء كان بألفاظ فقط أو بألفاظ وأمور أخر خارجة عن الألفاظ كهيأة القائل، وقرينة الحال، وغير ذلك. وهذه هي إحدى الصنائع القياسية الخمس التي هي: البرهانُ، والجدلُ، والخطابةُ، والسفسطةُ والشعرُ. ولكل واحدة منها قوانين تخصها قد استوفيت في الكتب الموضوعة لها.

فأما البلاغة فقد يراد بها أيضاً القولُ الذي يقصد به اقناعُ المخاطَبِ، لكنه ليس أيَّ قول اتفق، بل ما كان له هيأةٌ ما من جهة اللفظ محدودةٌ مع إيجاز، وحصرِ الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ. وصناعة النثر قد تقع على المعنيين جميعاً.

وأما الكتابة فليست تطلق على مَنْ حصلتْ له البلاغةُ فقط، بل مَنْ جمع إلى ذلك أموراً أُخر كالخطّ والحسابِ والقوانينِ التي يُقتدرُ بها على ضبط أحكام أمور المدينة كمعرفة القوانين الموضوعة لضبط ارتفاعات[٢] الأموال، ووجوهِ الجباياتِ، وترتيبِ الكتب التي شأنها أن ينحصرَ فيها ذلك، وهي التي تسمى الأدراج[٣] والجرائد والختمات[٤] والجماعات والفناديق[٥] وغير ذلك. والقوانين التي تُضبط بها

(١) في (ب) فالخطابة هي.
(٢) الارتفاع: الوارد المتأتي من منطقة زراعية. انظر نشوار المحاضرة ١/ ١٤٦.
(٣) في الأصل: الحمّات.
(٤) في الأصل: الأوراج، والأدراج جمع الدّرج وهو الذي يكتب فيه. من الأوراق المدرجة الملفوفة.
(٥) جمع الفنداق وهو صحيفة الحساب.

أمور المكاتبات الشرعية التي يُحْترزُ بها في المعاملات وتسمى الشروط، وغير ذلك من الأمور التي يتمُّ بها صلاح المدينة[1].

وأحق هذه كلها بالتقديم[2] الجزء المسمى بالبلاغة لحاجة الباقية إليه، وقد عرض لكثير ممن رامَ حدَّ البلاغة العدولُ عما قصدَه إلى أن وردتْ أقاويلُ كثيرة من المشهورين بالحِذقِ في هذه الصناعة يرومون بها تحديدَها، تكاد تكون متناقضة كقول بعضهم: قليل يُفهمُ، وكثيْر لا يُسأم.

وقول آخر: لا يبطئ ولا يخطئُ.

وقول آخر: كلمة تكشف عن البُغية.

وقول آخر: البلاغة: الجزالة والإطالة.

وكما قال بعضهم وقد سئل عمّا عنده من حمالات حرب داحس فقال:

قرى كلِّ نازلٍ، واعطاءُ كلّ بازل[3]، وخطبةٌ من لدْنِ طلوعِ الشمسِ إلى غروبها. أنهي فيها عن التدابر، وآمر فيها بالتواصل. فذهب إلى أن البلاغة تطويل الخطبة وتشجين القول.

ومنهم من يرى أن البلاغة الإطالةُ في الحفل [و] الجماعات، ومخاطبة الجمهور من الناس، ويحتجون بأن المعنى الوجيز اللفظِ الصائبِ القصدِ لا يفهمه كلُّ مَنْ يخاطب به، فتدعو الحاجة عند ذلك إلى تكريره.

ولهربهم من هُجْنِة التكرير احتاجوا إلى تطويل الكلام، وتشجين القول، ليكونَ فيه متسعٌ للإفهام، ومجالٌ للأذهان. ولهذا قال بعضهم في وصف كاتب بليغ: إنْ أخَذَ شبراً كفاه، أو أخذ طوماراً ملاه.

---

(١) في (ب) (المدينة.

(٢) في (ب) هذه بالتقدير.

(٣) في الأصل: باذل، والبازل البعير في السنة التاسعة، وتطلق على المال.

وفي ذلك يقول محمد بن عبّاد بن كاسب صاحب البيتين المشهورين وهما:

الجودُ أخشَنُ مَسّاً يا بني مطر ... من أن تُزَكوه[1] في كف مستلب
ما أعلمَ الناسَ أن الجودَ مكسبةٌ ... للحمدِ لكنّه يأتي على النَّشَبِ

[وقال آخر][2] يصف خطباء إياد:

يَرْمُون بالخُطَبِ الطِّوالِ وتارةً ... وَحْيَ الملاحظِ خيفةَ الرقباءِ[3]

وإذا رجعت إلى التحقيق لم تجد واحداً[4] من هؤلاء، أتى من جيد البلاغة والإرشاد إليها بما يكفي طالبها مؤونة الدأب، ويقف [به][5] على محجة القصد.

والبلاغة صناعة من الصنائع العملية[6] حالها مما[7] يكمل به حالُ سائرِ الصنائع. فإن كل صناعة يحتاج الناظرُ فيها إلى علمِ الأمورِ المقوِّمة لها، والخاصة بها. وهي موضوعُها، وغايتُها، وصورتُها، واللواحق التابعة لها. مثال ذلك الحياكة فلها موضوع هو الغزل. وغاية وهو الاستتار بالثوب أو الجمال، وما أشبه ذلك. وصورة وهي تهيأة سدى الثوب مع لحمته المتهيأة اللائقة بغايته إمّا صفيقاً أو رقيقاً أو غيرَ ذلك، [ولواحق وهو: ما يلحق الثوبَ من الطُرْز والألوان][8]. وغير ذلك من الأمور التي يبلغ بها كمال الغرض، ويتوقى[9] العدول بها عنه، وهي التحرز من

(١) في الأصل تبرتموه، وفي (ب) تزكموه وفي هامشها تتركوه، ولعلها تزكوه.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) كتب البيت نثراً في الأصل.
(٤) في (ب) واحداً.
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في الأصل: العلمية.
(٧) من الأصل منها.
(٨) زايدة من (ب).
(٩) في (ب) ويتوقى في.

العيوب، فكذلك البلاغة لها غاية في إقناعِ المخاطب في أمر محدود[1]، ومادة هي الألفاظ، وصورةٌ وهي جودة ترتيبِ الألفاظِ، واختيارِ المتلائمِ منها، والمتشابه من الصيغ حتى لا يقع بينها تنافرٌ يهجِّنُ العبارةَ أو يشُقُّ على المستمع، ولواحقُ وهي[2] ما يلحق الألفاظ عند تركيبها [وترتيبها][3] مما يزيِّنُها في القول، كالتجنيس، والسجع والموازبة، وغير ذلك.

وكما أنه لا يكمل للشعر أن يكون شعراً حتى يكونَ له وزنٌ وقافيةٌ وإلاّ فهو كلامٌ معرّى. فكذلك النثر لا يوصف بالبلاغة ما لم يكنْ قد رُتِّب ترتيباً يصيرُ به كلُّ جزئين من الكلام متماثلين في المقدار متوازني[4] الألفاظ، ينتهي كل واحد منهما إلى حرف واحد، وذلك كالسجع أو إلى حرفين متقاربي المخرجين فإنْ انضاف إلى ذلك أن تكون ألفاظُ الجزأين مسجوعةً أيضاً، ومتشابهةً من جهة الاشتقاق كان أفضلَ. وما عدا ذلك فهو كلام لا يوصف بأنه بليغ.

أما ما تتوازن ألفاظه، وتنتهي أجزاؤه إلى مقاطع متشابهة[5] الألفاظ وتواخيها مثل قول أبي علي البصير يعاتب رئيساً قصَّر في حقه:

إذا رأى أناسٌ[6] اتّصالي بك [ورأوا][7] قُبحَ حالي عندك، وسألوني عن السبب في ذلك فقُصارايَ أن أوريَ عن الصدق بالمغالطة، وأُرجعَ على القَدَر باللائمةِ، وانتظر واحدةً من اثنتين، أمّا عُتبى تكونُ منك، أو عُقْبى تغني عنك.

فأول كلامه هذا جارٍ مجرى اوسطِ الدرجاتِ في البلاغة، وآخرُه في أعلاها.

---

(١) في (ب) المحدود.
(٢) في (ب) وهو.
(٣) في الأصل فقط.
(٤) في (ب) متوازيي.
(٥) في (ب) مع تشابه.
(٦) في (ب) الناسُ.
(٧) زيادة في الأصل.

[وأجلها][1] وهو قوله: أما عتبى تكون منك أو عقبى تغني عنك. فأتى بجزأين متساويي[2] المقدار متوازني اللفظ متشابهيهما، منتهيين إلى حرف واحد.

ومما[3] هو أعلى من ذلك طبقةً. قوله: **حتى صار تعريضُك تصريحاً، وتمريضك تصحيحاً**. فمقطع الجزأين مقطع واحد وهو الحاء، وألفاظ الجزأين مسجوعةٌ أيضاً مشتركة[4] في الضاد والصاد، والموازنة بينهما [جميعاً][5] حاصلة في[6] المقابلة.

ودون هذه المنزلة [ما كان من][7] قول قيس بنِ خُفاف البَرجمي لحاتم [بن عبدالله] الطائي، وقد وفد عليه في دماء حملها:

إنّي حَمَلْتُ دماءَ عَوَّلْتُ فيها على مالي وأموالي، فقدَّمتُ مالي، وكنتَ من أوثق آمالي، فإن تحملْها فكم حقٍ قضيتَ، وهمٍّ كفيتَ، وإنْ حال دونَ ذلك حائلٌ لم أذممْ يومَك، ولم أيأسْ من غدِك.

فأتى بالوجهين جميعهاً في أول كلامه وآخره. فهذا سبيل من أراد البلاغة.

فأما ما يعين على اقتنائها بعدَ[8] الفطرةِ المُرشدةِ إلى دقيقِ المعاني في المعرض المقصود فالاستكثار[9] من اللغة، والأخذ بنصيب [وافر][10] من علم النحو إذْ كلٌّ

(١) ليست في (ب).
(٢) وفي (ب) متساويين، في الأصل متوازنين اللفظ.
(٣) في الأصل: ما.
(٤) في (ب) مشتركين.
(٥) زيادة من (ب).
(٦) في (ب) على.
(٧) ساقطة من (ب).
(٨) في (ب) مع.
(٩) في الأصل فالاستعداد من.
(١٠) ليست من الأصل، من (ب).

صانعٍ فهو محتاجٌ إلى أن يكونَ عنده من موضوع صناعتِه ما يمكِّنــه لكثرتِـه أن يختـارَ الموافقَ منه بحسب حاجته. وكذلك البليغُ يحتاجُ أن يكــون عنـده مـن اللغـة مقـدارٌ كثيرٌ[1] لئلا يعسر عليه إبرازُ ما يخطـرُ ببالِـه مـن المعـاني [وأنْ][2] يحتـاج إلى تكريـر الألفاظ لقلتها عنده، أو إيراد ما لا يليقُ بـالمعنى الـذي يحـاولُ الإبانـةَ عنـه فيكـون اللفظُ قلقاً، والمعنى غلقا[3]، والعبارة مستهجنة، فلذلك جمـع بعـض النـاس ألفاظـاً مترادفة وسماها الألفاظ الكتابية[4] كقولهم في إصلاح الفاسـد: رَتَـقَ الفَتْـقَ، ورأب الثأيَ، وسدَّ الثلْمَ، ولَمَّ الشعْثَ.

وأمثال ذلك لتكونَ معدةً عند الحاجة، فيأخذ الكاتبُ منها ما يليقُ بغرضِه.

فأما النحو فليس حاجة صناعة البلاغــة إليـه بـدونِ حاجـةِ الشّـعرِ وغـيرِه مـن الكلام، إذ هو السّببُ في تسديدِ الألفاظِ نحو المعاني في الاحتراس من الغلط. فهــذا ما يلزم مدّعي البلاغة اقتناؤه منْ قوانينها. فأما الأشياء التي تعدِلُ بملتمِس[5] البلاغة عن طريقها، وتمنعه أن يصلَ إلى مقصدِه منها، ويكون ما يوردُه مستهجناً فهــي ضـدُّ الأشياء التي ذكرتُ من المزِّينة لها، والمعينــة[6] عليهـا. وكـلُّ مـا صـيَّر اللفـظَ قلقـاً، والمعنى غَلِقا[7]، والعبارة لا تفهــم المعنـى إلا بعُسـرٍ وصعوبـة، وفسـاد الـترتيب في اللفظ كتقديمِ ما ينبغي تأخيرُه، وتأخير ما يجب تقديمُه واستعمالِ[8] الوحشــي [مـن

(١) في (ب) مقداراً وفيراً وهو خطأ.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب) مستغلقاً.

(٤) يشير إلى كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذانـي وقـد حقـق الكتـاب لويس شيخو اليسـوعي، ونشـره في مطبعـة اليسـوعيين ١٩١١. وإلى كتـاب جواهـر الألفـاظ لقدامة بن جعفر، وكتاب عمدة الكتاب للزجاجي بتحقيقنا، فكلها ذكرت فيها هذه الألفـاظ.

(٥) في (ب) يعدل ملتمس.

(٦) في الأصل الأشياء التي ذكرت من المزينة لها، والمعينة لها.

(٧) في (ب) منعقداً.

(٨) في (ب) وتتبع وما بين القوسين ساقط منها.

اللغة]، والشاذِ الغريبِ من الألفاظِ كقول أبي علقمة النحوي[1] وقد هاج به مِرارٌ، وأراد الحجامة فقال للحجّام: أرهِفْ ظُبَاَةَ المشارطِ واشدُدْ قصب الملازِم، وخَفِّفْ الوطَء، واستنجِلْ الرشحَ، ولا تردن أتيّا ولا تُكرهَنّ أَبيا[2]. فلما احتجم أغشي عليه، فاجتمع الناس فقال: ما بالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئِكم على ذي جُنَّة. افرنقعوا عني. وكقول عيسى ابن عمر[3] لرجل خاصم امرأته عنده: أإن سألَتك ثمَن شَكَرِها، وشبرها، أنشأت تطلّها وتضهلها؟[4]

ومن عيوبها أيضاً الجمع بين حروف الصلات كقولك: له عليك به، وأمثال ذلك مما يغني بهجنته عن استقصاء وصفه.

رجع ما انقطع قوله: **فلما رجع إلى هذا الفصل في الفضل..**

الفصل: أصله القطع، وفصل القضاء [مشتق][5] من ذلك، كأنه قطع الخصومات. والهذر: كثرة الكلام من غير إصابة، ومثلُه الهَراءُ، والتُّرهات جمع تُرّه، وهو من الباطل وقد يجمع على الترارِيه[6]. قال الشاعر:

رُدّي بني الأعرَج إبلي عن كَثَبْ قبلَ الترارِيهِ وبعَد المُطَّلَبْ

---

(١) نحوي، شهر بكنيته أبي علقمة، كان يتقعر في كلامه، ويتعمد الغريب الوحشي. انباه الرواة ٤/ ١٥٢، والرواية مذكورة في البيان والتبيين ٢/ ٣٨٠، الصناعتين ٢٧، وانباه الرواة ٤/ ١٥٢، مع تغيير طفيف في الرواية.

(٢) في انباه الرواة أن الحجام قال له: أعزك الله، هذه صفة الحروب، لا، والله ما باشرتها قط، وتناول جونته وانصرف. الملازم المشارط، واستنجل من النجل وهو الشق، والأتيّ السهل الغزير.

(٣) عيسى بن عمر النحوي، أخذ عن ابن أبي اسحاق المتوفى سنة ١٨٢هـ، عرف بتقعير الكلام وكان بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صحبة. وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦.

(٤) القول في لسان العرب (شبر)، وأراد بالشّبر، والشكر: البضع. وتضهلها تدفع لها قليلاً قليلاً.

(٥) ليست في (ب).

(٦) في (ب) الترارية، والترهات: الأباطيل، وقيل الترهات البسابس، والترهات الصحاصح. وهو من أسماء الباطل. وربما جاء مضافاً والجمع ترارِيه لسان العرب (تره).

قوله: أين أنتم عن العلوم الدينية والآداب الشرعية.. إلى آخر الفصل.

العلوم الدينية والشرعية:

العلوم الشرعية تنقسم بالقسمة الأولى إلى ثلاثة أقسام: علم عقيدة وعلم عمل وعلم روايةٍ.

فأما علم العقيدة[1] فهو النظرُ في أصول الدينِ، وفيما يجبُ أن يعتقدَه الإنسانُ في سائر معتقداته الشرعية، وكيفية استدلاله عليها بالأدلةِ المناقضةِ لآراء أهل الكفر، والخلافِ لها، وكيف السبيلُ إلى إثبات وجود صانع للعالم قديم، مدبر لها، وهو الله تبارك وتعالى، وأيُّ الصفات ينبغي أن تُطلَقَ في حقِه، وما الدليلُ على أنه متكلِّم قادرٌ عالِم مُرسِلٌ رسلاً، مؤيِّداً بالمعجزات إلى غير ذلك من التوحيد، والتنزيه، وما تشتمل عليه قواعد [علم][2] الدين، وعقائد المسلمين.

وأما العمل فهو النظر في العبادات الواجبة على المكلَّفِ، وكيفيّتِها، وتفضيلِ أحوالِها كعلمِ أُمور الطهارة، والصلوات، والزكاةِ، والحج، والصيام [والجهاد][3] وأشباه ذلك، [وعلم][1] ما يُؤمرُ به، أو يُندُب إليه، أو يُنهى عنه من الأمور الاعتيادية الجارية بين الناس كالشّراء، والبيع، والنكاح، والطلاق وغير ذلك. فهذا هو الفقه.

وينقسم إلى قسمين أحدهما: علمُ كيفياتِ الأعمالِ، وحدود الحلال والحرام. والثاني معرفة الطريق إلى استنباط ذلك[4] عما نطق به القرآن، وجاءت به السّنة عن الرسول ﷺ إذْ كان مستند الأحكام الفقهية [المذكورة][5] إلى ذلك. وليس يتهيأ

---

(١) في (ب) الاعتقاد.

(٢) ليست في (ب).

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) في (ب) هذه الأصول

(٥) ساقطة من (ب).

حصر جميع الجزئيات في ظاهر النص فيحتاج الفقيه إلى فضـل تـأمل، يقفـه[1] علـى استنباط الحكم في جزئيـات أمـور العبـادات والعـادات [فهـو مضطـر] إلى معرفـة القوانين التي بها يحصل ذلك[2]، ويقتدر على استنباط ما لم يُصرَّحُ به مـن الأحكـام عما صُرِّح به من النصوص. والصناعة المؤدية إلى ذلك تسمى أصول الفقه.

وأما علوم الرواية فهي معرفة الأخبار الواردة عن الرسول ﷺ، وتمييز الصحيح منها عن الشاذ، ومعرفة الرجال الذين تؤخذ عنهم الأحاديث[3].

وأما الشرائط التي يسوغ النقل عمن ينقل عنه، ومعرفة مراتب النقـل كالإجـازة والقراءة، والمناولة والسماع، وما مقدار ما يقع من التصديق في كل واحد من هذه.

فالإجازة[4] أن يثق بالمسند عنه لجودة نقل الراوي فيجيز له أن يروي ما يجد عليه خَطّه، [بالصحة][5] وما رواه.

والمناولة أن يجيز له رواية ما تضمَّنته نسخةٌ بعينها قد صحَّتْ عنده، ويناولها إيـاه [أي يسلمها إليه][6]. والفرق بـين المناولـة والإجـازة أنَّ المناولـةَ لا تكـون إلاّ عنـد المشافهة، والإجازة تكون للغائب.

وأما القراءة[7] فهي أعلى وجوه النّقل وذلك أنْ يقرأ الراوي على من يروى عنه الحديث الذي يريد روايته، وهو يسمع، ويرد عليه ما يغلط فيه أو يصحّفه[8].

---

(١) في (ب) يفقه.
(٢) في (ب) له، وبقدرته.
(٣) في (ب) تقدمت اللفظة على سابقتها في (ب).
(٤) في (ب) فالاجادة، والإجازة هي أذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته.
(٥) ساقطة من (ب)..وفيها وما رواه هو.
(٦) ساقطة من الأصل.
(٧) في (ب) وما.
(٨) في (ب) ما استفهمه.

والسماع [هو] أن يكون القارئ غير الراوي [فيقرأ بحضوره][1]، وهو يسمع قراءته.

ومن صناعة الرواية علم الفرائض وعلم وجوه القراءات وأصولها، والناسخ والمنسوخ، من القرآن وتفسيره[2]، وغير ذلك من علوم الكتاب الكريم.

قوله: **قد علمتم أن الفرائض علم مذكور، والخبر فيه عن رسول الله ﷺ مشهور.**

علم الفرائض

يعني بالفرائضِ علمَ ما فرضَه الله تعالى من المواريثِ، ومنصرفاتِ أموال الإنسان بعد موته، ووجه قسمة ذلك على أربابه، وعلى ما فرضه الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ، وما يتعلق به من الأحكام التي توجب التوارث، وهي الأنساب، والأسباب، كالولاء، والنكاح، والمانعةِ للتوارث كالحجب[3] والقتل عمداً، وغير ذلك. وقد جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه حثَّ على تعَلُّم ذلك، فمنه ما روى أبو الحسين محمّد بن عبدالله بن الحسن البصري الفرضي عن أشياخه يرفعه إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:[4] تعلموا علم الفرائض فإنها من دينكم، وإنه نصف العلم، وأنه أول ما ينزع من أمتي، وأنه يُنسى. وقد خرج بعض ذلك مسلم والبخاري في الصحيحين.

الجبر والمقابلة

ولما كان هذا العلم متعلقاً بقسمة التركات على أسهام مختلفة حَسْبَ ما فرضَ الله تعالى وسنة نبيه ﷺ اضطر الناظر فيها إلى معرفة الحساب، إذ كل امرٍ عددي

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب) والمنسوخ والتفسير.

(٣) الحجب منع الشخص من الميراث كلياً أو جزئياً مع أهليته للميراث لوجود من هو أحق منه. الفتاوى الهندية ٦/ ٤٥٢.

(٤) انظر كنز العمال ١٠/ ٢٨٨٦٢.

مفتقر إلى معرفة الأحكام العددية المجهول منها، والمعلوم وذلك إنما يكون بالصناعة التي يقال لها الجبر والمقابلة[1]، وهي تشتمل][2] على معرفة الأشياء، والأموال، والأعداد، ووجه استخراج المجهول من ذلك من المعلوم. ومداره على معرفة الست المسائل الجبرية، وهي أموالٌ تعدل جذوراً، وجذوراً تعدل عدداً، وأعداد[3] تعدل أموالاً. وجذور وأموال تعدل عدداً، وجذور، وأعداد تعدل أموالاً. وأموال وأعداد تعدل جذوراً. وفي استخراج المجهول من هذه من المعلوم، طرق قد شُرِحتْ في مظانها.

وأول من ألف في ذلك كتاباً في الإسلام أبو بكر محمّد بن موسى الخوارزمي، ومعلوم أنَّ من تعرَّضَ للفُتيا في ميراث من غير علم يؤهِّلُ استحقاقه[4] من جهة الفقه، وكيفية القسمة عليهم من جهة الحساب لاسيما في مسائل الدور، والتكملة[5] والوصايا فإنما هو لاعب.

وإذا اعتقد الفقيه أن يتكفَّلَ بالفتيا[6]، ويَكِلَ الحسابَ إلى أهله فقد ظن خطأ؛ إذ كانت الفتيا في بعض المواضع متعلقة بالحساب فإذا أفتى فيها[7]المفتي، وقضى عن غير علم منه بالحساب، فإنما هو مقلد. والفتيا والحكم لا يكونان[8] بالتقليد.

---

(١) هو علم الجبر المعروف الذي يتم بواسطته استخراج المجهولات عن طريق معادلتها بمعلومات. ولم تكن هناك الرموز المستعملة الآن، بل كانت لهم مصطلحات بمثابة الرموز مثل كلمة شيء للمجهول (س)، والمال لمربع س والكعب مضروب المال في (الشيء) أي س٣ ويتفرع من ذلك المال أي (س٤) مال الكعب أي س٢×س٣=س٥ وكعب الكعب أي س٣×س٣=س٦ انظر تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (الطبعة الثانية) (٤٩).

(٢) إلى هنا النقص الحاصل في النسخة الأصلية.

(٣) في (ب) وعدد تعدل أعداداً.

(٤) في الأصل بمستحقي ذلك.

(٥) تقديم وتأخير في الكلمتين في (ب).

(٦) في (ب) بالفتي.

(٧) في (ب) بها.

(٨) في الأصل لا يكون.

فأما الدور فهو ما يؤدي[1] الناظر في المسألة إلى شبهة لا ينتهي منها إلى طرف بل كلما أحكمها من وجه اختلَّت من [وجه][2] آخر، وذلك أن عطايا المريض، وهباته، وصدقاته، [وعِتْقِه][3] موقوفة مراعى بها حالُه من يوم وفاته، لأنها كالوصية لمن وقعت له باجماع من الفقهاء إلاّ من لا يُعتَّد به[4]، فإذا زاد ما له أو نقص قبل موته كانت بحسبة لأنها تخرج من ثلثه[5] يوم وفاته الذي هو وقت تنفيذ وصاياه ولا يراعى ماله قبل ذلك حين الوصية. إذ قد يجوز له التصرف في ماله بالوجوه التي يسوغ له التصرف فيها، أو يظهر عليه دين فيستغرق ماله قبل موته أو أكثر، فلا يخرج الوصية من ثلثه. فوجب أن تكون أفعال المريض[6] من ذلك موقوفة مراعىً بها ما يؤول حال ماله إليه من زيادة أو نقص. فإذا زادت[7] التركة برجوع العطية إليه أو بعضها[8] وجب أن تزيد العطية. فإذا زادت العطية زاد ما يرجع منها إليه، فلا ينتهي في ذلك إلى غاية، ولا يعلم ما يجوز من عطاياه، وما لا يجوز مثال ذلك:

رجل وهب لأخيه مائة درهم في مرضه، ولا مالَ له غيرها فقبضَها الموهوبةُ له، ثم مات قبل أخيه، وخلَّف بنتاً، ثم مات الواهب الأوّلُ فإن الوجه [الظاهر من هذه المسألة][9] أن تُمضى هبةُ الواهبِ من المائة في ثلثِها، فإذا مات أخوه رجع إليه نصف الحائز بالهبة، وهو سدس المائة، فيصير جملة مال الميت بعد الهبة خمسةَ أسداسِ مائةٍ. فقد زاد ماله على ما كان عليه حين الهبة.

(١) في (ب) فهو أن يدفع.
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) ساقطة من الأصل.
(٤) في (ب) بخلافه.
(٥) في (ب) كان المعول فيها على ثلث المال. ومن قوله والذي... وصاياه ساقط من الأصل.
(٦) في (ب) أفعاله.
(٧) في الأصل أردت وهو تحريف.
(٨) تقديم وتأخير في (ب).
(٩) ساقطة من (ب).

ويجب أن تكون هبته أكثر من الثلث بنصف سدس آخر بحسب ما زاد في مالهِ.

فإذا كان كذلك، وصارت الهبة هذا المبلغ كان ما يرجع إليه منها أيضاً أكثر مما رجع إليه لمّا كانت ثلثا، ولا يزال ذلك دائراً فلا يتحرر مقدار الهبة.

ووجه الحساب في ذلك بالجبر والمقابلة الذي يقطع الدور، ويزيل الشبهة أن يقول: تجوز الهبة في شيء من المائة، وتُبطل في مائة إلا شيء، فتنقص مما في يد الأخ ذلك الشيء. ثم توفي فصار النصفُ لبنْته، والنصفُ ميراثاً للأخ الواهب، فيضاف إلى ما في يد ورثته وهو مائة الأشياء فيصيرذلك مائة إلاّ نصف شيء يعدل شيئين، إذ كان ينبغي أن يكون الجائز بالهبة هو مثلا ما يصير في أيدي الورثة، فإذا جبرنا، وقابلنا كانت المائة تعدل شيئين ونصفاً. فقد خرجت هذه المسألة إلى إحدى المسائل الست الجبرية التي تقدم ذكرها. وهي أشياء تعدل عدداً. والشيء الواحد خمسا المائة، وهو أربعون، فذلك هو الحائز بالهبة.

فإذا حازه الموهُوب له ثم مات رجعَ نصفُه إلى الواهبِ، ثم مات الواهبُ بقيَ في أيدي ورثته ثمانون درهماً، وبيد البنت عشرون درهماً. وكان ما خلَّف الميت مثلي ما خرج منه بالهبة لأخيه.

ومثلُ ذلك في الوصايا:

رجل له عبدٌ مأذونٌ له في التجارة قيمتُه ثلاثةُ آلافِ درهمٍ، لا مالَ له غيره، ولرجل على العبد دينٌ مبلغُه ألفُ درهم وَهَبَهُ سيُّده لغريمه في علة موته[1] بعد أن أوصى لمولى العبد بمثل نصيب أحد بنيه، ولرجل آخر بثلث ما بقي من الثلث ثم مات هذا الموهوب له، ولم يخلف غير العبد، فإنَّك تقول: للغريم[2] من العبد وصية فيكون دينه ألفَ درهمٍ إلا ثُلُث وصيةٍ. فإذا أخذ ذلك الغريم من ثمن العبد، وأخذ وصيته أيضاً بقي من العبد ألفا درهم إلا ثلثي وصية، فيرجع ذلك إلى ورثة المولى،

(١) في (ب) تقديم وتأخير في العبارات.

(٢) في (ب) للأجنبي.

ولهم أيضاً وصية. الغريم للمولى، وهي مثل نصيب أحد بنيه، فيصير جميع ماله الفي درهم، ونصيباً غيرَ ثلثي وصية فإذا جبرنا ذلك بثلثي وصية، وقابلناه به كـان يعـدل وصيتين، وثلثي وصيته، فالوصية الواحدة ثلاثة أثمان ذلك، وهو ثلاثة أرباع ألف، وثلاثة أثمان نصيب، فإذْ قد عرفت مقدارَ الوصيةِ فاطرحْ ثلثَها من دين الغريم وهو ألفٌ، فيكون الباقي من ذلك ثلاثةَ أرباعِ ألفٍ إلا ثمن نصيب، فذلك الـذي يـأخذه من رقبة العبد، مضافاً إلى وصيته، وهي ثلاثة أربـاع ألـف، وثلاثـة أثمـان نصيـب، فيحصل معه من العبد ألف وخمسمائة درهم، وربع نصيب، ومع ورثة المـولى ألـف درهمٍ وخمسمائةُ درهمٍ إلاّ ربعَ نصيبٍ، فإذا أردنا أخذ وصية الغريم للمولى الواهب أخذنا ثلث ما حصل في يده مـن العبـد، وذلـك خمسـمائة درهـم، ونصـف سـدس نصيب، فتطرح منه وصية المولى، وهو[1] نصيبٌ، يكـون البـاقي خمسـمائة إلاّ ثلثـين وربعَ نصيبٍ، فالق ثلثَ ذلك من[2] الوصية الثانية، فيبقى من الثلث ثلثمائة وثلاثـة وثلاثون درهماً وثلثٌ إلاّ خمسة أسباع[3] نصيبٍ ونصف تسعِ نصيب فَضُمَّ[4] ذلـك إلى الثلثين، وهو[5] ألف درهم وسدس نصيب، يصير ذلك ألفا وثُلُثَ ألف [يعـدل ثلاثة][6] إلا أربعة أتساعِ نصيبٍ يعدلُ ثلاثةَ أنصباءَ التي للبنين. فإذا جبرنـا، وقابلنـا يكون ألفٌ [وثلث ألف][7] تعدلُ ثلاثةَ أنصباءَ، وأربعة أتسـاع نصيـب، فابسـطْ مـا معك أتساعاً تكون الأنصباء واحـداً وثلثـين، والألـف وثلـث الألـف اثنـى عشـر، فحوّلْ ذلك، واجعلْ النصيب اثني عشرَ، واجعلْ كلَّ ألف واحداً، وثلاثـين سـهماً. فإذا عرفت، ذلك فخذ الوصيةَ، وهي ثلاثة أرباع ألف وثلاثة أثمان نصيب، وليـس

---

(١) في الأصل: وهي.

(٢) في (ب) للوصية.

(٣) في (ب) أتساع.

(٤) في (ب) يضم.

(٥) في (ب) وهما.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) ساقطة من (ب).

لسهام الألف ربعٌ، ولا لسهام النصيب ثُمْنٌ، فاضربْ ما معك في أربعة تكن[1] سهام الألف مائة، وأربعة وعشرين سهماً، والنصيب ثمانيةً وأربعين سهماً، فخذ ثلاثةَ أرباعِ الألف وثلاثة أثمانِ النصيبِ يكن الجميع مائة سهم وأحد عشر سهماً. وهي الوصية فالقِ ثلثها من سهام الألف تبقى سبعة وثمانون سهماً، وذلك الباقي من دين الغريم[2]، فإذا أضفتَ إليه وصيتَه وهي مائةُ سهم، وأحد عشرَ سهماً يكن ذلك مائة، وثمانية وتسعين سهماً، فأخرجْ ذلك من رقبة العبد وهي ثلاثة آلاف، كل ألف منها مائة وأربعة وعشرون يكن جميع ذلك ثلثمائة واثنين وسبعين، فإذا ألقينا من ذلك مائة وثمانية وتسعين[3] درهماً يكن الباقي مائة وأربعة وسبعين سهماً، فذلك ما يصير لورثة المولى، ثم تأخذُ ثلث مال الغريم، وذلك هو الدين والوصية، وثلُثُه ستةٌ وستون درهماً، فتلقي منه النصيبَ الموصى به لمولى العبد ومبلغُه ثمانيةٌ وأربعون درهماً يكن[4] الباقي ثمانيةَ عشَر درهماً فيأخذ ثلثَ ذلك لحق الوصية الثانية وهي ثُلثُ ما يبقى من الثُلثِ وذلك ستة يكن الباقي اثنا عشر فتزيدَها على الثلثين الباقيين من مال الغريم فيكون جميع ذلك مائة وأربعة وأربعين سهماً بين البنين، لكلّ ابنٍ ثمانيةٌ وأربعون سهماً، وذلك مثل ما قبضه مولى العبد بوصية، فيصير مع ورثة المولى بهذا النصيب مائتين واثنان وعشرون[5] سهماً، وذلك مِثْلا الوصية التي أوصى بها مُخلّفهم للغريم.

ومثل ذلك[6] في مسائل التكملة.

رجل ترك خمسة[7] بنين، وأوصى بتكملة الثلث مع نصيب أحدهم لأجنبي.

---

(١) في الأصل يكون.

(٢) في (ب) التي أوصى الغريم بها.

(٣) في (ب) وسبعين.

(٤) في الأصل يكون.

(٥) في (ب) مائتين واثنتين وعشرين.

(٦) في (ب) ومن.

(٧) في الأصل خمس.

فالوجه فيه أن يقال[1]: الوصية بثُلث إلا نصيباً[2]، فتأخذ ثلث مال فتلقي منه نصيباً فيبقى ثلث مال إلا نصيباً فتضيفه[3] إلى ثلثي المال يكن[4] ذلك ثلث مالاً إلاّ نصيباً[5] يعدل خمسة أنصباء، فإذا قابلتَ به وجَبَرتَه يكنْ المالُ يعدِلُ ستةَ أنصباء للموصي من ذلك الثلث إلاّ نصيباً، وهو سهم. ولكل ابن سهم.

وإذا تأمل المنصف هذه المسائل علم أن الفقه فيها ممتزج بالحساب، فلا يقدر الحاسب أن يُجيب بشيء منها ما لم يكن عنده من الفقه أصل يُعتمد عليه، وكذلك الفقيه لا يَقدِرُ على فَهْمِ شيءٍ منها على الوجه الصحيح ما لم يكن له في فِقهُ الحساب يدٌ صالحةٌ لا سيما إذا وقع فيها ما يُقصَدُ به من المعاياةِ[6]، فإنَّ ما أوردته من أسهل ما يقعُ من غيرِ قصدٍ للتعسُّفِ إذْ كان هذا الموضعُ غير محتمل استيفاء[7] القول في هذا الباب خوفاً من الإطالة، والعدول عن الغرضِ المقصودِ. وفي هذه الإشارة كفاية [إن شاء الله][8].

علم الحِساب

قوله: **أقسم بآيات المفصل لقد طبق حَزُّك المفصل** .. إلى آخر الفصل.

المفصل: [ما دون الرُبْعِ من الكتاب الكريم][9] سمي بذلك، لكثرة فصوله.

القرآن الكريم على خمسة أقسام:

---

(١) في (ب) يقول.

(٢) في (ب): نصيب.

(٣) في (ب) فيبقى الباقي ثلث ... فنصفه.

(٤) في الأصل يكون.

(٥) في (ب) مال ونصيب.

(٦) المعاياة: أن تأتي بكلام لا يهتدى إليه.

(٧) في الأصل الاستيفاء. وفي (ب) الاستيغاء.

(٨) ساقطة من (ب).

(٩) زيادة من (ب) في الأصل القرآن على أقسام خمسة ثم ذكر المفصل وعاد إلى ذكر الأقسام.

فالقسمُ الأوّلُ السبْع الطوال، وهو من أول الكتاب إلى براءة، وذلك سبع سور، لأنهم جعلوا الأنفال، وبراءة سورة واحدة.

والقسم الثاني المثين، لكون[1] السور تتجاوز فيه المائة.

والقسم الثالث ال طسم.

والقسم الرابع ال حاميم.

وآخر أقسامه [المفصَّل وهو ما دون الربع إلى آخره سمي بذلك لكثرة فصوله][2].

وطبَّقَ حزُّك المِفْصَل: مَثَلٌ يُضربُ به لمن أراد شيئاً فبلغَه ويقال: مِفْصِل، ومِفصَل مثل مِرفِق، ومرفَق.

وأما كون الحساب والجبر فرعين[3] من علم الهندسة، فلان الهندسة [هي][4] صناعة تنظُر في المقادير على الإطلاق من جهة ما هي مقاديرُ ينسب بعضها إلى بعض، ويضاف بعضها إلى بعض. والمقادير منها متصلة، [ومنها] منفصلة، فالمتصلة: الخط والسطحُ والجسمُ، إذ كان الجسم ينتهي بالسطح، والسطح ينتهي بالخط، ونظر الهندسة في هذه الثلاثةُ مجردةً عن الموادِّ غيرِ موضوعة في مادةٍ أصلاً، بل من حيث هي سطوحٌ. أو خطوطٌ أو أجسامٌ فقط وما يلحق هذه الثلاثة بما هي مجردة[5] عن المواد من التناسب، والتباين، والتشابُهِ، والتساوي وأحوالِها عند نِسبةِ بعضِها إلى بعض أو قسمتِها إلى مقادير أحوال زوايا ماله زوايا منها، وما يلحق هذه الزوايا أيضاً وتنظرُ في المُنطَقاتِ منها، والصُّمّ، والمَغَطّاة وغيرِ المُغطاة، وفي استخراجِ المجهولِ

---

(١) في (ب) لكن.

(٢) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب).

(٣) في الأصل: فرعاً، وفي (ب) فرعا على.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب) من حيث هي.

منها من المعلوم[١]. ولما كانَ كثيرٌ من الصنائع ينظر في موضوعاتٍ لها ذواتُ مقدارٍ كانت الهندسةُ مشاركةً لكثيرٍ منها. وكانت هي مفتقرةً إلى الهندسةِ كعلم المساحةِ، فإنَّه[٢] ينظر في أشكال الأرضين والمباني[٣] وأبعادها. ولما كانت [الأشكال][٤] تنقسم إلى مُثلثاتٍ ومربعاتٍ ومُنْحرفاتٍ، ومُدَوَّرات، وغير ذلك كانت صناعةُ الهندسة ناظرةً فيها، وكذلك الهيئة فإنَّ نظَرها في دوائرَ وقِسيّ، وزوايا، وخطوطٍ، [وأبعادٍ][٥] إلا أنها كلَّها فلكيةٌ، والأثقالُ تنظرُ في أجسامٍ تُقدَّرُ أو يُقدَّرُ بها [أو] تتحركُ أو يُتَحرَّكُ بها، فكان للهندسة النظرُ فيها من حيث التقدير والمساواةِ، وكذلك علم المناظر فهو ينظرُ في جميع ما تُنظرُ فيه الهندسةُ، لكنْ من حيث أن تلك الأشياء منظورٌ إليها بحاسة البصر لا ما هي عليه على الحقيقة، فإن البصر يدرك من حال ما الأشكال المرئية على خلاف ما هي عليه، كما ترى المرَّبع مستديراً إذا بَعُدَ، والساكنَ متحرِّكاً، والمتحركَ ساكناً إذا كانت الأشخاصُ المرئيةُ ليست على سطحٍ واحدٍ، والمستقيمَ معوَّجاً، والصغيرَ عظيماً إذا حالتْ دونَهما رطوبةٌ أو بخارٌ.

ومن هذا العلم النظر في المرايا المحرقة[٦] إذا كان الاحتراقُ إنما يكون عن أشعة منعكسةٍ إلى نقطةٍ واحدةٍ عن سطوحِ أجسامٍ أمَّا كُريّة أو مُقعَّرةَ تَقعيراً مخصوصاً على أحد القطوعِ المكافئةِ التي علمها خاص بالمهندسين[٧]، ولذلك[٨] أيضاً شاركتِ

---

(١) في الأصل: العلوم.

(٢) في (ب) وإنه.

(٣) في الأصل والأباني.

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) ساقطة من الأصل.

(٦) المرايا المحرقة: علم عرّفه حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٦٥٢ بأنه علمٌ يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعكسة والمنعطفة ومواقعها، وزواياها، ومراجعها، وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها، ونصبها ومحاذاتها، ومنفعته بليغةٌ في محاصرة المدن والقلاع.

(٧) في (ب) المهندس.

(٨) في (ب) وكذلك.

الهندسةُ الموسيقى من جهتين أحدهما: أن الألحانَ المطربَة إنّما تكونُ عن آلاتٍ ذاتِ أشكال محدودةٍ، ومقادير متناسبةٍ. الأخرى: أنَّ النغمَ نفوسُها مقادير إذ كانت الأصواتُ أنفسُها تُعدُّ في الكَمّ بوجود حدٍّ الكم لها. فإن الكمّ كلّما أمكنَ أن يقدر جميعه بجزء منه، والأصوات توجد فيها أجزاء تقدرها وهي المقاطع والأصوات والكم[1].

علم الهندسة

رجع: وقوله: **يفرق بين المنطق والأصم:**

فالمنطق ما قُدِّر بمقدار يوضع أولاً، والأصم هو ما باينه[2]، ولم يُقدّره مقدارٌ [والمنطق هو ما قُدِّرَ بمقدار معلوم، والأصمّ ما لم يقدرْه مقدارٌ معلومٌ[3]]. والمتممان هما السطحان الحادثان عن جَنبي قطر السطح المتوازي الأضلاع إذا أُخرج منه خطان مقاطعان على قدره، موازيان لضلعيه. وهما أبداً متساويان. والعلم[4] هو هذان السطحان إذا أُضيف إليهما المربَّعُ الذي على القطر، وذو الموسطين هو خطٌّ من أنواع الخطوط الصُّم، وهو الذي يتركَّب من خطين موسَّطين [مُنْطَقين][5] مشتركين في القوة أي المربعين الكائنين[6] منهما، يوجد لهما سطح يقدّرهُما، ومعنى يُقَدِّرهما أي يساويهما بنفسه عدة دفعاتٍ يكونان مع ذلك يحيطان بسطح منطق. وهذا هو الذي من الموسَّطين الأوَّل، وذو الاسمين جنسٌ لخطوطٍ كثيرةٍ مختلفةٍ. فأما ذو الاسمين فهو الخطُّ الذي يتركب من خطّين مستقيمين منطقين في القوة، مشتركين فيهما فقط.

---

(١) في الأصل، وفي (ب) اذاكم.

(٢) في (ب) ماتنة.

(٣) في (ب) إلاّ الواحد.

(٤) كذا في النسختين.

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) في الأصل: المربعان الكائنان.

فأما تسمية علم الهندسة بعلم[1] الأصول فلما تقدَّم ذكرُه من مشاركتها لعلوم كثيرةٍ وقد خُصَّ بهذا الاسم الكتاب المنسوب إلى اقليدس[2] من كتب الهندسة إذ كان المدخلُ إلى هذه الصناعةِ. وفيه أكثر ما يحتاج إليه المبتدئ من أصولها، وأن أكثر[3] الكتبِ المؤلفةِ فيها إنما قُصِد بها نوعٌ من الهندسة بعينه مثل كتاب ارشميدس[4] في الأكر، والأسطانين[5] وكتاب منالاوس في الاكر، وابلينوس[6] في المخروطات، واقليدس في المعطيات.

رجع: قوله: **قال آخر: ما فهت بزور، لا دليت بغرور..** إلى آخر الفصل:

أمّا إن الهندسة أصلٌ لعلم الهيئة فقد تبيَّن لذلك فيما سلف حيثُ قلْنا أنّ الهندسةَ تنظر في السطوح، والخُطوطِ، والمجسَّمات في أي مادةٍ كانت من حيثُ ما هي ثابتة على حالة واحدة.

علم الهيأة

والهيئةُ تنظرُ في السطوحِ والخطوطِ في الأجرام السماوية من حيث ما هي

(١) في (ب) بالأصول.

(٢) اقليدس هو ابن نوقطرس حكيم يوناني الجنس شامي الدار، صوري البلد أشتهر بكتابه أصول الهندسة وقد عني به علماء المسلمين، تاريخ الحكماء ٦٢، وفي الجامعة الأردنية مخطوط باسم الأصول الهندسية برقم (٥٢٣) ترجمة حنين بن إسحاق، وراجعه الحسن بن ثابت مصور من مكتبة بودليان اكسفورد. وذكر القفطي من كتب إقليدس كتاب الأركان، وقال هذا اسمه بين حكماء اليونان، وسماه من بعده الروم الاستقصا، وسمّاه الإسلاميون الأصول. تاريخ الحكماء: ٦٢.

(٣) في (ب) وسائر.

(٤) أرشميدس حكيم يوناني، كان بمصر، وقد أخذ عن المصريين أنواعاً من فنون الهندسة وقد ألف جملة كتب في الهندسة وغيرها، تاريخ الحكماء ٦٧.

(٥) في (ب) الكرة والاسطوانة.

(٦) ابلونيوس رياضي قديم العهد أقدم من أقليدس له كتاب المخروطات، وهو من جملة الكتب التي جلبت للمأمون من بلاد اليونان. تاريخ الحكماء (٦١، ٦٢).

متحركة، وتبحث عن أسباب ما يظهر من انتظام حركةِ كلِّ مُتحرِكٍ فيها و[1] اختلافها [وعن أبعادها][2] [وعلى أيّ وجهٍ يُمكنُ أن يكونَ ذلك الانتظامُ أو الاختلاف وعن أبعادها][3] ومقاديرها، ونسب بعضها من بعض، وتنقلِها في أفلاكها، وكيفية عِلْم مواضعِها من الفلك في أي وقت التُمِسَ ذلك، وما يلحق الشمسَ والقمرَ من الكسوفِ والرؤية، والمقابلةِ وغير ذلك من أمورها، وعن الأرض ووضعِها من السماءِ، ومقدارِ مساحتِها، وأنَّها عند السماء كالنقطة عند الدائرة، وعن مقدارِ المسكون منها، وغيرِ المسكون منها، وعن أقسامِها التي تسمى الأقاليمَ، وخواصِها، وما يطلع من الكواكب، ويغرُبُ [بحسب اقليم اقليم منها][4] في كل موضع منها، وأسباب ذلك، ومقدار نهار كل موضع [منها][5] بحسب تنقُّل الشمس في الشمال والجنوب، ومعرفة تفاوت طول النهار والليل إلى أن يكون طولُ النّهار في بعض المواضع ستةَ أشهر. وذلك في الموضع الذي يكون قطبُ معدَّلِ النهارِ على سمْتِ رؤوس أهله، وذلك أنّ الدائرة الدائمة الظهور هناك تجوز نصف فلك البروج الشمالي[6]. والدائرة الدائمةُ الخَفاءِ تجوزُ نصفَه الجنوبي. وبالجملة فصناعة الهيئة تنظر في خواصّ الأجرام السماوية، وما يتعلق بها.

قوله: معرفة الشهور والأيام:

السنة هي[7] المدة من الزمان الذي من ابتداء سير الشمس من نقطة ما من أجزاء

---

(١) في (ب) أو.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقط من (ب) وعبارة في كل موضع منها. ساقط من الأصل.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) فلك البروج هو دائرة البروج، وهي دائرة وهمية في السماء تحيط بالأرض اعتقد الفلكيون أن الشمس تقطع هذه الدائرة في حركتها الظاهرة في اثنى عشر شهراً. وقد قسمت السماء إلى اثني عشرة منطقة أو برج تحل فيها الشمس مدة شهر ثم تنتقل إلى التي تليها.

(٧) في (ب) فأما السنة الشمسية فهي.

فَلَك البروجِ إلى ان تعودَ إليها، وهي ثلاثمائة يوم وخمسٌ وستون يوماً، وربعُ يومٍ لاجزاء من ثلاثمائة جزءٍ من يوم [هذا رأي بطليموس(١)].

والسَّنةُ القمرية ثلاثمائة و أربعة وخمسون يوماً، وخُمْسٌ وسُدْسُ يوم.

ومعتَمد أكثرِ التواريخِ على السَّنة الشمسيةِ إلا التاريخَ العربي فإنَّه بالسنين القمرية. وبين السنتين عشرة أيام ونصفُ ثلْثِ يومٍ، ونصفُ عُشْرِ يومٍ. فبهذا المقدار يكون دوَران السنةِ القمرية، ولذلك كانت العربُ قد أحسَّت(٢) باختلاف أوقات سنيهم، وأنّهم لا تعود مواسمُهم كالحج وغيره في كل سنة من سنيهم في الوقت بعينهِ التي كانت فيه في السنة الماضية. فكان النّساَةُ(٣) وهم من بني كنانة، ثم من بني فقيم ينسئون(٤) في كل ثلاث سنين شهراً واحداً، وهو قريب من مقدار ما يجتمع من الايام بالسنة القمرية والشمسية في هذه الثلاث سنين، فتكاد مواسمهم في كل سنة إذا فعلوا ذلك أن يرجع إلى حد واحد، فاختل أمرهم بعد ذلك، فكانوا يقصدون إلى الأشهر الحرم وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة ومحرم، فيُحلُّون منها ما يرون، ويحرِّمون سواه. وكانت العرب إذا قضوا حجَّهم أتوا الناسئ فيقول: اللّهم أنّي لا أُعاب، ولا أجاب، ولا مَرَدَّ لما قضيت، اللهم أني قد أحللت دماءَ المحلّين من طي، وخثعم، اللهم أني أحللت أحد الصفرين(٥) ونسأت الآخر إلى العام المقبل فإذا حرّم [المحرم كانت الأشهر الحرُم ثلاثةً متوالية وإذا أحلّه جعل مكانه] صُفَر

(١) ما بين القوسين من النسخة الأصلية فقط

(٢) في (ب) أحسّوا.

(٣) النسأة والنسّاء كما في (ب) جمع ناسئ من النسيئة وهي تاخير الشهور، وذلك أنَّ العرب كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل منهم من كنانة فيقول: انا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء، فيقولون صدقت: انسئنا شهراً، أي: اخّره عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، واحل المحرم: لانهم كانوا يكرهون ان تتوالي عليهم ثلاثة اشهر حرم لا يغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة فذلك الانساء. لسان العرب (نسأ) وقد حرمه الاسلام فيما بعد.

(٤) في الأصل: ينسبون وهو تحريف

(٥) ساقط من (ب)

ليواطئ العدّة فيقول: أكملت العدة أربعة اشهر. فلم يزالوا علـى ذلـك إلى أن جـاء الله بالإسلام فأنزل الله سبحانه الآية: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[1].

فإذا أراد مُريدٌ ان يستخرج من العربي التاريخ القبطي[2] أو غيره من التواريخ العجمية التي مبناها على السَنةِ الشّمسيةِ بسط السنين التي من الهجرة إلى الوقت الذي يريده أياماً[3] وأضاف إلى ذلك الأيام التي بين مبدأي التاريخين [الذي يريده من أول يوم من الهجرة][4] إنْ كان متقدما على الهجرة، أو نقصّها منه إن كان التاريخ بعد الهجرة كالتاريخ من الذي منْذ مَلَكَ يزدجر بن شهريار، فمهما بقي بعد الزيادة والنقص قسّمه على ايام السنة الشمسية، فما خرج فسنون، وما بقي فأشهرٌ وأيامٌ، ويبتدئ في عدد شهور كل قوم من أول سنتهم ويسقط [لكل شهر، وما بقي لم يكمل شهراً عدّ مثلُه][5] أيامه فحيث انتهى ذلك العدد فهو تاريخ اليوم الذي يطلبه[6].

فأما شهور الفرس فهي: فروديازماه، ازدبهشتماه[7]، خرداذماه، تيرماه[8]، مرداذماه، شهريرماه، مهرماه، أبانماه، أذرماه، ذي ماه، بهمنماه، اسفندارمداه[9]، ولكل شهر منها ثلاثون يوماً إلا ابانماه فانه خمسة وثلاثون يوماً.

---

(١) من سورة التوبة الآية ٣٧

(٢) انظر طريقة استخراج التاريخ القبطي من العربي كتاب التوفيقات الإلهامية ٨٤.

(٣) في هامش (ب) وهو ان يضرب جملة السنين لعلامات في معلومة القمرية.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) اختارت بعض الأمم مثل الافرنجة والروم والمصريين والسريان والفرس العمل بالسنة الشمسية، واختارت الهند والصين وعرب الجاهلية التقويم القمري. تاريخ الفلك ٦٧.

(٧) في مروج الذهب اردبيهشت ماه. وانظر السامي في الأسامي للنيسابوري ٣٦٠.

(٨) سماه المسعودي في مروج الذهب ٧/ ٤٣٥ تيمرور.

(٩) ذكر المسعودي عشرة شهور فقط تاركا بهنماه واسفندرمداه.

وأما شهور القبط فهي توت بابـة[1]، هتـور، كيهـك، طوبـة، امشـير، برمهـات، برمودة، بشنس، بؤونة، ابيب، مسّرى. ولكل شهر منها ثلاثـون إلاّ مسّـري فأنـه في أخره خمسة أيام يسمونها اللواحق.

وأما شهور الروم فهـي: تشـرين الأول، تشـرين الثـاني، كـانون الأول، كـانون الثاني، شباط، أذار، نيسان، أيـار، حزيـران، تمـوز، آب، ايلـول. فسـبعة منهـا أحـد وثلاثون يوماً كل شهر، و أربعة[2] منها ثلاثون يوما كل شهر وهي:

تشرين الثاني ونيسان، وايلول، وحزيران، إلا شباط فهو ثمانيـة وعشـرون يومـاً وربع يوم، ففي [3] كل أربع سنين يصير تسعة وعشرين يومـاً [والباقيـة كـل واحـد منها واحد وثلاثون يوماً][4].

وتاريخ يونان بأوَّل يوم ملك الاسكندر بن فيلبس وهو يوم الاثنين، وبينه وبـين الهجرة من السنين الرومية سبعمائة واثنتان وثلاثون سنة، ومائتان وسـبعة وثمـانون يوماً.

[و أول يوم من تاريخ الفرس ملك يزدجرد، وهو أول السنة التي ملك فيها يوم الثلاثاء، وهو بعد الهجرة بثلاثة آلاف وستمائة و أربعة وعشـرين يومـاً][5]. فـالذي بين بخت نصر ويزدجرد الفـّ وثمانمائة وسبعون سنةً فارسـية تامـة، وثلاثـة أشـهر. والذي بين الاسكندر، ويزدجرد تسعمائةٌ واثنان و أربعـون سـنةً مـن سـني يونـان، ومائتان[6]، وتسعة وخمسـون يومـاً [والـذي بـين دفلطيـانوس ملـك القبـط بمصـر، والهجرة ثلاثمائة وعشرون سنة، وثلاثمائة وثمانية وعشرون يوماً.

---

(١) في (ب) بامه

(٢) في (ب) تقديم وتأخير في العبارتين الأخيرتين.

(٣) في (ب) وفي كل

(٤) ساقط من (ب).

(٥) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٦) في الأصل، و(ب) ومائتين.

رجع][1]قوله:

ولـولا صناعـة الهيئـة لمـا عُـرِفَ مـن سَـمت القِبلـة، ولم تُعلَـمْ أوقـاتُ الصلواتِ إلاّ على الجملة.

فنقول: للمصلي في استقبال القبلة أحدُ ثلاثةِ اوجهٍ[2]:

إما أن يقابل عين الكعبة، وإمــا أن يقـابل جهتهـا، أو لا يقـابل [ولا][3] واحـداً منها.

فأما ما يقابل[4] العين فهو الذي [إذا][5] فرض بين قدميه خطٌ وقُسِــمَ بقسـمين، واخرج منه خط لا ميل فيه إلى واحــدة مـن الجهتـين، وأُنفِـذَ علـى اسـتقامةٍ تمـر[6] بالكعبة. فهذا هو المقابل على الحقيقة.

و أما مقابلة الجهة فهو الذي يُفْرَضُ خطٌ مــارٌ بالكعبـة، ويكـون موازيـاً للخـطّ الذي بين يدي الواقف. ومعنى الموازاة هو ان يكون الخطّان إذا تُوهِــم إنفاذُهمـا في كلتا الجهتين لم يتوهم التقاؤهما[7]، والذي لا يقابل الجهـةَ والعـينَ بعـد عِلْـم ذلـك معلومٌ. وللفقهاء في اصابة الجهة والعين، وما حُكْـمُ المصلـي إذا وافـق احداهمـا[8] بقصد أو اجتهاد اختلافٌ كثير [و][9]محصولُ كلامِ المحققـين منهـم هـو أنَّ المطلـوبَ مواجهةُ عينِ الكعبةِ، لكنْ لّما تعذَّر ذلك، ولم يكن على الحقيقة إلاّ مَنْ هو بالمســجد

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في (ب) وجوه.

(٣) من الأصل فقط.

(٤) في (ب) فاما مقابل.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب) مر بالكعبة.

(٧) في الأصل انفذا من ... لم يلتقيا، ورجحنا نص (ب).

(٨) في (ب) أحدهما.

(٩) زيادة من الأصل.

الحرامِ خاصةً دون مَنْ هو بمكة [حرسها الله][1]. وكان لازماً لمن هو في مكة إذْ كان يُمكنُه التوصل إلى ذلك بالمسير إلى المسجد الحرام، وعلى هـذا الوجـه يـرون انـه لا يجزي المقيمَ بمكةَ صلاتُه ما لَمْ يُصلِها في المسجد، اذ كان التوجُه إلى عينِ الكعبـةِ، قـد أمكنه ذلك. وأما بعد مكة فان الجهة تجزيه واستدلّ مَنْ رأي ذلك بقـول الله تعـالى: (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره).[2]. وبقول الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم لاهل المدينة: ما بين المشرق والمغرب قبلة[3]، إذ كانت مكة تقع منهـم بـين المشـرق والمغرب. فأما من لَم يُصِبِ الجهةَ ولا العينَ فهو غير متوجهٍ إلى القبلة، ولذلك تُلزِمُه الاعادةُ فاشتدت [لذلك][4] الحاجةُ إلى معرفةِ الجهةِ. وأقلُّ مـا تُعـرَفُ بـه الجهـةُ أنْ تَعلَمَ موضعَ بلدك[5] من مكة إذا كانت الجهـاتُ اربعـاً شمـال، وجنـوب، وشـرق، وغرب، ولا بدَّ ان تكون مكة [6] من البلد الـذي يكـون بـه المصلـي في احـد هـذه الجهات الاربع أو بين جهتين منها، فاعتمدَ قومٌ في معرفة ذلك على مهـبّ الريـاحِ، ومطالع[7]النجوم، ولا أصل لذلك [ثابت][8]، إذْ كانت الريـاحُ تختلـف، ولا يُعلَـمُ مهبُّها على الحقيقة إلا بمعرفة الجهات، فكيف تعرف منها الجهات؟

وكذلك الكواكبُ لا تصُحُّ معرفةُ مواقِعها في الطلوع والغـروب إلاّ بعـد معرفـة أطوالِها وعروضها. ومعرفة الطول والعرض مستنبط من علم الهيئة إذْ كان العـرض هو البعد الذي بين الدائرة التي تسمى معدل النهار [حيث][9]يتساوى اللّيلُ والنهـارُ

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) الاية من سورة البقرة ١٤٤.
(٣) انظر كنز العمال ٧/ ١٩١٦٣.
(٤) زيادة من الأصل.
(٥) في (ب) ان تعلم موضع بلد كل.
(٦) في (ب) يكون البلد.
(٧) في (ب) وملطع.
(٨) ساقط من (ب)
(٩) ساقط من الأصل

أبداً عند أهلها وبين سمت رؤوس سكان الموضع المطلوب عرضه هو قطعة من هذه القوس [من الدائرة المسماه بمعدل النهار تفرز][1] بين الدائرة والتي تحدُّها دائرةُ نصف النهار[2] للموضع المطلوب طوله، وبين أول العمارة من جهة المشرق أو المغرب فإن عَلِمَ طولُ البلدِ التي بها المصلي، وعرضها، وطول مكة، وعرضها، وكان الطولان متساويين وعرض مكة أكثر من عرض البلد، فالقبلة إلى جهة الشمال سواء، فان كان البلد[3] أقل عرضا فالقبلة إلى جهة الجنوب سواء، وإن اتفق العرضان[4]، واختلف الطولان، وكان طول مكة اكثر إلى جهة المشرق، وإنْ كان مبدأ الطول من المغرب وكانَ أقلّ، فهي إلى جهة المغرب وإن كانت البلدة ومكة مختلفتين[5] في الطول والعرض علم أيضاً من ذلك أي جهتين من الجهات الاربع موقعها من المدينة التي بها المصلي، وتوجه إليها. فبهذا الوجه يمكن اصابة الجهة وهو أقلُّ ما يلزم المصلي.

فأما إصابة العين فتحتاجُ إلى استخراج الخط الذي يخرج من بين عيني المصلي فيمر بمكة، ولا يمكن ذلك إلاّ من طريق الهيئة، وهو ان تعتمدَ إلى بسيطٍ مستوٍ غيرِ مائلٍ عن موازاة الأفق فتخطُّ فيه دائرةً بقدرٍ معتدلٍ، وتخرَج فيها خطَّ نصفِ النهار، وذلك بان يقامَ على مركزِها خطٌ على زاويا قائمةً أو يُعلَمَ على ظله في أي الجهتين كان، ويرصد الظلّ إلى ان يعودَ إلى مثل قدره في الجهة الأخرى، وتُعلم عليه أيضاً، علامةٌ ويوصل بين العلامتين بخط مستقيم، ثم يُقسَمُ هذا الخطُ المستقيمُ بنصفين ويخرجُ من موضع القسمة خطٌّ[6] لا مَيْلَ فيه إلى واحدة من الجهتين، وينفذ إلى أنْ

---

(١) مابين القوسين سقط من (ب)

(٢) خط نصف النهار، ويسمى خط الهاجرة، أو دائرة نصف النهار، وهو خط وهمي على سطح الأرض تكون الشمس عمودية عليه عند الزوال.

(٣) في (ب) فان كانت القبلة.

(٤) في الأصل العرضان.

(٥) في (ب) وإن كانت مخالفة في الطول.

(٦) في الأصل خطا.

يقطعَ الدائرة، فذلك هو خط نصف النهار، ونهايتاه الجنوبُ والشمالُ، والخط الذي يقسمه بنصفين على زوايا قائمة هو خط المشرقِ والمغربِ، ونهايتاه المشرقُ والمغربُ. ثم يُنظر أيُّ هذه الأرباع التي انقسمت بها الدائرة فيها [1] مكة، وذلك بأنْ يستخرج عرض بلدنا ومكة[2] من الطّول لهما جميعا بالطرائقِ المشهورةِ أو من الجداولِ التي وضعت لذلك، فإن كان عرضُ بلدِنا أكثرَ من عرض مكةَ علِمنا أنَّها في جهة الجنوب من بلدنا، ثم ينظر إلى الطولين[3]، فإن كان طولُها أكثرَ عِلمِنا انها في جهةِ المشرقِ فيُعلم حينئذٍ أنَّها في أحد الربعين الجنوبيين، وهو الشّرقي[4] منهما. وكذلك يعلَمُ موقعها في أيّ الأرباع كانت على هذه السبيل، فإذا علمنا الربع الذي هي به كان مطلوبُنا استخراج خطٍّ يخرجُ من مركز هذه الدائرة المذكورة، ويمرُّ بمكة ولا سبيلَ إلى ذلك إلا باستخراج مقدار القوس الذي يحدّها الخطّ المذكور من محيط الدائرة، وهي المسماةُ قوس السمت. فإذا اردنا ذلك قسمنا [محيط][5] المربَّع الذي نعلمُ أنَّ مكةَ فيه بتسعين جزء أو نُسقِطُ عرضَ مكةَ من تسعين، فما بقي [اخذنا جيبه][6]، فضربناه في جيب الفضل في الطول بين بلدنا ومكة، وقَسَمنا المجتمَع على الجَيْبِ كلِّه، فما خَرجَ سَمّيناه الطولَ المعدَّل[7] [ثم ضربنا جيبَ عرضِ مكة في الجيب كلِّه، وقسّمنا المبلغَ على جَيْبِ تمامِ الطّول المعدّل، فما خرج سميناه العرض المعدل وهذا العرض][8] إذا كان منْ عرض بلدنا، فالسمت إلى ناحية الجنوب عن

---

(١) في (ب) فيه.

(٢) في (ب) لبلدنا ومكة، وعرض البلد هو بعده عن خط الاستواء

(٣) وطوله هو بعده من المشرق والمغرب، وان اقصى الشرق واقصى الغرب ١٨٠ درجة، وكذلك بين نقطة الجنوب ونهاية الشمال ١٨٠ درجة، وكذلك بين نقطة نهاية الجنوب ونهاية الشمال ١٨٠ درجة. مفاتيح العلوم ١٢٦

(٤) في الأصل المشرقي.

(٥) ساقطة من (ب)

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في الأصل المعتدل.

(٨) ما بين القوسين زيادة من (ب).

خطّ الاعتدال، فإن كان مثلَ عرضِ بلدنا فالسّمت مشرق الاعتدال إذا كان مكة أقل من طول بلدنا، وإنْ كان أكثرَ فالسمتُ مغربُ الاعتدال، ثم ضربنا جيبَ تمامِ فَضْل ما بين عرض بلدنا، والعرض المعدّل في جيب تمام الطُّول المعدّل، وقسّمنا المجتمِعَ على الجَيْبِ كلّه، فما خرج سميناه ارتفاعَ مكة في بلدِنا ثم نضربُ جيبَ الطّولِ المعدَّل في الجيب كلّه، [وهو ستون]، ونقسِمُ[1] المجتمع كلَّه على جيب تمام ارتفاعِ مكة في بلدنا، فما خرج [فقوسُه على قوس السَّمت] وهي ما [يحوزه الخط المار ببلدنا][2] وبمكة من محيط الدائرة بين خطّ المشرق، وبين طَرَفِ خطٍّ نصفِ النّهار مثال ذلك:

أن يُفرضَ مركزُ الدائرةِ التي تقومُ مقام دائرةِ الأُفُقِ ب وهي دائرة الأفق. ويُفرَض عليها نصفُ دائرة نصفِ النهار هـ ب ج، وقطب معدل النهار قوس أب [من][3] نصف دائرة معدل النهار، و اجـ من قوس الافق و ب ر فضل ما بين بلدِنا ومكةَ في الطّول، ويحيطُ ربع دائرة هـ ز ويُجْعَلُ زم مثل عرض مكة و ب س مثل عرض بلدنا، ويخط ربع س م د فيكون د جـ هو رُبعُ بُعْدِ سَمْتِ القبلة في بلدنا عن خط الزوال. ويخرج امح ربْع دائرةٍ عظيمةٍ فلأن نسبة جيوب القِسيّ التي من دوائرَ عظامٍ بعضِها إلى بعضٍ كَنِسبِ [جيوبِ][4] ميولها بعضها إلى بعض [على ما يتبين بالشكل المعني] تكون نسبة جيبِ هم، وهو تمام عرض مكة إلى جيب مح المجهول كنسبة جيب هز، وهو الجيب كلّه إلى جيب زب، وهو فضل ما بين الطولين، ونسبة جيب ام إلى جيب مز، وهو عرض مكة كنسبة جيب اج وهو الجيب كله إلى جيب حب المجهول. ونسبة جيب ام إلى جيب مد كنسبة جيب اج وهو الجيب كله. الى جيب حج وهو تمام حس، ونسبة جيب مس إلى جيب مح كنسبة جيب سد إلى

---

(١) في (ب) وقسمنا المجتمع على.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

جيب دج المطلوب. فهذه اربعة مقادير متناسبة ثلاثة منها معلومة وهي مس مح سد. فالرابعُ وهو دج معلومٌ، فتأخذ بقدر أجزائِه من الرابعِ المقسومِ، وتبتدأ في العددِ من طَرَفِ خطّ نصفِ النهارِ، فحيثُ انتهى العددُ وصلنا بينه وبين المركز بخط مستقيم، فهو خط السمت الذي يمر بمكة.

ولهذا الشكل ثلاثُ صُوَرِ اثبتنا احداها لاكتفاء الناظر بها من غيرها[1]، ولا يبعد بعد معرفتها علمُ الحالِ في الصور[2] الباقية، وقد يتهيأُ لنا بهذه السبيلِ بعد أنْ عرفنا قوس سم وهي بُعْدُ ما بين سَمْتِ رؤوسنا، وبين سَمت رؤوس أهْلِ مكة أن نعرف

(١) في (ب) وهذه صورة احد الاقسام الثلاثة.

(٢) تكررت العبارة مرتين في (ب).

ما بين بلدنا وبين مكة من البعد على بسيط الأرض. وذلك ان يُتوهَم قطعةٌ دائرةٌ عظيمة مرسومةٌ على بسيط الأرض[1] موازيةٌ لدائرة س م د. فقد تبين أنَّ كلَّ درجةٍ من الفَلَكِ توازيها من الأرض ستةٌ وخمسون ميلا، وربع ميلٍ على ما قاسه خالد بن عبد الملك المروروذي[2]، وعلي بن عيسى الاصطرلابي[3]، وسَنَدُ بن عليّ[4] في مواضع مختلفة. وذلك ان المامون[5] أمرَهم بقياس ما بين مكانين فضلُ ما بينهما في العرض درجةٌ [لتُعلَم به مسافتها، فخرج سند بن علي وخالد بن عبدالملك إلى مابين قاميه وتدمر، وقاسا هنالك مقدار درجة واحدة][6]، فكان سبعة وخمسين ميلا. وقاس علي بن عيسى الاصطرلابي، وعلي بن البختري مثل ذلك في ناحية اخرى. فورد الكتابانِ في وقتٍ واحد إلى المامون باتفاق القياس. وقاس أيضاً أحمد بن عبدالله بن حبش[7] في برية سنجار، فكان ستة وخمسين ميلا وربعَ ميلٍ. وهذا قريبٌ من ذلك. والميلُ الواحدُ أربعة آلاف ذراعٍ بالذراع[8] التي اتخذها المأمون، وهي أربعة وعشرون اصبعاً كما تقدم.

---

(١) تكررت العبارة مرتين في (ب).

(٢) خالد بن عبد الملك المروروذي كان متوليا لـلرّصد هـو وسـند بـن علـي والعبـاس بـن سـعيد الجوهري. تاريخ الحكماء ٢١٩،٢٤٢.

(٣) علي بن عيسى الاصطرلابي كُلِّف بالقياس في ناحية سنجار. علم الفلك: ٢٨٢.

(٤) سند بن علي الماموني مُنجّم خبير بالنجوم، وعمل آلات الرصد والاصطرلاب، وكان يرصد بالشماسية ببغداد. تاريخ الحكماء ٢٠٦-٢٠٧.

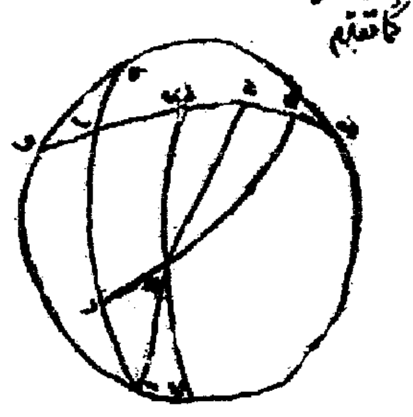
(٥) ورد في كتاب الزيج الكبير الحاكمي لابن يونس المصري (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م) ان المامون الَّـفَ لجنةً من سند بن علي، وخالد بن عبدالملك المروروذي من أجلِ ان يقيسا مقدارَ درجةٍ من اعظم دائرةٍ من دوائر سطح الكرة الأرضية من تاريخ الفلك/ ٢٨٢.

(٦) ما بين القوسين زيادة من (ب)

(٧) ذكره نلينو في الخبر عن القياس الثاني من كتاب أصحاب الزيج الممتحن. تاريخ الفلك ٢٨٢

(٨) هذه الذراع موافقة للذراع الشرعية ومقياسها ٤٩٣,٣ ملممتر وسماها نلينو الذراع السوداء. انظر تاريخ الفلك ٢٨٨.

وخالد بن عبد الملك الى ما بين فامية وتدمر وقاسا هنالك
مقدار درجة واحدة فكان سبعة وخمسين ميلا وقاس علي بن عيسى
الاصطرلابي وعلي بن البحتري مثل ذلك في ناحية اخرى ووجد
الكتابان في وقت واحد الى المامون باتفاق القياس وقاس ايضا
احمد بن عبد الله حبش في برية سنجار فكان ستة وخمسين ميلا
وربع ميل وهذا قريب من ذلك والميل الواحد اربعة آلاف
ذراع بالذراع الذي لقدرها المامون وهي اربعة وعشرون اصبعا
كما تقدم



فإذا أضفنا[1] مقدارَ الدرجةِ الواحدةِ بمقدارِ ما في القوس التي هي سم من الربع[2]، كان ذلك هو البعد بين بلدنا ومكة، وتبين لنا استعمال ذلك في كلِّ بلدين معلومي الطولين والعرضين، فيُعلم بُعْدُ ما بينهما. بل يمكننا بذلك علم مساحةِ الأرض بجملتها إذا نحن ضربنا مقدار الدرجة الواحدة من الأميال في ثلاثمائة وستين [والتي هي دور منطقة الفلك][3].

(١) في الأصل ضافنا، واثبتنا رواية (ب).
(٢) في (ب) الدرج، وهو تحريف.
(٣) مابين القوسين زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

وقد يمكننا أن نعلم ذلك أيضاً بان نَرصُدَ كُسوفين قَمَرِيَين في بلدين أحدهما مشرقي، والآخر مغربي فننظر تفاوتَ ما بين[1] وقتي الكسوفين من الساعات الاستوائية، ثم نمسح ما بين البلدين فنعلم بذلك ما يخص الدرجة الواحدة من الأميال، اذ كانت الساعةُ الواحدةُ خمسَ عشرةَ درجةً، ثم نضرب ما يخصُّ الدرجةَ في ثلاثمائة وستين، فما اجتمع من ذلك فهو مساحةُ منطقةِ الأرض، فإذا علمتَ منطقتَها فقد علِمَت مساحتَها، وذلك بان تقسَم مساحَة المنطقةِ على ثلاثةٍ وسبعٍ، فما خَرجَ من ذلك فهو القطرُ. وإذا ضربت القطرَ في نفسِه. ثم ما خرج في مثله كان ذلك مساحة الكرة [يتبين ذلك في كتاب الكرة والاسطوانة لارشميدس][2].

وقد يُتَوَصَّلُ إلى معرفة مساحة الأرض بشكل هندسي، وهو أن يرقى[3] من أراد ذلك جبلاً مفرطَ العلّو جداً، ويكون أمامه[4] بسيط من الأرض مستوٍ، وينظر من هَدَفيْ عضادتي الاصطرلاب[5] إلى أن يقعَ بصرُه على موضعٍ من ذلك البسيط، ويَتوهمُ خروجَ خطّ مستقيمٍ ما بين موضعِ بصرهِ، ومركزِ الأرض، فيحدث من ذلك مُثلَّثان متشابهان، يعلم المجهولُ من اضلاعِهما من المعلوم.

مثال ذلك: لتكنْ الدائرة التي ماسَّها الخطّ المستقيم الخارج من البصر المرسومةُ على الأرض دائرة اب مركزها هـ، والجبل اس، وعِضادة[6] الاصطرلاب جـ ز، فزاوية س قائمة من [أجل أن حـس جيب قوس حـ ر] وزاوية د س قائمة من اجل التماس، وزاوية ح مشتركة فمثلت جـ رس شبيه بمثلث ح ب هـ فنسبه هـب

---

(١) في (ب) مابين.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل

(٣) في (ب) يرقل.

(٤) في (ب) تحته

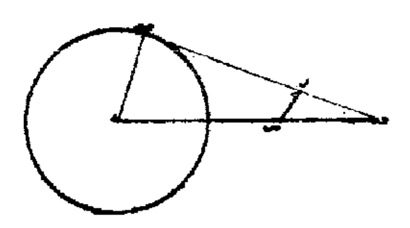
(٥) الاصطرلاب آلة اصل اسمها باليونانية اصطرلابونه، ومعناها مرآة النجوم، وهي على اشكال، وبها عدة اجزاء مخصصة لقياسات مختلفة تتعلق بالنجوم، ولكل جزء تسمية. انظر مفاتيح العلوم ١٣٤.

(٦) في (ب) اعضاده.

[إلى بـح كنسبة ا س إلى سح، وكل واحد من ب ح رس ح س معلـوم في معلـوم. وهو نصف قطر الأرض.

فالقطر بأسره معلوم، ومساحة الأرض[1] باسرها معلومة، وذلك ما اردنا ان نبين.

بحـ كنسبة رس الى سحـ وكل واحد من
بحـ رس معلوم وهو نصف قطر الارض
فالقطر باسره معلوم فمساحة الكرة باسرها
معلومة وذلك ما اردنا ان نبين ٥ فاما معرفة
اوقات الصلوات فالامر في حاجة من
يروم علمها على التحقيق الى علم الهيئة غير خاف



وذلك ان الصلوات المفروضات خمس نهاريتان

[فهـذا وجـه الحاجـة إلى علـم الهيأة في اسـتخراج سَـمْت القِبلـة علـى الوجـه الصحيح][2].

فأما معرفة أوقات الصلاة فالأمر في حاجة من يـروم علمهـا علـى التحقيـق إلى علم الهيئة غير خاف، وذلك ان الصلـوات المفروضـات خمسٌ، نهاريتـان، وثـلاثٌ ليليّات. فأما اللّيليات فمستَندُ المعرفةِ في أوقاتِهـا إلى الشَـفَقِ والفَجْـر والمنـازِل. ولا

(١) في الأصل الكرة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

النهاريتان، فأوقاتهما محدودة بالظلال. فوقتُ الظهر هو الزَوالُ، وذلك حين يبدأ الظلُّ في الزيادة بعد بلوغِه إلى غايةِ النقصِ. وما[1] لم يكن الإنسانُ عالماً بمقدارِ ظلّ نصف النهار في كل يوم، عَسُرَ عليه معرفةُ وقت الزوال، إذْ كان لا يمكنهُ ارتقابُ الظلّ النهارَ كلَّه، وإنْ فَعَل ذلك في يومٍ لم يُكنْه في يوم آخر، أو [فعل ذلك في بلدٍ بعينه لم يُمكنْه][2] أن يعتمده في كلّ بلد يحلّ[3] إليه إذْ كانت الاظلال تختلف[4] باختلاف البلدان والأوقات اختلافا كثيرا. وقد لا يكون في بعض البلاد، وبعض الأوقات من السنة للشيء القائم ظل[5] أصلاً. وهي [أكثر][6] البلاد التي في الإقليم الأول وبعض الثاني[7]، وربما كان الظّلُ في بعض البلاد دائراً إلى سائر الجهات لا يزيدُ مقدارُه، ولا ينقصُ في بعض الأوقات. وهي البلاد التي [عرضها ستّ وستون درجةً وما والاها][8] [في غاية الشمال، وعرضها تسعون درجة][9]. فليس في هذه زوال في بعض[10] الوقت، [ولا يعرف وقت الزوال][11]، ثم إن المشقة في معرفة وقتِ العصْر أعظمُ؟ إذا كان أولُ وقتِه هو أن يصير ظلُّ كلّ شيءٍ مثله. وأكثرُ الجهّالِ يظنُّ أن ذلك مطلق[12]، فيغلط غَلطاً عظيما إذْ ربما كانَ ظلُّ نصفِ النهار في بعض البلاد والأوقات مثلَ الشيء القائمِ وذلك[13] في وقت الظُهر. فكيف يكون

---

(١) في الأصل وفي (ب) ومهما.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) في (ب) يصير.
(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٥) في (ب) ظلال.
(٦) ساقطة من الأصل.
(٧) في (ب) الثاني والأول.
(٨) ما بين القوسين من (ب).
(٩) ما بين القوسين ساة من (ب).
(١٠) زيادة من (ب).
(١١) ساقط من الأصل.
(١٢) في (ب) ذلك مطلقاً.
(١٣) في (ب) هو.

وقتُ الظهر هو وقتُ العصر؟ انما الوجه أنْ يُعتَبر في وقتِ نصفِ النّهار هو[1] مقدار الظل، فإذا عُلمَ ذلك وزاد عليه مثل الشيء القائم فذلك أول وقت العصر، فإذا صار الظل بعد ذلك مِثْليْ الشيء القائم، خرج وقت الظهر، وتمكّن وقت العصر [هذا على أكثر الآراء][2] فلا بد من معرفةِ ظلّ نصفِ النهارِ في سائر الأوقات والساعات اذ كان [يمكن][3] من عِلْم أحدهما علمُ الآخر، ولا سبيلَ إلى معرفةِ ذلك أصلاً من دون علم الهيئة. فان المريد لذلك على التحقيق يجب أن يكونَ [أول][4] ما يبدأ به معرفة موضع الشمس من فلك البروج أمّا من تقويمِ الشمس على ما عُهِدَ في الجداولِ الموضوعةِ لتقويم الكواكب في الزيجات[5] أو بالتقريب، وهو ان يستخرج أحد التواريخ المبنية على الحركة الشمسية كالتاريخ القبطي مثلا، فيعلم الشهرِ الذي هو فيه من شهورِهم، ثم يعلم أنَّ الشمسَ في اليوم التاسعَ عشرَ من الشهر المسمّى برمهات في أول الحَمل أو ما قرُبَ منه، ثم يضَعُ لكلّ ثلاثينَ يوماً بُرجا[6] فحيْث ما انتهى به العدد[7]، فالشمس حالَّةٌ فيه، أو يحسب الأيامَ من أوّلِ أيار[8] ويزيد على ذلك واحداً و أربعين يوماً، فما بلغ ذلك عُد من أول الحمل درجاً [مثله][9]؛ فحيث انتهى فهناك الشمس، وإذا علم ذلك استخرج غاية ارتفاعِ الدرجةِ التي الشمسُ فيها، ثم أخذ جيب تمام الارتفاع، وهو جيب ما يبقى من تسعين بعدَ إسقاطِ الارتفاعِ [فما بلغ ضربه في آخر المقياس، فما بلغ قسمه على

(١) في (ب) نصف النهار مقدار.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأصل، وفي نسخة (ب) ورد تغيير طفيف في تقديم العبارات، وتكرار بعضها.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥)الزيجات: الجداول الفلكية.

(٦) في (ب) ثم يحسب لكل شهر برجا.

(٧) في (ب) الحساب.

(٨) في (ب) أول نيسان.

(٩) ساقطة من (ب).

جيب الارتفاع][1]، فما خرج من القسمة فهو ظل نصف النهار لتلك الدرجة.

مثال ذلك: دائرة نصف النهار دائرة ابح، وهي دائرة الارتفاع في نصف النهار، وقوس د ج الارتفاع المفروض، ويخرج قطري ب هـ ج أ و ه ز وخط جـ ز على زاوية قائمة على خط أ و ه ز وتصل هـ د، وتنفذه على استقامة حتى يلقى خط ج ز، فلأنَّ الأرضَ لا قَدْر لها عند الفلك يكون مركزه موضعَ رأس المقياس و هـز المقياس، وموضع الشمس د فخط ح ز هو الظل، ويخرج جيب د ط، فزاوية ط قائمة، وزاوية ز قائمة وزاوية ز هـ ج الخارجة مثل زاوية ط د هـ الداخلة، إذْ كان خطا ا ح و هـ ط متوازيان، فالزاوية الباقية من مثلث د ط هـ، مثل الزاوية الباقية من مثلث، فالمثلثان متشابهان،، فنسبة ط د كنسبة هـ ر إلى زح. و د ط معلوم، لأنه جيب الارتفاع المعلوم أو هـ ط معلوم، لانه جيب تمام وهـ ر معلوم، لانه المقياس فيبقى ح ز معلوم وهو الظل المطلوب.

فأما استخراج غاية ارتفاع البُرجِ الذي الشمسُ فيه فمعلومٌ إذا عُلِم عرضُ البلدِ، وميلُ البرجِ. وان كان البرجُ شمالياً زِيد مثلُه على ما يبقى من تسعين بعد إِسقاط عرضِ البلد منه. فما كان فهو غايةُ ارتفاعِ ذلك البرجِ، وإن كان ميلُه أقلَّ من عرض البلد فإن كان ميلُه أكثرَ من عرض البلد نقص فَضْلُ ما بين ميله وعرض البلد من تسعين فما بقي فهو ارتفاعه، وإن كان جنوبياً أُسقِطَ ميله مِنَ الذي يبقى بعد التسعين بعد اسقاط مَيْل البلدِ منه ، فما بقي فهو غايةُ ارتفاعه.

ولمعرفة عرض البلدان نأخذُ ارتفاعَ الكوكبِ المسمى الجدي في غاية ارتفاعه فيها، وارتفاعه في غاية انخفاضه، ونسقط اقلَّهما من أكثرهما، ونزيد نصف ما يبقى على][2] أقل الارتفاعين [من أكثرهما ويزيد على ما يبقى على أقل الارتفاعين][3]، فما كان فهو عرض البلد، وهو القوس من دائرة نصف النهار التي تنفرز ما بين

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

الدائرة التي يعتدل الليل والنهار إذا مرت الشمس بها، وبين سمت رؤوس أهل البلد. في أكثر البلاد المعمورة التي هي الشمالية، والتي هي اليوم عندنا مشهورة والتي هي في أحد الربعين الشماليين من أرباع الأرض، إذ المعمور من الأرض ما كان في هذا الربع [دون ما سواه][1] خاصة، اللهم إلا ما قيل انه بعد خط الاستواء إلى ان يكون العرض ستة عشر جزء. والاعتماد في عرض ذلك يكون على معرفة ارتفاع سُهيلٍ أو غيرهِ مما يقرُبُ[2] من القطب الجنوبي [في غاية ارتفاعه وانخفاضه] والعمل فيه كما عُمِل في الجدي في البلاد الشمالية.

وأما الوجه الذي عُلِمَ به أنَّ العمارةَ في الأرض لا تتجاوزُ في الجنوب الحدَّ المذكورَ وفي الشمال الموضع الذي عرضه أربعٌ وستون درجة. [وفي الجنوب لا يتعدى ما يكون عرضه ست عشرة درجة وربع][3] فقد بيَّنَهُ بطليموس وكانَ لعلوِّ[4] نفسه، وشرف همته لا يقنع من العلومِ بالحَدْسِ والتخمينِ دون [أن يبلغ غاية ما يمكنه من الاتقان][5] في علمها لمّا تأمَّلَ ما وضعه مَنْ كان قبله ممّن نظرَ[6] في المعمورِ من الأرض كمارينوس[7]، وطيمساوس وابرخيس[8] وغيرهم، وجدهم قد اعتمدوا على [9] أخبار التجار الذين أوغلوا في المسير إلى جهتي الشمال والجنوب، فلم يطب نفساً بذلك لما خافه[10] من تزيد التّجار، طلباً للمفاخرة فنفَّذَ رُسُلاً من جهته إلى

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب) مما قرب. وما بين القوسين زيادة من (ب).

(٣) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٤) في (ب) لغلو.

(٥) ما بين القوسين ساقط من(ب) وفيها في علمه على التحقيق.

(٦) في (ب) ممن ذكر.

(٧) مارينوس أحد أربعة من علماء الإسكندرية يعدون عمدة في الطب، تاريخ الحكماء ٧١.

(٨) ابرخس، ويقال ايبرخس عالم في الرياضيات في زمن اليونان، وهو حكيم عالم من حكماء الكلدانيين، وكان قيما بعلم الارصاد. تاريخ الحكماء ٦٩.

(٩) في (ب) اعتمدو فيه.

(١٠) في (ب) لما يخشى.

كلتا الجهتين ممّن يثِقُ بهم، فأ خبروه بذلك، ثم لم يقنع بما اخبروه[1] به من ذلك حتى علمه من جهة الامور الطبيعية أيضاً[2]، وذلك أنَّ الأمرَ المانعَ من العِمارة هو إمّا افراطُ الحر أو افراطُ البرد[3]، أو استيلاءُ البحر. فلما نظر في مُوجبات ذلك وجد أنَّ الموضع الذي عرضه أربعة وستون درجة، وهو الذي أُخبِرَ أنه آخر[4] العمارة إذا كان الصيف كان بردُه كبردِ بغدادَ في الاعتدالِ بل أشدُّ كثيراً، وذلك أنَّ بُعْدِ الشَّمس من سَمْت[5] رؤوسِ أهلِ بغدادَ إذا كانت في تسعَ عشرة درجة من الميزان مثلَ بُعدِها عن الموضع الذي عرضه اربعة وستون إذا كان في رأس السرطان، فيُظَنُ أنَّ زمان الاعتدال في بغداد شبيةٌ في البرد لزمان ذلك المكان في الصيف، لكن الشمس إذا كانت في الصيف كانت في رأس السرطان وذلك قريب][6] من ابعد بعدها عن الأرض. وإذا كانت في الميزان كانت قريبا [من أقرب قربها][7] من الأرض، ولقربها من الأرض، وبعدها في حرارة الجو وبرده أثَرٌ بَيِّنٌ، فيكون ذلك المكان في الصيف أبردَ[8] من بغداد في الاعتدال. فعلى هذا القياس يكون في الشتاء لا يسكن لشدة البرد والثلوج، وذلك أنَّ الشمس في الشتاءِ يكونُ بعدِها عنه قريبا من تسعين درجة إذا كان الميل ثلاثاً وعشرين درجة، وخمساً[9] وثلاثين دقيقة [والعرضُ أربعاً وستين درجة][10]، ويضاف إلى ذلك قلة مكث الشمس على وجه الأرض في الشتاء، إذا كان نهار هذا المكان في الشتاء ساعتين وسبعَ ساعة. وليلته اثنتين وعشرين ساعةً إلا سبع ساعة.

---

(١) في (ب) اخبرته به.

(٢) أيضاً ساقطة من (ب).

(٣) في (ب) هو افراط الحر والبرد.

(٤) في (ب) أقصى.

(٥) من (ب) من رؤوس.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) في (ب) اشد.

(٩) في الأصل وخمس.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ب).

فأما ناحية الجنوب فالذي منعَ العمارة فيها هو أضداد هذه الأمور[1]، وذلك أن المكان الذي عَرْضُه في ناحيةِ الجنوبِ احدى[2] وعشرون درجة، وخمس وثلاثون دقيقة تُسامِتُهُ الشمس عندما يكون في حضيضها. وهو أقرب قربها من الأرض؛ فيشتد حرُّه جداً لدنوّ الشمس. وهذا قريبٌ[3] لِما ذُكِر من جهة أخبار السُّفار وهو ستُ عشرةَ درجة، وربْع وسدسٌ، وليس بين الموضعين إلا شيءٌ يسيرٌ فيجوزُ أن يتشابها في الزمان للمجاورة.

واما مَيْلُ الجزءِ من البُرجِ[4] فهو القوسُ الذي تنفرز مابين الدائرة [التي يعتدل الليل والنهار إذا كانت الشمس عليها وبين][5] التي تمر بقطب معدل النهار، وبالنقطة التي يطلب ميلها، من دائرة البروج [التي تمر بالنقطتين] بين هذه الدائرة وبين دائرة معدل النهار، ومعرفة ذلك بان تضرب جيب القوس المطلوب ميلها في جيب المَيْل الأعظم وهو ثلاثٌ وعشرون درجة، وخمسٌ وثلاثون دقيقة. ويقسَّمُ المجتمعُ على ستين، فما خرج فهو جيب القوس المطلوب.

مثال ذلك[6]:

دائرة د هـ ح، ونقطة هـ قطبها واس للحَمْل، ونقطة ط اخرُ البرج المطلوبِ مَيلهُ وتُخرجُ من قُطْب ز قوساً من دائرة عظيمة تمرُّ بالجزءِ المطلوبِ ميلُه وهي رط ك وكط هوالمِيْل. فنقول: إن ضرب جيب طه في جيب اد مقسوما على ستين، وهو جيب د ه هو جيب ط ك التي هي مثل طه.

برهان ذلك: نقطة ز قطب دائرة ا هـ ب، وقد خرج منه قوس ز ط ك، وقوس ز د ا، ثم إنَّ بنقطتي ح ط من دائرة عظيمة تقاطعها في د ا مثل د هـ -و- ك ط مثل هـ

(١) في (ب) افراط الحر.

(٢) في (ب) احد وعشرين.

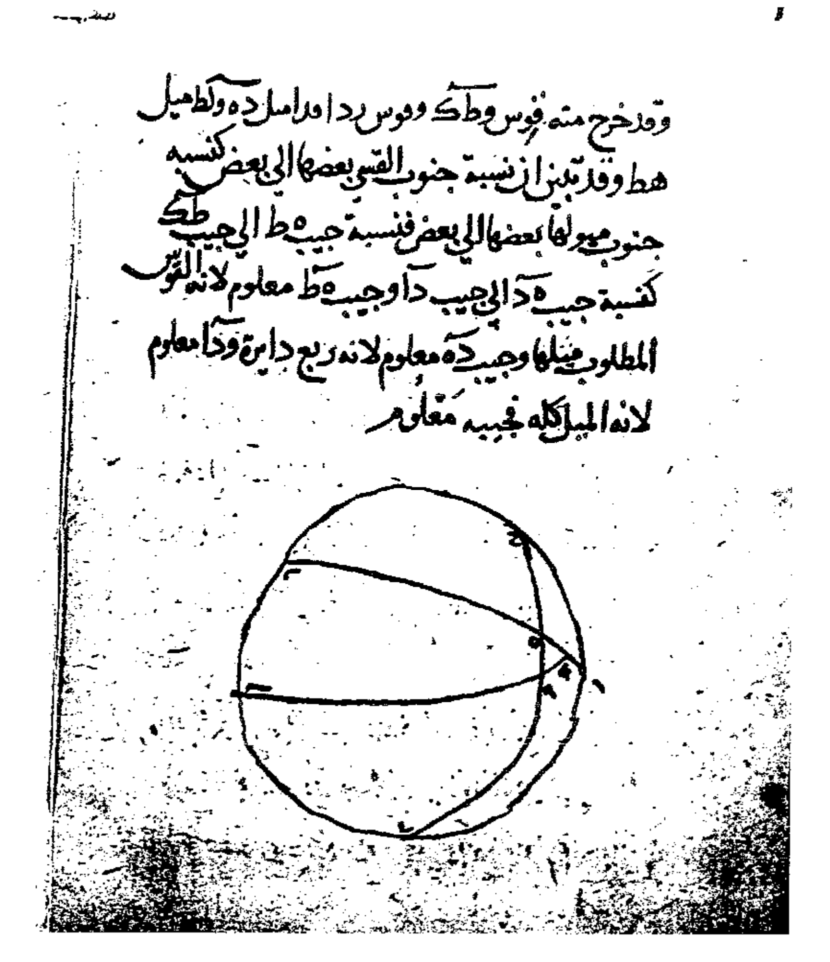
(٣) في (ب) وهذا مواقف.

(٤) في (ب) ميل البرج.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب)، مع اختلاف طفيف في التعبير.

(٦) تقديم يسير في العبارات في نسخة (ب).

ط. وقد تبين ان نسبة جيـوب القِسـيِّ بعضهـا إلى بعـض كنسـبةِ ميولهـا بعضِهـا إلى بعض، فنسبة جيب هـ ط إلى جيب ط ك كنسـبة هـذه إلى جيـب د ا، وجيـب هـ ط معلوم، لأنها القوس المطلوب ميلها، وجيـب د هـ معلـوم، لأنـه ربـع دائـرة، و د ا معلوم، لأنه الميل كله فجيبُه معلوم وهو ستون. فجيب ك ط معلوم، وهو المطلوب.



وقد خرج منه قوس ط ك وقوس د ا قد امل د ه وك ط ميل
ه ط وقد تبين ان نسبة جيوب القسي بعضها الى بعض كنسبة
جيوب ميولها بعضها الى بعض فنسبة جيب ه ط الى جيب ط ك
كنسبة جيب ه د الى جيب د ا وجيب ه ط معلوم لانه القوس
المطلوب ميلها وجيب د ه معلوم لانه ربع داىرة و د ا معلوم
لانه الميل كله فجيبه معلوم

رجع ما انقطع:

وأردت مخاطبته فَبَدَرني إليها فتىً حلْوُ الشمائل، حَسَنُ المخايل[1]

(١) من هنا إلى.. آخر ساقط من (ب).

كان قد أهدَفَ سَمْعَهُ، وأكبرهم عن مناظرته.. إلى آخر الفصل.

المخايل: ما يبدو على الرجل من الصفات التي تَخيّلُ أخلاقَهُ. والشمائل: جمع شمأل: وهي السّجية والخليقة. والمحاورة: المراجَعَةُ في القول، وهو مشتقٌ من الحَور، وهو الرجوع، ومنه المِحْوَرُ: العود التي تدور عليه البكرة. وفي الدعاء: أعوذ بالله من الحَوْر بعد الكور. أي من النقص بعد الزيادة والمناظرة: مشتقة من النظر؛ لأنَّ المتناظرين أي: المتجادلين كلُ واحدٍ ينظُرُ إلى صاحبه أو من النظير الذي هو المِثْل، وكلُّ واحدٍ منهما مِثلٌ لصاحبِهِ.

وأهَدَف سمعَهُ: جعله هَدَفاً لكلامهم.

الصناعة الموسيقية

قوله: **الصناعة الموسيقية**

لفظة الموسيقى تدلُّ على أمورٍ مختلفةٍ، وقد يُفهم منها ما يُفهَمُ من قولنا الغناء. وقد يُفْهَمُ منها اسم آلة الغناء. والموسيقى تدلُّ على صانع الغناء. وتدلُّ أيضاً على إحدى الصنائع الأربع[١] المسماة: بالتعاليم، وهي صناعة[٢] العدد المسماة بلغة اليوناني الارتماطيقي. وصناعة الهندسة المسماة بهذه اللغة[٣] الجومطريقي، وصناعة الهيئة المسماة بها الاسطرلوميقي، وصناعة الألحان المسماة[٤] الموسيقى.

وهذه الصناعة تنقسم إلى قسمين احدهما الموسيقى النظرية، والآخَرُ الموسيقى العملية[٥]. [وغايتُها أن يَحصلَ عنها انفعالٌ ما مِنَ الانفعالاتِ كالسرور والطرب، والهمّ، والحزْنِ، وغير ذلك بالألحان المؤلفة من النغم][٦].

(١) في (ب) أحد الصنائع للأربع.
(٢) في (ب) صيغة.
(٣) في (ب) بلغتهم الجومطريقا.
(٤) في (ب) الموسماة.
(٥)في الأصل العلمية والتصويب من (ب).
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

[فأما النظرية منها فهي تشتملُ على خمسة اجزاء:

الأول: منها ما يشتمل علىمعرفة اللّحْنِ ما هو، ومما يأتلف؟.

الثاني: في استخراج النَّغَم، ومعرفةِ عددِها، وذكْرِ نِسَبها، وترتيبها.

الثالث: في مطابقة ما يتبين من ذلك في الآلات.

الرابع: في أصناف الإيقاعات، وهي أوزان النغم.

الخامس: في التأليف ما هو؟ وممّاذا يأْتلفُ، وأيُّ بحرٍ من التأليفات أكملُ وأبلغُ.

واللَّحنُ: هو جماعةُ نَغَمٍ أُلّفتْ تاليفاً محدوداً ليحصَلَ عنها انفعالٌ ما مِنَ الانفعالاتِ النفسانيةِ كالسّرور والطَرب، والهمّ، والحُزْنِ، وغير ذلك من الألحانِ المؤلفة من النغم][1].

والنَّغْمةُ صوتٌ لابثٌ زماناً ما، والصوتُ حركةُ الهواءِ عندَ تلاقي جِسمين صَلْبينِ تلاقيا بسرعةٍ فيكون لها بينهما من الهواء انضغاطْ، واندفاعٌ يُحدث فيما يجاورُه من الهواء تموَّجاً شبيها بتموُّج الماءِ عند إلقاءِ حَجَرٍ فيه وتَشَكُّله تشكلَ دائرةٍ، فلا تزالُ تلك الدائرةُ تتَّسعُ إلى أن تنتهي إلى الهوءِ الحاصلِ في أصمخة الآذانِ، فيكون فيه الاحساسُ الذي يُسمّى سمعاً. ولما كانت النغمةُ تختلفُ بحسب الحِدَّة، والثِقَل، والعِظَم، والصِغَر، وغير ذلك أمكن ان يوجد فيها ما هو متواخٍ ملتئِمٌ، وماهو متنافِرٌ متباينٌ.

فصناعة الموسيقى تبحث عن أصناف المتلائِمةِ منها، والمتنافِرة، وما به يكون التآمُها أكملَ وأنفسَ.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل وهو زيادة من (ب).
وذكر المسعودي نقلاً عن ابن خرداذبة أنواع الطرب وهي: طرب محرّكٌ مستحِقٌ، وطربُ شجيً وحزن، وطربٌ يكون من صفاء النفس ولطافةِ الحسّ... مروج الذهب ٢/ ٤٨٩.

علمُ الموسيقى:

وينقسم هذا الجزءُ العمليُّ إلى أقسام [خمسة]:

الأول: في المبادئ التي تُستَعملُ في هذا العلم، وكيف الوجه في استعمالها، وبأيّ طريقٍ تُستخرَج هذه الصناعةُ، وتستنبط؟. وكم الأشياء التي يكون بها التامها؟.

والثاني: القولُ في أُصولِها، وهي النغم، وكم عددها؟. وكيف السبيل إلى استخراجها، [وأنحاء ترتيبها][1]؟. والجائز بينها، وأوضاعها، وكيفية إقامة البرهان[2] على ذلك؟.

والثالث: النظر في مطابقة ما يُتَبَيَّنُ بالبراهين مما يوجد في الآلات. وابرازُها فيها على الترتيب الذي تفرز فيه الأصول:

الرابع: القولُ في أصنافِ الإيقاعاتِ وما الطبيعيةُ منها.

الخامسُ: تأليف الألحانِ في الجملةِ، وتمييز التآليفِ الكاملة منها[3].

وهي ما استُعملِتْ في الأشعار المؤلَّفةِ [الموافقة][4] على نظامٍ من الوزن، وكيفية صنعةِ هذه الألحان [في الجملة][5]، وترتيبها بحسب غَرضٍ، وذكر الأسبابِ التي بها يكونُ أتمَّ وأكملَ في بلوغ الغرض.

وبالجملة فالجزءُ العَملي هو الذي ينظرُ في الألحانِ والنَّغَم من حيثُ هي

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) في الأصل: كيف البرهان.

(٣) في (ب) وتمييز الكامل منها.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

موجودة في آلة صناعيةٍ كالعيدانِ، والقياتر[1] والمزامير، وإمَّا طبيعيّة كالحَلْقِ، واللّهاة، وما يكون منه الصوت.

وأشدُّ الآلات الصناعيةِ شبهاً بالآلةِ الطبيعية المزمارُ، وذلك أنه مشابهٌ لقَصَبةِ الرئةِ التي يَخرجُ منها الصوتُ في طولِه، وتجويفهِ، وصلابتهِ، وما فيه من الثُقَب يماثِلُ[2] الأنفَ والفمَ وغيرهما من مخارج الهواء الموجودِ في الرئة الذي بنفوذه مِنَ الحلق، وانضغاطِه بالأسنان واللّسان، وتقطيعِه تكونُ الحروفُ فهو كفَمِ النافخِ في المزمار. فما كانَ من المزامير أكثرُ اتساعاً، وأطولُ كان صوته أشدَّ، وأهولَ كأصواتِ الحيواناتِ الطويلةِ الأعناق، العظيمةِ[3] الحُلوقِ، وما كان صوتُه أحدَّ، وأدقَّ كان مشابهاً من الحيواناتِ ما هو بخلاف ذلك. وما لا رئةَ له من الحيواناتِ فلا صوتَ له. وإنما أُحدِثتْ الآلاتُ الصناعيةُ في صناعة الموسيقى لأمرين:

أحدُهما انهم وجدوا الآلاتِ الطبيعيةَ التي هي الحلوقُ مشتركةٌ بين الأصواتِ والألحانِ، و أمور أُخر من منافع الجسم كتأديةِ الهواءِ البارِدِ إلى القلْب للترويحِ، وإخراجِ الهواءِ الساخنِ[4] منه، وغير ذلك من الأمور الطبيعية التي كأنّها خاصةٌ به، وما سواها فَرعٌ عليه[5]. ولم يجدوا سبيلا إلى أن يشغلوها[6] بالفَرْعِ عن الأصْلِ، فصارت تخلُّ ببعض ما يُحتاجُ إليه في تأديةِ الألحان، وتوفيها حقَّها فتتخلّلُها مراتٍ لتشاغل هذه الآلات بما هي معدَّةٌ له من مصالح الجسدِ، تكاد تفسد ما شُرع فيه من اللحن، إذا كان شرط اللَّحْنِ توالي ما يردُ على السَّمع منه، فاستعانوا بالآلاتِ

---

(١) في (ب)، والعياش، وهو خطأ والقياتر جمع قيتار، وقد كنا نتصورها من الألفاظ التي دخلت لغتنا في العصر الحديث حتى وجدناها في هذا المخطوط.

(٢) في (ب) مماثل وهذه الصفحة وما يليها خالية من النقط، الشكل في (ب)

(٣) في (ب) العظم. وفيها تغيير طفيف بتقديم الكلمات وتاخيرها.

(٤) في الأصل: السخن.

(٥) في الأصل: عليها.

(٦) في الأصل: اشغالها.

الصناعيةِ، وجعلوها محاكيةً للطبيعيةِ، لتنوبَ عنها في أداءِ الألحانِ [الصناعية][1] عند اشتغال تلك بما هي معدة له.

والآخر: أنَّهم وجدوا في هذه الصناعةِ جزءً مما قَصدُوه من أمْرِ الألحان ليس في الآلاتِ الطبيعية، فلم يَروْا الإخلالَ به، وألفَوْا ما وَجدوه ممكناً فيها على النحو اللائق به. ولم يزلْ أهلُ هذه الصناعةِ يستخرجُ كلٌّ منهم بقَدْر قوَّتهِ ما يجدُ السبيلَ إلى استخراجهِ من الآلات، فبعضُها أتمُّ كالعيدانِ والطنابيرِ، [والمعازف][2]، وبعضُها أنقصُ كالطّبولِ والصُّنوجِ[3] و الصلاصِلِ، وما أشبهها إلى أن تنتهي في عدم الكمال إلى ما يكاد يخرجُ عن الإلْذاذِ كالزَّفَن[4]، والضرب بالقضبان[5]، وما يشاكل ذلك. وقد يُستعملُ أيضاً بعضُ أعضاءِ الجسد في هذه الصناعة لا على سبيل استعمال تلك الآلاتِ الطبيعية فيها، لكنْ على نحو المحاكاةِ لما يَصدُر عنها، أو عن الآلاتِ الصناعيةِ لحركاتٍ غير مصوِّتة كالذي يفعلُه أهلُ صناعة الرقص من تحريك الأكتافِ، والحواجبِ، ومساوقةِ ما يُسْمَعُ من الآلات، ويطرب من الألحان بحركاتٍ محاكيةٍ، ومشابهةٍ لها، فتَحْدثُ عن ذلك أنواعُ الانفعالاتِ، كما يحدثُ عن الآلاتِ التي تقدَّم ذكرُها، حتى أنَّ بعضَ من زاولَ هذه الصناعة لم يكنْ من الكمال في إحساسِ ما يجبُ إحساسُه منها بحيث يُتصور منتزعاً عن[6] الآلة، فكان يعلّق على مواضعَ من جسده جلاجلَ ثم يحاكي بحركاتِ أعضائهِ نَغَمَ اللَّحْنِ الذي يرومُ صَنْعَته أو تعلّمَه إلى أن يجدَ ذلك موافقاً لطبعه وملائِماً لحسّه، فيُعلم أنه قد بلغ باللحن غايَته.

(١) زيادة من الأصل.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) الصّنوج: جمع الصنج، وهو الذي يتخذ من صفر يضربُ أحدهما بالآخر.
(٤) الزفن: الرقص والحركات طربا. لسانا العرب مادة (زفن).
(٥) في (ب) والعيدان.
(٦) في (ب) إلى ان يتصوره.

كما قد حُكيَ ذلك عن ابن سريج[1] المكي وغيره.

وليس كلُّ آلةٍ اتفقتْ طبيعيةً كانت أو صناعيةً بكافيـةٍ في تأديـةِ جميـع النَّغَـم بـل للآلاتِ في ذلك اختلافٌ كثيرٌ شديدٌ. فمنها ما وُجِـدَ[2] النَغَـمُ فيهـا علـى الكمـالِ والتمام، ومنها مالا يوجدُ فيها إلاّ بعضُ النَغَم دون بعض.

ومن أكمل الآلات في ذلك، وأجمعِها للنَّغم الآلةُ المُسمَّاة العُودُ.

وقـد ذكـرَ أبونصـر الفـارابي[3] في كتابــه في الموسـيقى[4]: أن الآلــة المُسـمَّاة الشاهروذ[5] المستنبطة في عصره في سنة سـتٍ وثلاثمائـةٍ[6] للهجـرة أجمـعُ مـا رأى وَسمِـعَ مـن الآلاتِ الجامعـةِ لأصنـافِ النَّغـم، وأكثرُهـا ملاءمـةً للأُمـم المختلفـةِ الأجناسِ، فإنَّ مستنبِطَها وهو رجلٌ من صُغْدِ سمرقَند يُعـرفُ بحكيـم بـن أحـوصَ استنبطها في بلاد الصُغْد[7] في أقاصي بلادِ المعمورة مـن الشـمال، ومتاخمـةٍ للاقليـمِ السادس إذ كان عرضُها زائداً على خمسةٍ وأربعينَ جُزءً، فلم تنافر احداً[8] من تلـك البلاد.

---

(١) ابن سريج مغن مشهور في العصر الاموي، اشـتهر بوضعـه الحانـا كثيرة ذكرهـا أبـو الفـرج الاصفهاني.

(٢) في الأصل: ما موجود، وفي (ب) ما وجدد.

(٣) الفارابي، محمّد بن ازلغ بن طرخان، فيلسوف عربي، سمـي المعلـم الثـاني، لشـروحه لكتـب أرسطو الذي هو المعلـم الأول. لـه مؤلفـات كثيرة. تـوفي سـنة (٣٣٩هـ). وانظـر ترجمتـه في الفهرست لابن النديم طبعة تجدد ٣٢١، تاريخ حكماء الإسـلام (٣٠-٣٥)، تـاريخ الحكمـاء ٢٧٧-٢٨٠.

(٤) الكتاب مطبوع.

(٥) الشاهروذ أو الشهروذ: آلة محدَثة أبدعها حكيـمُ بـنُ احـوص السـغدي ببغـداد سـنة (٣٠٠) للهجرة، انظر مفاتيح العلوم ١٣٧.

(٦) في الأصل: ست وثلاثين وثلاثمائة.

(٧) في (ب) الصعيد وهو تصحيف.

(٨) يعني: لم يغلبها أحد، من المنافرة وهي المباراة والمفاخرة.

ثم حملها إلى بغداد، وما والاها من ديار بكر والجزيرة ثم [1] إلى الشـام، ثـم [إلى مصر سمعت بهذه البلاد أجمع][2] فلـم تنـافر أحـداً ممّـن فيهـا، وسُـمِع منهـا جميعُ الألحان الموجودة في بلد بلد على اختلاف صَيَغِها، وهذا دليلٌ على كمال هذه الآلـة وصلاحِها لأداء سائرِ النَّغم على أتمِّ أحوالِها، فإنَّ النَّغمة الملذَّةَ والطبيعية إنَّما تُعلَـمْ بالقياس إلى طباع الإنسان، فإنَّه لما كان الطبيعي هو اللذيـذ عنـد الأكـثر، احتيـج في علم الطبيعي إلى أن تعتبر أصناف الألحان بطباع ضروبٍ من الناس، فما لاءَمَ أكـثر الناسِ أو كلَّهم[3] فهو الطبيعي، ولا يعتد بمن خرج عن الاعتدال كَمَـنْ في أقـاصي جنوب[4]. المعمورة مـن الزنـج والحبشـة والنوبـة، ولا كَمَـنْ في أقـاصي الشـمال، كالصقالب والترك والبُلغر[5]، وجفاة البربر. وبالجملة ممـن هـو خـارج عـن مملكـة الإسلام [فأمّا النواحي التي تشتمل عليها مملكة الإسلام فهي أعدل البلاد؛ إذ كانت تحتوي على بعض الأقليم الثاني، وعلى الثالث، والرابـع والخـامس][6]. اللّهـمَ إلاّ مَنْ كان في بلاد يونان التي لا تنتهي في العَرْض إلى ما يزيد على خمسة وأربعين جزءً. فأمّا مازاد على ذلك أو كان في أقاصي الجنوب كمن في عرض أحـد عشـر[7]، ومـا ولاه فتكاد أن لاتكون فطرتهم سليمة[8]، ولا حواسهم على المجـرى الطبيعـي؛ فـإنَّ للأقاليم تأثيرات شبيهة بتأثيراتِ الأمراض في الأجسام؛ إذ كانت توجب بـاختلاف الحرّ، والبرد اختلاف الأمزجة [وافراطهما] فكما أنَّ المريضَ لفَساد مزاجه قد يحـسُّ الملائمَ غير ملائمٍ، فيتضرر باللّذيذِ[9] ويلتذ بالمؤلم، كمـا يحـدثُ لقـومٍ مـن المرضـى

---

(١) في (ب) الى.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب) فما لاءم الكل أو الاكثر.

(٤) في (ب) جيوب.

(٥) في (ب) كالصقالب والبلغر.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٧) في (ب) احدى.

(٨) في (ب) فطرهم سلمه.

(٩) في (ب) باللذائذ.

مرارةُ العسل في افواههم، واستلذاذ آخرين بأكل الطين(١)، واشباه ذلك، فكذلك يحدث لأهل الأقاليم الخارجة عن الاعتدال في الألحان.

فاما السبب في التذاذِ الألحانِ التي تفيدُ اللَّذَة و الاوزان المطربة من الشّعر، وغيره، فهو السبب الموجود في سائر ما يلتذ به من المحسوسات إذ لكلّ حاسةٍ مدركٌ ما التذاذُها في كمالِ اداركه فكَمالُ الادراكِ يسمّى لذةً، وعدمُ الادراكِ يسمى أذىً، والسببُ في انفعالاتِ الطباعِ للألحانِ عند ورود ما يردُ منها على قُوةِ السَّمع الانفعالاتُ المختلفةُ من السّرورِ واللَّذةِ، والغمِّ، والأذى، وغير ذلك هو السببُ في انفعالاتِ القوى الأخر بما تدركهُ من محسوساتِها.

فأما ما يقوله شيعةُ فيثاغورس، ومَنْ جرى مجراهم من أنَّ النفس مركبةٌ على نسبةٍ عَدَدية تأليفية، فهي تَطربُ للألحانِ المشابهة، فأبعدُ شيء عن الحقيقة. والكلام في تبيين هذا المطلب بأكثرِ من هذا النحو مُعَلَّقٌ بصناعات شريفة غامضة يضيق هذا الموضوع عن بسط القول فيه.

علم الطب:

[رجع ما انقطع] **صناعة الطب اولى منا بالاطراء وانفسهم قدراً عند الفضلاء** إلى آخر الفصل

فنقول: صناعةُ الطّب تخمينيةٌ تنتظرُ في أحوالِ بدنِ الإنسان من حيثُ ما يصحُّ ويسقمُ(٢)، نظراً يؤدي إلى حفظِ صحتهِ الحاصلةِ أو استعادةِ صحةِ زائلةٍ. وقد وقعَ بين الذين راموا تحديد(٣) هذه الصناعة تشاحٌّ في أنها من جملة الصناعة النظرية أو العملية(٤)، وذلك أن من الصناعات ما سبيلُها أن تُتَعَلَّمَ باحتذاء المتعلِّم(٥) لأفعالِ

---

(١) في الأصل: الطفل وهو تحريف.

(٢) في (ب) ويستقيم.

(٣) في (ب) راموا حد.

(٤) في الأصل العلمية.

(٥) في (ب) المعلم.

المعلّم، ومواظبتهِ[١] على تكريرها كالسباحة والمثاقفة[٢]، والرماية وأشباهِها. ومنها [ما يُتَعلَّم][٣] بقولٍ ومخاطبةٍ، واستعمالِ القياسِ في استنباط [بعض] اجزائها. ومنها ما يُجمعُ فيه الأمران جميعاً، فيُتعَلَم بعضُ أجزائِها [ويُستنبط][٤]، ويُتعلم بعضُها بالاحتذاءِ، والتقبُّلِ[٥] لأفعال المعلِّم.

ولما كانت هذه الصناعة من هذا القسم اختلفَ قومٌ في نسبتِها إلى العلم أو العمل.

والذي يعتمدُ عليه المحصلّون هو الرجوعُ إلى غايةِ الصناعة. فإنْ كانت مما شأنهُ أنْ يَحصلَ عنه اعتقادٌ من الاعتقاداتِ فقط، فهي التي تسمّى علمية[٦] ونظرية. وإنْ كانت غايتُها تحصيلَ عملٍ [من الأعمال][٧] في موضوع فقط فانها عملية[٨].

وصناعةُ الطب أن أُخِذَتْ من حيثُ أنَّها عِلْمُ أمورٍ من أحوالِ بدنِ الإنسانِ، وما يلحقه من[٩] الصّحةِ والمرض، كما يُنظر في لواحقِ الصنائعِ العملية[١٠]، لاقتناء المعرفةِ فقط كانت علمية كسائر الصنائع الأُخَر التي إنَّما غايتها تحصيلُ خواصٍّ موضوعاتٍ ما. وإنْ أُخِذَتْ على أَنَّ القصدَ[١١] بها تحصيلُ حالةٍ لبدنِ الإنسانِ لم تكنْ حاصلةٍ أو حفظ حالة حاصلة فهي كسائر الصنائعِ التي يُلْتَمسُ منها عملٌ ما من الأعمال.

---

(١) في (ب) ومواضبته.

(٢) المثاقفةُ العمل بالسيفِ، والثقاف: حديدةٌ تكون مع القوَّاس والرّماح يقوم بها الشيء المعوج. لسان العرب (ثقف).

(٣) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب) التقبل.

(٦) في (ب) عملية.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٨) في (ب) عملية.

(٩) من (ب) عند.

(١٠) في (ب) علمية.

(١١) في (ب) الفصل.

ولما كانت كلُّ صناعةٍ فإنّما تكمُلُ الاحاطة بمعرفتِها إذا عُلمتْ مبادؤها. وكانت المبادئُ أربعة: ماديةٌ، وصُوَريةٌ، وفاعِليةٌ، وتمامية، كان العلمُ بصناعةِ الطّبِ لا يكملُ[1] دون العلم بهذه.

فأمَّا موضوعاتُ صناعةِ الطبِّ فهي بدنُ الإنسان، وأجزاؤه، وهي تنقسم إلى ثلاثةِ أقسام: أَعضاءٌ، وأزواجٌ، وأخلاطٌ، وإلى ما هو أبعدُ من هذه[2].

فأمَّا الأسبابُ الفاعلية فهي: الأمورُ المغيِّرةُ لحالِ البدَن الطبيعيةِ أو الحافظةُ من التغيير كالأدويةِ المركَّبةِ، والعقاقيرِ المفردةِ، والأسبابُ التي[3] أحدها: الهواءُ المحيطُ بالجسم الذي باستنشاقهِ يكون الترويحُ على القلب. والثاني المأكلُ والمشارب[4]، والثالث: السكونُ والحركةُ. والرابع النومُ واليَقَظة، والخامسُ: الاستفراغُ والاحتقانُ. والسادس: الانفعالاتُ النفسية[5].

وأمَّا الصُوَرية فهي: التراكيبُ، والمِزاج، والأمُور التي عنها تصدُر[6] أفعالُ الإنسانِ الإرادية.

والأمور التمامية: الأفعالُ الصادرةُ عن الإنسان كالحركات، وسائر التصرُّفاتِ الطبيعية، [وما يلحقُها][7]، فهذا ما تشتَمِلُ عليه صناعةُ الطبّ. وبالجملة فهي تشتملُ على قسمين: علم كلياتٍ وأحوالٍ عامة [وعلم كيفيّةِ العمل][8] في جزئياتٍ خاصة بحسَبِ[9] اختلاف أحوالِ[10] بدَنِ الإنسان.

---

(١) في الأصل: تكمل.
(٢) في (ب) وهي الأركان الأربعة.
(٣) في الأصل: هي.
(٤) في (ب) الملبس.
(٥) في (ب) النفسية.
(٦) في (ب) يصدر.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) زيادة من (ب).
(٩) في (ب) بحساب.
(١٠) في (ب) اختلاف بدن.

وبَيِّنٌ شَرَفُ هذه الصناعة، إذْ كـان شـرفُ بعضِ الصنـائع إنَّمـا يكـونُ بحَسَـبِ موضوعِها أو بشَرفِ[1] غاياتِها، أو بسَبَبِ[2] شدةِ الحاجـةِ إليهـا. إنَّ الموضـوعَ لهـذه الصناعةِ بدنُ الإنسان. والغايةُ المطلوبةُ منها صحتهُ. ولا يُنالُ شيءٌ من أمور الدنيـا والآخرة، إلاّ والصحّةُ مِنْ أوكَدِ[3] الشروطِ في نَيْلهِ.

قولـه: **وقـد أجمـع اهـل العلـوم العقليـة أن صنـاعـة الطـب تنقسـم إلى علميـة، وعمليـة وعمليتهـا مشـتقة مـن العلـوم الطبيعيـة...** إلى آخـر الفصل.

لمّاَ كانت كلُّ صناعةٍ لها مبادئ مُتَسَلَّمة، كما قال أرسـطوطاليس في أوَّلِ[4] كتابـهِ البرهان: إنَّ كلَّ تعليمٍ[5]، وعِلْم ذهنيّ فهو عن معرفةٍ مُتقدمةِ الوجود وجَـبَ أيضـاً أنْ يكونَ لصناعة الطب مبادٍ متسلمة من غيرها. ولما كانت صناعـةُ الطـب تنظـرُ في أحوال بدن[6] الإنسان وأجزائه، وكان جسمُ الإنسانِ من الأجسـامِ الطبيعيـةِ كـانت مبادئُ صناعةِ الطب متعلقةً بالصناعة الطبيعية.

الصناعة الطبيعية:

والصناعة الطبيعية هي التي تنظر في الأجسام التي ليس وجودها بإرادة إنســان[7] ويُنظَر فيها من جهة ما هي داخلةٌ تحت التكيُّفِ[8] والتغيير.

وتُعرَفُ من كلّ جسمٍ طبيعي أسبابُه الأربعة التي هي: المادةُ، والصـورةُ والفـاعل

(١) في (ب) بسبب شرف.
(٢) في (ب) أو بعضها بسبب.
(٣) في (ب) أوكد من.
(٤) في الأصل مشتقة.
(٥) في (ب) وتعلّم.
(٦) في (ب) جسم.
(٧) في (ب) إنسان الإنسانية.
(٨) في (ب) الكيفيات.

والغايةُ. فكُلُّ جسمٍ طبيعيٍ فله [حال][1] هذه الأجسام الصناعيـة الأربعـة[2][فكمـا انّه للسرير مادةٌ، وصورةٌ وفاعلٌ وغايةٌ، كذلك لكلِّ جسمٍ طبيعيٍ هـذه المبـادئ][3]، فمثالُ المادة في الجسمِ الصناعي الخَشَبُ للسرير، والحديدُ للسـيفِ. ومثـالُ الصـورةِ لهما: التربيعُ في السّرير، والحَدُّ [مع][4] الاستطالةِ الموجودةِ في السيف. ومثالُ الغايةِ من السرير: الجلوسُ عليه، ومن السيف القطعُ به، [وقتلُ العدوّ ومثال][5] الفـاعل: النجار[6] لهذا [ومن السيف الحدّاد، اللّذان هما سببُ وجـودِ الصـورة في المـادة][7] إلاّ أنّه لما كانتِ الأجسامُ الطبيعيةُ هي التي وجودها [بغير][8] إرادة إنسـانٍ كالسّـماء و الأرضِ والحيوان والنبات وما أشبه ذلك[9]، لا بإرادة الأجسامِ الصناعيةِ التي هي وجودُها بإرادةِ إنسانٍ كانت هذه الأسبابُ الأربعةُ في أكـثر الأجسـامِ الطبيعيـةِ غـيرَ ظاهرةِ الحسّ وفي أكثرِ الأجسامِ الصناعية ظاهرة بينة[10]، وانما خَفِيَـتْ[11] الصـورة في بعض الأجسام الصناعية لما كـانت الطبيعيـةُ مشـاركةً للصناعيـة في تكميلهـا[12] كالحـالِ في الأدويـة المُركَّبـةِ مثـل التريـاق[13] وغـيره، فـإنَّ موادَهـا معلومـةٌ هاتِنـةٌ للحس[14]، إلا أنّ صورَها خفيةٌ كالخَمْر، فإنَّ الأمرَ الذي يحصـلُ بـه الاسـكارُ هـو

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ب) وحالها في ذلك حال الأجسام الصناعية.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٦) في (ب) كالبخار لهذا والحداد للآخر.
(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٨) زيادة يقتضيها السياق.
(٩) في (ب) وما يشاكل.
(١٠) في (ب) الصناعية ظاهرة للحس.
(١١) في الأصل: خففت.
(١٢) في الأصل تمكنها.
(١٣) الترياق والدرياق والدراق والدرياقة كلها هي الدواء الناجح.
(١٤) في (ب) فان هذه مواد هاتنة. وأصل الهتن صبُّ المطر لسان العرب مادة (هتن) ولعلـه يريـد بها مثيرة للحس.

صورةُ الخمر، وليس يَبينُ للحسّ، لان الطبيعية شاركت الصناعية في حصوله [للمادة التي تركبها، وتهيؤها لقبول الصورة الصناعية[1]].

ولما كانت الأجسامُ الطبيعية غيرَ بيّنةٍ للحسّ كان ادراكُها إنَّما يكونُ بالقياس[2]، [وان تُعْقلُ في الذهن فقط][3]. والأجسامُ الطبيعية تنقسم قسمين: بسيطةٌ، ومركبة، فالبسيطة منها ما كان وجوده لا عن أجسامٍ أُخَر. والمركَّبُ ما كان وجودُه عن أجسامٍ غيرِها كالحيوانِ، والنبات والمعادن.

والعِلْمُ الطبيعيُّ يبحثُ عن كلّ واحدٍ من هذه بأنْ يضعَ ما كان منها بيِّن الوجودِ وضعاً، ويدلُّ على وجود ما لم يكنْ منها بيِّن الوجود، ويبحثُ من كلّ منها عن أسبابِ الأربعة، وعن مبادية [وهي مادته، وصورتُه وفاعلُه، وغايتُه وعن أعراضِه التي قوامها به]،

وينقسم إلى ثمانية اجزاء:

أولُها: ينظرُ في الأشياءِ التي تشتركُ الأجسامُ الطبيعيةُ كلُّها فيها، ولا يخصُّ واحداً منها دونَ الآخر، وهي المبادئ الأربعةُ المذكورةُ، والاغراض التابعةُ لها. وما يعد في المبادئ أو معها، كالمكان الذي يُعدُّ مع المادةِ والحركةِ التي تُعَدُّ مع الفاعلِ والزمانِ، وذلك في كتب أرسطوطاليس في الكتاب الملقَّبِ، بسمع الكيان[4].

والثاني: ينظرُ في العالم ما هو[5]؟. وكم أجزاؤه؟. وعن الأجسام البسائط أيُّ شيءٍ هي؟ وهل هي موجودةٌ أم لا؟ وكم عددُها؟ وعن أحوالِ السماء، وما فيها، وإنَّ مادتَها كلَّها واحدةٌ. ويفحصُ أيضاً عن الأجسام المركبة، وعن ماذا تتركب،

(١) في الأصل: الصناعة وما بين القوسين زيادة من (ب).
(٢) في (ب) من جهة بالقياس.
(٣) ما بين القوسين من (ب) وفيه يعقل.
(٤) من كتب ارسطو في العلوم الطبيعية ذكره القفطي في تاريخ العلماء ٢٨.
(٥) في الأصل: وهو.

وما هي الاسطقسات[1] لهذه المركبة، وذلك في كتب أرسطوطاليس في الكتاب الموسوم بالسماء والعالم.

والثالثُ: ينظرُ في كونِ الأجسامِ الطبيعية وفسادِها على العموم، وعن أسبابِ الكونِ والفسادِ في جميعها، وهذا في كتبه[2] في كتابه الموسوم بالكون والفساد[3].

والرابع: ينظر في مبادئ الاعراض، والتغيرات التي تظهرُ في الاستطقسات وحدها دون سائر المركبات كالهالةِ والبَرْق، والرعْدِ وقوس قُزَح، والكواكبِ ذاتِ الذوائب. وهذا في كتبه[4] في كتابه الموسوم بالاثار العلوية[5].

والخامسُ: ينظرُ في الأجسامِ المركَّبة عن الاستطقسات، وما منها متشابهُ الأجزاء، أو مختلفُها، وإنَّ بعضَ المتشابهةِ الأجزاء تكوّنُ اجزاءَ المختلفة الأجزاء، وبعض"[6] لا يكون جزءاً لها، وعن كل ما تشترك فيه الأجسام المركبة المختلفة الأجزاء، والمتشابهة الأجزاء، وذلك في المقالات الاواخر من الكتاب المذكور.

السادسُ: ينظرُ في الأجسامِ الطبيعية [المركَّبة][7] المتشابهةِ الأجزاءِ كالذَّهبِ والفضّة، وغيرهما من المعادن، وفيما يلحق كلّ واحدٍ منها، وذلك في كتبه في كتابه الموسوم بالمعادن.

السابع: ينظر فيما كانَ من الأجسامِ المختلفةِ الأجزاءِ نامياً، وهو غيرُ ذي إرادةٍ، وما يخصُّ كلَّ واحدٍ من أنواعه، وَيَلزَمه من الأعراضِ [وما يعمّ جميعها][8] وذلك

---

(١) الاستطقسات جمع استطقس وهو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركبُ كالحجارة والقراميد والجذوع التي يتركب منها القصر، وكالحروف التي يتركب منها الكلام. مفاتيح العلوم ٨٢.

(٢) في (ب) في كتابه.

(٣) ترجمه أحمد لطفي السيد، ونشر في مطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة ١٩٣٥.

(٤) في (ب) كتابه.

(٥) ذكره ابن النديم في الفهرست (ط تجدد) ٣٠٧.

(٦) في (ب) وبعضها.

(٧) ساقطة من (ب).

(٨) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

في كتبه في الكتاب المعروف بالنبات.

الثامن: ينظرُ في الأجسامِ المختلفةِ الأجزاءِ الناميةِ المتحركةِ بارادةٍ، وهي الحيواناتُ، وفيما يعمُّ سائرَ أنواعها، وما يخصُّ نوعاً نوعاً منها[1]، وفي مبادئ كلِّ واحد منها الأربعة، والاعراض التابعة[2] لها المبادئ. وفيه البحث عن نفس الإنسان وقواها[3]، والفرقُ بينها وبين النفس الحيوانية[4]. وعن المعنى الخاص بالنفس الإنسانية المسمى النطق. وهي القوة التي تُميِّزُ بين الضروري والممتنع، وتحصل له به العلوم اليقينية، والصنائع الفكرية، ويقدر بها على ان يتخطّى علمَه من المحسوسِ الذي وقعَ أحساسُه به إلى محسوسٍ آخَر لم يقع إحساسُه به.

مثال ذلك:

أنْ نفرِضَ إنساناً لم يعلَمْ معنى الكلّ والجُزْءِ، ثم أفهمناه[5] إياهما و أحضرنا إليه كلاما، فَعَلِم أنَّه اعظمُ من جزئه، فانه يعلَمُ عَقِبَ ذلك أنَّ كلَّ كلٍّ اعظمُ من جُزئِهِ[6]، وإنْ كان لم يشاهدْ جميع الكليّاتِ و أجزائها. وهذه القوةُ توجَدُ في كلِّ إنسانٍ كاملٍ سليمٍ من الآفاتِ، كأنَّه مفطورٌ عليها. وتوجد في الطفل لكنْ على حالٍ ليستْ كما هي عليه في الرجُلِ الكاملِ، بل على ما توجَدُ قوةُ أعضائِه على البطشِ بالقياسِ لقوتِها عليه عند تمامها واشتدادها[7]، وكَقُوّةِ الشرارة من النار على إحراقِ الجذعِ بالقياس إلى الجذى[8] العظيمة المشتعلة، وهي في المجنونِ والسكران كَقُوَّةِ

---

(١) في (ب) دون سواه.

(٢) في (ب) الباتعة لتلك المبادئ.

(٣) في الأصل: والحيوانية، والتصويب من (ب).

(٤) في الأصل: يتخطا.

(٥) في (ب) أوهمناه.

(٦) في الأصل أن كل أعظم من جزئيه.

(٧) من (ب) وانسدادها.

(٨) الجُذى جمع الجذوة وهي القَبْسةُ من النار، وقيل هي الجمرة. لسان العرب مادة (جذا).

الإبصار في العين الحولاء بالقياس إلى العينِ الصحيحة، وفي النائم كالعينِ المغمضَـة، وفي المغمى عليه كالعين التي فيها غِشاوةٌ. وكلٌّ ذلك بالقياس إلى العينِ السليمة مـن الآفات، ويبحث أيضاً عن قوى النفس الظاهرة، والباطنة العشرة. أما الظاهرة فقوة السَّمْعِ، البصر، والشَّمِ، والذوق، واللمس.

وأمّا الباطنةُ [فالقوة المُسمّاه نَيْطاسا وهي الحسُّ المشترك، وقـوة الخيـال، والقـوةُ المتخيَلَةُ، وهي التي إذا كانت في الإنسان سُميت مفكّرة، وإذا كانت في غير الإنسان سميت مُتَخيّلة، والقوةُ المتوهمة، والقـوة الحافظـة الذاكـرة، ومـا مقـدار غنـى كـل واحدة منها، وما يخصُها من الإدراكاتِ][1] التي بها تلتأم معلوماتُ النفسِ الناطقة.

وتبين أيضاً ان القوةَ الناطقةَ هي الرئيسةُ، والمستخدمةُ لهذه القـوى، وإنَّ جميعَهـا خَدَمٌ لها. وإن مثالَ القوةِ الناطقـةِ مثـالُ الملـك المدبّرِ للمدنيـة، والحـواسِ الخمسـة كأصحاب أخباره، والحـسِّ المشـتَرك كصـاحبِ بريـده الـذي يُنهـي إليـه أصحـابُ الأخبارِ علمَ ما عَزُبَ عن حضرتِه، والمتخيلةِ كالرسول المترجِم عن صاحب البريد، والمتوهمةِ كالوزير الذي يستخلِصُ[2] المهمَّ من هذه الأخبار، فيعرضه على الملك[3].

وتبين ان أكثر هذه القوة غيرُ موجودةٍ لغـيرِ الإنسـانِ، وإنَّ الـذي يشـاركُ أكـثرَ الحيواناتِ فيـه الإنسـانُ هـي القـوةُ الغَضَبيـةُ، والشـهوانيةُ، والمتخيَّلـة، والحـواسُ الظاهرةُ فقط، وما سوى ذلك فهو خاصٌ بالإنسان دون غيرِه مـن الحيـوان. وجميع ذلك موجود في كتب ارسطوطاليس من كتـاب الحيـوان. وكتـابِ النفـس، وكتـابِ الحاسّ والمحسوس[4]، فهذا ما يشتمل عليه العلم الطبيعي.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٢) في (ب) استخلص.

(٣) في (ب) على المهم وبين.

(٤) ذكر ابن النديم هذه الكتب الثلاثة، وسمى الاخير الحس والمحسوس: الفهرس طبعة تجدد ٣٠٧-٣١٢.

قولـه: فـانتَدَبَ إليـه أكـبرُ الجماعـةِ في العلـم بَسـطةً، وأوضَحُهـم تحجيلاً وغُرَّةً. وقال: يا قوم، لقد جُرْتُمْ عن السَّنَنِ اللاَّحب.

جرتم مثل عُدْتُم[1]: أي: فارقتُم الطريـقَ، والسَّنَنُ: القصـد. واللاحـب: فـاعل بمعنى مفعول، من لحَبْتَ الطريقَ إذا تَتَّبعتَه.

ما بعد الطبيعة:

قولـه: وأخللتـم[2] بـالفرض الواجـب، أنسـيتم أول الواجبـات شـرعاً، وعقلا، وأحقها بالشرف وأولى؟:

اشارةٌ إلى علمِ العلومِ وصناعةِ الصناعاتِ التي تُعرف بما بعدَ الطبيعة. وذلـك أنَّ موضوعاتِه مجردةٌ عن الموادِ، وليست خاصةً بالطبيعة إذِ الموجـوداتُ علـى مـا تقـدَّمَ من القولِ تنقسمُ بالقِسمة الدائرةِ بـينَ النفـي والاثبـات إلى ثلاثـةِ أقسـامٍ: أجسـامٌ، واشياءٌ ليست بأجسامٍ وقوامُها بالأجسامِ، واشياءٌ ليسـت بأجسـامٍ وليسـت قوامهـا بأجسام.

فالذي ينظرُ في القسمِ الأوَّلِ: العلمُ الريـاضي، وفي الثـاني العلـمُ الطبيعـيّ، وفي الثالث العلمُ الالهي[3]

ولما كانت العلـومُ أيضـاً تنقسـمُ إلى جزئيـة وكليـة. فـالعلومُ الجزئيـة هـي الـتي موضوعاتُها بعضِ الموجوداتِ مثل الهندسةِ، فإنَّ موضوعاتِها ذواتُ المقدارِ [المتصلة فقط] وهي[4] الخطّ والسَّطحُ والجسمُ. وعلم الطبيعيات[5]، فان موضوعها الأجسام

---

(١) في الأصل، وفي (ب) عبدتم.

(٢) في (ب) واحللتم.

(٣) في (ب) الاهي، وهناك تقديم وتاخير في (ب).

(٤) ساقطة من (ب) وفيها كالسّطح.

(٥) في (ب) وعلم الطبيعية.

الطبيعية من جهةِ ما هي داخلة تحت المقولات التسع [بالجملة][1].

والعلمُ الكُليّ هو الذي ينظرُ في الأمرِ العامِ السائرِ الموجوداتِ [وفي لواحقِ الموجود][2]، بما هو موجودٌ مثل كونهِ جوهراً، وعرضاً، وكُليّاً، وجُزئياً، وكثيراً وواحداً وعِلَّةً ومَعلولاً، وبالقوةِ والفعلِ، وواجباً وممكناً. وبالجملة كلّ ما يلحَقُ الموجودَ من حيثُ هو موجودٌ لا كالبياض الذي إنّما يلحَقُ الموجودَ بما هو جسم ذو لونٍ[3] ولا كالمُثلثيةِ، والمربعية، والكُريَّة التي تلحق[4] الموجودَ بعد كونه مقداراً.

وينظر أيضاً في مبادئ العلوم [كلِّها][5] [فيبيِّنُ ما هو بيِّن منها، ويبرهن على وجود ما يحتاج إلى تعريف وجوده][6] وقد ظنَّ قومٌ كثيرٌ من الناسِ بهذا العلمِ أنَّه خاصٌ بالنظر في الاله تعالى، وصفاته. وليس [الأمر][7] كما ظنُّوا بل، هو كما ذكرنا[8] ينظر في لواحق الموجود، وعلى الإطلاق، و إنَّما وجبَ البحثُ فيه عن الاله تعالى، لأنه السببُ [الأول][9] لسائر الموجودات. ومن أجل ذلك شُرِّفَ هذا العلمُ، وَعَظُمَ قدرُه، وكان أيضاً أشرفَ العلومِ كلِّها قدْراً، وأعظَمها خَطَراً، وأحقَّها بالتمييزِ والتقديمِ[10] إلا أنَّه أغمضُها مسلكاً، وأبعدُها مَراماً[11]، لكون موضوعاتِها أموراً مجردةً عن المواد لا تُدرَكُ بالحواسِ، فلذلكَ أُخِّرَ النظرُ فيه، وإن كان المقدَّمُ

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) في (ب) الموجود نفسه، مع تغيير طفيف في تقديم الألفاظ وتأخيرها.

(٣) في (ب) بعد كونه جسما.

(٤) في (ب) لحقت. والكرية ساقطة من الأصل.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٧) ما بين القوس ساقط من الأصل.

(٨) في (ب) كما قلنا... ينظر في الموجود في لواحقه.

(٩) ما بين القوس ساقط من الأصل.

(١٠) في (ب) بالتقديم والميزة.

(١١)في (ب) مرمر.

قَدْراً، وقُدِّم غيرُه عليه، وإنْ كانَ هو المقصدُ الأوَّلُ قَصْـداً[١] في ارتيـاض الذهـنِ في الأمورِ المحسوسةِ والقريبةِ[٢] من الحسِّ قبلَ النظرِ فيما ليس بمحسوسٍ ليوصـل إليـه على تدريجٍ، وترتيبٍ وبعد استئناسِ النَّفس بسبيل [٣] السلوكِ إليـه. والوصـولِ إلى المطلوبِ منه، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولُها: النظرُ في الموجودِ على الإطلاقِ والأمورِ العارضةِ[٤] له بما هو موجود فقط[٥].

والثـاني: ينظـرُ في مبـادئ العلـوم النظريـة الجزئيـة[٦] كـالعدد، والهندسـةِ واشباههما[٧] كالمنطق، ويبيّنُ[٨] ما لم يتبين من مبادئها، ويُصَحِّـحُ حقائقَهـا ويزيّـفُ الآراءَ والظنونَ الفاسدةَ التي وقعتْ لقومٍ في مبادئها[٩]، ويبيّنُ الحق منها.

والثالث: ينظر في الموجوداتِ التي ليست بأجسام فيبيِّنُ اولاً: هل توجد مـا هـذه سبيله بوحدها[١٠] حالة؟ وان كـانت موجـودة فهـل هـي كثـيرةٌ أم لا؟ وان كـانتْ كثيرةً، فهل هي متناهيةٌ ام لا؟ وإن كانت متناهيةً، فهل هي تُعلَمُ عدَّتُها فيتبـين أنهـا موجودة؟. أوأنها لا متناهية[١١]. وكم عدتها؟ ثم يبحث عنها هل هـي متسـاوية في الكمال، أم أنها متفاضلةٌ فيه؟ وإن بعضها في ذلك أعلى[١٢] رتبـة مـن بعـض. وإنَّ

---

(١) في (ب) طلباً لارتياض.
(٢) في (ب) القريبة.
(٣) في (ب) يسهل.
(٤) في (ب) والامور كلها.
(٥) في (ب) بما هي موجودات.
(٦) في (ب) الحرية.
(٧) في (ب) وما شابههما كالمنطق.
(٨) في (ب) ويتبين.
(٩) في (ب) في مبادئ هذه العلوم.
(١٠) في الأصل هل يوجد ما هذه سبيله.
(١١) في الأصل، وأنها.
(١٢) في (ب) على.

السبَب فيها، والموجِدَ لها كلِّها، ولسائِرِ الموجودات، و أحقَّها باسم الكمالِ والوجودِ هو ا للهُ تعالى وتقدس، وإنَّ كلَّ كمالٍ على الحقيقة، [فهو منسوبٌ إليه، وكلَّ نَقْصٍ، ولو بالمجاز منفيٌّ عنه، وإنَّه الموجودُ على الحقيقةِ، وكلُّ ما يقالُ عليه اسمُ الموجودِ فمستعارٌ له منه، إذْ كان هو الواجبَ الوجودِ بذاتِه، وسائرُ ما في العالم فموجودٌ به، وأنْ لا نظيرَ له في كمالِه، ولا مشاركَ [له][1] في صفةِ الكمالِ والقِدَمِ، والوحدانيةِ، وإنَّ كلّ موجودٍ متأخر عنه، وإنّه القديمُ الأزليُّ وحدَه دون كلِّ شيء، وإنَّه الأوّلُ كلُّ الأوّلِ والاخِرُ بعدَ كلِّ آخرٍ، وانه هو الواحدُ الحقُّ، وإنَّ كلَّ ما يقالُ عليه اسمُ الوحدةِ إلاّ هو باطلٌ متكثِّرُ، وانه الذي لا إلَهَ إلا هو تعالى وتقدس.

ويبحث بعد ذلك عن كيفية حدوث الموجوداتِ عنه، ويُبيِّنُ مراتبَها في الوجودِ، وتفاضُلَها في الكمال، وإنَّه لا جَوْرَ ولا خَلَلَ ولا فسادَ، ولا تنافرَ، ولا نقصَ صنعةٍ، ولا سوءَ نظامٍ فيها، ويُبيِّنُ بعد ذلك أيَّ الصفاتِ التي يجبُ أنْ يوصفَ بها ا للهُ تعالى، وايها يجب انْ يُنَزَّهَ عنها، وعن اطلاقِها في حقِه، ويُبطلُ جميعَ الأراءِ المخالفةِ لذلك، ويُزيِّفُ كلَّ ما يوهم في ا للهِ تعالى في صفاتِه، وأفعالِه وانبيائه نقْصاً أو سُبَّةً بالبراهينِ اليقينيةِ، والطرقِ المنطقيةِ، وذلك في كتبِ ارسطوطاليس في المقالة الحادية عشرة الموسومة باللاّم من كتابه فيما بعد الطبيعية، وباقي مقالات الكتاب، وهي إحدى عشرة مقالة فيما تقدم ذكره من فنون هذا العلم.

فالمقالة الأولى: في صدر الكتاب والدلالةُ على عرضه.

والثانية مسائلُ عويصةٌ تعرضُ في هذا العلم، وإبانةُ وجهِ صعوبتِها.

الثالثة: في ذكر موضوعات هذا العلم.

الرابعة: في الدلالة على شرح الألفاظ على موضوعات هذا العلم .

الخامسةُ: في إبانة القَصْدِ في العلوم الثلاثةِ التي هي الرياضيةُ والطبيعيةُ، والإلهيّةُ،

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

وإنَّها ثلاثةٌ فقط. وإن العلـمَ الالهـيَ داخـلٌ في هـذا العلـم، وفي النظـرِ في الجوهـرِ وتفضيلِ أقسامِه، وانه هيولىً، وصورةٌ ومُرّكبٌ.

السـابعةُ: في إتمـامِ القـوْلِ في الصـور الأفلاطونيـة، وغَنـاءِ المتكوّنـات عنهـا في التكوّنِ][1].

الثامنةُ في تحقيق القولِ في حدودِ الصُوَرِ[2] المفارقات، وإن حدودَها ذواتُها.

التاسعة: في الواحد والكثير، ومعنى الغير والخلاف والضد[3].

العاشرة: في تمييز ما بين مبادئ هذا العلم وعوارضه.

الحادية عشر: في مبدأ الجوهر، والوجود[4] كلّه، وهو ا للهُ تعـالى في صفاتِـه، وفي كيفيةِ صدورِ الموجوداتِ عنه.

الثانية عشر: في مبادئ العلوم الطبيعيةِ والتعليميةِ. وهذا آخرُ[5] ما يشـتمل عليـه هذا العلم.

علم المنطق:

رجع قوله:

فأقسم الجماعة بمن أخرج النار من الوثيمة، والعذْقَ من الجريمة:

الوثيمة: فَعيلةٌ من الوَثْمِ، وهي صفة لموصوفٍ محـذوفٍ، اراد الحصـاة الموثومـةَ، يعني ما يرفضُ تحت سنابكِ الخيلِ من الحصى، فتقدح ناراً.

(١) ما بين القوسين من الاوراق الثلاث الاخيرة ساقط من (ب).
(٢) في (ب) في حدود المفارقات.
(٣) في (ب) والصدى.
(٤) في (ب) مبدأ الوجود والجوهر.
(٥) في (ب) فهذا.

والعِذْقُ: الكِباسَةُ[1] وهي العرجون الذي يكون فيه التمر، والجَريمةُ: النخلة المقطوعَةُ الاطراف][2] ولا يُخرج النارَ من الحصاةِ الصَّلْدةِ، والتمرَ من النَّخلة اليابسةِ إلا ا للهُ -تعالى وتبارك- القادرُ على كل شيء.

وهذه يمينٌ كان يُقسم بها أوسُ بن حارثة[3] بن لأي الطائي، وكان من أشراف العرب، واجوادها، وحلمائها. وكان يقال: انه وفد وحاتم الطائي على النّعمانِ، فخلا[4] بحاتم. فقال: أنتَ أكرمُ أمْ أوسٌ؟ فقال: -ابيتَ اللَّعنَ-، ما عُرِفتُ إلا بأوس، ولأجدُ ولدَه خيراً مني. ثم أحضر أوساً فقال له مثل مقالتِهِ لحاتم. فقال: -ابيت اللعن- لو ملَكني حاتمُ وآلي لَوَهبنا في غداةٍ واحدة[5]. فقال النعمان: لَشدَّ ما تقارضتُما الثناءَ. وكان النُعمانُ قد أعدَّ حُلةً، وآلى ليُلْبسنَّها أشرفَ العرب، ونادى في وفده بالحضور لُيلبسها أشرفهم. فحضر الناسُ أجمعون[6] إلا أوسٌ. فقيل له في ذلك. فقال: إنْ كنتُ المطلوبَ فسيعرفُ مكاني، وإنْ لم أكُنْهُ فأجملُ الأشياءِ بي ألاّ أكونَ حاضراً. فلما تكامل القومُ نظرَ النعمانُ فلم يرَه، فَبعثَ إليه أنْ احضرْ آمنا ما تخوَّفْتَ. ولما حضر ألبسه الحُلّة[7]، فانصرف الناس، وقد فُضِّل عليهم أجمعين. فحسدَه بعضُهم، وأرادَ ان يَغُضَّ منه، فأعدَّ مائةَ ناقةٍ وجعلَها لمنْ يهجوه، فصار كلَّما عرضَها على شاعرٍ ردَّها عليه إلى أن أتى[8] إلى الحطيئة فسأله[9] ذلك فقال:

---

(١) في الأصل الكناشة. وصوابها الكِباسة وهي بمنزلة العنقود من العنب.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) أوس بن حارثة بن لام بن عمرو بن ثمامة بن عمرو بن طريف الطائي، صحابي. انظر ترجمته في اسد الغابة ١/ ٣١٥ طبعة دار الكتب.

(٤) في (ب) فحلا.

(٥) في (ب) كلمة غير مقروءة.

(٦) في (ب) أجمع.

(٧) في (ب) دفعها إليه اعني الحلة.

(٨) في (ب) أنا.

(٩) في الأصل: فسامه.

كيف أهجو رجلاً لا أرى في منزلي شيئاً إلا وهو من ماله. وأنشده:

كيـف الهجـاءُ ومـا تنفـكُّ عارفـةٌ ... مـن آلِ لأيٍ بظهـرِ الغيـب تـأتيني[1]

ولم يزل على ذلك إلى ان لقي بشر بن أبي خازم[2]، فقبل الابل منه، وهجا أوسا هجاءً قبيحاً، ذكر فيه أمَّه، فلما بلغ أوساً هجاؤه أغار[3] عليه فاستخف الإبـل الـتي جعلت له في هجائه، وأخذه أسيراً. ثم دخل على أمه. فقال: قد أتيت ببشر الهـاجي لي. ولك. فما تأمرين؟ قالت: أوَ تطيعني؟: قال: نعم. فقالت: تخلي عنه، وعن إبله، وتهب له مثلها، فإنه لن يغسل هجاءه إلا مديحه، فخرج إليه، وقال: إن أُمي سُعدى التي كنت هجوتها قد أمرت فيـك بكـذا، فقـال: لا جـرم، والله، لا مدحـت أحـداً غيرك وغيرها أبداً، فوفَّى بذلك، وفيه يقول[4]:

إلى أوس بـن حارثـة بـن سُـعْدى ... ليقضـى حـاجتي فيمـن قضاهـا[5]

ولا تَلـدُ النسـا مِثـلَ ابـن سُـعْدى ... ولا وطـىء النعـال ولا أحتذاهـا[6]

في شعر له كثير مشهور.

قوله: **لقد جلا رين الشكّ عن السريرة...** إلى آخر الفصل.

رينُ الشك: ظلمته، وتراكمه على القلب حتى يحجب عنه نور اليقين.

---

(١) في (ب) كيف السبيل. والبيت في ديوان الحطيئة ٨٦ وفيه:

كيـف السـبيل ومـا تنفـك صالحـة ... إذا ذكـرت بظهـر الغيـب تـأتيني

(٢) بشر بن أبي خازم شاعر جاهلي من بني أسد، فحل مـن الشـجعان، عـرف بعيـب الإقـواء في شعره. الشعر والشعراء ١٤٥-١٤٧.

(٣) في (ب) وأغار.

(٤) البيتان في ديوانه ١٣.

(٥) روايته في الديوان:

إلى أوس بـن حارثـة بـن لام ... ليقضـي حـاجتي ولقـد قضاهـا

(٦) في (ب) ولم تلد، وفي الديوان:

فمـا وطـئ الحصـا مثـل ابـن سـعدى ... ولا لبـس النعـال ولا احتذاهـا

قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

قال ميمون بن مهران[2]: إذا أذنب العبد ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن سمع الذكر، والوعظ وتاب، وأقلع زالت تلك النكتة، وبقي أثرها فإن عاد إلى الذنب عادت. فلا يزال كذلك حتى يستولي السواد على قلبه، فلا ينفع فيه الوعظ، ولا تجلو المواعظ ظلمته وسواده. فذلك هو الرين[3].

قوله: **وأجمعوا أنه علم زلقُ المقام، صَعْبُ المرام، لا يصلُ إليه إلا من نظر بعين فكره، وأعمى عين هواه، واستعبد نفسه في طاعة مولاه.**

إشارة إلى أن القلب كالمرآة المجلوة القابلة لصور الأشخاص المرئية. فإذا اشتغل القلبُ بالأمور الدنيوية[4] ونزع[5] للشهوات البدنية صارت له كالحجاب الحائل بين المرآة وبين الأشخاص فلا تظهر فيها صورها، ولا يبين للناظر أثرها.

قال بعض الفضلاء: لن يبلغ غاية الكمال من اشتغل بقيلٍ وقال، ومنافسة وجدال، وانفعل في حال من الأحوال مقال أو فعال، يعني بالانفعال: التأثر بأي الأسباب اتّفق إذا ثبت[6] وقتاً ما. والانفعال إذا افرط صار ملكة: أي سجية لازمة للنفس.

وقال أصدق القائلين: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[7]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ

---

(١) سورة المطففين الآية ١٤.

(٢) ميمون بن مهران الرقي أبو ايوب، فقيه من القضاة. خرج مع معاوية بن هشام بن عبدالملك على رأس أهل الشام إلى قبرص، واستعمله عمر بن عبدالعزيز قاضياً على الجزيرة. توفي سنة١١٧ الكامل لابن الأثير ٥/ ١٤١.

(٣) في (ب) الرئني.

(٤) في (ب) الدنيا.

(٥) في (ب) كلمة غير مقروءة.

(٦) في (ب) اذابت وقتاً.

(٧) سورة الفرقان، الآية ٤٤.

قَلْبٌ﴾[1]. فليس بذلك المراد القلب الجسداني، إذْ كانت البهائم ذوات قلوب فضلاً عن الإنسان، ولكن لما كانت قلوبُ بعض الناس مستهواة [في حب الدنيا، والاستكثار من زخرفها، والتعبد لشهواتها كانت قلوبهم][2] في خبر العدم، وان كانت موجودة فصارت بذلك حقيقة بأن تسمى مفقودة.

قوله: **واقتنى من العلوم البرهانية ما يأمن به من الشُّبَهِ المضلّة، وتتضح له من أجله مناهج الأدلة:**

لما كان كل اعتقاد حاصلاً[3] في الذهن إنما[4] يكون باستبصار من انفسنا أو نقلا عن غيرنا، والذي يكون نقلا عن الغير[5] أما ان يكون عن واحد، ويسمى المقبول، أو عن كثير ويسمى المشهور، وما هو باستبصار عن انفسنا أما أن يكون [إدراكنا له] عن أحد الحواس الخمسة فيسمى حسيا. أو ليس عن الحواس. وما ليس عن الحواس، فأما أن نجد أنفسنا كأنّها فُطِرت علىعلمه وألاَّ[6] نكون في وقت من الأوقات جاهلين به ولا جعلناه مطلوبا لنا، ولا تعمَّدنا اعتقاده، فذلك هو المسمى المعقول للأوَّل، أو نكون قد جعلناه في وقت مطلوباً، وتعمدنا أحساسه، فذلك المسمى تجريبا. فصارت مدارك العلوم كلها إنما تكون عن هذه الخمس طرق [7]، وتبين أن اعتقاداتنا الحاصلة عنها مختلفة الترتيب[8]، فمنها مالا يتخيل وجود نقيض له، ولا نحوزه، ولا نتوهمه. ومنها ما يجوز نقيضه ولانعلمه[9]، ولا نقدر على

---

(١) سورة ق الآية ٣٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الاصل.

(٣) في الأصل و (ب) حاصل.

(٤) في (ب) اما ان يكون.

(٥) من (ب) غيرنا.

(٦) في (ب) ولا.

(٧) في (ب) خمسة انما تكون...

(٨) من (ب) الرتب.

(٩) في (ب) نقيصة ولا يعلم.

احضاره[1] في أذهاننا. ومنها ما نقدر على إحضار معانيه[2] ونتوهمه.

ولما كانت القوة العقلية غير كافية في استنباط ما نروم استنباطه من هذه الطـرق، وإنزال كل ما يحصل عن شيء منها منزلته التي يستحقها بحسب الأصل المأخوذ منـه احتجنا إلى علم نتبين به كيفية الطريق التي[3] نهتدي بها إلى استنباط ما نـروم علمـه عمّا علمنا، والاحتراس من الخطأ والزلل به ويعرفنا السلوك إلى النظـر المفضـي بنـا إلى مقصدنا، وما يُمتَحن به ما حصل لنا، لنعلم أن ما عقلناه منها كما عقلنـاه أم لا وبالجملة ما يوفينا عند استعمال الفكر، والاستدلال في الإثبات والإبطال من الغلط أو المغالطِ والمغالطة في جميع ما نعلم ونتعلم. والصناعة الموصلة إلى هذا الغرض هي الصناعة المسماة المنطق، ونسبتها إلى المعاني المعقولات تضاهي نسبةَ صناعـةِ النحـو إلى الألفاظ والعروض إلى علم أوزان الشعر، ونسـبة الآلات الـتي يعتريهـا مـا لا يوميء[4] أن يكون الحس غلط فيه من المحسوسات الصناعية كالمسطرة الـتي يُمتَحـن بها صحةُ استقامة الخطوط المستقيمة، والبركار[5] الذي يمتحـن بـه تقـوُّس المقوسـة وغير[6] ذلك، وصناعة المنطق بمناسبة هذه أحرى[7] بمناسـبة النحـو والعـروض، إذْ ربما وُجِد من يستغني بطبعه في علم الشعر، وعلم الموزون منه من غير المـوزون عـن صناعة العروض. ومن يقدر على إعراب ألفاظه طبعا من غير تعلُّمِ صناعة النحـو. وليس يكاد أحد أن يدرك سائر مطلوباته من غـير أن يغلـط فيهـا إلا ان يكـون قـد تقدم له ارتياضٌ بأمرِ صناعة المنطق. وهذه حال القوانين المستعملة في اعتبار الآلات الصناعية، فإنه لا يكاد أحد أن يقتدر علىوجود خط مسـتقيم صحيـح الاسـتقامة، ولامقوس صحيح التقويس دون الآلات المعدَّة لاعتبار ذلـك. وليـس منفعـة هـذه

---

(١) في الأصل: احظاره.

(٢) في الأصل: معاندة.

(٣) في (ب) الذي، وكلاهما صحيح

(٤) في الأصل، وفي (ب) يرمي.

(٥) في الأصل، وفي (ب) البركان.

(٦) في (ب) غير ذلك.

(٧) في الأصل (ب) أخرى.

الصناعة للإنسان فيما يروم استنباطَه فقــط، بـل وفيمـا يـروم تعلمـه، فانـه إذا اراد تصحيح رأي عند غيرهِ سَلَكَ في تصحيحِهِ عنده ما يسلكه في تصحيحه عند نفســه، وكذلك أيضاً إنْ أراد مريدٌ تعلُّمَه أمكنه أن يعتبر[1] كلما يورده ذلك المعلم عليه بمـا حصل عنده من هذه الصناعة حتى لا يحصل عنده إلاّ الحـق اليقـين فقـط، ولا تتـم عليه شبهة ولا غلط، ويمكنه ذلك ان يرد من غلــط في مطلوباتـه إلى الصـواب بـأن ينظر في الطريق التي سلكها في تحصيل ذلك المطلوب، فيعلــم منهـا موضـع الزلـل، ويقفه عليه، ويبين له موضع خطأه ليعودَ إلى الصواب.

ومتى جهل الإنسانُ صناعةَ المنطق كان في مطلوباتــه كحـاطب ليـل[2]، وخـابط عشواء. ولما كانت الأقاويل مفردةً أو مركبة فالمركبة[3] هي التي حصل منها الصــدق والكذب، وكانت رتبها في ذلك خمس رتب.

أما أن تكون يقينية، وهي التي لا يمكن أن تتبدل فتصير كاذبةً بعد أن كانت صادقةً تعطي الحق اليقين، أو ظَنّيةً تعطي غالب الظّن ومقاربـة اليقـين، أو مـا يكـون يحصـل عنها سكونُ نفسٍ أو تخيلٌ يُشعر بمعاندة موهمة مغلّطة[4] [فهذه خمسة أقسام][5].

والصناعة[6] المنطقية تنقسم إلى أقسام تساوق هذه [بالاسم][7].

فالقسم الأول ينظر في المعاني المفردة، و الألفاظ الدالة عليها، [وما يلحقها مـن

---

(١) في (ب) نعبر.

(٢) حاطب ليل: مثل يضرب لمن يتكلم بالغث والسمين، فحاطب الليل لا يبصر ما يجمــع. انظـر ثمار القلوب ٦٣٩-٦٤٠، امثال العرب ٣/ ٥٢٠.

(٣) في (ب) والمركبة.

(٤) في (ب) تغير طفيف في تقديم الالفاظ وتاخيرها في الجملتين الاخيرتين.

(٥) ما بين القوسين زيادة في (ب).

(٦) ذكر ابن النديم كتب ارسطو في المنطق وهي: قاطيغورياس ومعناه: المقولات وباري ارمانياس ومعناه: العبارة، وانالوطيقا ومعناه: تحليل القياس، ابودقيـا وهـو: انالوطيقـا الثـاني، ومعنـاه: البرهان، طوبيقا ومعناه: الجدل، وسوفسطيقا ومعناه: المغـاليط، وريطوريقـا ومعنـاه: الخطابـة، وابوطيقا ويقال بوطيقا ومعناه: الشعر: الفهرست ٣٦١.

(٧) ما بين القوسين زيادة من (ب).

التقابل والانعكاس][1] وهذا هو في كتاب أرسطو في الكتاب المسمى اقاطيغورياس أي: المقولات.

والثاني: ينظر في المعقولات المركبة أبسط تركيب، وهو ما كان مركبا من معقولين[2]، وعن الألفاظ الدالة عليها، وما يلحقها من التقابل، والانعكاس، وغير ذلك، ويعرف ذلك من كتبه في الكتاب الذي يعرف ببارميناس أي: العبارة.

والثالث: ينظر في الأقاويل المركبة التركيب الأول وهي: القياسات، وما يلحقها على العموم من غير أن يبين ما يخصُّ نوعاً من أنواع القياسِ المؤديةِ إلى الاعتقاداتِ الخمسة المذكورة، وذلك من كتبه في الكتاب المسمَّى بانولطيقا الأول.

والرابع: يشتمل على تعريف القوانينِ والشرائطِ التي إذا كان القياسُ عليها كان مؤديا إلى اليقين[3] ويسمى برهاناً[4]، ويعرف بابولوطيقا الثاني.

الخامس: يشتمل على تعريف القوانين التي إذا كان القياس عليها كان مؤديا إلى الظن الغالب ويسمى جدلاً[5] ويعرف بطوبيقا.

والسادس: يشتمل على تعريف الأشياء التي شأنها أن تُغلِّط، وتُلَبِّسَ على الطالب مطلوبه، وما من شانه أن يقصد التمويهَ استعمالُه ليضلَّ به عن الحق والقصد، وبأي الأشياء[6] يمكن الإنسان الاحتراس ممن هذه صفته حتى لايتم عليه تمويه المموِّه، ولا تشنيع[7] المشنع، ويعرف بسوفسطيقا.

السابع: إحصاء القوانين التي بها يحصل اقناعُ المخاطَب في فَنٍّ فَنٍّ[8] وكيفية

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(٢) في الأصل مفعولين.
(٣) في (ب) النفس.
(٤) في (ب) برهاما.
(٥) في (ب) جدليا.
(٦) في (ب) وباي شيء.
(٧) في الأصل ولا تشيع.
(٨) في (ب) في في في.

تأليف الأقوال الخطابية، وبأي الأشياء تكون أكمل تأليفا، وأيها أبلغ مما يقصد له من الاقناع ويسمى ريطوريقا أي: الخطابة.

الثامن: يشتمل على القوانين التي يحصل بها التخييل[1]، والتي يكون بها تخييل ما قصد إلى تخييله أكمَلَ وأتمَّ، وما يستعمل من فنّ فنّ[2] منها، وبماذا تلتئِمُ الصناعة الشعرية، وتسمى انوروطيقا[3].

والمطلوب بالقسم الأول هو القسم الرابع المسمى انالولطيقا الثاني أي: البرهان ومابعده، وقبله على وجه التتبيع[4] له، إذ المقصودُ في كلّ مطلوبٍ هو علمُ الحقِ نفسِه، فهذا ما تشتمل عليه صناعة المنطق.

علم أصول الدين

وقوله: **كفانا ا للهُ بالإسلام فقدَ ما سواه، وأمَّنَنا به ما نَحذَرُه ونخشاه، وفي علْم أُصول الدين، وأدلَّةِ المسلمين غنى عن مذاهب الفلاسفة المتقدمين** ... إلى آخر الفصل.

يعني بعلم أصول الدين علم الكلام، وقد تقدم ذكره ما يدل عليه عند ذكر العلوم الشرعية. وجملة ما يشتمل عليه هذا العلم القصد إلى نصرة ما يتضمَّنه[5] ظاهر الشريعة، والرد على من خالفها[6] في الآراء، وتحقيق كل ما يدفعه أهلُ المِلَل المخالفة، وتزييف أقوالهم، وتبيين حدث العالم، وانَّ له صانعاً قديما، وذكر الصفات التي يوصف بها.

---

(١) في (ب) التحصيل... تحصيل.

(٢) في (ب) في في.

(٣) في (ب) فونطيقا.

(٤) في (ب) وجه التبع له والمقصود.

(٥) من الأصل تصمنه.

(٦) في الأصل: على ما.

وأول مَنْ نظر في [الإسلام][1] في هذا العلم، وفرّعَه عمرو بن عبيد[2]، وواصل بن عطاء[3] وغيرهما من رؤساء المعتزلة، وإنما سُمّوا المعتزلة، لاعتزالهم حلقة الحسن [بن أبي الحسن][4] البصري لما عرضت له الشبهة في كلام الله تعالى، وهل هو قديم أو محدث؟ وانه كيف يكون قديماً وهو امر، ونهي، وخبر، وتوراة، وانجيل، وقرآن؟ والقديم لا تغاير فيه، وهو أيضاً مؤلف من حروف، والحروف محدثة، أو يكون محدثا، وهو صفة من صفات الخالق تعالى، ولا يجوز ان يوصف بالحوادث، والشبهة في مسألة[5] أمر القدر. وهل الأشياء الكائنة كلها مقدرة ام لا؟ فإن كانت مقدرة فلا معنى للثواب، ولا العقاب؛ إذ لا قدرةَ للعبد على الخروج على المقدَّرِ عليه، وإن كانت[6] له قدرةٌ على مخالفةِ المقدورِ فقد يغيِّرُ علمَ الأوّل بالكائنات، وأشباه ذلك من مسائل الكلام. ولم يكن عند الحسن[رحمه الله][7] ذلك، لأن الناس حينئذ كانوا أهلَ سلامةِ صدور ليس عندهم تشويشُ أهل البدع [فلم يجدوا عنده ما يحبون في ذلك][8]، ثم كان بعد ذلك أبو الحسن الأشعري[9] فخالفَ كثيراً مما ذهب

(١) زيادة من الأصل.

(٢) عمرو بن عبيد التميمي البصري، شيخ المعتزلة في عصره. روى عن الحسن البصري وتوفي ١٤٣هـ، انظر تهذيب الكمال في اسماء الرجال ٥/ ٤٣٦-٤٣٩.

(٣) واصل بن عطاء: لقّب بالغزّال لملازمته سوق الغزل، ليعرف النساء المتعففات ويصرف اليهن صدقته، وكان رأس المعتزلة بليغاً مقتدراً على الكلام توفي سنة ١٣١هـ انظر الفرست ٢٠٢.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب) والحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد تابعي، كان إمام اهل البصرة، واحد العلماء الفقهاء الفصحاء توفي سنة ١١٠هـ، انظر الفهرست (٢٠٢) (طبعة تجدد).

(٥) في (ب) مسلة.

(٦) في الأصل: كان.

(٧) ساقطة من (ب)

(٨) زيادة من الأصل

(٩) أبو الحسن الاشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق، مؤسس مذهب الاشاعرة، واليه تنسب توفي سنة ٣٣٤هـ، وقيل ٣٣٣هـ. انظر: وفيات الاعيان ٣/ ٢٨٦ تحقيق احسان عباس.

إليه المعتزلة، وإن كانوا هم الذي نبّهوا على هذه الطريقة، ودلّوا عليها. وهم فرسان الكلام المعروفون بالإصابة فيه[ومنهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء المذكوران، ومن تبعهم على رأيهم كالجُبائي(١)، وابي هاشم(٢) والنظام(٣) وغيرهم](٤).

وكان واصل بن عطاء هذا أحدَ الأعاجيب؛ وذلك انه كان ألثغَ، قبيحَ اللَّثغِ في الراء(٥)، فكان يحتال على ان يخرجها من كلامه في مناظرته، أو محاورته، وخطبه، ففيه(٦) يقول الشاعر:

عليمٌ بإبدال الحروفِ وقامِعٌ   لكلّ خطيبٍ يغلب الحقَّ باطلُه

وقال آخر:

ويجعلُ البُرَّ قَمْحاً في تصرُّفه   وخالفَ الراءَ حتى احتالَ في الشَّعَر
ولم يُطِقْ مطَراً، والقولُ يُعجلُه   فجاءَ بالغَيْث إشفاقاً من المطَرِ

ومن خطبه الخالية من الراء قوله في خطبة نكاح:

الحمدُ لله ذي النعمِ الشاملةِ، والحُجَجِ الكاملةِ، خَلَقَ الإنسانَ من طينٍ و﴿جَعَلَ

---

(١) الجبّائي، محمد بن عبدالوهاب بن سلاّم الجبائي، أبو علي من أئمة المعتزلة، كان رئيسهم في البصرة، توفي سنة ٣٠٣هـ، وفيات الاعيان ٤/ ٢٦٧ (طبعة احسان عباس).

(٢) أبو هاشم هو عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهاب الجبائي من كبار المعتزلة.توفي سنة ٣٢١هـ). الفهرست ٢٢٢.

(٣) النظّام هو إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري، أبو إسحاق من أئمة المعتزلة. توفي سنة ٢٣١هـ، الفهرست ٢٠٥،٢٠٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٥) انظر نماذج لإسقاطه الراء في كلامه في الفهرست ٢٠٢،٢٠٣.

(٦) أبو الحسن الاشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق، مؤسس مذهب الاشاعرة، واليه تنسب توفي سنة ٣٣٤هـ، وقيل ٣٣٣هـ. انظر: وفيات الاعيان ٣/ ٢٨٦ تحقيق احسان عباس.

نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[١] ثم سوَّاه، وقوَّاه، وعلَّمه، وهداه، وأعانَه على ما أحلَّ له وأغناه عما نهاه عنه؛ ليُسعِدَ من أطاعه بثوابِ طاعته ويُبوِّأ مَنْ عصاه بعقاب معصيته. وإن مما أذن اللهُ فيه، وزيَّنه النكاحُ المغني عن السّفاح. وقد أتاكم فلانٌ خاطبا[٢] فلانة، وطالبا صلتكم، وهو العزيز على قومه، وباذلاً من الصِّداق كذا، فجزى الله من أحسن إحساناً.

وقوله لبشّار بن برد: أما لهذا الاعمى المكنَّى ابا معاذ مَنْ يبعجُ[٣] بطنَه، والله، لولا أنَّ الغِيلةَ[٤] من خُلُقِ الغالية[٥] لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه في جوف بيته[٦]، ثم لا يكون إلا سدوسياً أوْ عقيلياً[٧].

فقال الاعمى، ولم يقل الضرير، والمكنَّى بأبي معاذ، ولم يقل بشاراً، ولا ابن برد. وقال: الغالية، ولم يقل الخوارج، ولا المنصورية، ولا المغيرية[٨]. وقال: لبعثت ولم يقل أرسلت، وقال: على مضجعه، ولم يقل على فراشه. وذكر عقيلا وسدوساً، لان بشاراً كان يتوالى إليهم.

وكان واصل بن عطاء مع ذلك زاهداً وقوراً حليماً، ويقال: أنَّه ناظر رجلا مرة فحمى مناظرُه الى أن بصق في وجهه فمسَحه. وقال: لعلي اعجلْتُكَ عن جوابك!.

وهو زوج بنت عمرو بن عبيد.

---

(١) من قوله تعالى في سورة السجدة الآية (٨).

(٢) في (ب) حاطباً.

(٣) في الأصل ينعج. وفي الفهرست ٣٠٢ من يقتله. أما والله.

(٤) الغيلة في الأصل الخدعة، ومنه قيل قتله غيلة، إذا قتله من حيث لا يعلم، اللسان (غيل).

(٥) في الفهرست: خلق من اخلاق الغالية.

(٦) لم ترد عبارة (في جوف بيته) في الفهرست، وفيه : يتولى ذلك عقيلي أو سددسي.

(٧) في الفهرست: وذكر بني عقيل، لان بشاراً كان يتوالى فيهم، وذكر بني سدوس لانه كان نازلا فيهم.

(٨) في (ب) المعربة. ولم ترد الكلمة في نص الفهرست.

[فاما عمرو بن عبيد][1] فهو الزاهد المشهور الذي يقول فيه المنصور[2]:

كُلُكُـــمْ يطلُـــبُ صيْـــدْ   كُلُكُـــمْ يمشـــي رُوَيْـــدْ

غـير عـمـرو بن عـبـيدْ

وكان المنصور استدعاه إليه عُقيب[3] خروج محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن[4] خوفاً[5] ان يكون قد مال إليه.

قال بعض الرواة: كنت جالساً وعُمارة بن حمزة[6] على باب المنصور ينتظر الأذن إذ جاء عمرو بن عبيد على حمارٍ بإكاف[7] فوقه فراش، فنزل عن الحمار، وأزال الفراش برجله. فقال لي عمارة: لا تزال بصرتُكم ترمينا[8] باحمق. ثم جلس. فلم يكنْ إلا قليلا حتى خرج الربيع[9]. قال عمرو بن عبيد: فوالله مادلَّ على نفسه حتى أُرشِد[10] إليه فأتكأهُ يده. وقال: أجبْ[11] أمير المؤمنين. فقلت لعمارة: إنَّ

(١) زيادة من (ب)

(٢) يذكر ابن النديم انه كان صديقا للمنصور، وله معه أخبار، وانه وعظ المنصور بمواعظ مشهورة، وقد رثاه المنصور بعد وفاته. الفهرست ٣٠٢.

(٣) في (ب) عقب

(٤) محمّد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب خرج على المنصور سنة ١٤٥ هـ بالمدينة، وبويع له بالخلافة، ثم ارسل إليه المنصور جيشاً، وقتل في المعركة. العبر ١/ ١٩٨.

(٥) في (ب) خوفا.

(٦) عمارة بن حمزة بن ميمون كاتب من الولاة الاجواد الشعراء، كان كاتب المنصور بليغاً، فصيحاً، وكان المنصور والمهدي يرفعان قدره، توفي سنة ١٩٩هـ الفهرست ١٣١ الاعلام ٥/ ١٩٢.

(٧) الإكاف من المراكب شبه الرحال والاقتاب. لسان العرب مادة (أكف).

(٨) في (ب) ثاتينا

(٩) الربيع بن يونس بن محمّد بن أبي فروة من موالي بني العباس، اتخذه الخليفة المنصور حاجبا، ثم استوزره، توفي سنة ١٦٩هـ وفيات الاعيان ١/ ١٨٥، الوزراء والكتاب ١٢٥-١٢٧، تاريخ بغداد ٨/ ٤١٤.

(١٠) في (ب) أرسل.

(١١) في (ب) احب

الذي استحمقتَه قد دُعِيَ، وتُرِكنا، ثم لبث هنيهةً، وخرج، فاستدعى الربيع له دابته، وما برح واقفا حتى ركبها. وسوى الربيع ثيابه ثم مضى، فقال عمارة للربيع: لو صنعتم هذا بولي عهدكم قد قضيتُم حقَّه. فقال: الذي غابَ عنكم أكثرُ[1] مما هو. والله ما [إنْ][2] سمع بوصوله حتى أمرَ ببيتٍ، ففُرِش لُبوداً[3]، ثم تحوَّل إليه. ودخل والمهدي على رأسه فسلَّم، وجلس، فقال له المنصور: أوصلَ إليك كتابُ محمّد بن عبدالله؟ فقال: جاءني ما يشبه كتابه. فقال: فبِما أجبتَه؟ قال: قد كنتَ تعلمُ رأيي في الفتنة أيامَ كنتَ تختلفُ إلينا. فقال له المنصور: آللهَ[4] ما كاتبته لغير ذلك؟ فقال: لئِنْ كذبتُك تقيةً لأ حلِفنَّ لك تقية. فقال: أنت والله الصادق البار. فقال له: عِظني. فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله اعطاك الدنيا بأسرها[5]، فاشترِ نفسك منه ببعضِها، واعلمْ إن هذا الأمر الذي في يديك لو قد ثبتَ في يدِ غيرِك لما وصلَ إليك. فاتّقِ يوماً لا ليلة بعده، وليلةً لا يومَ بعدها، فقال له: زدني، فقرأ ﴿وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[6] إلى ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾. ثم كرر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ فبكى المنصور، حتى خيف عليه. فقال له المهدي: اكفُفْ عن أميرِ المؤمنين: فقال: يا أمير المؤمنين، من هذا؟ قال: ابنُ أخيك المهدي. فقال: والله لقد سمَّيتَه[7] اسما ما هو له بأهل، وألبستَه لباساً ما هو من لباس الأبرار، ورتَّبتَ له أموراً أسرّ ما يكون بها أشغل[8] ما يكون عنه، ثم همَّ بالقيام. فقال المنصور: متى تأتينا؟ فقال: لا يجمعني وإياك بلدُ

---

(١) في الأصل ما.

(٢) في الأصل إلا سمع، وفي (ب) حين سمع، وما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) اللبود التي تفرش، وكل شيء الصقته بشيء إلصاقا شديداً فقد لبدته. لسان العرب (لبد).

(٤) في (ب) الله

(٥) في (ب) كلها.

(٦) الآية من سورة الفجر (١-٢).

(٧) في (ب) سمته.

(٨) في (ب) أسفل.

إلا أتيْتُكَ[1]. ولكنْ لا ترسل إليَّ حتى آتيكَ. قال: إذاً لا نلتقي. قال: ذاك الذي أريدُ، وأنشد الابيات المذكورة أولا فيه. وله معه اخبار كثيرة منع من ذكرها اشتهارُها.

صناعة الكيمياء:

رجع قوله: **فقال كهلٌ منهم، ما منكم إلاّ من ورَّى زناد فكره، ودلّ على فضلِه، وعلُوّ قدره**، إلى آخر قوله: **فطوبى لمن ظفر بصناعةٍ تريحهُ من الكَدِّ والعَناءِ، وتُلحقهُ بالسُّعداء، وتلك وا لله صناعة الكيمياء.**

وصناعةُ الكيمياء هي الصناعةُ التي يُظَنُّ بها [إمكانُ القدرة على سلبِ][2] بعض الجواهر المعدنية أعراضها، وافادتها خواصَّها، وأعراضاً أُخَر تصيرُ بها ذهباً أو فضةً أو ياقوتاً، أو ما أشبه ذلك. ولشدة رغبة الناس[3] في هذه الصناعة لعظيم عائدتها عند من يغلب[4] على قلبه حبُّ اللَّذة الحسية، والشهواتُ الدنيوية[5] كثر المنتحلون لها، والمتعصبون في صحتها، وتحقَّق جماعةٌ ممن يتسمى بالفلسفة من الإسلاميين فضلا عن المتقدمين بالانتساب إليها، والمناضلة على صحتها كالرازي[6]، ومَنْ يُبطلُها كالكندي[7]، وغيرهما. وأكثرُ ما يوجد للمتعصبين لها، والدافعين لصِّحتِها

---

(١) في (ب) اتيت اليك.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب) الكافة.

(٤) في (ب) تغلب.

(٥) في (ب) الديناوية.

(٦) الرازي هو محمّد بن زكريا، أبو بكر فيلسوف طبيب اشتغل بالسيمياء والكيمياء، اصبح رئيس اطباء المارستان، العضدي ببغداد توفي ٣١١هـ، الفهرست (طبعة تجدد) ٣٥٦.

(٧) الكندي هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح، أبو يوسف، فيلسوف العرب والاسلام في عصره. نشأ بالبصرة، وانتقل إلى بغداد، اشتهر بالطب والفلسفة والهندسة، الفهرست ٣١٥-٣٢٠.

أقاويلُ ليس منها شيء بمؤدٍ[1] إلى العمل باثباتها، ولا ابطالها، إذْ كان ما يذكرونه بطرق[2] أفضلها أما أفَادَ تخييلا أو إقناعاً بل وسفسطة وتمويها، اللهم إلاّ ما ورد في ذلك عن أبي علي[3] الحسين بن سينا في مقالته إلى أبي الحسن بن محمّد السَّهلي فإنه ذكر إن ما رآه[4] من اختلاط أقوالِ مَنْ تعاطى النظرَ فيها مع كونها امراً طبيعياً قاده النظر فيها بطريق قياسي، وتجريبي[5] إلى أنْ حصَّل فيها على الغاية المطلوبة، على ما ذكره وليس هذا موضع شرح ما تشتمل عليه هذه الصناعة ولا إيراد ما تضمَّنتُه المقالة. فمن أحبَّ استقصاءَ القولِ في أمرها، فلْيقفْ عليها متفهماً لمعانيها، ولْيمارسْ ما يحتاج إلى التجربة مما ذكره فيها.

علم أحكام النجوم:

رجع قوله: **أين انت عن تقويم النيرات[6]، وإلقاءِ الشعاعات، والزَّجر والطِّلمسات[7]** إلى آخر الفصل.

يعني بتقويم النيرات: معرفة الكواكب السيَّارة السبعة، والثابتات[8] وبإلقاء الشعاعات الاتصالات الحادثة بينها كالتسديس، وهو: أن يكون بين الكوكبين سُدْس الفلك. والتربيع وهو: أن يكون بينهما رَبْعة. والتثليثُ وهو: أن يكون بينهما

---

(١) في (ب) مود.

(٢) في (ب) بطرق تخيلية واقناعية بل سوفسطائية وهذيان.

(٣) في (ب) ابن الحسين.

(٤) في الأصل: لما رأيت اختلاط.

(٥) في (ب).

(٦) في الأصل: النيران، والصواب النيرات، وسيشرحها المؤلف.

(٧) الطلسمات جمع طلّسم لفظ يوناني، وهو: علم باحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية، لاجل التمكن من اظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها، شفاء الغليل ١٨١.

(٨) في (ب) والباباسات.

ثلثة][1]. والمقارنة[2] وهو: أن يكونا جميعا في جُزْأين متقابلين أحدهما نظير الآخر.

وصناعة الأحكام صناعة تخمينية، يقصد بها تعرُّفُ الأشياءِ [العلوية][3] الحادثة من [عالمِ الكونِ والفسادِ عما يُعلَمُ من أحوال الكواكب المعلومة][4] واختلاف حالاتِها. وهذه الصناعة تنقسم:

[قسمين: الأول][5]: يُسمّى أحكام النجوم الملاحية وهي التي يقتدر[6] بها أهلُها على الاستدلال بما يُرى في الجو من السُحُب، والبُروق، والرُّعود، على ما يكون من الانواء[7]، والرياح، والجهات التي تكون فيها ذلك.

والعربُ تزعمُ أنَّ لكلّ منزلةٍ من منازل القمر نوءً يحدث عند طلوعِها أو غروبِها [هو الريحُ الشديدةُ، والأمطارُ العظيمة. وإنما سميت نوءً][8] [لانه بزعمهم يكون عندما تنوء المنزلة أي تسقط] بمعنى ترتفع، وقد يكون بمعنى السقوط أيضاً، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[9] فإذا غربت منزلة من المنازل القمرية، ولم يكن عند طلوعها أو غروبها شيء. قالوا: أخوى نجم كذا، أي: لم يكن معه شيء، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الكلام فيها على مذهبهم[10]، ولما كانت الجاهلية تعتقدُه فيها من نسبة المنافع والضار اليها[11].

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) والمقابلة.

(٣) ساقطة من (ب)

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٥) زيادة يقتضيها السياق، لان المؤلف سيذكر القسم الثاني.

(٦) في (ب) يقدر.

(٧) في (ب) والامطار.

(٨) ما بين القوسين ساقط من الأصل وفي (ب) اكمل النص مع اختلاف طفيف في الألفاظ مع الأصلية.

(٩) من الآية (٧٦) من سورة القصص.

(١٠) في (ب) في الايواء.

(١١) في (ب) تحقق من نسبة الحوادث من الغيوب وغيرها.

فقال: إذا ذُكِرتْ النجومُ فامسكوا[1]

وكان الاصمي [عبدالملك بن قريب الباهلي][2] لا يفسِّرُ شيئاً فيه شيء من ذكر الأنواء، وسأله سائل يوما عن قول ذي الرمة:

حَوَّاءُ قَرْحاءُ أَشْراطِيةٌ وكَفَتْ فيها الذّهابُ وحفَّتْها البراعيمُ[3]

فقال: بآسنه: وآسن عُرسِه. وأعرضَ عن السائل. يشتمه؛ لقول (اشراطيةٌ) مطرت بنوء الشرطين. والشرطان نجمان من الحمل، والنسبة اليها اشراطية.

الذهاب: الأمطار الضعيفة.

[فهذا ما يشتمل عليه القسم الأول من صناعة الاحكام][4].

[والقسم] الثاني [من صناعة الاحكام][5] يشتمل على [معرفة] الاستدلال بما يكون من تَشكُلِ الكواكب بقياسها بعضها إلى بعض، وبقياسها إلى اجزاء[6] الفلك المسماة البروج، وأجزائها المسماة الحدود، والوجوه، والمثلثات، وبقياس الكواكب إلى الأرض [مثل ان تكون في أوجاتها أي في أبعدِ أبعادِها،وحضيضها بها أي: اقرب قربها من الأرض][7] علىما يكون من أحوال الملك، والممالك، وجزيئات أنساب الإنسان من سعادة أو شقاوة دنياوية[8]، وغير ذلك.

(١) انظر معجم اطراف الحديث ١/ ٣١١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) في (ب) قروا حوا شراطية، والبيت في ديوانه ١/ ٣٩٩ ولسان العرب. مادة (شرط). حوّاء من الحُوة وهي الخضرة تضرب إلى السواد، وقرحاء فيها نور، والنور زهر. أبيض والقرحة بياض في وجه الفرس.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٦) من (ب) آخر.

(٧) ما بين القوسين زيادة من الأصل، وساقط من (ب).

(٨) في الأصل نيوبه.

وأصحاب هذه الصناعة يدَّعون أنَّ مستنبِطَها هو هرمُس الاكبر[1]، وإنها كانت شريعة، وأنَّ أوائلَها مستفادةٌ من أمرٍ إلهي، ويشبه أن يكون أصحَّ، قسمي هذه الصناعة هو القسم الأول الذي يفيد[2] الأحكام الملاحية، إذْ كان كأنه أمرٌ طبيعي يظن [بالكواكب أنها تؤثره من حرارة أو بردٍ أو رطوبة أو يبوسةٍ تكون عنها الاحداث المذكورة.

الزجر عند العرب:

فأما الزجر فهو نوع منها، لكنَّ الاستدلال فيه على ما يكون من الأمورِ الحادثةِ بأمورٍ أرضيةٍ لاسمائيةٍ كظهور بعض الحيوانات [عن يمين الإنسان أو يساره أو كتصويت الغُراب أوالصُّرد، وغير ذلك، ومن أكثر الأمم][3] ولوعاً بذلك العرب، فإنَّهم كانوا يُعَوِّلون في أكثر مُتصرفاتهم على الزجر وفي ذلك يقول شاعرهم كثير عزة:

دعا صُرَدٌ يوما على عُودِ شَوْحَطٍ ... وصاحَ بذاتِ الأثْلِ منها غرابُها
فقلت: أتصريدٌ وشَحْطٌ وغربةٌ ... فهذا لعمري نأيُها و اغترابُها[4]

ومثل قول الآخر:

تَغنَّى الطائرانِ ببين سلمى ... على غُصنَيْن منْ غربٍ وبانِ
فكان البانُ أنْ بانت سُلَيْمى ... وفي الغَربِ اغترابٌ غيرُ دانِ

---

(١) هرمس الأكبر أو هرمس الاول كان يعيش في صعيد مصر الاعلى، قال عنه القفطي وهو الذي سماه العبرانيون خنوخ النبي، وهو ادريس الذي صدرت عنه جميع العلوم قبل الطوفان، تاريخ الحكماء ٣١٨.

(٢) في (ب) الذي هو.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٤) البيتان خلو منهما ديوان كثير بتحقيق احسان عباس.

وقال جران العود[1] [في مثل ذلك][2]

فأمّا العُقابُ فهو منها عُقوبةٌ ... و أمّا الغرابُ فالغريب المطوَّحُ[3]

ومما ينسب لذي الرمة[4]

رأيتُ غُرابا ساقطاً فوق قَضْبةٍ ... من القضْبِ لم ينبتْ لها ورقٌ خُضْرُ

فقلت: غرابٌ واغترابٌ وقَضْبَةٌ ... لقضْبِ النّوى هذا العيافة والزجر[5]

وهبت جَنوبٌ باجتنابك منهم ... ونفخُ الصبا تلك الصبابة والهجر

[ومثل هذا في اشعارهم كثير، وأصوبُ منه، وأصحُّ معنى الكميت بن زيد][6]:

وما أنا ممّنْ يزجُر الطيرَ همُّه ... أراح سليم القرن أمْ مرَّ أعضَبُ

وقول عمرو بن معد يكرب[7]:

ولقد غَدَوْتُ وكنتُ لا ... أغدو على واقٍ وحاتَمْ[8]

فاذا الاشائِمُ كالأَيامنِ ... و الأيامُن كالأَشائمْ

---

(١) جران العود، شاعر جاهلي، لقب ببيت شعر قاله: الشعر والشعراء ٤٥٠. فما بعدها روى السكري ديوانه، وطبع في دار الكتب المصرية ١٩٣١.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٣) من قصيدة في ديوانه ٣، ورواية الشطر الأول فيه: (فأما العقاب فهي منها عقوبة).

(٤) البيتان الاول والثاني في ديوان ذي الرمة (تحقيق الطباع) ص ٩٢، والابيات غير موجودة في ديوانه طبعة المكتب الاسلامي ١٩٦٤.

(٥) رواية الشطر الثاني في الديوان: تلك العيافة والزجر. والعيافة: زجر الطير، تفاؤلا، وتشاؤماً. والقضبة: ما اكل من النبات. لسان العرب مادة (عيف) و (قضب). ورواية الشطر الثاني في (ب)... هذا القيامة والزجر.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب) والبيتان من بائيته المشهورة.

(٧) البيتان غير موجودين في ديوانه (تحقيق هاشم الطعان)، وهما في لسان العرب، منسوبان لخزر ابن لوذان مادة (يمن) مع بيتين آخرين. وله، وانظر تخريجهما في المعجم المفصل ٧/ ١٢.

(٨) الحاتم: الغراب الاسود، وسمي بذلك لانهم يعتقدون انه يحتم عندهم بالفراق.

وأمّا [علمُ][1] الطِلّسمات فهو ما يُستعمل من النقوش، والصور من أحجارٍ مخصوصة في نُصبٍ فلكية مخصوصة.

والنُصُب الفلكية على مايراه قوم من تمزيج القوى السمائية بقوى الاجرام الطبيعية لتأتلف من ذلك قوى فاعلة فعلاً غريبا في العالم الأرضي. وهذه كلها صنائع تخمينيةٌ لا تكتفي بانفسها في حصول غاياتها، ولا يلزم حصول الغايات المقصودة منها ضرورة بل على الامل أو بالاتفاق. والحال فيها كالحال في صناعة الاحكام، إذْ كانت عارية من برهان يقوم على صحة نتائجها [وقد غلط قوم في هذه وجعلوها صنائع علمية لكونها تستعمل القياس في بعض اجزائها، كما ذكرنا من غلطهم بالطب][2].

علم السّيمياء:

قوله: قال آخر: **بل العلم صناعة السيمياء، لان صاحبها متصرّف في جميع الأشياء من غير كلّ ولا عناء.**

هذه صناعة يذهب أهلُها إلى أن الحروفَ المعجمَةَ، وبعضَ الألفاظ المركَّبةِ فيها خواصٌ تفعل في العالم [افعالا عجيبةً مطاوعةً لمن ينطق بتلك الألفاظ ويحفظُها حتى تكون سائر المطلوبات ممكنةً عندهم، و أمور الارادات الإنسانية][3]. جارية على أحكامهم، و منقادةً إلى اهوائهم عند نطقهم بتلك الألفاظ، ويسمون أجلَّ تلك الألفاظ عندهم وأجمَعَها اسم الله الأعظم، ويرمزون فيه رموزاً نحو ما يستعمله أهل الكيمياء بأشعارٍ وأقوالٍ مسجوعة[4]. من ذلك قول بعضهم [يعني

---

(١) ساقط من (ب). وقد أثبتنا ما ورد بعد ذلك من نسخة (ب) لوجود سقط في النسخة الأصلية في تعريف الطلسمات ففيها: الطلسمات النظر في خواص الأحجار وما ينسب إليها من الأفعال إذا اختصت ببعض النفوس في بعض الأوقات.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣)في (ب) أفعالاً مطابقة لإرادتهم حتى تكون سائر الأشياء جارية.

(٤) في (ب) كثيرة.

اسم الله الأعظم وهوالحلاج][1].

ثــلاثُ عِصــيٍّ صُفِّفَــت بعــد خــاتم ... علــى رأسِــها مثــلُ الســنان المقــوَّمِ
وميــمٌ طَميــسٌ أبــتَرٌ ثــم سُــلَّمٌ ... إلى كــلِّ مــأمول وليــس بسُــلَّمِ
وأربعــةٌ مثــلُ الأنــاملِ صُفِّفَــتْ ... تشير إلى الخيرات مــن غــير مِعصَــمِ
ومِــنْ بعدِهــا هــاءٌ وميــمٌ مُقــوَّسٌ ... كــأنبوبِ حجّــامٍ وليــس بمحجَــمِ
فـذاك هــو آســم الله لا شــيءَ غــيرُه ... تمسَّكْ بـه تلْــفَ النجــاحَ وتسْــلَمِ[2]

ويزعمون ان هذا الاسم هو الذي عُلّمُه سليمانُ [بن داود] عليـه السـلام حتـى انقاد له الجن، والإنس، والريـاح، والطـير. وهـذه الصناعـة هـي نحـو مـن صناعـة الطلمسات إلاّ أنَّ أولئك يَدَّعون أنَّ ما يتمُّ به مرادهم نقـوشٌ ورسـومٌ، وحـروف. وهم يدَّعون أنَّ النطق بحروف بعينها هو الذي يصلون به إلى مرادهم، وليس هؤلاءِ في الكثرة بدون طلبة الكيمياء، ويشبه ان يكون ما عليه [أهـل] الهنـد، مـن تحققهـم بالرُّقى، والعزائم نوع مـن ذلـك. والمعنـى الـذي يسـمى السـحر [إنْ لم يكـنْ هـذا المعنى][3] فهو قريب منه.

قوله: **فلما تمادى لغطهُم، [وكثر غلطهم وسخطهم][4]..**

اللَّغْطُ: كثرة الأصوات، وارتفاعها. والسَّـقْط: سَـقْطُ الكـلام[5]. وهـو: رديئـه، وضعيفه. والمتأفف: المتبرِّم. وأصله من قول المتأسف أفٍ. والهذر: كثرة الكـلام مـن غير إصابة[6] وذم[7]. هذرٌ بالدال غيرِ معجمةٍ أي مباح.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٢) الأبيات غير موجودة في ديوانه بتحقيق ماسنيون، وغير موجـودة في شـعره الـذي جمعـه كامل الشيبي.
(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٥) في (ب) وقوله: سقطهم.
(٦) من (ب) من غير صواب.
(٧) في (ب) ورم.

وقوله: احفظني أي: أغضبني. والحفيظة: الغضب. قال الشاعر:[1]

إذاً لقــام بنصــري معشــر خُشُــنٌ   عنــد الحفيظــةِ إنْ ذو لُوثــةٍ لانــا

والتعريض: أنْ يقصدَ الرجلُ بالكلام، ويُري أنَّ قصدَه[2] غيرُه.

وقد تقدم تفسيره. والرِّدن: جانب الثوب. والطِّمر: الخَلِق[3] من الثياب.

قوله: ولا كان لك مناص..

أي لا كانَ لك مَذهبٌ.

ونمتحن سِنَّ بَكْرِك: مثل يراد به علم الحال[أي نختبر قدرتك كما يُخبر سن البكر بالفرار][4] ليعلم مقدار عمره.

قوله: **نستبين دخيلة امرك** أي: نكشف امرك.

والمكر: الكيد والدهاء، [والمخيلة الفعلة التي يقصد أن يُخال بها حالة ما].

وزاغ مثل مال. يقال منه زاغ يزيغ زَيْغٌ ولا يقال يزوغ[5]، قال الله تعـالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾[6].

قوله: عقد نِطاقَ حُبوته...

الحُبوة: أنْ يجلس الرجلُ [القُرْفصاء][7]، ويجمع إليه ركبتيه، فيربطهما بثوبه أو بيده، يقال: حُبوة، وحَبوة[8] وحِبوةٌ بالضم، والفتح، والكسر.

---

(١) هو الشاعر قريط بن أنيف من بني العنبر، مـن شعراء الحماسة؛ انظر ديوان الحماسة: ٢٩ (تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح).

(٢) في (ب) ويرى انه يريد.

(٣) في (ب): المخلق.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في الأصل بزوغ.

(٦) الآية (١١٨) من سورة التوبة، وقد أوقع الناسخ تحريفا في كتابة الآية.

(٧) زيادة من الأصل.

(٨) حبوة ساقطة من (ب).

وقوله: **فسوف ترون ما تهيج الخبائث.**

يقال: نبثت البئر: اخرجت ما فيها من حمأة وطين.

وقال أبو دلامة، وكان بعض المتطببين عاين[1] ولداً له من مرض. فلما أبلَّ قال: اني والله، ليس لي مال أجزيك به، ولكن سأحتال لك إذا غدوت، فادّع على جارنا هذا النصراني بما شئتَ، وارفعْه إلى سوّار القاضي، فإذا سألكَ البيّنة، فادّعِ بي، وفعل ما أمره به، فلما جلس أبو دلامة[2] عند[3] القاضي أنشد:

إن الناسُ غَطُّوني تَغَطّيْتُ عنهم وان بحثوا عني ففيهم مباحث[4]
وإن نبثوا بئري نبثتُ بيارَهم فسوف يرونَ ما تهيجُ النبائث[5]

قال سوّار: من يهيّجك[6] يا ابا دلامة؟ ثم قال للطبيب: خلِّ عن خصمك، ورُحْ اليَّ العشيةَ. فلما راح عليه، سلم إليه ما ادَّعاه من ماله.

قوله: **أحسبتم يا أشباه الآل [واعلام الضلال][7]**

الآلُ: ما يظهر في البيداء كالماء في أول[8] النهار، والسراب ما ظهر في الظهيرة[9].

قوله: **من صفت مرآةُ قلبه..**

---

(١) في (ب) عاني... ومعنى أبلَّ: شفى
(٢) أبو دلامة هو زيد بن الجون الاسدي، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، صاحب نوادر وحكايات نشأ بالكوفة، وأدرك آخر بني أمية واتصل بالخلفاء من بين العباس ت ١٦١هـ وفيات الاعيان ٢/ ٣٢٠-٣٢٧ (تحقيق احسان عباس).
(٣) في الأصل إلى.
(٤) البيتان في لسان العرب، ورواية الشطر الثاني: وان بحثوني كان فيهم مباحث. وهما في ديوانه ٣٨ وانظر تخريجهما في المعجم المفصل ١/ ٥٦٢.
(٥) في اللسان: وإن بئارهم... فسوف ترى ماذا تردُّ النبائث.
(٦) في (ب) من نبثك.
(٧) زيادة من الأصل.
(٨) في الأصل: في النهار.
(٩) تقديم وتأخير في الفاظ العبارة في (ب).

يريد أي: لم يسبق إلى قلبه من اعتقاده مـن البـاطل مـا يشـغله عـن قبـول الحـق كالصدأ في المرآة يمنع من قبولها الأشخاص[1].

وقوله: **وتعرض لنفحات ربه...**

يشـير إلى قـول النـبي ﷺ: إنَّ لربكـم في أيـام دهركـــم نفحـات ألا فتعرَّضــوا لنفحاته[2]. وذلك هو المراد بقوله تعـالى: ﴿مـا يَفْتَـحِ اللَّـهُ لِلنَّـاسِ مِـن رَّحْمَـةٍ فَـلا مُمْسِكَ لَهَا﴾[3]. وبقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾[4].

سئل ﷺ عن ذلك[5] الشـرح مـا هـو؟ فقـال: نـور يقذفـه الله تعـالى في القلـب. فقيل[6]: فما علامته؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والانابةُ إلى دار الخلــود. وهـذه هي الطريقة التي يذهب إليها علماء الصوفيــة[7]، ويزعمـون أنهـم إذا تجـردوا عـن علائق الدنيا[8] غير الله تعالى، قُذِفَ نورُ المعرفة في قلوبِهـم، فأغنـاهم عـن الكـد في طلب العلم [والنصَــب في تبحُّـرِ المسـائل][9]، ويسـتدلون بقولـه تعـالى: ﴿وَالَّذِيـنَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[10]. وان الجهادَ الأعظمَ هو جهادُ القلبِ حتى يخلصَ من سلطان الهوى، فلا يجوز عليه حكمُه، ولا يمضي عليه أمـرُه. ويقولـون إن ذلـك هو الذي عناه بعضُ الصحابة في قوله: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكـبر. ويزعمون انه لولا ما يعوق النفس من خيالات وهمية لكانت تدرك المعـارف أجمع

---

(١) في (ب): كما تصدأ المرآة فلا يظهر فيها الاشخاص.

(٢) انظر تخريجه في معجم اطراف الحديث ٣/ ٣٨٠، كنز العمال ٧/ ٢١٣٢٤.

(٣) من الآية (٢) من سورة فاطر.

(٤) من الآية (١٢٥) من سورة الانعام.

(٥) في (ب) عن هذا.

(٦) في (ب): قيل.

(٧) في (ب) إليها المتصوفة.

(٨) في (ب) كل شيء.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(١٠) من الآية (٦٩) من سورة العنكبوت.

من غيرِ بحث ولا نظر، ويضربون لذلك مثلاً في المنامات الصحيحة، و أنها إنما تصحُّ لأن النفس عند المنام تتخلّى عن تدبير الجسد، فتدرك بعض الأمور بالقوة التي هي بها[1] مستعدةٌ لعلم سائر حقائق الموجودات.

علم الصّرف:

قوله: **أنغضَ إلينا رأسه:**

أي رفعه وحرّكه من قول، قال ا لله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾[2].

ويقال: أنغَضَ وأنتغَ: إذا حرك رأسه تحريك المستهزئ[3].

والمنتحِلُ: المدعي.

وقوله: **لا أسألكَ عن التصريف، وعلله، وصحيح البناء ومعتله.**

التصريف: من أعلى علم اللسان [رتبة][4]، وبه يُتوصل إلى معرفة الاشتقاق، وقياس مالم يُسْمعْ من كلام العرب على ما سُمِعَ [منهم][5]. والصحيح من الافعال ما سلم من دخول حرف العلة، وحروف العلة [الواو والالف والياء، والسالم منها ضَرَبَ وخَرَجَ. والمعتل منهامادخله احد حروف العلة مثل باع، وقال، وغزا. وإنما سُمِيت هذه الحروف حروف علة][6]، من أجل أن الفعل يتغير بدخولها فيه إلى غير صيغة فعل، إذ كان وضع الفعل الصحيح ما كان علىوزن فعل، ومما يدل على كون الفعل معتلا وجود حرف علة، في مستقبله ساكناً مثل قولك: يبيع، ويقول،

---

(١) في (ب) التي هي مستعدة.

(٢) من الآية (٥١) من سورة الاسراء.

(٣) في (ب) وانغض أيضاً ضحك ضحك المستهزئ وانتغ مثله. وقد صحفت لفظة انتغ في الأصل فكتبها الناسخ وأبلغ. وانتغ بمعنى عابه لما ليس فيه (لسان العرب) نتغ.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

ويكيل[1]. وليس يعتل الفعل بدخول حرف العلة مكان فائه، لكن بدخولها مكان عينه، ولامه.

[وللأبنية وأوزان الفعل التي توضع أمثلةٌ ليُعلَمَ منها ما يقعُ في الكلام، وما لا يقع.

قوله: **لا أسألك عن تكسير حضرموت، ولا كيف تبني من سَفَرْجل وزن عنكبوت.**

هاتان مسألتان يُقصَدُ بهما تغليطُ المخاطب. أمَّا تكسير حضرموت فلا يجوزُ لأمرين، أحدهما انه واحد في الوجود، وانما يكسر ما كان كثيراً.

والثاني: انه مركَّبٌ و إنما يكسَّرُ المفردُ. والذي يجوز ان يجمع ما نسب إليه فانه يقال في النسب الى حضرموت حضرمي، وإذا جمع قيل حضارمة، كالعبادلة بإلغاء ياء النَسَبِ، وكالمشاعِرة والمهالِبة.

وكذلك قوله أن] يبني من سفرجل على وزن عنكبوت، من أجل أن سفرجلا[2] خماسي، وعنكبوتا رباعي، والتاء فيه زائدة بدليل قولهم عنكبا، وفي الجمع عناكب. والذي يجوز في البناء ما كان ثلاثيا على وزن ثلاثي بتغيير حركاته، وسكناته إلى ان يتفقا في الوزن كرجِلٍ على بناء إبِلٍ فيصير رُجَّل على مثال صُرّد، فيصير رُجَّل ثلاثي على وزن رباعي بان يزاد في الثلاثي ما يوزان به الرباعي كمَهْدد على بناء جعفر ورَمْدَد على نحو زَبرَج[3]، أو على بناء خماسي بزيادتين[4] نحو عروّس على سفرجل، ورباعي على وزن خماسي كجَحَنْفَل[5] بزيادة النون، وعَشَوْزَن[6] بزيادة الواو، وسَميْدع بزيادة الياء. ويبنى من على[7] جَرَدْحل فيقال سَفَرْجَل، وكذلك من

---

(١) في (ب) نبيع، ونقول، ونكتل، وهو خطأ في النسخ لأن المؤلف يتمثل للماضي المعتل.
(٢) في (ب) سفرجل... عنكبوت.
(٣) بعده في (ب) ومثل ذلك.
(٤) في (ب) بزيادتي.
(٥) في (ب) كجيفل.
(٦) العشوزن: الشديد الخلق، أو العظيم من الناس والابل. لسان العرب (عشز).
(٧) كذا في الأصل.

الرباعي مثلُهُ مَثلُ جعفر على وزن درهم فيقال جعفر، وعكسه درهم مثــل جعفـر، ولا يبنى ثلاثي من رباعي، ولا من خماسي رباعي، ولا ثلاثــي للحاجـة إلى نقـص حرف أصلي ليس من حروف الزيادة، [وهذه المسألة اتــى بهـا السـيرافي في شـرحه لكتاب سيبويه وكان القاها أبو علي الفارسي على جماعــة مـن كبـار أصحـاب ابـن الخياط بمحضره، فقالوا سفروت[1]، فضحــك منهـم، وخجـل لذلـك ابـن الخيـاط وقال: لاكثَّر الله منكم][2].

وعكس هذا السؤال جائز، وهو ان يبنــى مـن عنكبـوت مثـل سـفرجل فيقـال: عَنَكْبَبٌ، واللام أولى بالتكرار كما زيد في مَهْدَد، ورَمْدَد، ودَخْلَل وشَمْلَل، ورَجْلَل، وبَهْلَل[3]، وما أشبه ذلك[4].

علم الإعراب:

وقوله: **ولكن أسألك[5] عن نصب الفعل المستقبل[6] بمعنى مقدر أو عامل مضمر كما تأول النحويون: قول الشاعر[7].**

لنا هَضْبَةٌ لا ينزل الذلُّ وسطَها ويأوي إليها المستجيرُ فيعصما

هل كانت العرب تعرف من ذلك ما تأولوه، أو فسروا أقوالهم بما جهلوه؟ إلى آخر الفصل.

أمَّا نصب فيعصما فإنهم ذهبوا فيه إلى إضمـار إنَّ وإعمالِها كمـا قـالوا: سـرتُ حتى أدخلَ المدينةَ، والمعنى[8] حتــى يكـون مـني دخـول المدينـة. وأقـاموا أن مقـام

---

(1) في الأصل شفروت. وصوابها سفروت قياساً خاطئاً لبناء سفرجل على وزن عنكبوت.

(2) ما بين القوسين ساقط من (ب) ومن قوله فقال: شفروت... اقحمت خطأً في الورقة السابقة، وقد اشرنا إلى ذلك.

(3) في الأصل، و(ب) بهلول.

(4) في (ب) وسنهلل.

(5) في (ب) أسلك.

(6) في (ب) الفعل بمعنى.

(7) مرّ تخريجه في المقامة.

(8) في (ب) لأنهم أرادوا حتى.

المصدر فقالوا حتى أن ادخل المدينة، ثم حذفوا أنْ وأبقوا عملَها، فيكون معنى البيت: ويأوي إليها المستجير فتكون منه عصمةٌ. وقد أجاز سيبويه ذلك في كتابه على ضرورة الشعر، وأنشد:

سأترُكُ منزلي لبني تَميمٍ وأَلْحقُ بالحِجازِ فأستريحا[1]

وأُجري على ذلك قول الأعشى:

ثمَّتَ لا يجزونني عند ذاكمُ ولكنْ سيجزيني الإلهُ فيعقبا[2]

والوجهُ في هذا الباب النصبُ في غير الإيجاب كقولك لا تأتيني فتحدثني. ولا تريد[3] أن تنهى عن الاتيان والحديث، ولكن توجب الاتيانَ[4] وتنفي الحديثَ. فلما خالف الأولُ الآخرَ أضمرَ أنْ؛ ليكون مع الفعل بمنزلة الاسم. ثم تساهلوا في ذلك فأجروا الواجبَ على غير الموجب، فنصبوا فاستريحَ، ويعصمَ، وأمثالَهما للقافية ضرورة، كما فعلوا في قوله:

مثل القَنافذِ هدّاجون[5] قد بلغَتْ نجرانَ أو بلغت سوءاتُهم هَجَرُ

فقلبوا المعنى، ورفعوا هجر تأولاً؛ لأن[6] السوءات إذا بلغت هجرَ فقد بلغتها هجر، وكذلك قوله:

---

(١) البيت للمغيرة بن حبناء في شرح شواهد الإيضاح ٢٥١، شرح شواهد المغني ٤٩٧، الرد على النحاة ١٢٥، وانظر تخريجه في المعجم المفصل ٢/ ٦٩.

(٢) في (ب) بمن لا يجزنوني عند ذاكم ولكني، والبيت للأعشى في الصبح المنير ٩٠ طبعة الكويت وروايته فيه:

هنالك لا تجزونني عند ذاكم ولكن سيجزيني الإلهُ فيعقبا

(٣) في (ب) ولم يرد أن تنهى.

(٤) في (ب) ولكنه أراد.

(٥) هداجون: يمشون مشياً ضعيفاً. وقيل هو المشي إذا كان في ارتعاش. وكتبت اللفظة في (ب) العناهد.

(٦) في (ب) بأن.

يبسِطُ للأضيافِ وجْهاً رَحْبا   بسطَ ذراعيْهِ لعظْمٍ كَلْبا

فنصبوا الكلبَ، وموضعُه رفعٌ. كل ذلك للضرورة.

ومثلُه:

فكَرَّتْ تبتغِيه فصادفَتْهُ   على دمِه ومصرعِه السّباعا[1]

لما كانت السباع مما صودفت[2]، وأنها مفعولة فنصبت على المعنى.

قوله: **هل كانت العرب تعرف من ذلك ما تأولوه، أم فسرتم أقوالهم بما جهلوه؟**

فقد أكثر النحويون الاحتجاجِ على أنَّ العربَ كانت تعلمُ التأويلاتِ التي ذهبوا إليها، وإن لم ينطقوا بها[3]، كما كان الصدرُ الأوَّلُ من المسلمين يعلمون علمَ التوحيدِ وإنْ لم يستعملوا طريقَ أهلِ الكلامِ[4]، ولم يتكلموا بألفاظهم.

وقد أفرد ابن جني[5] في كتابه المعروف بالخصائص لذلك باباً زُبدتُه الاستدلالُ لسؤالِ بعضِ العرب عن معنى قوله: جاءته كتابي. فقال: أليس الكتابُ صحيفةً؟ فكأنَّه تأوَّلَ لقوله بقولهم: عصْبَ الخيلِ على اللُّجُم أيْ أعصبْ عصبَ الخيلِ على اللُّجم[6]. وكقولهم: اللهم ضبعاً وذيبا. أي سلِّطْ عليهم ضبعاً وذيباً. وإنه مثل[7]

---

(١) البيت للقطامي في ديوانه ٤١، وانظر تخريجه في المعجم المفصل ٤/ ١٨٦.

(٢) في (ب) مما صادفته صارت.

(٣) في (ب) عنها.

(٤) في (ب) طريق المتكلمين.

(٥) ابن جني هو أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي صاحب التصانيف المشهورة توفي سنة ٣٩٢هـ، العبر ٣/ ٥٣.

(٦) في الأصل: عضب، وفي (ب) عصب الحبل على اللحم: أي اعصب عصب الحبل على اللحم. ونصّ ابن جني في كتاب الخصائص ٢/ ٤١٨ عن الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهلِ اليمن يقول: فلانٌ لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم: أليس الصحيفة.

(٧) في (ب) مل، وفي الأصل قيل.

بين يدي الرسول ﷺ سعدان فقال: سعدُ إن شاء الله، فكأنه قال الألف والنون زائدتان.

ورأى النابغة على ثوبه جرادة فقال تجرد مكانه [قال انها مشتقة من الجرد. والألف والنون زائدتان][1] واحتجوا بقول الشاعر:

دعا صُرَدٌ يوماً على عودِ شَوْحَطٍ وصاحَ بذاتِ الأَثْل منها غرابُها
فقلت: أتصريدٌ [وشَحْطٌ][2] وغربةٌ فهذا لعَمري نأيُها واغترابُها

فكأنه قال الواو في شوحط، والألف في غراب زائدتان.

وإنه سمع بعضُ الأعراب قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[3] فقال: تبرأت ممّن تبرأ من رسول الله، فكأنه قال إذ جر بالعطف على المشركين: الواو تجمع[4] المعطوف عليه والمعطوف. فرأوا أن تفطن الأعرابي لمثل هذه الأشياء عِلْمٌ بعِلَل الإعراب، ولا مُشاحَّةَ للنحويين في ذلك، ولا ثقة أيضاً لحججهم، فيكفيك منها قول الشاعر:

[عُلِّقتُها هيفاءَ مجدولةً تركيةً تُعزى لتُركيّ][5]
ترنو بطَرفٍ فاترٍ فاترٍ أضعَفُ من حجة نحوي

علم اللغة:

رجع قوله: **ثم مال إلى صاحب اللغة، وقال له: يا ابن دُغة، بماذا تجيبُ إنْ سُئِلت: كم جاء من المضاعف على وزن لَبُبْتُ؟**

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٢) سقطت شحط.. فهذا لعمري من نسخة الأصل.
(٣) الآية (٣) من سورة التوبة.
(٤) في (ب) يجمع علم.
(٥) البيت ساقط من الأصل.

ابن دُغة: مسبةٌ[1] يُسَبُّ بها الرجل، وذلك أن دُغةَ امرأةٌ يُضربُ بها المثلُ في الحُمْق. وهي ماريّة بنت مغنج. زوجت وهي صغيرة، فحملت، فأتاها المخاض فظنت أنها تريد الخلاء، فخرجت تتبرز، فولدت، فصاح الطفل، فرجعت مذعورة إلى أمها، وهي تظن أنها أحدثت. فقالت: [ياهناه][2]، يا أمه، هل يفتح الجعرُ فاه. ففطنت أمُها لما أصابها[3]. فقالت: نعم، ويدعو أباه. فيقال للرجل: ابن دغة، كناية عن النجو.

فأما ما جاء من المضاعف على وزن لَبُبْتُ، فلم يجيءْ عن العرب غيره إلاّ شاذٌ [كقول بعض الرواة عما جاء عن بعض العرب: عَزُزَتْ الناقةُ تعزُّ إذا قلَّ لبنها][4]، وذلك إنَّ الأفعال على ضربين سالم، ومعتلٌ. فالسالم ما لم تدخله علةٌ، ولا تضعيفٌ مثل ضَربَ، وخَرَج. والمعتلُّ: ما دخلت فيه حروف العلة.

والمضاعف ما كرر فيه ثانية، فصار ثلاثياً وهو على وزنين [في الماضي][5] لا أكثر:

فعَل، [يفعُل مثل رد يرُدُّ، وفَعَل يفعِل مثل فرَّ يفِّر، وفعل يفعَل مثل بر يبَّر][6] ولم يأتِ فيه فَعُلَ يَفْعُل إلا فعلُ واحد وهو لبُبْتُ، ألُبُّ، وذلك لاستثقالهم الجمع بين التضعيف والضمة، كما استثقلوا الضمةَ مع الكسرة. والجمعَ بين حرفين متقاربيْ المخرجِ في كلمةٍ واحدة كالباء والفاء، و[الحاء][7] والعين. فلم يأتِ ذلك في كلامهم.

قوله: وإنْ أحببت الإقالةَ من هذه المسألة. فكم جاء من اسم على وزنَ مَفْعُلَة؟

---

(١) في (ب) سب يسب.
(٢) زيادة من الأصل.
(٣) في (ب) لما نالها.
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

الذي جاء على وزن مَفعُلة نحو عشرين كلمة وهي:

ميسُرة: لحالة اليُسْر، ومسرُبة: لأَسفلِ البطْنِ، ومشرُبة، ومشرُفة[1] للمكان الـذي تشرف فيه، ومكرُمة، ومقبرُة، ومفخُرة، ومقدُرة، ومخرمة ومزرعة، ومارُبة: للحاجة، ومأدبة: للدعوة، ومأكلة[2]، ومعركة، ومألُكة[3]، ومزبلة، ومبطُخـة، ومقثُـوة لمكـان البطيخ والقثاء، ومحبرة، ومأثرة.

وربّما جاء في بعضها مَفْعلةٌ فكانت فيه لغتان.

وأقلُّ من ذلك اسمٌ ممدودٌ وجمعه مقصورٌ[4]، أو مقصور وجمعه ممدود، وأقلُّ مـن ذلك كله اسمٌ ممدودٌ وجمعه ممدود][5] وهو اسم واحد.

في القوافي:

وقوله: **ثم أتأَر إلى شاعرنا بصرَه. وأنشده إنشادَ من استصغره:**

أجِـز لنـا يـا مَـنْ نـرى طرفَـه ... في حلبـة الشـعر غـدا فارهـا
أصبحـتُ أرضـى بـالذي ترتضـي ... وللّـذي تكرهُـهُ كارهـا

أتأرتَ الرجلَ بصـرَك: إذا تـابعتَ النظـر إليـه. فأمـا إجـازة البيتـين المذكوريـن فممتنعة، لأنه قد لزم الراء فجلعها حـرف الـروي، وأقـام الهـاء مقـام الصّلـة، وإن كانت من نفس الكلمة. لأن كل هاء تُحرّكُ ما قبلها فأنت فيها بالخَيـار، وإن شِـئتَ جعلتها روياً، وإن شئتَ سمحَت بها فصيَّرتَها صلةً، والتزمتَ مـا قبلهـا فيـلزَمُ مـن

---

(١) جاء في الصحاح (شرف): تشرّفت المربـأ، وأشـرفته أي علوتـه وأشـرفت عليـه: أي اطلعـت عليه، وذلك الموضع مشرَف (بالفتح). وكذا ورد ضبط مخرمة بالفتح في الصحـاح أيضـاً مـادة (خرَم).

(٢) ورد في الصحاح، واللسان مادة (أكل) مأكلة بالفتح والضم. وهي الموضع فيه يؤكل.

(٣) المألُكة (بالضم): الرسالة.

(٤) في (ب) مقصوراً.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

أراد إجازة البيتين[1] أن يأتيَ في الإجازة بقافيةٍ على وزن فارهٍ، يلتزم فيها الراءَ والهاءَ معاً. فأمّا الألفُ فإنها تكون ردفاً إذ كان قد جعل الراء حرف الرويّ [وهي لازمة له][2] وكذلك الفتحة التي قبلها [لازمة أيضاً][3] فلا تخالف القافيةُ القافيةَ إلا بتغيير حرف واحدٍ، وهو ما قبل الردف، وهو في البيت الأول من البيتين فاء، وفي الثاني كاف[4]. وليس يصلح إن تُثَلَّث هاءٌ[5] بين القافيتين إلا بما كان على هذه الصفة.

ولم[6] يجئْ عن العرب [على هذا الشرط غير المذكورتين. فأمّا من جعل ماره قافية ثالثة فلم يُصِب، لأنَّه لم يأت من هذا الفعل صيغةُ فاعل، وإنما الذي جاء][7] منه فِعلُ مَرِه وهو الذي قد أغبَّ الكحْلَ. يقال فيه: امرأة مرهاء[8]. وقد غلط كثير في أمثال هذه القافية لإتيانهم بالهاء التي ليست من أصل الكلمة مع الهاء التي هي من أصلها. فمن ذلك قول أبي الطيب:

أنا بالوُشاةِ إذا ذكرتُك أشبَهُ ... تأبى النَّدى، ويذاعُ عنك فتكره[9]

وإذا رأيتُ دون عرضك عارضاً[10] ... أيقنت أنَّ الله يبغي نصره

فالتزم بالتصريع ما يُلتزم في قافية البيت، ولو أنّه لم يصرّعْ لجاز أن يسمح بالهاءِ من تكره، فيجعلها وصلاً، ويكون حرف الرويّ الراء. وقد وقع فيها عبدالله بن

---

(١) في (ب) فلزمه أن يأتي.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) زيادة من الأصل وساقطة من (ب).

(٤) في (ب) فا ومن الثاني.

(٥) في الأصل: يثلث.

(٦) في (ب) قولك مارها ولم يات.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٨) في الصحاح (مره) مرهت العين إذا فسدت لتركها الكحل.

(٩) هما في ديوان المتنبي ٤/ ٥٥.

(١٠) روايته في الديوان: .... دون عرضي عارضاً.

المعتز فقال:

أفنـــى العُـــداةَ إمـــامٌ مالـــه شَـــبَهٌ ولا يُـــرى مثلـــه يومـــاً ولم نَـــرَهُ
ضـــارٍ إذا انقـــضَّ لمْ تخـــرم مخالبـــه مســـتوفز لاتبـــاعِ الحـــزمِ منتبِـــهُ
مـا يحســـن القطـرُ أن ينهـلَّ عارضُـــه كمـــا تتـــابعُ أيـــامُ الفتـــوح لـــه

فأتى بالهاء الأصلية مع الزائدة، وجعلهما حرفي روي. ومثل ذلك قول بشار أيضاً[1]:

اللهُ صوَّرهـــــا وصيَّرهــــــا لاقَتْـــك أوْ لم تلقَهـــا تَرَهـــا
نَصَبـــاً لعينِـــك لا تـــرى حســـناً إلاّ ذكـــرتَ لـــه بـــه شَـــبهاً

وإنْ روي البيت نُزَها بالزاي معجمة، والنون فليس بعيب.

علم الأنساب:

قوله: ثم أومأ بالسَّبابة إلى النسّابة.

النسّابة: العالِم بالنَسَب، وإنما أدخلوا الهاء، والتشديد للتأكيد كما قالوا: علاّمـة، أي: عالي الدرجة في العلم[2].

---

(١) البيتان من ملحقات ديوان بشار ج٤/ ٢٢٤ وبعدهما بيت ثالث هو

إنـــي لاشـــفق أن أقدمهـــا قبلـــي وأكـــره أن أوخرهـــا

وقد أضاف المحقق الفاضل محمّد الطاهر عاشور تحقيقاً لطيفاً يؤيد ما ذهب إليه مؤلفنا نقلاً عن ابن رشيق ١/ ١٠٤، وهو أن ابن رشيق اورد الأبيات في التنبيه على عيوب القوافي، والأغلاط لفحول الشعراء ومنهم بشار، إذ سها عن أن الهاء في ترها هي صلة لا تصلح أن تكون قافية. وقد روى بيت بشار نزها بالنون والزاي عوضاً عن التاء والراء جمع نزهة، وهي الرواية المتعينة لأن رواية ترها بالراء صيرت الفعل مجزوماً، ولا وجه لجزمه، ولا عيب فيه على هذا. وقد علق الطاهر عاشور بأن ابن رشيق لم يطلع على البيت الثالث فيبقى القول فيه كالقول في البيت الأول. وبما أن البيتين وردا في الزهرة، ولم يردا في العمدة فإن محمّد الطاهر يرى ألاّ مفر من خلل قوافي هذه الأبيات.

(٢) في (ب) مفرط العلم.

قوله: كم من العرب من اسمُه عَبَدَة، أو عبيد، وأيّ ابني حرملةَ قاتلُ ابن الشريد..

أما عَبَدة فهو أبوعلقمة الفحل [التميمي][1] [وليس في العرب عَبَدة بتحريك الباء غيره وكلهم عبدة][2].

وأما عَبيد فهو عبيد بن الأبرص بن جُشَم الأسدي [وقد تقدم نسبه وليس في العرب عَبيد بفتح العين غيره][3]، [وهذه الأسماء قليلة في كلامهم] وكذلك[4] من اسمه شُمس بضم الشين إلا شُمس بن مالك الذي يقول فيه تأبط شراً:

[و]إنّي لمهدٍ من ثَنائي فقاصِدٌ به لابن عمّ الصدق شُمس بنِ مالك[5]

أهُزُّ به في نَدوةِ الحيّ عِطفَه كما هزَّ عطفي بالهِجانِ الأوارِكِ

وهكذا رويتُ هذه الأبياتِ بضم الشينِ[6] [أخبرني بها][7] حسن بن جعفر النحوي [عن التونسي[8] عن ابن عبدالبر][9] عن يعقوب بن خرزاد النجيرمي[10]

وقوله: **وأيُّ ابني حرملة قاتل ابن الشريد..**

يعني بابني حرملة دريداً، وهاشماً ابنيْ حرملة بن إياس بن مُريطة بن ضَمْرة بن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة الأصلية.

(٣) زيادة من (ب) وما بعده زيادة من الأصل.

(٤) في (ب) ولا فيهم من اسمه.

(٥) البيتان لتأبط شراً في ديوانه (١٤٨)، وانظر تخريجهما في معجم شواهد العربية ٢٥٧، المعجم المفصل ٥/ ٢٧٨ والثاني في الكافي ١٧٥.

(٦) في (ب) بن شمس

(٧) رويت في (ب) بتقديم وتأخير.

(٨) التونسي هو علي بن عبد الجبار بن عيذون الهذلي لغوي العصر في زمانه توفي سنة ٥١٩هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣١، ٥٣٢.

(٩) رويت في (ب) بتقديم وتأخير. وورد اسم ابن البر (كذا) ولعل صوابها ابن عبدالبر.

(١٠) يعقوب بن خرزاد النجيرمي، لغوي ذكر في ترجمة محمد السعيدي بن بركات المتوفى سنة (٥٢٠هـ) وأنه أخذ اللغة عن أصحاب ابن يوسف يعقوب بن خرزاد، انباه الرواة (٣/ ٢١٠) (الهامش).

صرمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ويعني بابن الشريد معاوية أخا الخنساء بنت عمرو بن امرئ القيس بنُ بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر والخنساء لقب غلب عليها، واسمها تماضر، وفيها يقول دريد بن الصِّمة الجشمي:

حيُّوا تَماضُرَ واربِعوا صحبي وقِفوا فإنَّ وقوفَكم حَسْبي
ما إنْ رأيتُ ولا سمِعتُ به كاليومِ هاني أيْنقٍ جُرْبِ
متبذلاً تبدو محاسِنُه يضعُ الهَناءَ مواضعَ النَّقْبِ[1]

[قوله: يضع الهناء مواضع النقب مثل سائر][2] يقول: يضع الهناء [أي يداوي موضع الداء][3]. والهناء هو القطران.

[في مواضع النقب من الجرب] أي هي صنّاع، وليست خرقاء [وأرسل ذلك مثلاً][4].

وكان معاوية غزا بني مرة، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة، فاستطرد له أحدهما، وطعنه الآخر فقتله. ووقع الخلاف بين الرواة: أيهما الذي استطرد له، وأيهما الذي[5] قتله، فاختلفوا [اختلافاً كبيراً]، والذي رأيت الأكثرين عليه أن دريداً هو الذي قتله. وفي مصداق ذلك يقول خفاف بن ندبة[6] [وهي أمه، وأبوه عمير بن الحارث بن الشريد][7] من قصيدة:

---

(١) الأبيات في ديوانه ٣٤ من مقطوعة تقع في ستة أبيات، وهي في أمالي القالي ٢/ ١٦١،١٦٢ وانظر معجم شواهد العربية ٦٤.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) زيادة من (ب)، وكذا ما بعدها.
(٤) ساقط من الأصل.
(٥) في (ب) وأيهما قتله.
(٦) هو خفاف بن ندبة، أبو خراشة شاعر فارس من أغربة العرب، عاش زمناً في الجاهلية، وأدرك الإسلام وأسلم. انظر الشعر والشعراء: ١٩٦-١٩٧ والإصابة ١/ ٤٥٢.
(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

فإن[1] تنْجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ كَسَتْه نجيعاً من دم الجوفِ صائكاً

فحقق خفاف في بيته أنَّ الذي طعن[2] معاوية هاشم، وإنَّ قاتل معاوية دريد. وهاشم[3] هذا هو الذي يقول:

أحيا أباه هاشمُ بنُ حرملةْ يومَ الهباتين ويومَ اليعمله
يقتلُ ذا الذنب ومن لا ذنبَ له ترى الملوك حوله مغربله

وسيفه للوالدات مثكله

وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى [التميمي][4] تيم قريش مولى لهم قال: وافى معاوية عكاظ في موسم من مواسم العرب، فبينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المرية[5] وكانت جميلة فدعاها إلى نفسه، فامتنعت عليه. وقالت: أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة، فاحفظته. فقال: أما والله لاقارعنّه عنك. فقالت: شأنك وشأنه. ورجعت إلى منزل هاشم فأخبرته بخبره.

فقال: لعمري، لا نريم[6] أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده. قال: فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بني مرة، وبني فزارة في فرسان من أصحابه من بني سليم حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الحرزة[7]

---

(١) في (ب) وإن، والنجيع هو دم الجوف خاصة، وصائك لعله يريد بها منتنا. انظر الصحاح (صاك).

(٢) في الأصل طعنه. وانظر القصة في الكامل للمبرد ٣/ ١٤٢٣، ٢٤٧.

(٣) هاشم بن حرملة المري من بني مرة بن عوف بن ذبيان من فرسان الجاهلية، كان رئيس بني مرة. انظر الأغاني ٩/ ٤٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب)، وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى، بصري لغوي أخباري. توفي (٢١٠هـ) وقيل (٢١١هـ) انظر العبر ١/ ٩٥٣.

(٥) أسماء المرية شاعرة من شواعر العرب المشهورات في الجاهلية. ذكر لها ياقوت شعراً. انظر مادة وادي عريعرة. وأعلام النساء ١/ ٥٤، ٥٦.

(٦) في (ب) لا تريم.

(٧) في (ب) الحورة أو الحررة. والراجح أن تكون حوزة. وهي وادٍ بالحجاز كانت عنده وقعة لعمرو بن معد يكرب مع بني سليم. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٦ (طبعة دار الكتب العلمية).

-الشك من أبي عبيدة - دوَّمت عليه طيرٌ، وسنَح لـه ظـبيٌ فتطيَّر منها، ورجع في أصحابه. وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال: والله ما منعه من الإقدام إلا الجبن. فلما كان في السنة المقبلة غزاهم، حتى إذا كان في ذلك المكان سَنَح له ظَبيٌ، وغرابٌ، فتطيَّر، ورجع، ومضى أصحابه، وتخلَّف في تسعةَ عشَر فارساً منهم لا يريدون قتالاً، إنما تخلَّف عن عظم الجيش فوردوا ماءً[1]، فإذا عليه بيتُ شَعَر، فصاحوا بأهله، فإذا قد خرجت لهم امرأة، فقالوا: ما أنتِ؟ وممّن أنتِ؟ قالت: امرأة من جهينةَ أحلافٍ[2] لبني سهْم بن مرة بن غطفان، فوردوا الماء يسقون، فانسَلَّت فأتَتْ هاشم بن حرملة، فأخبرته أنهم غير بعيد، وعرفته عدّتَهم [وقالت: لا أراه إلا معاوية في القوم][3]. قال: يالكاع، أمعاوية[4] يغزونا في تسعة عشر فارساً؟! شبَّهتِ أو أبطلتِ.

قالت: بل، قلت الحق، ولئن شئت لأصفنَّهم لك واحداً واحداً.

قال: هات.

قالت: رأيت فيهم شاباً عظيمَ الجُمَّة، قد خرجت من تحت مغفره[5]، صبيح الوجه، عظيم البطن، على فرس غراء.

قال: نعم، هذه صفته -يعني معاوية- وفرسه الشمَّاء.

قالت: ورجلاً شديد الأُدمة[6]، شاعراً ينشدهم.

قال: ذلك خفاف بن ندبة بن عمير.

---

(١) في (ب) فورد دوآما.

(٢) في الأصل أحلافاً.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٤) في (ب) معاوية.

(٥) الجمَّة بالضم، مجتمع شعر الرأس، وهي أكثر من الوفرة. والمغفر والمغفرة: قيل هو مثل القلنسوة غير أنها أوسع، يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها. وقيل هو زرد يلبس تحت القلنسوة.

(٦) الأدمة: السمرة.

قالت: ورأيت رجلاً ليس يبرح وسطهم، إذا نادوه رفعوا أصواتهم قال: ذلك عباس الأصم.

قالت: ورأيت فيهم شاباً جميلاً له وفرة[1] حسنة.

قال: ذلك العباس بن مرداس[2] السّلمي.

قالت: ورأيت شيخاً له ضفيرتان، فسمعته يقول لمعاوية: بأبي أنت وأمي أطلت الوقوف.

قال: ذلك عبد العزيز زوج الخنساء [أُخت معاوية][3].

قال: فنادى هاشم قومه، وخرج. فزعم المري أنه لم يخرج إليهم إلاّ في عدَّتهم من بني مرة. فلم يشعر السلميون حتى طلعوا عليهم، فثاروا إليهم فلقوهم. فقال لهم خفاف: لا تبرزوا إليهم رجلاً رجلا، فإن خيلهم تثبت للطّراد[4]، وتحمل ثقل السلاح، وخيلكم قد أفِنَها[5] الغزو، فأصابها الجفاء.

قال: فاقتتلوا ساعة، فانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة [المريان][6]، فاستطرد أحدهما معاوية، فشد عليهم، وشغله، واعتوره الآخر فحمل عليه فطعنه، فقتله واختلفوا أيهما استطرد له، وأيهما قتله. وكانت بالذي استطرد[7] طعنة طعنه أياها معاوية. ويقال هو هاشم. وشد خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد وهو ابن ندبة. أمةٍ سوداء، كانت قد[8] سباها الحارث بن الشريد فوهبها لابنه عمير، فولدت

---

(١) الوفرة: الجمة من الشعر إذا بلغت الأذنين.

(٢) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر: شاعر فارس من سادات قومه، امه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم توفي نحو (١٨هـ) انظر تهذيب التهذيب ٥/ ١٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) في (ب) ثبت الطراد.

(٥) في الأصل: أمنها. والأفن: الضعف والفساد.

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٧) استطرد: سبق.

(٨) في (ب) كان سباها.

له خفافاً فشد خفاف على مالك بن حمار سيد بني شَمْخ بن فزارة[1] [فقتله][2] وقال خفاف في ذلك:

فإنْ تَكُ خيلي قد أُصيبَ عميدُها ... فعَمْداً على عيني تيمَّمتُ مالكاً[3]

أقول له والرُّمْح يأْطِرُ[4] متنَه ... تأمَّلْ خفافاً إنَّني أنا ذلكا

وقفت له عَلْوى[5] وقد خامَ صحبتي ... لأَنعى قتيلاً أو لأثأر هالكاً

لَدُنْ ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى رأيتُهم ... سِراعاً على خيلٍ تؤُم المسالكا

فلما رأيتُ القومَ لاودَّ بينهم ... شريجين شتى طالباً ومواشكا

تَيَمَّمتُ[6] كبشَ القومِ لمّا عرفتُه ... وجانبتُ شبّانَ الرجال الصَّعالكا

فجادتْ له منّي يميني بطعنةٍ ... كسَتْ متنَه من أسودِ اللَّونِ حالكا

أنا الفارس الحامي الحقيقةَ والذي ... به أدرك الأبطالُ قِدماً كذلكا

فخرَّ صريعاً، وانتقدنا جوادَه ... وحالفَ بعد الأهل صُمّاً دكادكا

وأن ينج منها هاشِمٌ فبطعنةٍ ... كسَتْهُ نجيعاً من دم الجوْفِ صائكا

ورثته أخته الخنساء بشعر كثير منه[7]:

إلا ما لعينِك أمْ ما لها ... لقد أخضَلَ الدمعُ سربالها

أَبعدَ ابن عمروٍ من آل الشريدِ ... حلَتْ[8] به الأرض أثقالها

---

(١) في الأصل بنو شمج بن فزارة قبيلة من ذبيان. وذكر ابن منظور ان ضبط الاسم عند أهل النسب بنو شمخ بن فزارة بالخاء. لسان العرب مادة (شمخ)، وكذا في الشعر والشعراء ١٩٦.

(٢) زيادة ليست في (ب).

(٣) في الكامل ٣/ ١١٥٠ قد أصيب صميمها. وفيه الأبيات الثلاثة الأولى، والبيت الأول ساقط من (ب) وعَلْوى اسم فرسه كما في الكامل أيضاً. وخام معناها: جبُن. والبيت في الخصائص ٢/ ١٨٦، لسان العرب مادة جلا وفيه: وقفت له جلوي..

(٤) يأطر: أي يثني ويعطف.

(٥) في (ب) غلوي، وفي الكامل علوى.. لابني مجداً.

(٦) في (ب) تممت.

(٧) القصيدة في ديوانها ١٢٠-١٢٢.

(٨) حلت: بمعنى زينت، وقد يكون حلت بمعنى القت.

فأقسمت آسى على هالك[1] وأسأل نائحةً مالها

هَمَمْتُ بنفسي بعضَ الهموم فأولى لنفسيَ أولى لها

سأحملُ نفسي على آلةٍ فإمّا عليها وإمّا لها

تهينَ النفوسُ وهوْنُ النفوس يومَ الكريهةِ أبقى لها

ورجراجةٍ فوقها بيضها[2] عليها المضاعف إقبالها

ككرفيةِ[3] الغيْثِ ذاتِ الصبير ترمي السحابَ وترمى لها

وقافيةٍ مثلِ حدِّ السّنانِ تبقى، ويذهبُ مَنْ قالها

نطقتُ ابنَ عمرو فسهَّلتُها ولا ينطقُ الناسُ أمثالَها

فإنْ تكُ مُرَّةُ أودتْ به فقد كان يُكثرُ تقتالَها

قولها: حلت به الأرض أثقالها، تريد به الحلية أي زينب الأرض موتاها به.

وقال بعضهم: حلت من حللت الشيء. والمعنى ألقت مراسيها. كأنه كان ثقلاً عليها، واللفظ لفظ الاستفهام والمعنى: الخبر، كما قال جرير:

ألسْتُم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راح[4]

[وجواب قولها أبْعدَ .. في آس[5].

وقال أبو عبيدة: هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية[6] ترثي أخاً لها][7]

---

(١) روايته في الديوان: فآليت آس على هالك وأسأل باكية مالها. وبعده ثلاثة أبيات أخرى.

(٢) رواية الشعر في الديوان: (ورجراجة بيضها فوقها) الرجراجة القطعة العظيمة من الجيش والبيض: الفوارس، وهي في الأصل الخوذ. والمضاعف: الدروع التي ضوعف نسجها.

(٣) في الديوان: كركرفئة. والكرفية: السحاب المرتفع، والصبير: السحاب الأبيض.

(٤) البيت مشهور في ديوانه ١/ ٧٦ طبعة دار صادر.

(٥) يريد قولها في البيت الثاني فأقسمت آسى.

(٦) شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية لها أشعار في رثاء أخيها قبيصة بن ضرار. انظر أعلام النساء ٥/ ١٣٤.

(٧) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

وقولها: سأحمل نفسي على ألة. تقول: فإما أنْ أموتَ أو أنجو[1]. ولو قالت: ألَّة بالتشديد، لم يكن لها نجاة. والألَّة بالتشديد: الحربة[2].

العروض:

وقولها: هممت بنفسي. قال أبو عبيدة هو توعُّد، ورواية الأصمعي[3]: كل الهموم. قال الأثرم: كأنها أرادت أن تقتل نفسها. وهي قصيدة طويلة ليس هذا موضع استقصاء ذكرها.

رجع قوله: **أي بيت يجتمع في حشوه ساكنان؟**

فليس في الشعر بيت يجتمع في حشوه ساكنان إلا المتقارب، وأنشد الجوهري شاهداً على ذلك[4].

فرمنا القصاصَ وكان القصاصُ   عدلاً وحقاً[5] على المسلمين[6]

كأنه يرى[7] الوقوف على الجزء الذي في وسط البيت. ومثله ما أنشد الأخفش:

فلولا خداشٌ أخذتُ دوا   ب سعد ولم أعطه ما عليها

والزجَّاج لا يجيز ذلك. وينشد البيت الأول.

---

(١) في الأصل: أوْ ألحق.
(٢) في الأصل: الحوبة. وهي الحربة كما في لسان العرب (ألل).
(٣) في (ب) قال الأصمعي.
(٤) ذكره الجوهري في كتابه عروض الورقة ٦٧ شاهداً على الجمع بين الساكنين في المتقارب. وقال إن هذا يحمل على أنه قدر الوقف على الجزء فقصّره، وإلا فالجمع بين الساكنين لم يسمع في حشو البيت.
(٥) في (ب) حقاً وعدلاً.
(٦) في الأصل المسلمينا وفيه ينتفي إيراد هذا الشاهد. جاء في الكافي ١٨: ولا يجتمع فيه ساكنان إلاّ في قواف مخصوصة، وربما جاء شاذاً في غير القافية نحو ما أملاه عليّ أبوالعلاء المعري في هذا المعنى
فرمن القصاص وكان التقاصُ   حتماً وفرضاً على المسلمينا
وقال التبريزي: الرواية الجيدة: وكان القصاص. وانظر لسان العرب (قصص).
(٧) في (ب) نوى.

(وكان القصاص حقا)

والبيت الآخر: أخذت ذوائب سعد أو دواحل سعد [إلاّ أنَّ ذلك شاذ، ولا عمل على الشاذ][1] [وفصل في البيت الثاني إلا أنه قد أنشد سيبويه في الرجز:

كأنّه بعد كلالِ الزاجر ومسحه من عقاب كاسر

بإسكان الحاء، وإدغامها في الهاء][2].

بحور الشعر:

قوله: **من أي بحر قول بعض أهل الزمان:**

يا مدّعي العلْمَ بالعَروض أبِنْ لي هل خُضْتَ لذا البحر في عروضك مثلا

وإن هذا البيت يخرج من المتدارك إذا زيد فيه جزآن، فكان من عشرة أجزاء، كل واحدٍ منهما فاعلن. وهذا بحرٌ لم يذكره الخليل، وإنما ذكره المحدثون[3]، فأخرجوه من المتقارب وسموه المخترع وأنشدوا فيه:

يا بني عامر قد تجمعتُم ثم لمْ تدفعوا الضيْمَ إذ قُمتُمْ

واستعملوه أيضاً مخبوناً في جميع أجزائه، شاهده:

طُرحَتْ كُرةٌ لصوالجِهِ فتلقَّفها رجلٌ رجُلُ

ومنه مضمَرٌ، شاهده:

ماليَ مالٌ إلا دِرهمْ أو برذوني ذاك الأدهَمْ[4].

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في (ب) المتأخرون.

(٤) ذكره الجوهري في بحر المتدارك ٦٩، وإنه يجوز في كل جزء منه القطع فيبقى فاعل فينتقل إلى فَعْلُن وإن بيته هو الشاهد المذكور في أعلاه.

ودفع ذلك الخليل، ولم يقبله، لأنه إنما اعتمد من الأوزان على ما للعرب فيه شعر، واطَّرح ما سوى ذلك.

وأما أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، فإنه أفرده بحراً على حياله وسماه المتدارك[1]. وقد ذكرنا العلة في حجته فيما فعله في العروض فيكون تقطيع هذا البيت في هذا التخريج

يامُدْ دَعِيلْ عِلْمَبِل عَرُو ضأبِنْ لي هَلْ خُضْ تَلِذَلْ بَحْرِفِيْ عَرَوْ ضِكَمْثْلا
فَعْلُنْ فَعِلُن فاعِلُن فَعَلْ فَعَلاتُنْ فَعْلُنْ فَعِلُن فاعِلُن فَعَلْ فَعِلاتُن[3]

فالجزء الأول مقطوع، والثاني مخبون، والثالث صحيح، والرابع مخبون مقطوع، والخامس مخبون مرفَّل. والمصراع الثاني كذلك. والخبن حذف الثاني الساكن والقطْعُ حذف الحرف الساكن، وإسكان الذي قبله. وليس كلُّ ما لم يأتِ عن العرب غير شعر، بل كل ما قارب ما أتى عنهم، وشاركه في الوزن مع الشرائط الأخرى التي تلزم الشعر كالقافية وما يجري مجراها مما ذكرنا فهو شعر.

وقد ورد للمحدثين في البحار التي ذكرها الخليل ما يخالفها بالشيء اليسير، ولا يمتنع أحد من ذلك مع تسميته شعراً، كما جاء في مثمن البسيط عن المحدثين، ولم يأت عن العرب وهو:

يا حادي العيس مهلاً لستَ بالقايسْ عوجا فأُوصيكما بالمنزلِ الدارس[4]

---

(١) ورد هذا البحر مفرداً في كتاب عروض الورقة ٦٨، وذكر أنه مثمن قديم مسدس محدث، أجزاؤه فاعلن ثماني مرات، وبيته الذي لا زحاف فيه:

لم يدع من مضى للذي قد غبرْ فضلَ علم سوى أخذِهِ بالأثر

(٣) في (ب) ما يخالفها.

(٤) في (ب) العير فاوصكما. وقد ذكر الجوهري البيت في عروض الورقة: ٢٣ شاهداً على بيت البسيط الذي لا زحاف فيه، وذكر أنه محدث، ولم يجئْ عن العرب في مثمنه بيت صحيح وروايته فيه لست بالنابسي... فنوصيكما.

وأمثال ذلك كثير.

فأما الأقوال الموزونة التي يستعملها أهل زماننا، كالموشحات والمقلعات[1]، وما جرى مجراها. وإن كان يلتزم في بعضها القافية فليست شعراً؛ لأنها وإن كانت ذوات أوزان فإن أوزانها بعيدة الشبه من أوزان الشعر الصادر عنهم.

رجع قوله:

ثم مال إلى خطيبنا الأريب، وكاتبنا اللبيب..

الأريبُ واللَبيبُ: العاقلُ. والأرَبُ واللُّبُّ: العقل.

الكتابة:

قوله: **لو أن سلطاناً خصَّك باصطفائه، واتخذك من أصفيائه.. إلى آخر الفصل**

هذه مسألة لا يعيا[2] بجوابها مَنْ له أدنى يدٍ في الكتابة، فإن الكاتب هو الذي يمكنه أن يخترع المعاني التي تضمنها كتبه على حسب ما يأمره به مستكتبُه.

ولهذا رُجِّح أحدُ الصادين[3] على الآخر، إذْ كان الصاحب يكتب كما يريد

---

(١) في الأصل: المعلقات، وفي (ب) المقلعات ولعلها المثلثات: وهي نوع من الشعر تقوم كل ثلاثة أشطر على قافية واحدة. أوالمربعات وهو الشعر الذي يتسم فيه الشاعر قصيدته إلى أقسام في كل منها أربعة أشطر مراعياً فيها نظام القافية الواحدة أو الشطر الأول والثاني والرابع على قافية واحدة، والشطر الثالث على قافية مختلفة. انظر علم العروض والقافية/ راجي الأسمر ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) في (ب) لا يعنى.

(٣) يريد بالصادين الكاتبين اللذين بدأ اسمهما بحرف الصاد، وهما الصاحب بن عباد والصابي. أما الصاحب بن عباد فهو إسماعيل بن عباد الأديب الذي لقب بالصاحب، لمصاحبته ابن العميد، وقيل لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٢٣٣، ٢٢٨. وأما الصابي فهو إبراهيم بن هلال الحراني، كاتب مترسل شاعر، كان كاتب الإنشاء ببغداد، وقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩هـ وتوفي سنة (٣٨٤هـ). انظر وفيات الأعيان ١/ ٥٢- ٥٤ تحقيق إحسان عباس.

لكونه آمراً غير مأمورٍ. والصابي يكتب كما يؤمر.

وأمَّا السبيلُ التي ينبغي للكاتب أن يسلكها إذا أراد الإنشاء مما تقدم[1] ذكره، فأنْ يبتدأ بما يدلُّ على شكر النعمة، والعزاء عن المحنة فيقول:

الحمد لله مانح سوابغِ الآلاءِ، وكاشف غواشي اللأواء[2]، والذي لا يخلي عباده على اختلاف الأحوال من عوارفه، ولا يحجُبُ عنهم على تبايُنِ[3] الأوقات خفيّاتِ ألطافه ولطائفه. فمن بين منحةٍ توجبُ لمن عرف قدرها ثواب الحامدِ الشاكر، ومحنةٍ يُكتَبُ لمن اتَّعظ بها أجرُ المحتسبِ الصابر، وصلى اللهُ على رسوله المنعوت[4] بمحاسن الأخلاق، الحاسم أدواء الكفر والنفاق وعلى آله الطاهرين، وسلَّم تسليماً.

أمّا بعدُ؛ فإنَّ أسعد الناسِ من سلَّم لأمر ربّه في السرّاء والضرّاءِ ورضَي بقضائه -سبحانه- على الشّدة والرّخاء، فلم يبطر[5] إذا أُجزِلَتْ[6] له العطية ولم يضـرَعْ إذا نالتْه الرزيّة، عالماً بأن الله تعالى خَلَق الخَلْق بحسب إرادتِه، وأجرى أمورَهم على اختياره، ومشيئته، وأوجب عليهم الرضا بقسمه، والانقياد إلى حكمه -فمن تأدَّب بأدبه- تعالى فاز[7] بخير الدنيا والدين وكُتِبَ في جرائد المتقين، ومن نُكِبَ عن سبيل هدايته خسر الدنيا والآخرة و(ذلك هو الخسران المبين)[8].

إنَّ من أعظم نِعَمِ الله تعالى علينا قدراً، وأبعدها صيتاً وذكراً نعمةً إشرقَ في

---

(١) في (ب) مما يقدم.

(٢) اللأواء: الشدة والضر.

(٣) في (ب) على ممر.

(٤) في (ب) المبعوث.

(٥) في (ب) ينظر.

(٦) في (ب) جزلت.

(٧) في (ب) فإن.

(٨) من الآية (٣١) من سورة الحج.

دياجير الهموم صباحُها، وأضاء في ظلمة، الغُموم[1] مصباحُها، وشدخت[2] في بهيم الخطْب غُررُها، وأوضاحُها[3] بما يسَّره[4] لأوليائنا المحامين[5]، وأشياعنا الميامين من الفتح الذي تفتَّحت له أبوابُ السماء، ولبست به الدولة ثوبَ العزّ والسَّناء، وبلغنا به إلى أقاصي الأمل والرجاء بعد أن أشِر[6] حزبُ الشيطان بما مدَّ[7] له من أسباب الأمل، وابتلى أنصار الله بالانحياز عن عدوهم لغير عجْزٍ، ولا فشل. فلم يكن إلاّ ريثَ ما افتضح كلُّ منافقٍ مريب، وازدادَ يقيناً كلُّ ذي [رأي مصيب ودين][8] صليب (مثل الذين خلوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء، وزُلزلوا حتى يقولَ الرسول، والذين آمنوا معه، متى نصر الله، ألا إنَّ نصر الله قريب ثم كانت العاقبة للمتقين)[9]. [والدائرة][10] بحمدالله على الجاحدين المارقين، فأصابهم جزاءُ ما ارتكبوا، وعجَّل لهم العذابَ بما احتقبوا من الأوزار، واكتسبوا، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا[11].

ومما يجب علينا الإشادةُ بذكرِه، ومشاركةُ كافة رعايانا في علمه تحدثاً[12] بنعم الله

---

(١) في (ب) الغم.

(٢) شدخت: برزت، من قولهم شدخت الغرة تشدخ شدخاً وشدوخاً: انتشرت، وسالت سفلا فملأت الجهة، وقيل غشية الوجه من أصل الناصية إلى الأنف. لسان العرب (شدخ).

(٣) الأوضاح جمع الوضح وهو البياض ويريد بها معنى الغُرَر.

(٤) في (ب) نشره.

(٥) في (ب) المخلصين.

(٦) أشر: اشتد بطره.

(٧) في (ب) أمد.

(٨) ما بين القوسين زيادة من (أ).

(٩) الآية من سورة البقرة (٢١٤).

(١٠) اللفظة ساقطة من (ب).

(١١) القول اقتباس من الآية (٣) من سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.

(١٢) في (ب) تحدثنا.

-تعالى- عندنا وإبانةً عن خفيّ لطفِه بنا، إنّا لم نبدأ بشكر النعمةِ السالفِ ذكرُها متصدين للقيام بواجب شكرها حتى عُزّزتْ بثانية، شفعتَها، وأُردِفَت بثالثةٍ عظيمة[١] أعقبتها، بأنْ رزقنا الله نجلاً[٢] باراً كريماً، وأولانا به عظيماً جسيماً، فأطفأ به جمرةَ أسفٍ كانت قد توقَّدتْ لفَقْدِ ولدٍ من قبلِه، وعلِمنا أنَّ لطفاً من الله تعالى خلَّفه[٣] علينا بمثله، فرأينا مخايلَ[٤] الفضل لائحةً فيه، ووجدناه أجلَّ العِوض عن شقيقه وأخيه، وأجزلنا حمدالله تعالى على أنْ جعل لنا عن كلٍ ذاهبٍ بدلاً، ووهبَ لنا عن كل فائتٍ عِوَضاً وخَلَفا حمدَ المستزيدِ لنِعَمه، المتري لِمنحِه، المرتسمِ لمراسمهِ، والمتأدبِ بأدبِه وإياهُ أسالُ[٥] أنْ يمدَّنا من تأييده، وعصمتِه بما نبلغ منه غايةَ الرضى، ونحظى ويسعدنا[٦] بطاعته في الدنيا والآخرة [وهو حسبنا ونعم الوكيل][٧].

فهذا سبيل ما يكتب في هذا الباب، وإنْ كان فيه بعضُ الاختصار، والزيادةُ بعد معرفة الطريق ممكنة.

ومما يسأل عنه في مثله[٨] [وإن كان فيه بعض الاختصار][٩] إلى من تزوجت أمه. وقد أورد بعض الكتاب ما ينبغي أن يكتب به في ذلك[١٠]. فمنه رسالةٌ بعد التصدير:

أنت بفضل الله عليك، وحسن تبصيره إياك، وخلوصِ اليقين لا تتبعُ الهوى في

---

(١) في (ب) عظمه عقبتها.
(٢) في (ب) رزقنا نجلا.
(٣) في (ب) حلفه.
(٤) في (ب) ورأينا.
(٥) في (ب) نسأل.
(٦) في (ب) ونحظى بطاعته.
(٧) العبارة ساقطة من (ب).
(٨) في (ب) في هذا الباب الكتاب.
(٩) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(١٠) في (ب) ينبغي له أن يكتب به.

محظورٍ تُبيحُه، فكذلك لا تُطيع الأنفَة في مُباحٍ تحظره، واتصل بنا ما اختاره الله تعالى لذات الحق عليك، والمنسوبة بعد انتسابك إليها إليك ما كرهه إباؤك الدنيوي، ورضيه الحلال الديني لك ولها، فنحن نعزيك عن فائت محبوبك، ونهنئك بالخيرةِ في اختيار القدر لك، ونسأل الله أن يجعلها ابداً لك ومعك، فيما كرهتَ، ورضيتَ، وأتيتَ وأبيت[1].

فهذا ونحوه سبيل[2] ما يكتب في هذا المعنى.

ومن جيد الرسائل في ذلك ما كتب به أبو الفضل بن العميد[3] إلى بعض من يخصُّه:

الحمدلله الذي كشفَ عنا الحيرةَ، وهدانا لستر العورة، وجَدعَ بالحلال أنفَ الغيرة، ومنعَ من عضْلِ الأمهاتِ كما منع من وأد البناتِ استرسالاً للنفوس الأبية عن حميّة الجاهلية. ثم عوَّض جزيلَ الثوابِ من صبرٍ على نازل بلائه، وهنَّأكَ اللهُ الذي شرح للتقوى صدرَك، ووسَّع في البلوى صبرَكَ من التسليمِ لمشيئتِه، والرضى بقضيّتِه ما وفَّقك لقضاءِ الواجبِ في أحد أبويك. ومن عظِم حقّه عليك جعلُ اللهِ تعالى ما تجرعتَه من أسفٍ، وكظمتَه من غيظٍ معدوداً يعظم عليه أجرُك، ويجزل عنه ذخرُك، وقرن بالحاضر من امتعاضِك بفعلها المنتظر من ارتماضِك بدفنِها، وعوَّضك من أسِّرة فرشها أعوادَ نعشِها، وجعل ما يُنعِم عليك من بُعدِها معرّى من نقمه، وما يوليك من قبضها مبرءاً من محنه.

وهذا باب متسع، وإنما الغرض الإشارة إلى المعنى دون استيعاب [هذا الباب]

قوله: **ثم نظر شزراً إلى الفقيه.**

---

(١) في (ب) وأبيت وأتيت.

(٢) في (ب) ونحوه ما.

(٣) ابن العميد هو أبو الفضل محمّد بن الحسين الوزير الكاتب الأديب، وزير الحسن بن بويه صاحب الري توفي سنة (٣٦٠هـ) العبر ٢/ ٣١٧.

نظر شزراً: إذا نظر بمؤخر عينه.

التفسير والتأويل:

رجع قوله: **لا أسألك عن وجوه التفسير والتأويل..**

أما التفسير فهو شرحُ ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم، وتعريفُ ماتدلُّ الألفاظ العربية[1] التي ربما أشكلت على كثير من الناس، وتبيينُ الأمور التي أنزلت بسببها الآي، ولا يتسع لأحد أن يأتيَ بالمقصود في ذلك من تَلقاء نفسِه دون أن يكون أخذُه عن الرسول ﷺ، أو عن مَنْ يجبُ أن يُتَّبع ممَّن أخذ عنه، [أو عن صحبه][2] وقد نهى ﷺ عن ذلك بقوله: من فسر القرآن برأيه فقد تبوَّأ مقعده من النار[3].

نعم. الدلالة اللغوية قد لا يُحتاجُ فيها إلى إسناد عن الرسول ﷺ إذ اللُغة أمرٌ مشتَرك بين أهلِ اللسان. وقد ألَّف قومٌ كتباً في شرح غريب القرآن كالهروي[4]، والنحاس[5]، وغيرهما فليس ذلك بمنكر عليهم إذ الذي يُحتاج فيه إلى التحري ما قدمناه.

وأما التأويل فهو تبيين معنى المتشابه.

والمتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه. وهو النص الظاهر. مشتق

---

(١) في (ب) ألفاظه الغريبة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في (ب) فليتبوأ. والحديث مخرّج في موسوعة أطراف الحديث ٨/ ٤١٩ وفيه فليتبوأ

(٤) الهروي هو أبو عبيد أحمد بن محمّد بن أبي عبيد العبدي الأديب الهروي، توفي نحو (٤٠٠هـ). له كتاب الغريبين القرآن والحديث. وقد طبع الكتاب بتحقيق محمود الطناحي، وطبع أيضاً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٥) النحاس هو أحمد بن محمّد بن إسماعيل النحاس، كان من أهل العلم بالفقه والقرآن، له كتاب إعراب القرآن وقد طبع، توفي نحو سنة (٣٣٨هـ) انباه الرواة ١/ ١٣٧.

من قولهم: نصَّتْ الظبية [أي ظهرت][1]. ومنه المنصة التي تظهر عليها العروس.

وقد اختلفت الأمة اختلافاً شديداً[2] في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3] فزعم واصلُ بن عطاء، وعمرو بن عبيد وكثيرٌ من المعتزلة أن المحكَم هو الوعيدُ الواردُ على الجرائر، والكبائر، والمتشابهُ: ما ورد منه على الصغائر.

وقال الأصمّ[4] المحكم: نَعت رسول الله ﷺ في الكتب القديمة، والمتشابه: نعته في القرآن الكريم.

وقال آخرون: سائر القرآن محكَمٌ ليس فيه متشابَه إلا ما أُشكِل معناه وهو: الحروف المقَّطعة التي في أوائل السور.

وقال آخرون: المتشابه ما نُسِخَ، والمحكَمُ ما لم يُنْسَخْ. واختلفوا أيضاً في هذا اختلافاً كبيراً.

وقال قوم: الناسخ هو النص الذي يتضمَّنُ رفعَ حكمٍ لولاه لاستمرَّ ذلك الحكم، والمنسوخ هو ما ارتفع بالناسخ.

وقال آخرون: النسخ أبداً ما ينافي استمرار الحكم. ولهم في ذلك أقاويلُ كثيرة، ليس إلى التطويل بذكرها حاجة.

قال الزجاج[5]: القرآن كلُّه محكم إلا الآي التي ذكرت فيها القيامة، فهي المتشابه،

---

(١) في (ب) إذا رفعت.

(٢) انظر آراء العلماء في الآيات المحكمة والمتشابهة في البرهان في علوم القرآن ٢/ ٧٢ فما بعدها.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) الأصم: من رجال المعتزلة المعدودين، كان فقيراً شديد الصبر، وله مؤلفات وتوفي سنة (٢٠٠هـ) وقيل (٢٠١) انظر الفهرست ٢١٤.

(٥) الزجاج، إبراهيم بن السري، أبوإسحاق، نحوي العراق، وصاحب المبرد، توفي سنة ٣١١هـ. انظر العبر ٢/ ١٤٨.

إذ لم ينكشف الغطاء عن وقتها. واستدل بقول الله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾[1]، وإنهم لم يكونوا يسألون إلا عن وقت القيامة. وله في ذلك كلام طويل لا يرجع إلى حاصل.

والذي يعتمد عليه، ويرجع أهل العلم[2] إليه أن المتشابه هو ما عسُرَ إجزاؤُه على الظاهر، أو لزم منه محال، أو ما كان له معنى باطن غير الذي يفهمه سائر الخلق. وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك إذ يقول: إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً[3]، [ومطلعاً][4].

وقال علي كرم الله وجهه: لو شئتُ لأَوقرتُ سبعينَ بعيراً في فاتحة الكتاب [من تفسيرها][5]. [فإن لم يكن لفاتحة الكتاب معانٍ غير ما يفهمه كلُّ من يقرؤها فما الباطن والحدُّ والمطلع؟ وبماذا يوقر من تفسيرها سبعين بعيراً][6].

وقال أبو الدرداء[7]: لا يفقه الرجل حتى يعلم للقرآن وجوهاً.

وقال بعض الأئمة: القرآنُ يحتوي على سبعةٍ وسبعين ألفَ علْمٍ، ومائتي علْم. وإنما قال ذلك لأن عدد كَلِم القرآن تسعةَ عشرَ ألفَ كلمةٍ، وثلاثمائة كلمة. فإذا كان لكل واحدٍ منها ظهرٌ، وبطنٌ، وحدٌّ، ومطلْعٌ حصل من ذلك سبعة وسبعون ألفَ علْمٍ ومائتا علْم، بل علوم الأولين والآخرين موجودة في الكتاب الكريم،

---

(١) سورة آل عمران من الاية ٧.

(٢) في (ب) أهل الحقائق.

(٣) في (ب) وحيداً. وانظر تخريج الحديث في معجم أطراف الحديث ٣/ ٣٩٢.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب). في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٦ لكل آية ظهر وبطن.

(٥) في (ب) لأقرت. وما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٧) أبو الدرداء هو عويمر بن عامر. ويقال عويمر بن قيس بن زيد، وقيل عويمر بن ثعلبة، صحابي خزرجي توفي سنة (٣٢) أو (٣٣هـ) بدمشق. انظر أسد الغابة ١/ ٣٠٦-٣٠٧.

بدليل قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وردد رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) عشرين مرة، ولا يكون ذلك إلا لتدبره لمعان فيها خفيت على غيره.

فإذا نظرت حق النظر علمت أنَّ القرآن مشتملٌ على آيات الله تعالى، وذكر صفاته، والدلالةِ على توحيدِه، وأفعاله، وذلك هو الموجودات بأسرها، وفيها طالَ جدالُ الخلْقِ وبحثُهم، وعظُم اختلافُهم، وتشاجرُهم ويوجبُ ذلك صرفَ الهمةِ إلى تدبُّره يقيناً إلى الهداية فيه.

ويروى عن أبي سليمان الداراني[2] أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها خمس ليالٍ، ولولا أنّي أقطَعُ الفكرَ منها، ما جاوزتُها إلى غيرها.

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر، لا يقدر على الفراغ منها.

وعن آخر أنه قال: لي في كل جمعة ختمةٌ، وفي كل شهر ختمة، ولي في كل سنة ختمةٌ [ولي ختمةٌ][3] بعد ثلاثين سنة ما فرغت منها، وذلك إنّه كان في الختمة التي في الجمعة يقصد بها الحِفْظ والدرسَ. وفي التي في الشهر يقصد بها إلى الظاهر، وفي السنة إلى ما هو أغمضَ منه، وفي التي في الثلاثين سنة إلى الباطن الخفي.

وإذا علمت أن رسول اللهِ ﷺ قال: آية الكرسي سيِّد آيِّ القرآنِ[4].

---

(١) من الاية (٣٨) سورة الأنعام.

(٢) سليمان بن حبيب المحاربي الداراني، أبو بكر قاض من ثقات التابعين من أهل الشام كان ينعت بقاضي الخلفاء، استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاماً توفي نحو سنة (١٢٠هـ). انظر تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٧.

(٣) زيادة ليست في الأصل يقتضيها السياق.

(٤) انظر في فضل آية الكرسي سنن الدارمي ٢/ ٤٤٧، وفي كنز العمال ١/ ٢٥٣٦: آية الكرسي ربع القرآن. وذلك الزركشي في فضل آية الكرسي أنها اشتملت على ما لم يشتمل عليه اسم من أسماء الله تعالى، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسمُ الله ظاهراً في بعضها، ومضمراً في بعضها البرهان ١/ ٤٤٤.

وكانت آية الكرسي عند أكثر الناس بيِّنَةُ الظاهر افتقـرت إلى أن تعلـمَ أن في آيـة الكرسي معنى وجب أن تكون لأجله سيّدَ آيِ القرآن. فإذا بحثتَ عن ذلـك حقيقـةَ البحثِ لم تجدها تختص بشيء من لفظها إلا بقوله: الحي القيوم.

ومعنى القيوم: القائم. وإنما القصد بهذه البَيِّنَةِ التأكيد كما قالوا لمـن يريـدون أن يصفوه بوفور العلم علاّمة، فيكون القيُّوم مبالغةً في صفة الله تعالى بأنه القائِمُ بنفسه إذْ لم يكن في الوجودِ إلاّ ما هو في وجوده مفتقرٌ [في ذاته][1] إلى غيره، فليـس شـيء إذاً [قائماً بنفسه إلا الله تعالى. وهذه هي الصفة الخاصة مـن صفـات الله تعـالى بـه، ولذلك وجب][2] أن تكون آية الكرسي المتضمنة لهذه الصفة أشرف القرآن فمُثِّلَـت بالسيّد لذلك، إذ هو أشرفُ مافي القوم.

وكذلك قوله عليه السلام (قل هو الله أحد) تعدِلُ ثُلثَ القرآن[3]، وكيف يكون ذلك، والقرآن أضعافٌ كثيرةٌ لهذه السورة؟ وإنما يكون ذلـك، لأن القـرآن مشـتملٌ على ثلاثة أشياء، صفات الله تعالى، والدلالة على طريق السلوك إليـه، وذكـر حـال المنعمين بطاعته، والمعذبين بمعصيته.

و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مشتملة على صفته فقط[4]، فهي أحد الأصنـاف الثلاثـة، فهي التي إذاً تعدل ثلثَ القرآن بل إذا تلوتَ قول الله تعالى: ﴿أَوَ لَـمْ يَـرَوْاْ إِلَـى مَـا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُـجَّداً لِلَّـهِ﴾[5]، وعلمـت أن مبنى القرآن على الفصاحة، وإنَّ الذي جرتْ به عادةُ فصحاءِ العرب [في النُطـقِ بـه أن يقابلوا الجميع بالجميع والواحد بالواحد، وكان الوجه أن يقال][6] [في مثل هذا]

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٣) انظر سنن الترمذي ٢/ ٤٥٩، ٤٦٠ وكنز العمال ١/ ٢٦٥٣، ٢٦٥٤.
(٤) انظر في فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في البرهان ١/ ٤٤٦.
(٥) من الآية (٤٨) من سورة النحل.
(٦) ما بين القوسين زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

أن يقولوا عن اليمين والشمال، أو عن الأيامن[١] والشمائل تنبهت[٢] من ذلك على أنَّ لاختلافِ اللفظ معنى أوجبه، وذلك أن العمارة في الأرض في الرُبع الشَّمالي كلِّها إلا الشيء اليسير. فالظِّلالُ في أكثرِ الأوقاتِ أو في كلِّها إلى جهة الشمال، وأقلُّ الأظلال في بعض الأوقات إلى جهة الجنوب فوجب أن يدل على الأكثر بلفظ الكثير، وعلى الأقل بلفظ القليل. وذلك قوله تعالى عن[٣] اليمين: الاظلال الجنوبية، والشمائل: الاظلال الشمالية ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤] فتعلم مما قدمنا من ذلك أنه كتاب عزيز ﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾[٥] وإن أمثال هذه الآية اشتملت على ما أتعبَ أهلُ الهيأةِ فيه أفكارَهم، وملأوا به مصنفاتهم[٦] [وقد وضح فيها بأيسر إشارة، وأوضح عبارة، وبتحقق أنْ لا عِلْمَ إلاّ وهو موجود في القرآن الكريم على نحوٍ من الاختصار والتلخيص لا تصل إليه كل القوى البشرية فنقول الله رب العالمين][٧].

الجرح والتعديل:

قوله: عن أسباب التجريح والتعديل، ولا عن أصناف النقض والاستصحاب، والجمع ودليل الخطاب.

أما التجريح والتعديل فهما مما يلزم الفقيه علمه[٨] من وجهين:

أحدهما من جهة حاجته[٩] إلى اتقان علم الحديث ولا سبيل له إلى ذلك إلاّ

(١) في الأصل وفي (ب) الأيمان.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٣) في الأصل بما على.

(٤) من الآية ٥٤ من سورة الأعراف، وقد خلت منها نسخة (ب).

(٥) من الآية ٤٢ من سورة فصلت وقد خلت منها نسخة (ب).

(٦) في (ب) كتبهم.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٨) في (ب) علمها.

(٩) في (ب) ما يتعين.

بعلم جميعِ فنونِ الحديث، وهما من أوكدِهما بعد علمِه[1] بأسماء الرجال، واختلاف الروايات.

والآخر: ما يلزمه من طريق الفقه لتعديل الشاهد الذي يقطعُ به في الأحكام إذ قد يُشترَط في عدالة الشاهد ما لا يُشترَط في عدالة الراوي [ويشترط أيضاً في عدالة الراوي ما لا يشترط في عدالة الشاهد][2]، لأنهم ربما[3] أجازوا في الرواية قولَ الصبي، والمرأة، والمملوك، ولا يجيزون ذلك في الشاهد، ويشترطون أيضاً في تعديل الشاهد شهادة شاهدين عدلين[4]، وربما اكتفوا في تعديل الراوي بشهادةِ واحدٍ[5] لأن أكثر الأخبار المنقولة إنما ينقلها الواحد عن الواحد.

ومما يشترط أيضاً في الشاهد مع العدالة تجنبُ ما يُسقِطُ المروءَة كالصنائع الدنيئةِ الخسيسةِ والأكلِ في السّوق والمجونِ في مجالسةِ الأحداث، وغير ذلك مما ليس بمحرَّمٍ، وليس ذلك مما يُشترط في عدالةِ الراوي إذْ أكثَرُ نقلَةِ[6] الحديث من أهل صنائع وحرف. ولم يهتم أهل الحديث بالسؤال عن تفاصيل أحوالهم في ذلك، وربما أجازوا شهادة الشاهد، وإن كان مخالفاً للمذهب إذا لم يُعرَفْ بالغُلّو، والتعصبِ. وأهلُ الحديث يأبون[7] مثل ذلك فيدفعون رواية عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء [والنخعي][8]، وغيرهم لمخالفتهم لمذهبهم.

ومما يجب أن يُشترَط في عدالة الراوي والشاهد مع[9] التيقظ، إن يُؤمَّنَ عليهما

---

(١) في (ب) علمها.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٣) في (ب) لأنهم أجازوا.

(٤) في (ب) له بالعدالة.

(٥) في (ب) في شهادة الراوي بشهادة واحد.

(٦) في (ب) إذ كثر من نقله.

(٧) في الأصل يأتون.

(٨) زيادة من (ب) والنخعي هو إبراهيم بن يزيد كان إماماً وله مذهب توفي سنة (١٦٠هـ) انظر العبر ١/ ١١٢.

(٩) في الأصل معاً.

الغفلة المفرطة والسهو.

وقرأت في [كتاب مراتب القضاة وعمال الأمصار][1] أن سوَّارا القاضي كان إذا عُدِّل عنده شاهدٌ قال: أفجائز[2] العدالة هو؟ وذلك أنه قد يكون العَدْلُ غيرَ جائز العدالةِ لغلَبةِ السَّهو، والبلَهِ على كثيرٍ من الأخيار العُدول. وإنما نَبَّه سوارٌ على ذلك أنه شهد عنده شاهدان لرجل بدارٍ على آخر، فأنكر المشهودُ عليه [إنكاراً][3] عضَّده قرينةُ حالٍ تشهد له بالصِّدق، فدعا ذلك سواراً إلى أن استثبتَ الشاهدين في الشهادة فثبتا عليها. وكان بحضرة سوار بعض أقاربه[4] فقال للشاهدين: أنه ليس للقاضي أن يسألكما كيف علمتما ما شهدتما به ولكني أسألكما عن ذلك. فقالا: إنه أراد هذا المشهود له الحج فأحضرنا إلى هذه الدار وقال: هذه داري، فإنْ حدَثَ بي حَدَثٌ[5] فهي في سبيل كذا. فقال: الله أكبر [فهل عندكما شيء تشهدان به غير ذلك؟ قالا: لا. قال][6] أفلو أحضرتكما إلى دار سوّار وقلت لكما مثلَ هذه المقالة، أكنتما تشهدان بها لي؟ فيتقَّظا، وعلما أنهما أخطآ، فعادا عن الشهادة، وعلم سَوَّارٌ أنَّهما إنما أُتيَ عليهما من البَلَهِ، فكان يقول ما تقدم ذكره.

أصول الفقه:

[رجع][7] قوله: **[عن] النقض، والاستصحاب، والجمع، ودليل الخطاب.**

هذه ألفاظٌ مصطلح عليها في الصناعة المعروفة بأصول الفقه تدلُّ على معانٍ هي

---

(١) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب). وفيها مراتب القضاء.

(٢) في (ب) المخابر.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) في (ب) قراباته.

(٥) في (ب) حادث.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

من أعظمِ أجزاءِ تلك الصناعة، وبيِّنٌ افتقارُ الفقيه إلى معرفة هذه الصناعة كما قد بيَّنا عند ذكرها، اذ كانت [الصناعة] التي بها يقتدرُ[1] على الفتيا عما يُسأل عنها، والاحتجاج على صحة ما يُفتى به. وليست هذه الصناعة مما يضطر إليها الفقيه فقط، بل وإلى صنائع كثيرة منها صناعة الحديث، والقراءة[2]، لأنهما من صناعة الفقه كالمادة لسائر الصنائع، وصناعة النحو واللغة، لمعرفة دلالات ألفاظ رسول الله ﷺ، وفهم الكتاب العزيز، وأُصول الدين. لتكون الفروع الفقهية التي يفرعها غير خارجة عنها، وأشياء أُخر كثيرة قد تقدمت الإشارة إليها.

فأما النقض فهو نوع من أنواع الاعتراضات على قياس[3] الخصم إذا استدل بوجوب حكم لعلة ما، بأنْ تبدأ علةٌ في أمرٍ قد يختلف عنه الحكم[4] مثال ذلك:

أن يقول المستدلُّ: الكلب حرامٌ لأكلهِ النجاساتِ قياساً على الخنزيرِ، فيقول الناقض عليه: باطلٌ بالدَّجاج، فإنها تأكل النجاسات، وليست محرمة، وأمثال ذلك.

فأمّا الجمعُ فهو الجمعُ بين شيئين في حكم لاجتماعهما في صفةٍ هي عمدة القياس كما يقال: الخمر مشتد مطرب، والخمر حرام، فالبادي[5] حرام. وقد سـمي قوم هذا النوع من الاستدلال التمثيل.

وأما الاستصحاب فهو التزام[6] البقاء على حكم إذا عُورضت الأدلةُ المثبتة لنقضه[7] مثال ذلك: ما يراه بعضهم من أن الوتَر والأضحية غيرُ واجبتين لمعارضته

---

(١) في (ب) التي يقدر.

(٢) في (ب) القراة.

(٣) القياس هو ما قال به جمهور العلماء غير داود بن علي الأصفهاني، ومن تبعه وهو نوعان: قياس علة، وقياس شبهة. فقياس العلة أن تجمع المقيس والمقيس به علة. وقياس الشبه: أن لا تجمع المقيس والمقيس به علة، ولكن يقاس به على طريق التشبيه. مفاتيح العلوم ٧.

(٤) في الأصل بأن ..عن تخلف، ووردت العبارة في (ب) بين أمرين.

(٥) في الأصل الداذي وفي (ب) البازي ولعلها البادي يعني به أول ما يخمر من الشراب.

(٦) في (ب) الزام.

(٧) في (ب) لغيره.

ما استدلّ به غيره على وجوبهما، فألزم عن ذلك بقاءهما على حكمهما، واستصحاب حاليهما اللتين كانتا عليها قبل الاستدلال. وليس من ذلك ما يقوله أبو حنيفة في وجوب الحقين[1] في المائة، وواحدة وعشرين من الإبل إذا كانتا واجبتين في المائة وعشرين ولم يرد في العشرين حكم يُوجِبُ زيادةً ولا نقصاناً[2]. إذ كانت الصورة قد تبدلت بالزيادة، وإنما الشرط ثبات المستصحب فيه الحكم على حالته. فهذا معنى الاستصحاب.

وأما دليل الخطاب. فهو الذي يسميه بعضهم: المفهومَ المخالف المنظوم ومعناه[3] نقل الحكم من جزء إلى جزء آخر، لم يحكم عليه بشيء بشرط أن يكون الحكم إنْ كان على المصرَّحِ به إيجاباً[4]، كان على الذي لم يصرّحْ به سلباً، وإن كان على المصرَّحِ به سلباً، كان على الذي لم يصرح به إيجاباً.

مثال ذلك قوله: بأن ليس في المعلوفة من الغنم زكاة لقوله ﷺ: في سائمة الغنم الزكاة[5]. وهذا دليل ضعيف جداً، وأقوى منه في هذا الباب [الذي يسمونه][6] عندهم مفهوم الموافقة، وهو كاستدلالهم على تحريم ضرب الوالدين بالنهي عن التأفف لهما بقول الله تعالى: ﴿ولاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾[7] وهذا هو [عند قوم][8] قياس الأجزاء[9]. وكل هذه الأقيسة إقناعية [تعطي في بعض الأمور سكونَ النفسِ فقط

(١) في (ب) الحقى.
(٢) في (ب) يوجب زيادة ونقصاً.
(٣) في (ب) لكنه لم يحكم.
(٤) في الأصل انجاباً.
(٥) في (ب) سالمة. وانظر تخريج الحديث في معجم أطراف الحديث ٥/ ٥٩٧، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٨٢.
(٦) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب).
(٧) في الاية (٢٢) من سورة الإسراء.
(٨) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).
(٩) في الأصل: الأحرى. وفي (ب) امراو.

وهي][1] ضعيفة جداً.

رجع قوله: **بل أسألُك عن رجل له امرأتان، تُدعى إحداهما زينب، والأخرى رباب رأى في السماء شبح طائر[2] يكاد يخفيه البعد عن الناظر. فقال: أنت طالق يا زينب إن كان هذا الطائر غراباً، وإن لم يكنه فأنت طالق يا رباب. إلى آخر الفصل.**

هذه مسألةٌ خلافٍ كثُر فيها الجدلُ، فذهبَ مالكُ بن أنس، ومن تابعَه إلى أنَّ المرأتين تُطلَّقان، وكذلك مَنْ حلَفَ بالطلاق على مجهول طُلِّق عليه، ولو استبان صدقُ يمينه. [وقرأت في كتاب مراتب القضاة وعمال الأمصار أن][3] أبا يوسف القاضي[4] نعى ذلك على مالك بن أنس في مسائل شبيهة بها، فتوصل يحيى بن خالد إلى الرشيد في الجمع بينهما للمناظرة، وذلك في بعض حجات الرشيد، فأمر أن يحضر مالك، فاعتذرَ أنَّ به مرضاً يمنعُه الحضورَ فلم يعذرْه، فحضر إليه، ومعه رجلان من قريش، فسأل أبو يوسف عن مسائل احتجَّ فيها عنه القُرشيان إلى أن انتهى إلى هذه المسألة. فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين إنَّ مالكاً يزعُم أنْ لو حَلفَ رجلٌ بالطلاق على جوزةٍ أنَّ فيها قلبين، فكسرها [فهشمها][5] فلم يدر أقلْبٌ أم قلبانِ أنَّ امرأته طالق. فقال القرشي[6] إنَّ مالكاً يا أمير المؤمنين يقول ما هو أشدُّ من هذا. وهو أن الحالفَ لو رفَقَ فكسر الجوزةَ، وخرج منها قلبان لزمه الطلاق. فقال: كيف ذلك؟ وقد صدق قسمه. قال: أنه لم يجب الطلاق بالحِنْث، ولكن للحِلْفِ على مجهول. فاستحسن الرشيد ذلك منه، ثم استأذنه في النهوض. فقال:

---

(١) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) شيخ يطير.

(٣) زيادة من (ب) ومن هنا يبدو الخبر في نسخة (ب) مختلفاً عن الأصل ببعض التقديم والتأخير للجمل.

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي قاضي القضاة. كان تلميذ أبي حنيفة، توفي نحو ١٨٢هـ وانظر العبر ١/ ٢٨٤.

(٥) في (ب) فلم يتبين له أفيها.

(٦) في الأصل: القرشيان.

إني أحبُّ أن تتغدى معنا، فأجابه إلى ذلك فجاء. الخادم بالماء للغسل قبل الطعام، فغسل الحاضرون، وأتى الخادم إلى مالك، فقبض يده، وقال: هي بِدعةٌ. فقال الخادم: فلا تأكلْ إذاً مع أمير المؤمنين. فقال: إذاً لا أبالي، فسمَع الرشيدُ محاورتَهما، ولم يفهمْ ما قال، فاستفهمَ ذلك. فقال له أبو يوسف: قال له الخادم: إن لم تغسل، فلا تأكلْ مع أمير المؤمنين. فقال: إذاً لا يبالي، يعني أمير المؤمنين. فقال: لنأكل، ولا يغسل. فأكلَ فأمر له بصلةٍ، وانصرفَ. فما زال مالك يعرف ذلك لأبي يوسف، ويحمده عليه -على ما كان بينهما- هذا مذهب مالك. فأمّا أهلُ البيتِ عليهم السلام، فلا يرون على من حلف بالطلاق أو اشترطه في شيء حنثاً ولا طلاقاً فيما جرى هذا المجرى.

وأما الشافعيُّ فإنه يرى في هذه المسألة أن يتجنب الرجلُ المرأتين جميعاً، لأن إحداهما طالق ضرورة[1]، ولم يحكم فيهما بطلاق. فعلى هذا[2] يقع التوارث بينه وبين من هلك من الزوجتين.

علم الهندسة:

قوله: **أسألك عن رجل، وامرأته في بيت مربع طوله مثل ارتفاعه، وكل واحدٍ منهما عشرٌ بذراعه. إلى آخر الفصل.**

وقوع الطلاق ها هنا أو ارتفاعه [في مذهب من يرى الحِلْفَ بالطلاق][3] معلَّقٌ بالقدرة على إضعاف البيت [الموصوف][4]، وهو مكعب. فإن كان هذا الرجل أراد[5] أن يضاعفه هو بنفسه دون الاستعانة بغيره[6]، فيحتاج أن يكون مهندساً ليتم

(١) في(ب) ولم تعلم.
(٢) في (ب) لا يقع.
(٣) زيادة من الأصل.
(٤) زيادة من الأصل.
(٥) في (ب) نوى.
(٦) في (ب) هو بنفسه دون غيره.

ذلك، ولو كان علم الهندسة غير ممكن في حقه بانت منه المرأة. وهذه المسألة -أعني إضعاف المكعب- من أصعب مسائل الهندسة، وذلك أنا إذا فرضنا مكعباً ضلعه عشرة، كانت مساحتة ألفاً إذْ كانت مساحة المكعب هي ضرب طوله في عرضه، ثم في ارتفاعه. فإذا أردنا أن نضعّفه فأضعفنا الضلع حتى يكون عشرين كانت المساحة ثمانية آلاف[1]، وليس هذا الإضعاف [مرتين الذي أردناه][2] ولا سبيل إلى ذلك[3] إلا بوجود خطّين بين خطّين وتتوال متناسبة، لأنه قد بيَّن اقليدس أنه إذا كانت أربعة خطوط متناسبة فإن نسبةَ الشّكلِ المجسَّم المعمول على الأوَّل إلى الشكل المعمول على الثاني إذا كان يشبهه، وعمل عملاً كعمله بنسبة الأول إلى الرابع. فإذا افترضنا خطاً هو ضعف ضلع المكعب الذي نريد إضعافه، ووجدنا بينه وبين ضلع المكعب خطين على نسبةٍ واحدة، وعملنا على الخطّ الثاني شكلاً شبيهاً بالشكل المكعب كنا قد عملنا ما أردنا [من إضعافِ المكعب][4] إلا أن وجود خطين بين خطين [عسر جداً حتى أنه يقال أن ارشميدس كان يقول في تسبيحه سبحانه من يعلم وجود خطين بين خطين][5]، وتربيع الدائرة، وضلع المسبع، وجذر الأصم. ولم تزل هذه الأشياء مجهولة[6] يعتقد أنها من الممتنعات[7] ألى أن صنع بلينوس كتابه في المخروطات فبين بما أصَّله وجودَ ضلعِ المسبَّع ووجودَ خطين بين خطّين، وبقي تربيع الدائرة وجذر الأصم على حالهما.

ومن حكايات المهندسين أنه لما درَسَ علم الهندسة، وقلَّ طالبُه لعُسرِه وغموضِه حدث باليونانيين وباء عظيم، فلما ضجّوا[8] إلى نبيّهم وسألوه أن يضرعَ إلى الله

---

(١) في (ب) أربعة آلاف.
(٢) في (ب) وليس ذلك بإضعاف. وما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) في (ب) ولا سئل إلى هذا المطلب.
(٤) ما بين القوسين زيادة من الأصل.
(٥) ما بين القوسين زيادة من الأصل.
(٦) في (ب) ولم يزل ذلك مجهولاً.
(٧) في (ب) لا يعتقد أنه من الممتنع.
(٨) في (ب) أصبحوا.

تعالى أن يرفعه عنهم[1] أوحى إليه أنه لا يُرفَعُ الوباءُ عنهم[2] حتى يُضعِفوا هياكلَهم، وكانت مكعبة، فجهدوا في ذلك، فلم يقدروا عليه، إلى أن قال نبيُّهم: لا يتمُّ لكم ذلك إلا بعلم الهندسة. فاشتد طلبُهم للهندسة. واشتهرت منذ[3] ذلك اليوم.

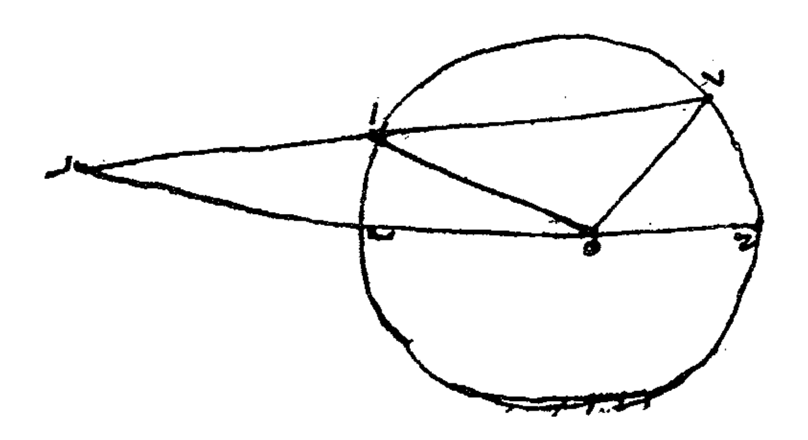
فأما الوجه في استخراج خطَّين بين خطّين فإنه سهْلٌ على مَنْ كانت له رياضةٌ في علم المخروطاتِ. ولعلَّ بعضَ من يقعُ إليه هذا الشرح يتشوقُ إلى علم ذلك، فلنذكره ها هنا.

فليكن الخطّان اللّذان نريد أن نجد بينهما خطّين خطي آب بح، ويحيطان بزاوية قائمة، ولنرسم على نقطة أ ب ح دائرة، وليكن بج أعظم الخطّين، ولنجعلْه ضلعاً قائماً وسهماً لقطع مكان رأسُه نقطة جـ، وليلْقَ الدائرة على نقطة د، ونخرج من نقطة د خطاً على الترتيب وهو ده فأقول: إن خطي ده هح هما وسط في النسبة.

برهان ذلك: إنا نصل اد ونخرجه على استقامة إلى أن يلقى خط بج على نقطة د ونصل دج فلأن الزاوية التي عند نقطة د قائمة تكون نسبة زه إلى هد كنسبة هد إلى هج، ولأن بج ضلع قائم يقطع حد يكون مسطح بج في جه مساوياً لمربع ده، فنسبة بج إلى هد كنسبة هد إلى هج فخط بج مساوٍ لخط ده. فإذا اسقطنا ب ه المشترك كان زب مساوياً لخط هج فنسبة زب إلى هد كنسبة خط هد إلى خط هج، ونسبة خط هز إلى خط هد كنسبة خط بز إلى ب أ، فنسبة خط بج إلى خط هد وكنسبة خط هد إلى خط هج وكنسبة هج إلى خط اب. وذلك ما أردنا أن نبين:

(١) في (ب) في رفع ذلك.
(٢) في (ب) أنه لا يرفع عنهم فأنزل به.
(٣) في (ب) من.

(١)



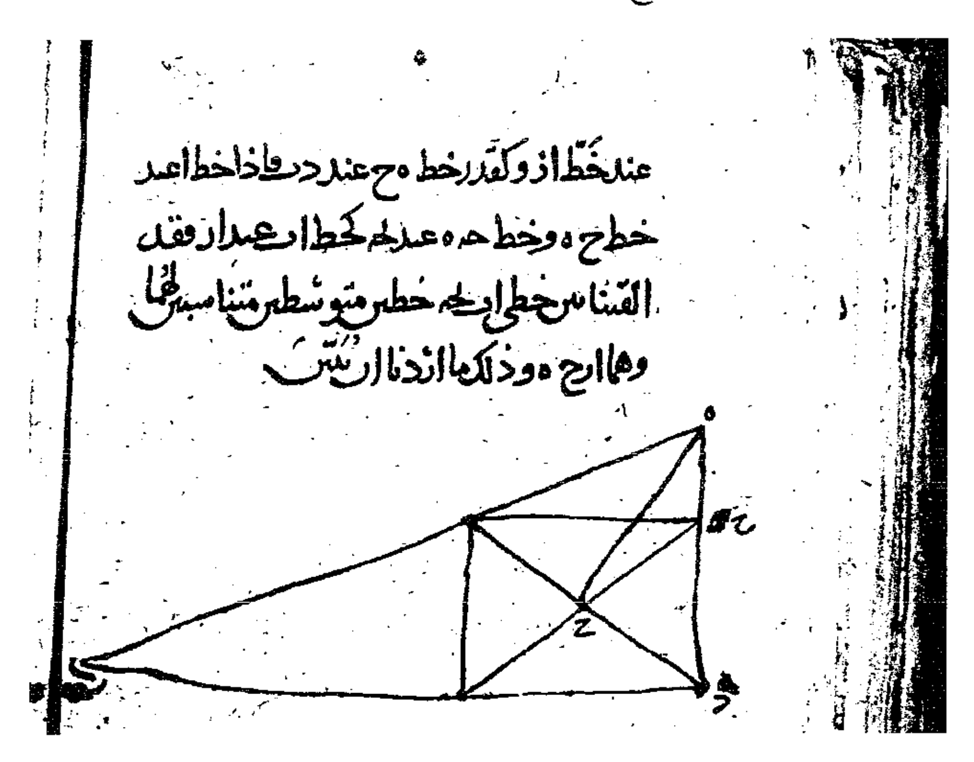
التوضيح من نسخة ب الورقة ١٢٩.

ولأجل صعوبة هذا المطلب، وعسر مقدماته على أكثر الناس وضع له من له فضل عناية بهذه الأمور آلة يمكن بها استخراج خطّين بين خطّين وبتوالٍ مناسبة. ولعل ذلك أجدى من الطريق البرهاني على من أراد العمل، وأخف مؤنةً [فلا بأس أنْ نذكره هاهنا].

فليكن الخطان اللذان نريد أن أن نحدَّ خطين متوسطين بينهما في النسبة خطي اب بجـ، وليكن أحدهما قائماً على الآخر على زاوية قائمة ولنتمم مربع أ ب جـ د ونخرج خطي دج دا ونصل بد جا ونركب على علامة ب قانوناً يقطع ده أن وتديره حتى يكون الخط الخارج من علامة ح إلى الذي يقاطع تقاطع ح هـ مساوياً للخط الخارج من علامة [ج إلى الذي يقاطع جه مساوياً للخط الخارج من علامة ج إلى الذي يقاطع][2] ا ز، وليكن وضع القانون على س وخطا المتساويان فأقول: إن خطي از ح هـ متوسطان متناسبان بين خطي اب بح برهان ذلك: من أجل أن مربعا

(١) في الأصل ترك الناسخ فراغاً للخط الخارج من علامة ج بلون حبر لم يظهر في التصوير.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

ب ج د. متوازي الأضلاع قائم الزوايا فإن الأربعة الخطوط التي هي دج جا حج ب ج وكل واحد لنظيره متساوٍ من أجل أن خط جد مساوٍ لخط ج ا. وقد أخرج خط جز فإن مضروب از في زا ومضروب اج في نفسه مساوٍ لمضروب جز في نفسه. وكذلك أيضاً مضروب ده في هج مع مضروب حج في نفسه مساوٍ لمضروب حه في نفسه وخطا حج جا متساويان فإذا مضروب ده في هج الباقي متساوٍ لمضروب دز في زا الباقي. فإذا قدر خط ده عند زد كقدر خط زا عند جه وقدر خط هد عند رد كقدر خط ب ا عند خط از وكقدر خط ه ج عند ج ب فإذا خط از عند خط ج هـ وخط ج ه عند بج كخط اب عند از فقد ألفينا بين خطي اب بجـ خطين متوسطين مناسبين لهما وهما خطا از ج ه وذلك ما أردنا أن نبين.



الرسم التوضيحي من الورقة ١٣٠ من النسخة ب.

علم الفرائض:

قوله: **ثم مال إلى صاحب الفرائض والحساب. فقال: لا أسألك عن العتق في المرض، والهبة ومسائل السلم والمناهبة.**

السلم: هو شراء غَلّة أو غيرها إلى أجل معلوم بعد أن تكون الغلةُ موصوفةً فإذا وقع من المريض وكانت فيه محاباة لم يجز. وكذلك العتق والهبة. وقد بينا -فيما تقدم- وجه صعوبة هذه المسائل بوقوع الدور فيها، وشرحنا منها ما لا يعسُر على من تأمله معه فهمُ ما ذُكِرَ منه ها هنا، ولا حاجة إلى الاطالة بالتكرير والترديد.

وأما المناهبةُ فهي أيضاً من مسائل المعاياة[1] في الفرائض. ومثالها: امرأة تركت زوجاً وعماً، فانتهبا التركة، ثم ترافعا إلى حاكم، فأخذ جذري ما انتهب الزوج وخمسة اجذار ما انتهب العم، وجمع ذلك وقسمه بينهما نصفين، فاستوفيا [فرائضهما][2].

والوجه في حساب ذلك أن [نفرض أن الذي انتهبه][3] احدهما مالاً، والذي انتهبه الآخر عدداً مجذوراً، فكأنا جعلنا مع الزوج ستة وثلاثين درهماً، ومع العم مالاً[4]، وإذا أخذنا جذري ما انتهب الزوج وهو اثنا عشر درهماً، وخمسة أجذار وقسم ذلك بينهما بالسّوية[5]، صار مع الزوج ثلاثون درهماً وجذران ونصف، ومع العم مال وستة دراهم[6] غير جذرين ونصف، وهما متعادلان لأن لكل واحد منهما نصف التركة فتجبر[7] ما مع العم بجذرين ونصف، وتزيد مثل ذلك على ما

---

(١) المعاياة: أن تأتي بشيء لا يُهتدى له.

وقد اختلفت النسختان في تقديم العبارات، وتأخيرها مع بقاء العملية الحسابية واحدة.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) المال كما يشرحها المؤلف بعد قليل هو أربعة وستون درهماً.

(٥) في (ب) بالتساوي

(٦) في الأصل درهم.

(٧) في (ب) ماجبر، جبر معناها عدل من الجبر، خلاف الكسر.

في يد الزوج، وتلقى ستة دراهم من الجهتين يبقى مال يعدل خمسة أجذار وأربعة وعشرين درهما. وهذه إحدى المسائل الجبرية المعلومة. فإذا سلكت فيها الطريق المعروفة، وهو أن تنصّفَ عدد الأجذار، فيكون اثنين ونصفاً، فاضربهما في مثلها تكون ستة وربعاً، فزدها على الدراهم، يكون الثلاثين درهما وربعاً فخذ جذر ذلك، وهو خمسة دراهم ونصف، فتزيدها على نصف الأجذار يكون ثمانية وهو جذر المال. والمال أربع وستون درهماً. وذلك ما انتهب العم [لأنا قد فرضنا أنه انتهب مالاً][1]، والذي انتهب الزوج ستة وثلاثون، فيكون جميع التركة مائة درهم. فإذا أخذت جذري ما انتهب الزوج وهو اثنا عشر درهماً، وخمسة أجذار ما انتهب العم، وهو أربعون درهماً[2] بقي مع كل واحدٍ منهما أربعة وعشرون درهماً، وصار معك اثنان وخمسون درهماً. فإذا قسمت ذلك بينهما نصفين صار لكل واحدٍ منهما خمسون درهماً، وهو نصف التركة.

قوله: **ولكني أسألك عن رجلٍ أحضرك آلة مصوغة من النضار واللجين، فأراد أن يعرف ما فيهما من كلا[3] الصنفين** [الى آخر الفصل][4]

هذه المسألة قد يظن كثير من الناس أنها غير ممكنة الجواب أو ممتنعة المطلوب لعسرها عليهم، وهي تختص بأهل العلوم الرياضية، ولم يتعرض لها من غيرهم إلا بعض الفقهاء الشافعية، وذلك أن الزكاة عندهم [واجبة][5] في الحلي الذي ليس من حلي النساء. فإذا كان من ذلك ما هو معمول من جوهرين كنحاس، وفضة، أو فضة، وذهب مختلطين وجب أن يُعلم ما فيهما من كل واحدٍ منهما، ليعلم هل بلغ مقدار النصاب؟ وإن كان بلغ مقدار النصاب فما مقداره؟. ليعلم ما يجب فيه من الزكاة، إذ كانوا لا يزكّون على القيمة ولا يجمعون صنفين. وقد احتال بعضهم لعلم

(١) زيادة من الأصل.
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) في (ب) كل.
(٤) زيادة من الأصل.
(٥) تأخرت الكلمة في (ب) إلى أخر الجملة.

ذلك حيلاً غير مقنعة، ولا كافية. ويقال: إن أول من نظر في هذا النوع من العلم ارشميدس، فإنه -فيما يقال- كان حاضراً مجلس ايرن ملك صقلية، وقد أهدي إليه اكليل من ذهب عظيم القدر، حسن الصنعة، وأنه وقع في نفسه أن ذهب الإكليل ليس بالخالص، وأراد أن يمتحن ذلك. ولم يطب نفساً بفساد صورة الإكليل لما فيه من حُسْنِ الصنعة[1] فجعل ذلك مسألة ألقاها على أرشميدس ومن حضره، فعمل أرشميدس كتاباً في استخراج كمية كل واحد من جرمين[2] مختلطين.

وقد رأيت في ذلك كتباً منسوبة إليه [وإليه غيره][3] إلا أني لم أجدها من الاتقان والصحة على النحو الذي ينبغي أن يكون عليه ما يصدر عن ارشميدس، إذ كانت تحتاج إلى كُلَفٍ صعبة و[أمور][4] وأحوالٍ عَسِرة. ولم أزل مواصل البحث[5] عما يكون في هذا المطلب على غاية الكمال[6] والاتقان إلى أن وقع إلي كتاب[7] منسوبٌ منا لاوس صاحب كتاب الكرات[8]، فوجدته قد استوفى هذا المعنى استيفاءً، واستخرج كمية كل واحد من ثلاثة أجرام كثيرة[9] مختلطة فضلاً عن جرمين. ومن أحب علم ذلك على الاستقصاء وجده في ذلك الكتاب المذكور[10].

فأما معرفة كمية كُلِّ واحد من جرمين مختلطين فذلك ما أنا واصفه كما ذكر منالاوس.

---

(١) زيادة من الأصل.
(٢) في (ب) جزئين.
(٣) زيادة من الأصل.
(٤) زيادة من الأصل.
(٥) في (ب) البحث.
(٦) في (ب) في غاية الاتقان.
(٧) منا لاوس رياضي يوناني عاش قبل بطليموس، لأنه ذكره في كتابه المجسطي، وله من الكتب الأشكال الكروية، وغيره، الفهرست ٣٨٨ طبعة مصر، وفي (ب) كتاب منا لاوس.
(٨) في (ب) صاحب الكرات.
(٩) في (ب) من ثلاثة أجرام.
(١٠) في (ب) كما يريد.

تأخذ من الذهب الخالص والفضة الخالصة مقداراً واحداً ما شئنا[1]، فنزنه في الهواء فما خرج من زنته[2] سميناه زنة الذهب والفضة الهوائيين، ثم نزن الجُرْم الذي نريد أن نعلم ما فيه من الذهب والفضة في الهواء، وتسمي زنته زنة الجُرْم المختلط الهوائية، ثم نتخذ ميزاناً، مستقصى بغاية ما يمكننا من الاستقصاء تكون كفتاه من جوهر واحد شأنه أن يغوص في الماء ولتكونا[3] متساويي الوزن والقدر والخلقة فنجعلهما في ماء، ونجعل في إحداهما الذهبَ المحضَ وفي الأخرى أوزاناً حتى يعتدل الميزان، فما بلغت الأوزان[4] سميناه زنة الذهب الخالص المائية، ونفعل أيضاً مثل ذلك بالفضة، ونسميها زنة الفضة [المائية][5] ثم نفعل ذلك بالجرم المختلط فإذا كانت نسبة زنته الهوائية إلى زنته المائية كنسبة زنة الذهب المحض الخالص المائية إلى زنته الهوائية[6] قلنا أنه من ذهب، وإن كانت نسبته أصغر من تلك النسبة قلنا أنه قد خالطه جرم آخر أخفُّ من الذهب، وننظر زنة الفضة المحضة الهوائية إلى زنتها المائية فنعمل مثلها بشيء آخر [نسبته][7] إلى زنة الجرم الممتزج المائية، فما خرج لنا نلقي منه زنة الجرم المختلط الهوائية، وننظر ما يبقى فنعمل منه نسبة إلى فضل زنة الذهب المائية على زنة الفضة المائية فنسبة شيء آخر إلى زنة الفضة المحضة المائية، فما خرج[8] نقول أنه مقدار ما في الجرم المختلط من الذهب الخالص.

مثال[9] ذلك: أنا نفرض زنة الذهب الخالص، والفضة الخالصة الهوائيين مقدار أ

---

(١) في (ب) أسواكم شيسا مبرئه.

(٢) في (ب) من زنة كل واحد منهما.

(٣) في (ب) وليكونان.

(٤) في (ب) بلغت سميناه.

(٥) زيادة من الأصل.

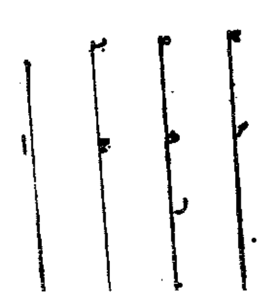
(٦) في (ب) تقدمت المائية على الهوائية.. وفيها أيضاً من ذهب.

(٧) زيادة من (أ).

(٨) في (ب) فما خرج هذا الشيء.

(٩) في (ب) برهان ذلك.

وزنة الفضة المائية مقدار بجـ، وزنة الذهب المائية مقدار بـد، وزنة الجرم الممتزج الهوائية مقدار هز، وزنته المائية ح ط. ولنتوهم زنة ما في الجرم المختلط من الذهب الهوائية مقدار كز، وزنته المائية مقدار م ط، فتبقى زنة ما في الجُرْمِ المختلط من الفضة. أما الهوائية فمقداره ك. وأما المائية فمقداره مح. فلذلك نسبة مح إلى هـ ك كنسبة زنة فضة مائية إلى زنة فضة هوائية، وهي نسبة بح إلى أ فيكون قدر بجـ عند أ، كمقدار بح عند هـ ك، وقدر بد عند أ كقدر م ط عند كز، ونعمل مثل نسبة ب ح إلى أ أعنيَ مثل نسبة مح إلى هـ ك نسبة م ط إلى كز، فيكون كل خط ح ط عند هـ ز في نسبة واحدة[1] ولكن من أجل أن نسبة بجـ إلى أ كنسبة مط إلى كن ونسبة أ إلى بد كنسبة ك ن إلى مط[2] فإذا ساوينا تصير نسبة كن إلى كز كنسبة دب إلى بج ولذلك تكون نسبة زن إلى دج كنسبة كز إلى بجـ، ف ك ز معلوم. وذلك ما أردنا أن نبين [فهذا وجه علم مقدار ما في الجرم المختلط من جوهرين مختلفين][3].



هذا مطلب يتميز على مرتاض بعلم الهندسة

الرسم التوضيحي من نسخة الأصل

(١) بعدها في (ب) كحـ إلى ا.
(٢) في (ب) كنسبة دب إلى نح.
(٣) زيادة من (ب).

رجع قوله: **لو أن أخوة أربعة خلف لهم أبوهم أرضاً مربعة فاتفق أحدهم مع اخوته على أن يأخذ منها شكلاً هلالياً بحصته.. [إلى آخر الفصل]**[1].

هذا أيضاً مطلب يسير على من ارتاض في علم الهندسة. ونحن ندلك[2] على السبيل إلى ذلك كما عملنا[3] فيما يشبهه مما تضمنه هذا الكتاب[4] رجاء أن يقع إلى من يتطلع إليه فيجده فيها.

فنفرض الشكل المربع الذي يريد أن نعمل شكلاً هلالياً مساوياً لربعه مربع أبجد، ولنخرج قطريه وهما أد ج ب. ونعمل عليه دائرة أبجد، ومركزها هـ، وعلى خط ج د نصف دائرة ج در، فلان نسبة الدوائر بعضها إلى بعض كنسبة مربعات أقطارها [بعضها إلى بعض][5] تكون نسبة دائرة ابجد إلى الدائرة التي نصفها قطعة ج كنسبة مربع قطر أد إلى مربع قطر ح د، ولكن مربع قطر جـ د نصف مربع قطر أد من أجل أن زاوية هـ قائمة، ومربع جـ د مساوٍ لمربع جـ هـ المساوي لـ أهـ، وهما نصف مربع أد فقطاع ج هـ د. الذي هو ربع دائرة أبجد مساوٍ لنصف دائرة حـ زد نلقي[6] قطعة حـ د المشتركة يبقى شكل هلالي حـ زد مساوٍ لمثلث ج هـ د وهو ربع المربع المفروض. فإذا أقمناه إلى جهة هـ كنا قد أخذنا من مربع ابجد ربعه وذلك ما أردنا أن نبين.

---

(١) في (ب) أو لو. وما بين القوسين ساقط منها.

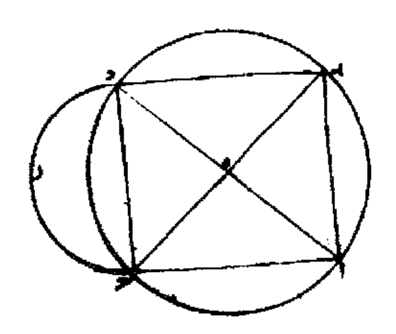
(٢) في (ب) ونحن ندل.

(٣) في (ب) كما علمنا مما.

(٤) في (ب) هذه المقالة.

(٥) زيادة من الأصل.

(٦) في (ب) تبقى.



الرسم التوضيحي من نسخة الأصل

قوله: ثم أومأ إلى المهندس بابتسام وقال: كيف تقسم زاوية بثلاثة أقسام.. [إلى آخر الفصل][1].

وهذه أيضاً من المسائل العسرة[2] التي أعيت عظماء المهندسين [وحذاقهم][3]. وكان أرشميدس قد فرض مطلباً في شكل[4] مخصوص، وبين أن حاصل محصوله قسمة الزاوية بثلاثة أقسام، ووجد ضلع المسبع. وهو أن فرض مربع أبجد قائم الزاوية متساوي الأضلاع قطره أ ج أخرج ضلع أب منه على استقامة إلى جهة ب[5] إلى غير نهاية. وأراد أن يخرج من نقطة د خطاً كخط درح حتى يكون مثلث [درج][6] مساوياً لمثلث ج ب هـ، وبين أنه إن تم ذلك له بلغ إلى مقصوده. وذلك أنه يخرج عمود رط على أب فيقسم خط أهـ[7] على نقطتي ط ب انقساماً يكون به

(١) ساقط من (ب).
(٢) في الأصل العشرة.
(٣) الكلمة ساقطة من (ب).
(٤) في الأصل: مطباً مخصوص.
(٥) في الأصل أخرجا.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ب) من أدركه وشعر بطريقه.

ضرب أب في أط مثل مربع ب ه وضرب ه ط في ط ب مثل مربع لط، فيتم له بذلك مطلوبه. فلما لم يتهيأ له ذلك ترك هذا الشكل على حاله، ولم يقدم أحد من المهندسين بعده على تراخي المدة، وطول الزمن على تعاطي ذلك، إلى أن كان أول من أدركه[1] وشعر به أبو سهل بحر بن رستم الكوهي، ثم أبو حامد أحمد بن محمّد الصنعاني، فاستخرجه كل واحد منهما بالقطوع المخروطية، وسلك الناس بعدهم سبيلهم في ذلك.

فمما رأيته لبعضهم في قسمة الزاوية بثلاثة أقسام ما أنا مورده:

لتكن زاوية أح ب، ونخرج من نقطة أ عمود أب، ونخرج من نقطتي أ ج خطين موازيين لضلعي أب بح، ونتمم متوازيي أ ل ح د القائم الزوايا، ونخرج قطر دب، فتكون زاوية أدب مثل زاوته أح ب، ونجيز على نقطة أ قطعا زائداً يكون خطا بج ج د اللذان لا يقعان عليه وإن أخرجا إلى نهاية[2] ونخط في القطع وتر أهـ مساوياً لقطري اح بد المتساويين مجموعين على استقامة، ونخرج خط هـز موازياً لخط اب ونصل زد بقطع أب على نقطة ح. ويتبين أن خط ح ز موازٍ لخط أهـ ومساوٍ له، [وأج مساوٍ لهز][3]؛ لأن نسبة أج إلى أد كنسبة دح إلى ح ز لتشابه المثلثين فضرب اج في ج ز مساوٍ لضرب اد في دج [لكن ضرب هـ ز في زج مساوٍ لضرب أد في دج][4]، لأن نقطتي أه على القطع الزائد فأخرج ه ز موازياً لدج فيكون سطحا هج أج متساويين يكون ه ز مساوياً لـ أج، وهو موازٍ له ف ز ج مساوٍ لـ أه، ومواز له إذا أخرج [من نقطة ب خط إلى منتصف حطز كان مساوياً لكل واحد من خطي زط طج] ج ب ز قائمة وتكون مساوية لقطر ب د فيكون مثلث بطز متساوي الساقين، فزاوية ح ط ب مِثْلا زاوية ط زب وزاوية ط زب مثل زاوية ب د ط فزاوية ب رط

---

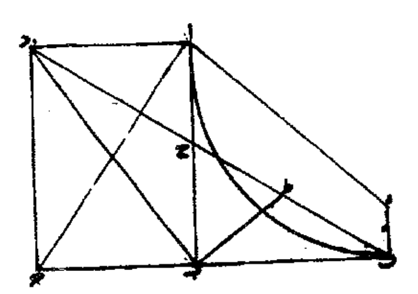
(١) في (ب) من أدركه وشعر بطريقه.

(٢) في (ب) وينفذه إلى غير نهاية.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ساقط من (ب).

مِثْلاً زاوية دزب، وزاوية دزب مثل زاوية ادح، فزاوية حدب مثلا زاوية حدا، فقد انقسمت زاوية ادب المساوية لزاوية اد ب بثلاثة أقسام، وذلك ما أردنا أن نبين.



الرسم التوضيحي من نسخة الأصل

وقوله: [**كيف تخرج خطين يتقاربان دائماً ولا يلتقيان**][1].

هذان الخطان اللذان يتقاربان دائماً ولا يلتقيان فهما خطا القطع للزوائد[2]. وأحد الخطين الذين لا يقعان عليه. وقد بين بلينوس في كتابه في المخروطات إن هذين الخطين كلما بعدا من مركز القطع تقاربا دائماً، وأنهما لا يلتقيان[3] فمن أحبَّ الوقوفَ على ذلك فلْيتأمله هناك. ولا حاجة إلى أن نورد ما قد استوفى غيرُنا القولَ فيه [في كتب معروفة][4]. [وكان مشهوراً في كتاب موضوع وإنما الغرض تبيين ما يُظَنُ أنه يخفى على أكثر الناس، مما قد وضعه واضع، أو ما لم يهتد طالبه إلى استخراجه من مواضعه][5].

[وهذا وإن كان بادي الرأي يدفعه فهو قريب عند من زاول صناعة البراهين. الهندسية][6].

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٢) في (ب) الزائد.
(٣) في (ب) لم يلتقيا.
(٤) ساقط من (ب).
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٦)ما بين القوسين ساقط من (ب).

علم الهيأة:

قولــه: ثـم عـاد إلى صـاحب الهيـأة وقـال: مـا عـدد الأفـلاك علـى الجملة؟.

إذا قصدنا بالأفلاك الكرات العظام [الشاملة فهي][1] تسع:

أولها وأقربها منّا كرةُ القمرُ.

والثانية: كرة عطارد.

والثالثةُ: كرة الزهرة.

والرابعة: كرة الشمس.

والخامسة: كرة المريخ.

والسادسة: كرة المشتري.

والسابعة: كرة زحل.

والثامنة: كرة الكواكب الثابتة.

والتاسعة: كرة الأطلس وهي المدبـرة لهـذه كلهـا[2] [الـدورة السـريعة الـتي مـن المشرق إلى المغرب][3]. وهذه الكرات كل واحدة منها داخلة في الأخـرى، سـطحها المقعر على السطح المحدَّب من الكرة التي تليها إلى أن تنتهي إلى كرة النار والهواء، ثم إلى كرة الماء المحيط بالأرض، ثم إلى كرة الأرض.

وأما إذا عددْتَ الأفلاكَ التي لكلّ واحدٍ منهـا مـن الكواكـب الـتي يفرضهـا لـه بحسب ما يظهر من مسيره عندنا[4] فإنها ستة وعشرون فلكاً للشمس منها فلكان:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب)، وفيها كانت تسعاً.

(٢) من في (ب) وهي المدبر.

(٣) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٤) في (ب) علم اختلاف مسيره.

أحدهما يعرف بالموافق المركز يكون مركزه مركز الأرض[1] و[الآخر بالخارج المركز. [وكلا هذين الفلكين في سطح دائرة فلك البروج. وحركة الشمس على محيط الفلك الخارج المركز][2] من المغرب إلى المشرق حركة مسيرته [حركة مستوية][3]. وهذا الفلك يماس الفلك الموافق المركز، وموضع المماسة يسمى الأوج. وهو على ما حدّه بطليموس[4] يتحرك حركة الكواكب الثابتة وهي تتحرك في كل [مائة سنة درجة، وعلى ما ذكره الرصديّون بعده في كل] ستين[5] سنة درجة.

وأما القمر فله خمسة[6] أفلاك:

أحدها: يقال له الفلك الممثل بفلك البروج، وهو في سطح[7] فلك البروج.

والثاني: الفلك المائل، وهو يقاطع هذا الفلك، ومركزهما جميعاً مركز العالم.

وفلك [ثالث: وهو الذي يقال له][8] خارج المركز، وهو في سطح[9] الفلك المائل، ومركزه غير موافق لمركزه.

وفلك [رابع: وهو الذي يقال له فلك][10] التدوير، وهو فلك مركزه متحرك على محيط دائرة الفلك الخارج المركز.

وفلك خامس: وهو الحامل المركز الفلك الخارج المركز، وعليه يتحرك. والقمر][11] يتحرك على فلك التدوير الخارج من البعد الأبعد منه إلى جهة المغرب،

---

(١) في (ب) أي على مركز.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) ساقط من (ب).
(٤) في (ب) على ما حده الراصدون بعد.. وفيه سقط يكمله النص بين القوسين.
(٥) ساقط من (ب).
(٦) في (ب) أربعة وفيها تداخلت مادةالفلك الرابع مع الخامس مع حذف عبارات.
(٧) في (ب) في سطحه.
(٨) زيادة من الأصل.
(٩) في (ب) سطح دائرة.
(١٠) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).
(١١) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

ويتحرك مركز فلك التدوير من البعد الابعد إلى جهة المشرق. ويتحرك مركز الفلك الخارج المركز على محيط الفلك الحامل إلى جهة المغرب. والفلك الممثل ايضاً، والفلك المائل كلها من المشرق أيضاً إلى المغرب حركة بطيئة، وهي التي يقال لها[1] حركة الجوزاء.

ولكل واحد من الخمسة الكواكب المتحيرة[2] أربعة أفلاك أيضاً [ما خلا عطارد فإن له ستة أفلاك خمسة كما للقمر، وفلك آخر خارج المركز][3]، لكنها تخالف أفلاك القمر في الوضع، وهم يرون أنه يجب أن يكون لكل كوكب أفلاك أُخَرّ تحرك أفلاكه، تنقص عن عدد أفلاكه فلكاً واحداً، فتصير [عدة][4] ما لزحل والمشتري التي تحرك أفلاكها ستةٌ، وتصير للأربعة الباقية سوى الكواكب الأسفل[5] ستة عشر، فيكون ما للجميع خمسة وخمسون فلكاً. وقد رأى قوم أنها خمسة وأربعون واطرح بعض ما ذكره [لعله أوجبها النظر][6].

وتفصيل أحوال هذه الأفلاك، والدليل على أنها تنحصر في هذه العدة يحتاج إلى بسط لا يفي به إلا مثل كتاب المجسطي [وما جانسه][7]. وإنما الغرض ها هنا ذكر العدة فقط.

وقد تَعجَبُ من كيفية تحريك الفلك التاسع [للكرات] الثمانية الحركة السريعة مع كونها تتحرك أيضاً حركات[8] خاصة بها، وليس ذلك عند من تأمله حق التأمل بعجب.

---

(١) في (ب) وهي المعروفة بحركة الجوزية.

(٢) الكواكب المتحيرة هي الكواكب السيارة: زحل والمشتري، والمريخ والشمس والزهرة، وعطارد، والقمر. مفاتيح العلوم ١٢٢.

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

(٥) في الأصل الأثقل.

(٦) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

(٧) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

(٨) في الأصل حركة.

أما كرات الكواكب المتحيرة فإنها تفرض مراكز خارجة عن مركز كُرة الفلك المحيط، فيجب من ذلك أنها[1] إذا استدارت حرَّكتها الى خلاف الجهة التي هي تتحرك إليها.

وأما كرات[2] الكواكب الثابتة فإن محورها مخالف لمحور الفلك المحيط، وقطباها لازمان لموضع منه، فهو أيضاً يحرّكها الحركة السريعة، وإن كانت تحرك حركتها الخاصة بها. وإنما كان يمنع من ذلك لو كانت المراكز للجميع واحدة، أو كانت على أقطاب واحدة.

قوله: **وما معنى وسط الكواكب ومجاز العرض؟.**

أما وسط الكواكب فإنه يعني به القوس[3] التي يقطعها الكوكب بحركته المستوية. وهذه لا تكون إلا على محيط دائرة تدور الكواكب على مركزها كالحركة التي للشمس على فلكها الخارج المركز. وهذه الحركة ترى في الفلك الموافق[4] المركز أبداً غير متساوية، وهو الاختلاف الموجود للشمس. فإذا كانت الشمس تتحرك من لدن بعدها الأبعد كانت تقطع في الفلك الموافق المركز، وفلك البروج أقل مما تقطعه في الفلك الخارج المركز. وإذا كانت تتحرك من لدن البعد الأقرب كانت حركتها في فلك الخارج المركز أكثر من حركتها في الفلك الموافق المركز.

وقد [ذهب الحسن بن الحسن] بن الهيثم[5] وغيره من المتأخرين[6] إلى أنَّ وسطَ

---

(١) في (ب) أنه.

(٢) في (ب) كره.

(٣) في (ب) الفرس.

(٤) في (ب) الخارج.

(٥) الحسن بن الحسن بن الهيثم، أبو علي المهندس البصري نزيل مصر، صاحب التصانيف في علم الهندسة والفلك والرياضيات توفي نحو (٤٣٢هـ) تاريخ الحكماء ١٦٥ فما بعدها. وما بين القوسين زيادة من (ب).

(٦) في (ب) المحدثين.

الكواكب هو القوس[1] التي تنفرز فيما بين مبدئها بين الفلك المائل، وبين النقطة التي يحدّها[2] الخط الخارج من مركز الفلك الخارج المركز إلى الكوكب، ثم ينفذ إلى الفلك المائل. وذلك على ما تضمنته مقالته الموسومة[3] الشكوك على بطليموس في الفصل الذي يذكر فيه فساد الطريق التي سلكها بطليموس في استخراج ما بين المركزين في كوكبي الزهرة وعطارد.

وقد وقع[4] الي كلام لأبي بكر بن الصانع الاشبيلي يذكر مثل ذلك عن رجل من المهندسين [في بلاده][5] هناك يعرف بابن الزرقالة[6] إبراهيم بن يحيى الأندلسي، وينعى ذلك عليه. وإذا صحت حكايته عنه[7]، فقد خالف [هذان][8] الرجلان بطليموس فيما ذهب إليه[9]، وكفى بذلك عليهما سبة [إذ كان الرجل الذي لا يرتقي إلى درجته أحد إلا بما أسسه وبينه في هذا العلم، وكونه ممن لا يجازف في القول، ولا يتبع الهوى فيما يدون، ويؤلف، كما قال آخر في كتاب المجسطي. وإذا كان هذا آخر ما كان ينبغي لنا أن نورده في هذا العلم بقدر ما أعاننا الزمن على

---

(١) في (ب) الفرس.

(٢) في الأصل يحدثها.

(٣) في (ب) يتقرر.

(٤) في (ب) وقفت على.

(٥) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).

(٦) في (ب) الكلمة غير مقروءة. وابن الزرقالة هو إبراهيم بن يحيى النقاش، أبو إسحاق الأندلسي، كان بصيراً برصد الكواكب، وهيئة الأفلاك واستنباط الالآت النجومية. تاريخ الحكماء ٥٧.

(٧) في (ب) هذه الحكاية.

(٨) في (ب) خالف الرجلان.

(٩) أثبتت الدراسات الحديثة ريادة ابن الزرقالة في الجغرافية الفلكية، وموافقة ما توصل إليه بنفسه للحسابات الفلكية الحديثة. وهو أول من قال بدوران الكواكب في مدارات بيضوية. أنظر (موسوعة علماء العرب ١٤٠) إلاّ أن نظريته هذه لم تكن مقبولة في زمانه، ولعل قسوة القاضي الرشيد عليه جزء من جهل معاصريه لما توصل إليه ابن الزرقالة من نتائج رائدة.

وجود ما ينبغي أن نحده، واستخراج ما ينبغي أن نستخرجه. ونحسب ما يكون ما أوردناه في هذا العلم نافعاً فقط من غير أن نلتمسَ التكثرَ والافتخار فقد يليق، ويحسن أن يكون هذا آخر الكتاب][1].

رجع: **وأما مجاز العرض** فهو قوس من دائرة عظيمة تنفصل فيما بين دائرة فلك البروج، وفلك الكواكب المائل في الشمال أو الجنوب عن فلك البروج، والوصول إلى معرفة مقدار هذه القوس فيه بعض العسر من جهة ما يكون من الكواكب[2] للكواكب ذي العرض من اختلاف المنظر.

قوله: **كم مقدار فلك القمر من الأرض.**

قد يظن كثير من الناس أن هذا مطلب ممتنع علمه[3] لبعدهم عن الارتياض بالأسباب المؤدية إليه، فأما من كان له ارتياض بالعلم الهيئي فذلك من أسهل الأشياء عليه[4]، ولذلك قال بطليموس في المقالة الخامسة من كتابه: ومما يسهل فهمُه، ويقرب مأخذُه النسبُ بين أقطارِ الشمس والقمرِ والأرضِ. وبحق ما قال ذلك، لأنه ابتدأ أولاً فاستخرج بُعْدَ الشمس من الأرض، وبُعْد القمر، فتبين له بإشكال هندسية، وبراهين يقينية عن كشوفات رصدية، تشكلت[5] فيها مثلثات متشابهات مقدار [قطر][6] ظل الأرض، ثم تبين له مقدارُ قطرِ القمر لَمّا عرف مقدارَ ما يكشف منه بالظل. فلما عرفَ قطر القمر، وكان هو أيضاً يكشفُ الشمسَ فيستر بعضَها عرف قدرَ قطرِها. وليس ذلك بخاصٍ للشمس، والقمر فقط، بل ولسائر

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط الذي حدث في نسخة (ب)، وهو من النسخة الأصلية.
(٢) في (ب) للكواكب.
(٣) في (ب) من الممتنع علمه.
(٤) في (ب) عنده.
(٥) من (ب) لسوفات..تصورت.
(٦) زيادة من الأصل.

الكواكب المتحيرة والثابتة[1]؛ إذ كان أبعد بعد القمر هو أقرب قرب عطارد، والزهرة وكذلك إلى آخرها، وأبعد بعد عطارد هو أقرب قرب الزهرة[2]، وكذلك إلى آخرها، ونسبة[3] أقرب قرب كل واحد منهما إلى بُعده معلومة. فتكون أبعادُها كلُّها معلومة. وتبين من ذلك أن قُرب بعد القمر من الأرض هو آخر حركة الهواء[4] ثلاثة وثلاثون مرة مثل نصف قطر الأرض، ونصف نصف عشر مرة، وهو مائة ألف وتسعة آلاف وستة وعشرون ميلاً. وأبعدُ بُعدِ القمر الذي هو أقرب بعد عطارد، فأربعُ وستون مرة مثل نصف قطر الأرض، وسُدْس مرة. وهو مائتا ألف، وثمانية الاف، وخمسمائة، واثنان وأربعون ميلاً، وأبعد بعد عطارد الذي هو أقرب بعد الزهرة مائة وتسع وستون مرة مثل نصف قطر الأرض وهو خمسمائة ألف ميل، واثنان وأربعون ألف ميل، وسبعمائة وخمسون ميلاً. وأبعد بعد الزهرة التي هي أقرب بُعد الشمس ألف ومائة وعشرون مرة، مثل نصف قطر الأرض، وهو ثلاثة [ألاف ألف وستمائة، وأربعون ألف ميل.

وأبعد بعد الشمس الذي هو أقرب بعد المريخ ألف ومائتان وعشرون مرة، مثل نصف قطر الأرض، وهو ثلاثة][5] الاف ألف وتسعمائة ألف وخمسة وستون ألف ميل. وأبعد بعد المريخ الذي هو أقرب بعد المشتري ثمانية الاف، وثمانمائة وست وسبعون [مرة] مثل نصف قطر الأرض، وهو ثمانية وعشرون ألف ألف ميل، وثمانمائة، وسبعة، وأربعون ألف ميل.

وأبعد بعد المشتري الذي هو أقرب بعد زحل أربعة عشر ألف، وأربعمائة وخمس مرات [مثل نصف قطر الأرض]. وهو ستة وأربعون ألف ألف، وثمانمائة وستة

---

(١) في الأصل: الثانية.
(٢) في (ب) بعد القمر هو أقرب قرب عطارد.
(٣) في (ب) يشبه..معلوم.
(٤) في (ب) (الهوى، وفي الأصل ثلاثاً.... أربعاً.... وتسعاً... الخ).
(٥) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب).

عشر ألفاً، ومائتان، وخمسون ميلاً.

وأبعد بعد زحل الذي هو مساوٍ لابعاد الكواكب الثابتة، وهو نصف قطر [الأرض][1] وهو خمسة وستون ألف ألف ميل، وثلاثمائة، وتسعة وخمسون ألفاً وخمسمائة ميل. فإذا أضعفت بعد كل كوكب من هذه المذكورة وهو نصف قطر كرته[2] كان ذلك قطر كرة فلكه إذاً. فإذا ضربته في ثلثه وسبع، كان ذلك دور فلكه. فإذا ضربت الدور في القطر كان ذلك مساحة [جرم][3] الكرة. فيكون على هذا العمل دور الفلك الأعظم أربعمائة ألف ألف، وعشرة الآف ألف وثمانمائة ألف ميل، وثمانية عشر ألفاً، وخمسمائة وسبعون ميلاً. ولأن نسبة الكرة إلى الكرة هي نسبة قطرها إلى قطرها[4] [مثلثة]. وقطر فلك القمر مائة وخمسة وعشرون مرة مثل قطر الأرض يكون فلك القمر مثل الأرض ثلثمائة ألف، وسبعة وسبعين ألفاً، وستمائة وثمانين مرة مثل الأرض. وهو هو المسؤول عنه.

فأمّا قدر مساحة جرم القمر نفسه، فإنه جزء من تسعة، وثلاثين جزءً من جرم الأرض، وجرم الشمس مائة وستة وستون مرة مثل الأرض.

وأما جرم عطارد فجزءٌ من اثنين وعشرين جزءاً من جرم الأرض.

وأما الزهرة فجزء من سبعة وثلاثين جزءاً من الأرض[5].

[وأما المريخ فمثل الأرض مرة ونصف وثمن مرة.

وأما المشتري فمثل الأرض خمس وسبعون مرة.

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في (ب) فلكه، وفيه: فلك البروج عشرون ألفاً ومائة وعشر مرات بنصف قطر الأرض.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٤) في (ب) قطرها مثلثه الأرض وما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) تداخل جرم عطارد والزهرة في نسخة الأصل: واما جرم عطارد فجزء من سبعة وثلاثين جزءً.

وأما زحل فمثل الأرض، إحدى وتسعون مرة][1].

وأما الكواكب الثابتة التي في العظم الأول منها [وهي الكواكب التي في آخر النهر قريب من مجرى سهيل. والكوكب العظيم الذي في الدّبران] وهو عين الثور. والكوكب المسمى العَيّوق ورجل الجوزاء[2] اليسرى، ومنكبها الأيمن، والشّعريان وسهيل وقلب الأسد، والصرفة والسماكان الأعزل والرامح. والذي على الرجل اليسرى من مَمْسِك الاعِّنة، وهو قريب من سهيل، والنسر الواقع، والطائر، وهو الكوكب الذي على فم الحوت، فذلك خمسةَ عشرَ كوكباً، فإنَّ كلّ واحد[3] منهما مثل الأرض مائة مرة، وسبعة مرات.

وأما الكواكب التي في العِظَم الثاني، وهي خمسة وأربعون كوكباً، فكل كوكب منها مثل الأرض تسعون مرة.

وأما التي في العِظَم الثالث فمئتان[4] وثمانية كواكب. وكل واحد منها مثل الأرض اثنان وتسعون مرة.

وأما التي في العِظَم الرابع، وعدتها اربعمائة كوكب وأربعة][5] وسبعون كوكباً كل واحد منها مثل الأرض أربعة وخمسون مرة.

وأما التي في العِظَم الخامس، وعدتها مائتان وسبعة عشر كوكباً، وكل واحد منها مثل الأرض ستة وثلاثون مرة.

وأما التي في العِظَم السادس فثلثمائة وستون كوكباً، وهي أصغر ما يرى من الكواكب التي أمكن قياسها، فمثل الأرض ثماني عشرة مرة.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٢) في (ب) وزحل الجوز.
(٣) في (ب) واحد مثل.
(٤) في(ب) مماتان.
(٥) ساقطة من (ب).

وجميع ما رصد من الكواكب الثابتة[1] ألف واثنان وعشرون كوكباً. فتكون أعظم الأجرام التي في العالم الشمس، ثم الكواكب [الخمسة عشر][2] الثابتة التي في العظَم الأول، ثمّ المشتري ثم زحل، ثم باقي الكواكب الثابتة على مراتب أعظامها[3]، ثم المريخ، ثم الأرض ثم الزهرة، ثم القمر، ثم عطارد. وهذه تسع مراتب. وقد أوضح ذلك جميعه بطليموس في كتابه المعروف بالاقتصاص.

فأما المجسطي فلم يذكر فيه غيرَ قدْرِ الشمس والقمر والأرض [وأتى على ما بيَّنه بالبراهين اليقينية الهندسية][4].

وإذا علمت أقدار هذه الأجرام بالأميال[5] فهي معلومة بالأذرع بل بالأصابع، إذ كان قدر الميل من الأذرع معلوماً، وقدر الذراع من الأصابع معلوماً[6]. فانظر إلى عظيم ما منحه الله تعالى الإنسان من العقل المؤدي إلى هذه الغايات التي تنقطع دون أدناها الأوهام. وقل ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[7].

رجع قوله: **ثم أشار إليَّ بالبنان وقال: هل النغمُ عشرٌ أو عشرٌ وثمان؟**

وقد تقدم -فيما سلف- ذكرُ صناعة الموسيقى، وما تشتملُ عليه فإن موضوعَها النغمُ والألحان[8]. والنغمة صوت لابث زماناً ما وهي تجري من الألحان مجرى الحروف من الألفاظ إلا أن الحروف إنما انحصرت في عده بالوضع والاصطلاح. والنغم منحصرة بالطبع، والضرورة[9].

---

(١) في (ب) وجميع الكواكب..رصدت.
(٢) زيادة من الأصل.
(٣) في الأصل على مراتبها.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) في الأصل: بالأمثال والتصويب من (ب).
(٦) في النسختين معلوم.
(٧) الآية من سورة الأنعام ٧/ ٤٣.
(٨) في (ب) فإن النغم والألحان موضوعها.
(٩) هناك تقديم وتأخير للألفاظ في (ب).

والنغم منحصرة بالطبع وهي تنقسم قسمين: فمنهـا مـا نسبته إلى اللحـن نسـبة السُّدى واللُّحمـة مـن الثـوب. ومنهـا مـا نسبته إليـه نسـبة النقـش والرقـم[1] [وهي][2] بالجملة الأشياء الزائدة على ماهيته.

وجملة النغم التي هي بمنزلة حروف المعجـم الـتي تـتركب منهـا الألفـاظ تسـمى الجماعة. ولمّا[3] كانت النغم تختلف في الحِدْة، والثِقَل فيكـون منهـا مـا هـو في غايـةِ الثِقَل، ومنها ما هو في غاية الحِدَّة وكان من التي هي في غاية الحدّة، ومن التي هي في غاية الثقل ما ليس بمُلِّذٍ للسمع كانت النغم المُلِّذة التي تسمى الطبيعة [منحصرة فيما بين طرفي الحِدَّة، والثقل اللذين ليسـا بمُلِّذيـن. فوجـب مـن ذلـك أن تكـون النغـم الطبيعية] متناهية معلومة.

فأما النَّغَمُ على الاطلاق فليسـت بداخلـة تحـت الحصْرِ لتفاوتهـا في الطبقـات، وأعني بالطبقات أقدارها في الحِدَّة والثقل. وإنما يُعرَفُ الملائمُ من غير الملائم بـالتذاذِ الأكثرِ من الناسِ المعتدلي الأمزجة بما يسـمعونه مـن الملائـم، ونفـارهم مـن غـيره. والاعتبار في ذلك -كما قلنا أولاً- بالذين هم أعـدل النـاس طباعـاً[4]، وأجودُهـم تمييزاً، وهم الذين عروض مساكنهم زائدة على ست عشرة درجة إلى خمس وأربعين درجةً. فما وافق هؤلاء، أو أكثرهم من النغم، وكان ملـذاً لهـم فهـو الـذي يسـمى الطبيعي دون ما سواه. وبيِّنَ أنه إذا قرنت نغمةٌ بنغمةٍ كان من الاقتران أيضاً ما هـو موافقٌ وغيرُ موافقٍ، وما هو من الموافقةِ في غاية الكمـال حتـى لا يوجـد كمـالٌ أتمُّ منه، وما هو دون ذلك قليلاً. وكمالٌ آخرٌ ظـاهرٌ للحـس دونـه مـا هـو خفـي عـن الحس. وهذه اتفاقات ثلاثٌ. وكل نغمتين مختلفتي الطبقة تسميان بعداً صوتياً. فـإذا

---

(١) في (ب) النفس والتزيين.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في (ب) ركب..وإذ كانت.

(٤) في (ب) أمزجة.

كان طرفا البعد إذا قرنا[1] حدث منهما الكمالُ الأعظمُ، فإن أثقل النغمتين يسمى بالعربية السِّجاح الأعظم، والأخرى تسمى الصّياح الأعظم، وقد يُعدّان نغمةً واحدةً لكون كلٍّ واحدة منهما في الألحان تنوب عن صاحبتها وتقومُ مقامَها. وما كان حاله من النَّغم هذه الحال[2] فإنَّ كل واحدة منهما تسمى الأخرى.

والنغمتان اللتان اتفق الأوائل على أنهما بهذه الصفة هما نغمتان، نسبة إحداها إلى الأخرى كنسبة الاثنين إلى الواحد, وهما في العود مطْلَقُ البَمّ، وسبّابة المثنى، وتسميان عند الأوائل بالمفروضة، والوسطى، وكان بامسطيوس على جلالة قدره وفضل علمه في العلوم التعاليم لا يحس باتفاقهما على أنه أظهر[3] الاتفاقات. وقد حكى ذلك عن نفسه في بعض كتبه، ولذلك ما قلنا أنه ليس ينبغي أن يعتبر المتفق وغيره بحسّ إنسانٍ واحد، بل بأكثر الناس، وأعدلهم مزاجاً.

ولما كانوا يسمون مجموع كلٍّ نغمتين بُعْداً صوتياً. وكانت الأبعاد كثيرةً احتاجوا إلى أن يخصُّوا كلَّ بُعْدٍ باسمٍ ليفصلوه من غيره. فسمَّوا هذا البعدَ الذي بالكُلّ. ولهذه التسمية تعليل يبين فيما[4] بعد.

وجملة الابعاد الطبيعية التي أجمعوا على أنها الملائمة للطباع غاية الملائمة خمسة:

فأولها، وأعظمها اتفاقاً الذي بالكُلّ، وقد ذكرناه، ويتلوه ضعف الذي بالكُلِّ. ونسبة نغمتيه احداهما إلى الأخرى نسبة الأربعة إلى الواحد[5]، والذي بالخمس. ونسبة احدى نغمتيه إلى الأخرى نسبة الثلاثة إلى الاثنين، والذي بالأربع. ونسبة نغمتيه احداهما إلى الأخرى نسبة الأربعة إلى الثلاثة، والذي بالكل والخمس ونسبة نغمتيه احداهما إلى الأخرى نسبة الأربعة إلى الثلاثة والذي بالكلّ والخمس ونسبة

(١) في (ب) اقترنا.
(٢) في (ب) هكذا فإن..
(٣) في (ب) ظهوره.
(٤) في الأصل ما بعده، والتصويب من (ب).
(٥) في (ب) نسبة الواحد إلى الأربعة.

نغمتيه احداهما إلى الأخرى نسبة الأربعة إلى الثلاثة والذي بالكلّ والخمس، ونسبة نغمتيه إحداهما إلى الأخرى نسبة الثلاثة إلى الواحد. فهذه هي الأبعاد التي في غاية الملائمة[1] ومما يعد[2] منها بعد سادس نسبة احدى نغمتيه إلى الأخرى نسبة المثل وثلثي المثل.

وبين[3] الأوائل أنَّ في هذا البعد الملائم اختلاف كبير، وذلك أن ملاءمته ضعيفة، فاطرحه كثير منهم. وزعموا أنه غير ملذٍ أصلاً، واحتجوا في ذلك بأن الأبعاد الملذة إنما هي على نسبة المثل والجزء، وإن هذا على نسبة المثل والأجزاء. وإنَّ الاتفاقَ واقع بينهم أنه ليس شيءٌ من الأبعاد يُعَدُّ في الطبيعة إلاّ ما كان على نسبة عدد إلى عدد. فهي نسبة الأمثال أو المثل الزائد جزء. فأما المثل الزائد أجزاءً، والأمثال الزائدة جزءً، فإنها غير ملائمة أصلاً لأحد من الناس سليم الطباع.

وقد توجد أيضاً[4] أبعاد ملائمة إلاَّ أنَّ ملاءمتها، والذاذها إذا قيست إلى هذه وجدت يسيرةً جداً، والنسب ما بين نَغَمِها أصغر من النسب التي بين هذه، ويسمونها اللَّحنية. وأقصى ما ينتهي إليه منها في جانب عظم النسبة ما كان على نسبة الاثنين والثلثين إلى واحد وثلاثين، كما أنه أقصى ما ينتهي إليه في جانب عظم النسبة ما كان على نسبة الأربعة إلى الواحد، وهو الذي يسمونه ضعف الذي بالكل. ولما كانت الأبعاد التي يسمونها اللحنية أصغر نسبة من الأبعاد الكبار كانت توجد عند قسمة الأبعاد[5]، فاعتمدوا على قسمة البعد الذي بالأربعة، إذ كان يَعدُّ الأبعاد الأخَرَ المذكورة معه. ووجدوا قسمته إلى ثلاثة أبعاد فقط هو الملائم، والطبيعي، وما زاد على ذلك فلا يُحسُّ منه اتفاق. ولما كانت قسمته ممكنةً أنْ تكون

(١) ونغمتاه على نسبة .. في غاية الملائم.
(٢) في (ب) بعد.
(٣) في (ب) وان بين.
(٤) في (ب) توجد أبعاد.
(٥) في (ب) قسمة الأبعاد.

على أنحاء شتى سَمّوا كلَّ واحدٍ[1] من أنحاء القسمة قسمة بالجنس. وأحدُ الأجناس الجنس الذي يسمونه القويَّ وهو الذي تكون أحد أبعاده الثلاثة، ليس بأعظم نسبة من مجموع البعدين الباقيين.

والثاني: الجنس [المبين][2] وهو الذي أحد أبعاده الثلاثة أعظم نسبة البعدين[3] الباقيين.

والثالث: يسمونه الجنس المتوسط، وهو الذي يرتب من أبعاده الثلاثة متوسط[4] بين الأعظم، والأصغر، ولأن طرفي كل بعد نغمتين[5] يجب أبداً ان يكون عدد النغم التي في البعد يزيد على عدد الأبعاد التي يقسم إليها بنغمة واحدة. والأبعاد الذي ينقسم اليها الذي بالأربع ثلاثة، فالنغم التي فيه أربع، ولذلك سمي الذي بالأربع على نسبة الأربعة إلى الثلاثة كان الذي بالخمس يزيد على نسبة الثلاثة إلى الاثنين، ونسبة الذي بالأربع على نسبة الأربعة إلى الثلاثة كان الذي بالخمس يزيد على الذي بالأربع بعدا نسبةِ إحدى نغمتيه إلى الأخرى نسبة المِثْل والثُمْن. وهذا البعد هو الذي يسمى البُعدَ الطنيني، فيجتمع في البُعْد الذي بالكُلّ والخُمْس أربعةُ أبعادٍ، وخمسُ نَغَمٍ. ولهذا يسمى الذي بالخمس، ولأن الذي بالكل مركب أيضاً من الذي بالأربع والذي بالخمس من أجل أن نسبة الذي بالأربع هي نسبة الأربعة إلى الثلاثة، ونسبة الذي بالخمس هي نسبة الثلاثة إلى الاثنين. فإذا أُلِّفتَ النسبتين كان الحاصل منهما نسبةَ أربعةٍ إلى اثنين، وهي نسبة المِثْلين. وهذه النسبة التأليفية. وقد فرغ من البرهان عليها[6]، وعلى قسمة النسب، وأضعافها، وهي قسمة الأبعاد وأضعافها في العلوم الهندسية، والعددية فيكون الذي بالكل يشتمل على سبعة أبعاد، وهي ثمان

(١) في (ب) نحو.
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) في (ب) من البعدين.
(٤) في الأصل متوسطاً.
(٥) في الأصل نغمتان.
(٦) في (ب) على ذلك.

نغم. وهذه هي النغم الطبيعية، ولاشتماله على جميعها سمي الذي بالكلّ. وبحسب ذلك تكون أبعاد[1] الذي بالكل أربعةَ عَشر بُعْداً فنَغمُه إذاً خمسةَ عَشرَ نغمةً. ولما كان هذا البعد هو غاية ما ينتهى[2] إليه من الأبعاد الكبار كانت النغم الموجودة فيه هي أكثر النغم الطبيعية الملائمة، ويسمونه أيضاً بالجمع التام، لاشتماله على جميع النغم.

وقد استُعمِل[3] أكثر من هذه النغم في العُودِ وفي غيره من الالآت على جهة التتميم، والتكرير.

فأما النغم التي هي أصول النغم، وأوائلها[4] فهي الثمانية التي في الذي بالكُلّ. والسبعة الباقية هي مشابهة لها إذْ كانت متكرّرةً في ضِعفِ الذي بالكُلِّ وإذا أراد إنسانٌ وجودَ هذه النغم بالحسّ اتَّخذ وتراً، وقسمه على نسبة الأَبعادِ المذكورة[5]، فإذا أراد نغمة ما وضع إصبعه على موضع القسمة الخاصة بها[6]، وقرع الوتر فتكون النغمة المسموعة منه هي النغمة التي طلبها.

وليس في الآلات ما يسمع منه جميع النغم الخمس عشرة إلا الآلة المركب عليها خمسة عشر وتراً [وتجعل الحوامل فيها على مواضع النسب المذكورة في الأبعاد][7]، وهي المسماة بالقانون.

فأما العود فليس تخرج منه جميع هذه النغم، بل قد تخرج منه نغم غيرها، ولذلك زعم المحدثون من مغني العرب كإسحاق واضرابه أنَّ النغمَ عشرٌ من أجل [أنها

---

(١) في (ب) أبعاد ضعف.

(٢) في (ب) غاية الأبعاد التي تنتهي إليها الأبعاد الكبار.

(٣) في (ب) المحدثون.

(٤) في (ب) وأولها.

(٥) في (ب) المذكورة ثم يضع..بالنغمة التي يريدها. وما بعدها فيه اختلاف طفيف في تقديم الألفاظ وتأخيرها عن النسخة الأصلية.

(٦) في (ب) بالنغمة.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

الموجودة في العود][1] وأنه اذا سُوِّيَ العُود التسويَة المشهورةَ، وهي أن يُجعَلَ الزيرُ[2] على أي طبقة كانت، ويجعل المثنى مثله، وثلثه في الحسّ، والمثلَّثُ مثلُ المثنى وثلثه والبَمُّ[3] مثلُ المثلّثِ، وثلثِه، ثم تُشَدُّ أربعُ دساتين[4]، وهي علامات لمواقع الأصابع الأربع من أجل الأوتار، لأنه[5] بوقوعها عليها تختلف النَغَمُ المسموعة منها في الحِدَّة والثِقَل، فتكون نغمةُ كلّ وَتَرٍ منها على نغمة مُطلَقِ الوَتَر الذي يليه على نسبة الذي بالأربع. وللحاجة إلى قسمة الذي بالأربع القسمة المذكورة، ويشد دستان السبابة على تسْعٍ ما بين مجتمع الأوتار وهو المشط. ويُشَدُّ دستان البنصر على تِسْعٍ ما بين دِستان السبابةِ والمِشْط، ويشد دستانَ الخنصر على رُبْع ما بين المشط، ورأس العود. وهو الوتر كله. ثم يزاد على ما بقي من ذلك منه. ويشد دستان الوسطى ثم تقرع الأوتار فيكون أوَّلُ النَغَمِ مطلقَ المثلَّث. والثانيةُ سبّابَة المثنى، والثالثةُ: وسطى المثَنى، والرابعةُ بنصرَ المثنى، والخامسةُ: خنصرَ المثّنى،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) في (ب) الوتر.

(٣) في (ب) والم

(٤) الدستان وجمعها دساتين وهو الرباط الذي يوضع عليه الاصبع. واسامي دساتين العود تنسب إلى الأصابع التي توضع عليها. فأولها دستان السبابة، ويشد عند تسع الوتر، وقد يشد فوقه دستان أيضاً يسمى الزائد، ثم يلي دستان السبابة دستان الوسطى، وقد يوضع أوضاعاً مختلفة، فأولها يسمى دستان الوسطى القديمة، والثاني يسمى دستان وسطى الفرس، والثالث يسمى دستان زلزل. فأما الوسطى القديمة فشد دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة، ودستان البنصر، ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب، ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلي البنصر بالتقريب. وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد، وربما يجمع بين اثنين منها، ثم يلي دستان الوسطى دستان الخنصر، ويشد على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط ثم يلي دستان البنصر دستان الختصر، ويشد على ربع الوتر.

ومشط العود: وهو الشبيه بالمسطرة التي يشد عليها الأوتار من تحت أنف العود، وهو مجمع الأوتار من فوق. انظر: مفاتيح العلوم (١٣٣-١٣٨).

(٥) في (ب) إليه.

والسادسةُ: سبّابةَ الزير ولم يعدّوا مطلقه، لأن النغمة الكائنة منه هي بعينها[1] نغمة خنصر المثنى لا فرق بينها. السابعةُ: وسطى الزير[2] والثامنةُ: بنصرُه[3]. والتاسعة: خنصر الزير. وبقي من النغم العشر نغمة لم يجدوها في هذه الأربعة الأوتار.

وكرهوا أن يشدوا من أجلها وتراً خامساً ليس فيه غيرها، فاحتالوا[4] في اخراجها من أسفل دساتين الوتر بالبنصر إذا جعلت السَّبّابة من الزير في موضع البنصر فيه. ودفعت البنصر من أسفل الزير بمقدار مسافة ما بين دستان السبابة، ودستان البنصر. ولم يعتدوا للمثلث والبم بنغمة، إذ كانت النغم الحادثة[5] منها هي هذه النغم التي عَدَدْتُ، بمنطلق المثلث، وهي سَبّابة الزير[6]، وسَبّابة المثلث مثل بنصر الزير، ووسطى المثلث مثل خنصر الزير، وبنصر المثلَّث مثل النغْمةِ التي في أسفل دِسْتان الزير، وخنصرُ المثلّث مثلُ مطلَق المثنى، ومطلق البَمّ مثلُ سبّابة المثنى، وسبابته مثل بنصر المثنى، ووسطاه مثل خنصر المثنى، وخنصُره مثلُ مطلق المثنى. فأمّا بنصره فلم يناسب نغمة من النغم فيكون موافقاً لها فتركب لذلك. وزعموا أن هذين الوترين إنما اتخذا ليجد المغني متصرفاً فيهما، لما فيهما من الجهارة، والثقل اللذين ليسا بموجودين في الزير، والمثنّى. والذين ذهبوا إلى أنّ النغم ثماني عشرة فإنما احتسبوا بالنغم التي في المثلث والبم، وزعموا أنها إنما توجد موافقة للتي في الزير والمثنّى اذا استعملت معهما فأمّا اذا انفردتْ فإنَّ السامع يسمع من هذه، ويحس ما لا يسمع من تلك.

وكان إسحاق يزعم أنه لم يجتمع في صوت قديم من النغم[7] أكثر مما اجتمع في

---

(١) في (ب) مثل نغمة.

(٢) في (ب) الوتر.

(٣) في (ب) بنصر الوتر.

(٤) في الأصل فاختلقوا.

(٥) في (ب) الحاوية.

(٦) كل زير كتب في (ب) الوتر.

(٧) في (ب) ولا محدث.

الصوت الذي صنعه ابن محرز(١) في ثاني الثقيل المطلق في مجرى البنصر في شعر مسافر بن أبي عمرو(٢) وهو:

يـــا مَـــنْ لِقَلْـــبٍ مُقْصِـــرِ ... تـــركَ المنـــى لغواتِهـــا
وتظَلَّـــفَ النفـــسَ الـــتي ... قـــدْ كـــانَ مـــن حاجاتِهـــا

وهو يجمع ثماني نغم. ولم يزل الأمر على ما ذكر إسحاق إلى أن وضع عبيدالله ابن عبدالله بن طاهر بن الحسين(٣) صوته في شعر إبراهيم بن هرمة وهو:

وإنَّـكَ إذْ اطْمعتَـني منـكَ بـالرِّضى ... وأيأسْتني مـن بعـدِ ذلـك بـالغضَبْ
كممكِنَـةٍ مـن دَرِّهـا كـف حـالبٍ ... ودافقةٍ من بعدِ ذلك مـا حَلَـبْ(٤)

وهو يجمع النغم العشر. ولحنه خفيف الثقيل الأول بالوسطى في مجراها.

وأوَّلُ من أحدثَ هذه التسمية -أعني مجرى الوسطى ومجرى البنصر- إسحاقُ، فإنه كان يزعم أن الغناء في كل طبقة بمجريين أحدهما منسوب إلى الوسطى، والآخر منسوب إلى البنصر. وإنَّ هاتين الاصبعين تتعاقبان في الغناء، ولا تدخل احداهما إلى الأخرى، وذلك أنَّ النغم التي تجانِسُ الوسطى. فلا يمكن أن يجتمع [مطلق البنصر](٥)، ولا شيء من مجانساتها مع الوسطى، ولا شيء من مجانساتها على تكميل لحنٍ بلْ إذا كان في لحن البنصر فلا يُستعمَلُ معها إلا مجانساتها، وهي

(١) هو مسلم بن محرز، أبو الخطاب، كان أبوه من سدنة الكعبة، تعلم الغناء في المدينة، ثم سافر إلى فارس والشام فتعلم ألحان فارس والروم، وأخذ محاسنها، وألف أغانيه من أشعار العرب. الأغاني ١/ ٣٥٢.

(٢) هو مسافر بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى ابا أمية القرشي. شاعر ليس له شعر كثير. وكان يعد من فتيان قريش جمالاً، وشعراً وسخاءً، الأغاني ٩/ ٥٣.

(٣) عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين، كان شاعراً مترسلاً أميراً، ولي الشرطة ببغداد، وإليه انتهت رئاسة أهله. ألف عدة كتب، توفي سنة (٣٠٠هـ) الفهرست ١٧٦، المنتظم ٦/ ١١٧.

(٤) البيتان مفردان في ديوانه (١١).

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل وهما من (ب).

من مطلق البَمّ، وسبّابتُه، وبنصُره، وخنصُره، وسبابةُ المثَّلث، وبنصُره، وخنصره. وإذا كان في لحن الوسطى لم يكن أيضاً معها إلا مجانساتها وهي: مطلق البَمّ وسبابتُه وبنصُره، وخنصُره، وسبابةُ المثلّث وبنصُره وخنصُره. فإذا استعملت في لحن الوسطى ومجانساتها نسب اليها اللحن، وإذا اجتمع[1] فيه البنصر ومجانساتها، نسب إليها. فهذا ما سنح ذكره من أحوال النغم والأبعاد[2].

رجع قوله: وأي آلة يدنو لصوتها السباع، ويعنو لها المحرب الشجاع..؟

يقال: إن أفلاطون لَّما أسَنّ طَعَنَ عليه بعض تلامذته في شيء من آرائه، وخالف ما ذهب إليه.

وربما حكوا أن ذلك هو أرسطوطاليس لقوله في بعض كتبه: إنا لنحب الحق، ونحب أفلاطون. فإذا اختلفا كنا مع الحق. وذلك أنه خالفه في أكثر آرائه. ولما[3] بلغ ذلك أفلاطونَ خرج بذلك التلميذ، وبغيره من تلاميذه إلى غيضة[4] مسبعة ثم

---

(١) في (ب) وإذا استعملت.

(٢) في (ب) من النغم والأبعاد: وقد نقل المسعودي في مروج الذهب ٢/ ٤٩٠ تفصيلات عن ابن خرداذبة بشأن الايقاعات، وكيفية اقامتها، وعددها، رأينا نقلها هنا استكمالاً للفائدة وهي قوله: أن الايقاع أربعة أجناس: ثقيل الأول وخفيفه، وثقيل الثاني وخفيفه، والرمل الأول، وخفيفه، والهزج وخفيفه، والايقاع هو الوزن، ومعنى اوقع وزن. أما الخروج من الوزن فاما يكون ابطاءً او سرعة عن الوزن. فالثقيل الأول: نقرة ثلاثة ثلاثة اثنتان، ثقيلتان بطيئتان، ثم نقرة واحد, وخفيف ثقيل الثاني نقرة، اثنتان متواليتان، وواحدة بطيئة، و اثنتان مزدوجتان، وخفيف الرمل: نقرة، اثنتان مزدوجتان، وبين كل زوج وقفة. والهزج نقرة واحدة واحدة مستويتان ممسكة. وخفيف الهزج نقرة واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدراً من الهزج. والطرائق ثمان. ويتفرع مسن كل من هذه الطرائق مزمومٌ مطلَق، وتختلف مواقع الأصابع فيها فيحدث لها ألعاباً تميزها.

(٣) في (ب) وبلغ..فخرج به.

(٤) الغيضة: الشجر الملتف. والمسبعة: الكثيرة السباع.

أخرج آلة كان قد أعدَّها. وصوَّتَ بها، فظهر منها نوع من الألحان شَجٍ لم يسمع أشجى منه وأنه اجتمع لسماعه[1] كلُّ سَبعٍ كان في تلك الغيضة.

ثم أقبل على التلميذ المخالِفِ فقال: قد جمعت هذه السباع بضَعفِ عقلي، ففرِّقْها بوفُورِ عقلِك. فعلِم التلميذُ ما بلَغه عنه، وتنصَّل إليه منه، واعترف له بالتقدم في الفضيلة، ورغَّب إليه في صرف تلك السباع بأسرها [فصوت في تلك الآلة أصواتاً مهولة مخالفةً لتلك الأصواتِ إلى أن افترقت بأسرها][2].

وهذا خبر لا يعلم أحقٌّ هو أم باطل، لكنه من الممكن أن يوجد في الألحان الموسيقية[3] ما يفعل في سائر القوى النفسانية [البشرية][4] فضلاً عن الحيوانية [أفعالاً عجيبة على حسب إرادة صاحب اللحن][5].

ويقال أن صدقَة الحادي سأله الرشيدُ[6] أو غيرُه من الخلفاء عما بَلَغَ من حُسْن حِدائه فقال:

يا أمير المؤمنين، أنْ تعطَّشَ الإبلُ ثلاثاً، ثم أحدو، فتدع الشُرْبَ، وتصغى إلى صوتي[7].

فأمر هارون الرشيد بالإبل فعُطِّشَت ثلاثاً، ثم أحضره، فأمر، فأُدني إليها الماء[8] فقطعت الشرب، ورفعت رؤوسها إليه. ثم سكت، فعادت إلى الشرب، ثم حدا،

---

(١) في (ب) فاجتمع إليه.
(٢) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(٣) في (ب) الموسيقارية.
(٤) زيادة في (ب).
(٥) زيادة من الأصل، ساقطة من (ب).
(٦) في (ب) ويقال أن هارون الرشيد سأله صدقة الحاوي.
(٧) في (ب) فإن لم تدع .. فليجازي أمير المؤمنين بأقبح الجزاء.
(٨) ما بين القوسين ساقط من (ب).

فأقبلت عليه، وتركت الماء، إلى أن فعل ذلك مراراً[1] كثيرة. فقال له الخليفة: قتلتها عطشاً، ويلك، فَدَعْها تشرب.

وحكى حمَّادُ[2] عن أبيه [قال] قال: عمر الوادي[3]: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج[4]، إذْ سمعت إنساناً يغني غناءً لم أسمعْ قطُّ مثلَه. فأصغيت له فإذا هو يغني في[5] شعر كُثيِّر:

وكنتُ إذا ما جئْتُ ليلى بأرضِها   أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
مِنَ الخَفَراتِ البيضِ ودَّ جليسُها   إذا ما انقضت احدوثةٌ لو تعيدها[6]

فكدت أسقط عن راحلتي طرباً. وقلت: والله لألتمسَنَّ صاحبَ هذا الصوتِ فأصير إليه، ولو بذهابِ نفسي فتيممتُه وسمته[7] إلى أنْ وصلتُ إليه، فإذا راعي غنم فسألته أن يعيدَه. فقال: نعم، ولو حضرني قرى أُقرِيكَهُ، ما أعدته، ولكني أجعله قراك، فربما ترنَّمتُ به [والله وأنا][8] غرثان، فأشبع، وعطشان فأروى، ومستوحش فآنس، وكسلان فأنشط.

قال: فأعادهما علي حتى أخذتُ اللَّحَن، فوالله ما كان زادي حتى ولَجتُ المدينةَ

---

(١) في (ب) فما زال ذلك دأبه إلى أن قال.

(٢) هو حماد بن إسحاق الموصلي المغني، كان أديباً راوية، وألف كتباً في الأدب كثيرة وأخذ أكثر علم أبيه. الفهرست ٢١٠.

(٣) عمر الوادي، هو عمر بن داود بن زاذان (وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، كان مهندساً، وأخذ الغناء عن الحكم. واتصل بالخليفة الأموي الوليد بن يزيد، وقتل الوليد، وهو يغنيه، الأغاني ٧/ ٨٣ طبعة التقدم.

(٤) العرج: موضع بين مكة والمدينة قيل هو أربعة أميال من المدينة ينسب إليه الشاعر العرجي.

(٥) كذا في الأصل.

(٦) في الأغاني ٩/ ٣١٥٩ ولو بعض من أعضائي.

(٧) في (ب) فتيممته وفي الأغاني (٩/ ٣١٥٩) تحقيق الانباري: فتيممت سمته.

(٨) في (ب) ترنمت به وأنا عزتان.

غيرهما.

ولا يجب أن يُتلقَّى هذا الحديثُ، وأمثالُه بالإنكار إذْ كان القياسُ يعضُده، والتجربة[1] تشهد بصحته، وذلك إن النفس حاكمةٌ على البدن[2]، فإذا اشتغلت بما يليها تخلَّتْ عن تدبير القوى الأخرى. ألا ترى ما يعرض لمن يشغل فكرَه في أمرٍ من الأمور النفسانية كيف يلهو عن الغذاء، وربما كان ذلك المدةَ الطويلة التي تضرُّ مثلُها بجسمه، ولو لم تكنْ نفسُه مشتغلةً عن تدبير جسمِه[3] لم يحس بشيء من ذلك.

وفي الأخبار المروية عن المتيمين بل المتبتلين[4] والمنقطعين ما يشهد لذلك بالصدق، ويوضح على من دافعه[5] بالحجة.

علم الطب:

رجع قوله:

ثم صمت ساعة كالمتعجب، وعاد إلى سؤال المتطبب فقال: لم قسَّمَ أهلُ صناعتِك أحوالَ[6] بَدَنِ الإنسان إلى ثلاثةِ أقسامٍ سقمٌ وصحةٌ، وحالةٌ ليستْ بصحةٍ.. ولا سقام إلى آخر الفصل.

إذا كان حدُّ الصّحةِ أنها ملكةٌ ما[7] تصدر عنها أفعال الإنسان سليمةً على المجرى الطبيعي فإنَّ كلَّ واحدةٍ تخالفُها هي التي تسمى مرضاً، ولا معنى للقسم الثالث إلاّ أنَّهم يذهبون إلى أن حالة الناقِهِ هي الحالة الثالثة التي ليست بصحة ولا

(١) في (ب) والأمور التجريبية.
(٢) في (ب) على جميع القوى الجسمية الحيوانية.
(٣) في (ب) جسده. ولعل هناك سقطاً في الجملة.
(٤) في الأصل المسلين.
(٥) في (ب) لم يقر به.
(٦) في (ب) صناعتك بدن.
(٧) في (ب) ملكة تصدر.

سَقام. فإذا الزموا الحد الذي تقدم ذكره[1] للصحة لم يثبت ما يقولونه إلا أنَّ صناعتَهم لما كانت [صناعة][2] تخمينية لم يبالوا أن يتسامحوا فيجعلوا حالة الناقه حالة ثالثة. والصحيح الذي يذهب إليه أهل التحقيق ما قدَّمتُه.

فأما قسمة الأركان إلى أربعة فليس النظر في ذلك أمراً طبياً[3]، وإنما يتسلَّمه الطبيب من الطبيعي تسلُّماً إذ ليس في قدرة صاحب صناعة أنْ يبرهنَ على مبادئها، ولا يبحث عن أصولها. فكما أن المهندس لا يلزمه البحثُ عن النقطةِ، وإقامةِ الدليل على أنّها لا جزء لها. والنَّجارُ لا يلزمه البحثُ عن كونِ الخشَبِ، وسببِهِ فكذلك الطبيب لا يلزمه أن ينظر في الأركان، وهل هي أربعة أم أكثر من ذلك بل يتسَلَّمُ علمَ ذلك من الطبيعي. والطبيعي هو الذي يعنى[4] بتكفُّلِ ماهيةِ الأركانِ فيبين أنَّها أجسامٌ بسيطةٌ[5] غيرُ مركبةٍ، أوليَّةٌ لجميع المركبات، لا يمكن أن تنقسم إلى أجسام مختلفة، وإنها تحدُث بامتزاجها جميع الأجسام المركبة الكامنة[6] وهي: النار، والهواء، والماء، والأرض. ولكل واحد[7] منها موضع يخصه، فموضع الأرض مركز العالم. والماء فوقها محيط بها. والهواء فوق الماء محيط به. والنار فوق الهواء محيطة به. وكلٌّ واحدٍ منهما إذا كان في موضعه [الطبيعي فهو ساكن][8] [فإن كان في غير موضعه[9]] تحرك إلى موضعه حركةً مستقيمة، فما تحرك إلى المحيط سمي خفيفاً كالنار، والهواء، وما تحرك إلى المركز سمي ثقيلاً كالأرض والماء.

---

(١) في (ب) ذكر الصحة، وفي الأصل التي تقدم.
(٢) زيادة في (ب).
(٣) في (ب) إلى موضوعات الطب، ولا تلزم الطبيب الدلالة عليه إذا كان أمراً طبيعياً.
(٤) ساقطة من (ب).
(٥) في (ب) بسيطة في.
(٦) في الأصل الكائنة.
(٧) في (ب) ولكل منها.
(٨) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٩) زيادة من (ب).

ويستدل على أن الأركانَ أربعةٌ وعلى طبائِعها بأنه قد يشاهد في الأجسام ما هو كامنٌ فاسدٌ متغيِّرٌ. ويتبين أن التغيير إنما يكون باجتماع، وتكاثُفٍ، أو تفرُّقٍ، وتخلخل. فالسبب في التكاثف، والاجتماع يسمى برداً. وفي التفريق والتخلخل يسمى حَرّاً[1]. فهاتان قوتان فاعلتان تلزَمُ عنهما قوتان منفعلتان؛ إذ كان الجسم إمّا أن يكونَ سريعَ القبول للتشكل والتمدُّدِ. وسببُ[2] ذلك يسمى رطوبةً. وأمَّا أن يكونَ عَسِرَ التشكُّلِ عَسِرَ الزَّوالِ[3]، ولذلك السبب يسمى يبوسةً فتبين أن بسائطَ الأجسامِ تتميزُ بهذه الأربع قوى، وهي البرودة والحرارة والرطوبة، واليبوسة. وأن لا يكون شيء من جميع الأجسام المركبة عادماً، لقوتين إحداهما فاعلة، والأخرى منفعِله. فما اجتمعت فيه الحرارة واليبوسة [إلى الغاية][4] سمي ناراً. وما اجتمع فيه البرد واليبس إلى الغاية يسمى أرضاً[5]. وما اجتمع فيه الحرارة والرطوبة يسمى هواءً. وما اجتمع فيه البرودة والرطوبة [كذلك][6] سمي ماءً.

ولما وجدت النار من بين هذه الأربعة فطلب بحركتها المحيط لم يخل[7] أن يكون ذلك من قِبَل ما هي حارة، أو من قبل ما هي يابسة. فإنْ كانت[8] من أجل أنها حارة وجب أن يكونَ البارد اولاً [مكان الحار][9]، أو لأنها يابسة ومُحالٌ أن يكون لكون الماء فوق الأرض وهي يابسة فيجب إذاً أن يكون أعلى الاسطقسات مكاناً

---

(١) في (ب) حرارة.
(٢) في الأصل: ونسب.
(٣) في (ب) أن يكون عشراً للتشكل غير سريع الزوال والنسب.
(٤) ما بين القوسين زيادة في الأصل.
(٥) في (ب) واليبس يسمى تراباً.
(٦) ساقط من (ب).
(٧) في (ب) لمكل.
(٨) في (ب) فإن كان ذلك.
(٩) زيادة من (ب).

للنار. ويليها ما كان مــن الاسطقســات حــاراً وهــو الهــواء ويليــه الهــواء والأرض. فمكان النار مقعر فلك القمر. ومكان الهواء مقعُر كرة النار[1]. ومكــان المــاء مقعــر كرة الهواء، ومكان الأرض مقعُر كرةِ المــاء. فهــذا الدليــل علــى أن الأركــانَ أربعــةٌ باختصار من القول اتكالاً على وجود ما يراد من الاتساع في كثير من المصنفــات في هذا الفن.

نبضات القلب:

قوله: **وما الفرق بين النَّبضِ السَّريع والمتواتر، وليس بينهما خلاف في الظاهر.**

لما كان لفظُ السّريع من جهة اللغة يدلُّ على مثل ما يــدل عليــه لفــظ[2] المتواتِــر [وليس بينهما][3] وكان الأطباء قد استعملوا هاتين اللفظتين في الدلالة على نوعــين من أنواع النَّبض أشكَلَ على السامع مرادُهم بهمــا، ومعرفــةُ مقصودِهــم يفتقــر إلى العلم أوّلاً بما يدل عليه قولهم النَّبض. وهم يريدون به حركة الشــرايين المنبعثــة مــن القلب لتبريد الروح الحيواني الذي تحملــه إلى ســائر الأعضــاء، فتكــون منــه الحيــاة والنمو.

ومعدن هذا الروح ومنبعه التجويــف الأيســر مــن تجويفــي القلــب. وهــو شــبيه بالدخان والبخار في دم القلب، وبواسطته تتــمُّ أفعــالُ النفــسِ إذ هــو لهــا كــالمركب والآلة ولما كان هذا البخار يعرض مــا يــلزم مــن التكــاثف وشــدة الحــرّ، لانحصــار الحرارة فيه[4] كان للقلب انبساط، وانقباض [ليحدث من الهواء الحــاصل في فضــاء

---

(١) في (ب) كرة القمر.
(٢) في (ب) عليه المتواتر.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب) في الصدر.

الصدر الذي تجذبه الرئة بالتنفس][1] للترويح على القلب ما يبرِّدُ به ما في تجويفه، ويجتذب أيضاً تجويفَه الثاني من الدم الذي في الكبد ما يكون له غذاء، ومادة. وللقلب زائدتان شبيهتان بالزيادة التي على كور الحداد تشدّان فوهتيه[2] اللتين يدخل منهما النسيم, والدم عند انقباضه، وينفتحان عند انبساطه وبحركة القلب هذه الحركة تكون حركة الشرايين التي تسمى النبض فيكون لها أيضاً حركة انقباض، وانبساط. ولما كانت الأصول الطبيعية تقتضي أن بين كل حركتين متضادتين سكونٌ لَزِم أن يكونَ بين حركتي النَّبض سكونٌ أيضاً[3]، وأظهرها هاتين الحركتين هي حركة الانبساط، فأما حركة الانقباض فإنها لا تُحَسُّ. وجالينوس يقول: إنه أقام زماناً لا يَحُسُّ بها ثم أحسَّ بها بعد ذلك ثم عظم إحساسه بأمور خفية[4] من أحوال النبض حتى يتبينَ له أنه على نسب موسيقارية، وأنَّ منه ما هو على نسبة الذي بالكل، والذي بالخمسة، والذي بالأربعة، والذي هو زائد جزءٍ[5]، ثم لا يحس بعد ذلك. وإنما قال [جالينوس][6] ذلك، لأنه جعل الحدّة والثقل [اللتين في النغم][7] بمنزلة الصلابة، واللين اللتين في النبض والسرعة والإبطاء في النبض بمنزلة الأزمنة التي تخلل النقرات والقوة والضعف] كالنسبة التي بين المقادير الموسيقارية، واختلاف حركات النبض، وانتظامها كتنافر النغم، وتوافقها. وإذ قد تقدمت المعرفة بجملة من أحوال النبض فنقول: إن النبض السريع يعنون به الذي تتمُّ حركة الانبساط منه في زمان فيصير أقصر من المعتاد[8]، أو بالقياس إلى

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) في (ب) فوهتي السم.

(٣) في (ب) أن تكون بين.

(٤) في (ب) باحوال خفية من أمر.

(٥) في (ب) يدخر رابعاً.

(٦) زيادة من الأصل وفيها: قَلَّلَ وجالينوس هو طبيب وفيلسوف يوناني له مؤلفات جليلة في الطب انظر تاريخ الحكماء: ١٢٢ فما بعدها.

(٧) زيادة من الأصل.

(٨) في (ب) الميعاد.

الاعتدال. والمتواتر هو القصير زمان السكون الذي بين حركتي الانبساط الأولى، والثانية. فهذا معنى قوله السريع والمتواتر، والفرق بينهما[١].

الصورة والمادة:

قوله: ثم عطف إلى صاحب العلوم الطبيعية فقال: أيما أقدم الأسباب المادية أو الصورية؟

بيان هذا المطلوب يستدعي تعريفَ الأسباب وعدتَها. فنقول: من الأشياء البيّنةِ التي لا يُحتاج في تصورِها إلى الإبانة عنها بحدّ، ولا رسمٍ الوجودُ، وذلك هو أعمُّ[٢] الأشياءِ كلِّها فليس له إذاً جنس، ولا فصلٌ. والحدُّ إنما يأتلف من الجنس والفصل، ولا يمكن أيضاً أن يكون له رسمٌ إذْ غايةُ الرسمِ تعريفُ الخفيّ بالواضح، فلا شيءَ[٣] أوضحُ من الوجودِ، ولا أشهر فيعرف الوجود به.

فقد تبين من هذا أن الوجود يحصل في العقل تصوُّرُه تصوراً أولاً سابقاً وإذا تُصوِّرَ فلا محالةَ أن يُتصوَّرَ الوجودُ مفتقراً إلى محلٍ، أو غير مفتقر إلى محل[٤]، أما أن يكون ذلك المحل مقوَّمَ الذات مُتصوَّرَ الوجود من غير افتقار إلى ذلك الحال أو مفتقر، والذي هو مفتقر. فاما أن يتبدل حقيقة عند حلول الحال به أو لا يتبدل حقيقة عند حلوله به، ولا تتغير ماهيته كالسَّواد للثوب، والحُمرةِ في الخجل[٥]. وهذه الحال تسمّى عرضاً[٦]. والمحل الذي تحلُّ به يسمى موضوعاً، فيكون معنى

---

(١) حدث خلط في ورقتين من نسخة (ب) من قوله أول الفقرة بمنزلة الصلابة إلى آخر الفقرة أقحمت في وسط الورقة التي تليها مع القوى الذاكرة.

(٢) في (ب) وذلك الوجود أعم الأشياء.

(٣) في (ب) ولا.

(٤) في (ب) والذي يتصور مفتقر إما أن.

(٥) في (ب) للخجل.

(٦) في الأصل صرعاً، والتصويب من (ب).

العرض ما يُحَلُّ به في موضوع. وأما أن يكون الحال إذا حلَّ في المحل تدل حقيقته عما كانت عليه كصورة الانسان التي إذا حلَّتْ في النطفة غَيَّرتْها عما كانت عليه، وصورة القارة[1] إذا حصلت في الطين أحالته عما هو عليه. وتسمى الحال من هذا صورة، والمحل هيولي فيكون على هذاالمثال الرصاص[2] موضوعاً كصورة الآنية المعمولة منه وهيولي الصورة المرداسنج[3] فقد علم من هذا أن كل جسم مركب فعن هيولي وصورة. والذي يكون علة[4] لوجود الشيء يكون سبباً. فالأسباب الأول للأجسام الطبيعية سببان وهما: الهيولي والصورة. والهيولى[5] الأولى لجميع الأجسام الطبيعية تسمى مادة، و يلحق جميع الأشياء الكائنة سببان آخران هما الفاعل، والغاية.

[فالغاية هي السبب الذي لأجله كان الشيء. والفاعل هو السبب الذي يفيد الهيولي الصورةَ، فالأسباب إذاً أربعة: المادة، والصورة، والغاية][6]، والفاعل منها سببان خارجان عن الشيء، وهما الفاعل والغاية[7]، وسببان في الشيء وهما المادة والصورة.

ولما كان التقدم يكون[8] على أنحاء كثيرة فمنه ما هو تقدم في المعرفة، ومنه ما هو تقدم في الوجود والطبع، وأشياء أُخر قيل في المادة أنها أقدم من الصورة إذ كان

---

(١) في النسختين: الفارة.

(٢) من هنا إلى آخر الفقرة أقحمه الناسخ في نسخة (ب) في سياق حديث المؤلف عن النبض وحركة الشرايين.

(٣) كذا في الأصل في النسختين.

(٤) في (ب) عنه الشيء يسمى.

(٥) في (ب) الأول وفي الأصل بجميع.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٧) في (ب) الغاية والفاعل.

(٨) الأصل: يقال.

وجودها سابقاً لوجود الصورة. وقيل في الصورة أنها أقدم في المعرفة والعِلِيَّةِ، لأنها آكدُ أسباب الشيء، ولولاها ما كان. والمعرفة أسبق إليها من المادة، فإذا كان هذا هكذا فلا ينبغي إذاً أن يقال في المادة أنها أقدم من الصورة [ولا في الصورة أنها أقدم من المادة][1] قولاً مطلقاً حتى يتبين جهة التقدم.

حركة الفلك:

قوله: وبماذا يدل على أن حركة الفلك دورية[2].

أماالدليل على أن حركة الفلك دورية فهو[3] من عدة جهات، منها أن الحِسَّ يشهد بوجود حركةٍ مستقيمةٍ، وهي حركةُ الاسطقساتِ التي تَقَدَّمَ بيانُها. والحركة المستقيمة تحدُّ جهتين مختلفتين، فيحصل من ذلك أن احدى الجهتين وهي التي ليست إلى الوسط تسمى محيطاً، والأخرى تسمى مركزاً. فالمحيط هو الفلك، ومحالٌ أن تكونَ له حركةٌ مستقيمةٌ، إذْ لو كانت له حركة مستقيمة لم يكن محيطاً، ولا استدعى وجودَ محيطٍ غيرِه. ومن ذلك أنهم رأوا الكواكب الأبدية الظهور تدور أبداً في دوائر كلّما قَرُبَتْ من نقطَةٍ ما بعينها في الفلك كانت أصغر، وما لم يكنْ أبديَّ[4] الظهور من الكواكب فإنه يطلع في كلّ يومٍ من المشرق، ويغيب في المغرب، ووجدنا الزمان الذي منذ طلوعها إلى حين توسطها السماء مساوياً[5] للزمان الذي من لدن توسطها السماء إلى حين غروبها، وأقدارها على حالة واحدة في العِظَم. وما كان من هذه الكواكب التي تطلُعُ، وتغيبُ أقرب إلى الكواكب الأبدية الظهور، فهو أقل مكثاً[6]

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب) دورته.

(٣) في (ب) وهو.

(٤) في (ب) أبداً.

(٥) في (ب) مساو.

(٦) في الأصل ممكناً والتصويب في (ب).

في الغيبة [وقد بين][1] اوطوقس[2] في كتابه في الأُكُر المتحركة أن هذا من خواصها، ولو كانت حركة الكواكب مستقيمةً للزم أن تُرى في الآفاق أصغرَ قدراً منها عند توسط السماء، إذ كانت تكون أعظمَ بُعْداً. وكلُّ جسمٍ فإنه يُرى على البعدِ أصغرَ قدراً منه على القرب، فلما كانت أقدارُها لا تختلف في العِظَم عُلِمَ أنَّ أبعادَها من الناظر متساوية[3] فحركتها إذاً كروية. وبالجملة فإنهم وجدوا جميعَ الأشياءِ الظاهرةِ من أحوال السماء والكواكب موافقةً للأشياء اللازمة عن الحركة الدورية. ولما أجروا الأمرَ في الإرصاد بذوات الحَلَقِ[4]، وغيرها على أن السماءَ كُريَّةُ الشكلِ مستديرةَ الحركة. وجعلوا محيطاتِ دوائرَ ذواتِ الحلَق مقام الدوائر التي عليها حركاتُ الكواكب، ووجدوا ما ظهر من نتائج ذلك موافقاً للحقيقة علموا أنَّ ما فرضوه من أنها كرة دورية الحركة حقاً[5]، ولو لم يكن ذلك لأفضى بهم العمل إلى خلاف ما يظهر. فهذا وأسبابه من الأدلة التي أوجبت عندهم أن حركة السماء كرية دورية.

قوى الإنسان الظاهرة والباطنة:

رجع قوله: وبأي شيء تردُّ على من زَعمَ أن النُطقَ تابعٌ للنفس الحيوانية.

بيان هذه المسألة يستدعي فناً من العلم وَعْر المسلكِ، كثيفَ الحجابِ، عَسِر الانقياد إلاَّ على مَنْ استعدَّ له بالارتياض، وتأهَّب بجودة الفكر، وخلو البال،

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) لعله أو طولوقس، وهو مهندس رياضي يوناني مشهور ذكر القفطي أن له تصانيف متداولة بين العلماء انظر تاريخ الحكماء ٧٣ والاكر لغة في الكرة. وكذا الكتاب الذي ذكره القفطي لأطولوقس.

(٣) في (ب) فإذا كانت أبعادها في كل موضع من الاسم متساوية وبالجملة.

(٤) ذات الحلق: هي حلق متداخلة آلة يرصد بها الكواكب. مفاتيح العلوم ١٣٦.

(٥) في (ب) حق.

وحسبُك أنه مطلبُ الأولين والآخرين، والبحر الذي لعبت أمواجه بالسالكين فمن غريق في ظلم الجهالة لا تُرتجى نجاتهُ، ومتعاطٍ للسباحة فيه قَصُرتْ به العَبْرَ[١] آلاتُه، وملطوفٍ به قد أخذ التوفيقُ بيده، ورفعَه عن مركز الضلالة إلى محيط الهداية، فتعلق بسفينة[٢] الفوز باليقين، وأصبح من الآمنين الذين لاحظوا الحقائق بعين البصيرة، وجلوا رين[٣] الشك عن السريرة، فاستهانوا ما استعظمه الجاهلون، واستسهلوا ما استوعره الغافلون، اولئك الأقلون عدداً، والأعظمون مجداً. ولولا ما سبق من إسجالي على نفسي الإجابة إلى محبوبك والانتهاء[٤] إلى مطلوبك لكففت عنان القلم عن الجماح[٥] في هذا الميدان، ولم أقدم على مأزق يحجم عنه إبطال الفرسان، وهو الكلام في النفس الإنسانية، والتمييز بينها، وبين النفس الحيوانية، وناهيك مشرعاً نكب عنه الواردون، وحمة[٦] تناذرها الراقون، إذ كان منوطاً به حقيقة الثواب، والعقاب، وعلم المبدأ والمآب، ولذلك لم يُرْجَ اتفاقُ الخلْق فيه على حدٍ يقع الإقرارُ به، وتخضع الأنفس بالتسليم له، وحسبك على ذلك دليلاً قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[٧]، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٨]، وهذا وإن كان ظاهره ردعاً وزجراً[٩] فهو تنبيه على صعوبة علم النفس، وقد[١٠] ظن قوم أنه جواب مقنع عن حقيقتها، ولعل ذلك

---

(١) العبر والعبور قطع النهر أو البحر.

(٢) في (ب) سفينة.

(٣) في (ب) رين. الرين الصدأ والغشاوة تغشى القلب.

(٤) في (ب) والابتهال.

(٥) في (ب) الاحماح.

(٦) الحمة: المنية، والراقون جمع الراقي الذي يعود بالرقية.

(٧) من الاية ١٢٢ من سورة النساء.

(٨) من الاية ٨٥ من سورة الإسراء.

(٩) في (ب) وزجراً عن التعرض.

(١٠) في (ب) وقد.

صحيح[1] فإن أسرار القرآن وعجائبه[2] أكثر من أن تحصى. وقد أشرت إلى نُبَذٍ من ذلك عند ذكرنا تأويل القرآن الكريم، ولعلك تتشوّق[3] إلى علم السر المودع هذه الآية، وموقع[4] الجواب فيها إلا أنه ليس يمكن ذلك إلا بعد شرح أمر النفس، وتبيين أحوالها. فلنبدأ به إذ كان المقصود.

ونشرع أولاً في تبيين عدد القوى على الإطلاق فنقول: إنه لا مرية بين العقلاء في أنَّ بعضَ الأجسام متحرك، وبعضها ساكن[5]، وإنَّ المتحركة منها إنما تحركت بمعنى زائد على الجسمية، [إذ لو كانت إنما تحركت بما هي أجسام للزم أن يكون كل جسم متحرك فإذا حركها بمعنى زائد على الجسمية][6] ثم[7] وجدت حركة الأجسام الكائنة الفاسدة التي ليست بقسرية[8] تنقسم إلى قسمين:

حركة تكون للجسم على عنصره، ومحله كحركة الثقل[9] إلى جهة المركز التي جرت عادة كثير من الناس أن يسميها أسفل، وحركة الخفيف إلى جهة المحيط التي جرت عادتهم بتسميتها فوق. ولا توجد هذه الحركة مفتّنةً، ولا خارجةً عن وتيرة واحدة فلتسمَّ حركة طبيعية.

والحركة الثانية[10] حركة الأجسام إلى الجهات المختلفة أما بالنمو أو بالحركة المكانية ولتسمَّ هذه الحركة حركة نفسانية [ثم وجد من الأجسام ماله هاتان

---

(١) في (ب) إذ كانت أسرار.

(٢) في (ب) وعجابه.

(٣) تتشوف: تتطلع.

(٤) في (ب) ومواضع.

(٥) في (ب) المتحركة وبعضها ساكنة.

(٦) زيادة من الأصل.

(٧) في (ب) ولما وجدت.

(٨) في (ب) بعشرية.

(٩) في (ب) الثقيل.

(١٠) في (ب) الثابتة.

الحركتان جميعاً وما ليس له حركة النمو][1] نفساً حيوانية.

ولما كان كل مركب يعرض[2] للتحلل والفناء بآخره تكفلت العناية الإلهية بما يخلف المتحلل من الأجسام النباتية والحيوانية، فخلف لها القوةَ الغاذيةَ[3]، والمنمّية ثم إذا بلغت إلى غاية النماء، وإذنت بالفناء أبدلها بالقوة المنمية القوةَ المولِّدة لتكونَ لما يفقد منها عِوَضٌ، وبدلٌ يقوم مقامَه، فكأنَّ القوةَ الغاذيةَ خادمةٌ للمُنمِّية، والمنمّية خادمةٌ للمولدة، والقوةُ الغاذيةُ مستخدمةٌ لأربع[4] قوى، وهي [الجاذبة و][5] الخادمة والماسكة والهاضمة، فالقوة الجاذبة هي التي بها يجتذب النبات [ما يغتذي به][6] ما يلائمه من جواهر الاسطقسات ثم تحفظه القوة الماسكة إلى أن تهضمه القوة الهاضمة فيحيل[7] ما استحال منه إلى الجسم المغتذي، ويدفع القوة الدافعة فضلة ما، ولا فائدة فيه.

وهذه القوى مشتركة بين النفس النباتية والحيوانية، وتنفرد النفس الحيوانية بقوتين [أخريين][8] أحدهما المدركة والأخرى المحركة، وذلك أن الحيوان لما كان مفتقراً في أن يحصلَ[9] كمالُه وبقاؤه إلى ضرب من الاكتساب لم يكن للنبات مثلُه خُلقٌ له من القوة المدركة ما تدرك منافعه من مضاره، ومن المحركة ما تبعثه على مصالحه.

---

(١) زيادة من الأصل.

(٢) في الأصل بغرض.

(٣) في (ب) العادية.

(٤) في (ب) لأرفع.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٦) زيادة من الأصل.

(٧) في (ب) فيحيل.

(٨) زيادة من الأصل.

(٩) في (ب) في تحصيل كماله وبقائه.

وتنقسم القوة المدركة إلى: [عشر قوى خمسٌ منها باطنة و][1]، وخمس ظاهرة. أما القوة الظاهرة فهي قوة اللمس، والذوق، وقوة البصر، وقوة الشم[2]، وقوة السمع.

أما قوة اللمس فإنه لما كـان الحيـوان متحركـاً متنقـلاً[3] وهـو بعـرض مصادفـة المهالك والمخالف[4] عند التنقل، وملاقاة الأشياء الضارة والنافعـة جعلـت لـه قـوة اللمس[5] ليدرك بها ما يلائمه فيأتيه[6]، ويهرب من غير الملائم [ووجه][7] إدراكهـا يكون بقبول الآلة الجسمانية كيفية الملمـوس، ليكيفهـا بـه، فيـدرك الحـار والبـارد، والرطب، واليابس، والخشن، والأملس، والصلب، واللين، ولا يدرك شيئاً من ذلك حتى تكون كيفيتها[8] مخالفة له.

مثال ذلك: أنها لا تدرك الحار إذا كانت حرارتها مساوية لحرارته، وكلما بعـدت كيفيتها من كيفيتهِ كان إدراكها أعظم وأقوى.

وتلي قوة اللمس قوة الذوق، والحاجة إليها في إدراك الملائم من الأغذية من غير الملائم، ومنفعتِها، والتي قبلها ضرورة في الحياة[9]، وليست الباقية بضرورية.

ووجه إدراك هذه القوة يكون باستحالة الرطوبة التي على الآلة التي هي اللسـان إلى الطعم الوارد عليها فتدرك منه حالتين تسمى إحداهما بـالحلاوة[10]، والأخـرى

---

(١) زيادة في الأصل.
(٢) كتبت بخط الناسخ في هامش الأصل.
(٣) في (ب) مستقلاً.
(٤) في (ب) والمخالف.
(٥) في (ب) القوة اللمسية.
(٦) في (ب) والمخالف.
(٧) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(٨) في (ب) كبقيتها.
(٩) في الأصل الحاه.
(١٠) في (ب) بالحلاقة.

بالمرارة وبينهما متوسطات وهي: الحموضة، والملوحة، وغيرهما.

وقوة الشم: تلي قوة الذوق في الاضطرار إليها؛ إذْ كانت الروائح أيضاً تدل على الملائم، والموافق من الأطعمة، وأنت تعلم[(١)] مسيس حاجة الحيوان إلى اختبار المأكل إليها بما تشاهده من شمّه[(٢)] ما يريد أن يطعم قبل تناوله، فربما دلته قوة الشم منه على أنه غير ملائم فيتركه، وربما دلته على ملاءمته فيطعمه. وإدراك هذه القوة أيضاً يكون باستحالة الهواء الراكد الذي في الخيشوم[(٣)] ومحله الزيادتين اللتين فيه، فتدركه القوة الشامة، ولا يلزم أن تكون أجزاء ذي الرائحة مختلطة بالهواء بل، أن يستحيل الهواء أو غيره من الأجسام اللطيفة المجاورة لذي الرائحة وتدركها قوة الشم عند ذلك. ولو كان إدراكها بانتقال أجزاء ذي الرائحة لم يمكن أن تشم رائحة من المدى البعيد لما يعرض لتلك الأجزاء من الافتراق، وذهاب الريح بها، ونحن نرى السباع من الطير والوحش[(٤)] التي تغتذي الجيف وغيرها من الحيوانات قد لا تكون في بعض المواضع التي فيها أغذيتها فما[(٥)] هو إلا أن تحدث بها جيفة. وقد انتقلت إليها في أقرب وقت.

ويزعم اليونانيون أن الرخم إذا انتقلت عندهم إلى موضع لم يكن فيه رخم قط[(٦)] على [عدة فراسخ يكون] مقدارها مائتا فرسخ لحدوث ملحمة هناك، وقتلى كثير.

ثم القوة الباصرة، وهي القوة الشاقة في المنفعة، إذ كان الحيوان المتنقل مدفوعاً إلى مصادفة المهاوي، والمياه، والنيران المهلكة، وغير ذلك، فاحتاج إلى القوة الباصرة

(١) في (ب) تعرف.
(٢) في (ب) شم الحيوان.
(٣) في (ب) الخشوم.
(٤) في (ب) من الطيور والسباع.
(٥) في (ب) فما هو.
(٦) في (ب) فقط.

ليجتنب المواضع غير الموافقة قبل أن تهجم به الحركة [عليها][١]. ووجه إدراك هذه [القوة][٢] يكون بانطباع شبح الشخص المبصر في الرطوبة الجلدية كما تنطبع أشخاص الأجسام في المرايا [والأجسام الشفافة][٣]، فتدركه حينئذ القوة الباصرة بتأييد إلهي، ولو أن للمرآة نفساً لأدركت الخيالات المنطبعة فيها. وقد ذهب قوم إلى غير هذا الرأي[٤]. وذكروا أن إدراك هذه القوة بنحو آخر. وكثُر اختلافُ مَنْ ينظر في أمر الحواس في هذا الباب، فذهب قوم إلى أنَّ الإبصارَ إنما يكون بأن ينفصلَ من ثُقْبِ العين[٥] شعاع على شكل مخروط إلى أن يتصل بالشخص المرأي فتقع عليه، وليس ذلك حق، إذ لو كان ذلك لكان الإبصارُ لا يتعذرُ في الظلام، لأن خروج الشعاع من العين لا يمنعه الظلام. وأيضاً فالشعاع عرض لابد له من حامل، فإن كان محمولاً على العين فمحال انفصاله، إذ قد تبين أنَّ الأعراض لا تنتقل، وإن كان قوامُه[٦] بجسم آخر منبعثٍ من العين، فينبغي أن لا تبصرَ العين ما تحت الماء الصافي إذ الجسم اللطيف لا ينفذ في الجسم الكثيف. فجميع ما يفرض في إدراك البصر على غير الجهة المذكورة فبين محاله.

وتلي القوةَ الباصرة القوةُ السمعية، ويستدل أيضاً بها على الأشياء النافعةِ والضّارةِ من جهة أصواتها. وهذه القوة في سائر الحيوان أقوى منها في الإنسان، واعتماده عليها أعظم من اعتمادِه على القوى [الأُخَر][٧] ووجه إدراكها أنّ الجسم إذا قرع جسماً آخر قرعاً بقوة[٨] وانفلت الهواء الذي بينهما بشدة فصاكّ[٩] الهواءَ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب). وفيها الغير موافقة.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) ما بين القوسين زيادة من (ب). وفيها أشباح الأشخاص.
(٤) في الأصل: النحو.
(٥) في (ب) العينة. وفي الأصل العنبية.
(٦) في (ب) بجسم الجسم.. لا ينفذ في الجسم وجميع.
(٧) زيادة من الأصل. وفي (ب) سائر القوى.
(٨) في (ب) القوى.
(٩) في (ب) فصال أجزاء من الهواء المجاورة.

المجاورَ له، ودفعه. ولم يزل الهواء يتدافع إلى أن يصل الهواء إلى [الراكد][1] في تجويف الصّماخ[2] فتنفعل به، ويصاكّ[3] العَصبة الممتدة في أقصى الصِّماخ[4] الموضوعة عليه وضعَ الجلد على الطبل فيحصلَ فيها طنينٌ يكونُ منه السمعُ. فهذه هي الحواس الظاهرة[5].

[وأما الحواس الباطنة][6] فهي أيضاً خمس: الحس المشترك، والقوة المتصورة[7] والقوة المتخيلة، والقوة الوهمية، والقوة الذاكرة.

فأما الحس المشترك فاستُدِلّ على وجودِه بأنَّ كلَّ واحد من الحواس الخمسِ [الظاهرة][8] يدركُ نوعاً من المدركات فمتى لم يكن لها قوة يجتمع إليها حاصل مدركاتها فتصير عندها كصورةٍ واحدةٍ لم يحصل[9] التمييز بين شيئين مختلفين، فيعلم أن الحلاوة غير السواد، والحرارة غير الصوت، إذ لا يقع الفرق بين شيئين إلا بعد معرفتهما جميعاً. وكان يلزم أيضاً أن تُعرَفَ للشيء الواحد صفتان إلا أن يكون للقوى ما يجمعها، ويؤدي إليها مدركاتها، فتدرك العينُ من جسمٍ ما أنه أصفر، ويدرك الذوقُ أنه حلو، ويدرك اللمسُ أنه رطب، فيحصل لنا إن هذا الشيء الواحد أصفر رطب حلو. فبهذا[10] يتبين وجود[11] القوة التي هي الحسُّ المشترك،

(١) زيادة من الأصل.
(٢) في (ب) السماع، فتنفعل بانفعاله.
(٣) زيادة من الأصل وفيها: وتصاك.
(٤) في (ب) السماخ، والصماخ والسماخ: الخرق الباطن الذي يفضي إلى الرأس وقيل هو الأذن نفسها لسان العرب مادة (صمخ).
(٥) في الأصل: الباطنة.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٧) في (ب) المنظورة.
(٨) زيادة من الأصل.
(٩) في (ب) لما وقع.
(١٠) في (ب) فهذا بين.
(١١) في (ب) كلمة غير مقروءة.

ويُعلَمُ أنها زائدة على الحواس الظاهرة[1]، [وأنها غير الحواس الظاهرة. ولو كانت من الحواس الظاهرة] لبطل فعلُها عند النوم والإغماء كما يبطل فعل تلك أيضاً[2]. ولما كان القبول غير الحفظ ووجدتْ هذه القوة تقبلُ الصورة، وتبقى محفوظة[3] سميت القوة الحافظة للصورة التي يستفيدها الحس المشترك في الحواس الظاهرة القوة المتصورة[4]. وقد يسمى الحس المشترك أيضاً بهذا الاسم لكون هذه القوة كالمضافة إليه، والخزانة[5] له.

أما القوة الوهمية فهي التي تدرك من المحسوسات أشياء أخر [غيرها كما تدرك الشاة عداوة الذيب، وليس ذلك بالحواس الظاهرة، ولا بالمتصورة، بل هذه القوة. وهي التي يقع بها الخوف والحذر، وما جرى مجراها، وهي في الحيوان غير الناطق كالعقل للحيوان الناطق.

وأما القوة الذاكرة فهي التي تحفظ ما تدركه القوةُ الوهميةُ كما كانت المتصورة هي التي تحفظ[6] ما في الحس المشترك، فيكون أيضاً لها كالخزانة المشتركة، لأن القوة المتوهمة والذاكرة تختصان بالمعاني، والحس المشترك والمتصورة تختصان بالمحسوسات وبيّنٌ أنَّ هاتين القوتين غير تينيك.

وأمّا القوة المتخيلة فهي قوةٌ شأنُها التفتيشُ عمّا في خزائن الحسّ والوهم من المعاني، والصُور، وتركيبُ بعضها على بعض أو بعض بعضها من بعض، فيكون منها في اليَقظة التخيلاتُ، وفي النوم] المناماتُ، وشأنُها أبداً المحاكاةُ بما يشبه الشيءَ لا الاختراع، فإذا ثبت في الوهم تقسيم معنى حاكته بشجرة متفرقة الأغصان، إذ

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب).
(٢) في الأصل وايضاً.
(٣) في (ب) وجدت هذه القوة يقبل.. ويحفظها.
(٤) في (ب) المصورة.
(٥) في (ب) والحرابة..والصفحة كلها غير منقوطة.
(٦) من هنا إلى آخر المخطوط تغير خط الناسخ، وكثير من الكلمات غير منقوطة.

نبت فيه شيء مرتب على مراتب حاكته[1] بمراقٍ، ودرج، وأشباه ذلك.

ومن هاهنا وُضِعَ علمُ العبارةِ لطلب معرفةِ ما تشبهه القوة المتخيلةُ مما يُرى في النوم [وربما حاكت ما في المزاج، فيرى الزاني في منامه الأشياء الحُمْرَ، وما جانسها، ونعلم غَلَبَة الخلط الدموي على مزاجه، وإن رأى ماءاً وبخاراً، وأمثال ذلك علم أن الخلط البلغمي غالب على مزاجه، وكذلك ما في الأخلاط][2]. واستدل على أن سلطان هذه القوى الدماغ، ببطلانها أو بعضها عند وقوع الآفات به، أو ببعضه فالوهمية والذاكرة في مؤخرة الدماغ، والمشتركة والمتصورة في مقدم الدماغ.

فهذه جميع القوى الظاهرة والباطنة، وهي بجملتها آلات النفس، وخدم لها بالحواس الظاهرة أمثال الجواسيس التي تتصيدُ[3] الأخبار، وتنهيها. والحس المشترك مثال صاحب البريد[4] الذي تجتمع عنده أخبارُ الجواسيس، والمتصورة كالكاتب الحافظ لذلك، والمتوهمة كالوزير الذي تعرض عليه خلاصةُ الأخبار، ومهماتُها. والمتخيلةُ كالرسول الذي بين الوزير، وصاحب البريد. والذاكرةُ ككاتب الوزير الحافظ لما نُهي[5] إليه والنفس [الناطقة][6] كالملك الذي هذه كلها مسخرةٌ في خدمته، ومتصرِّفةٌ على إرادته. فهذا ما أردنا ذكره من أمر النفس الحيوانية، وبقي علينا أن نبين ما النفس الناطقة؟ و[ما] المراد بقولهم النطق؟ لنبين بذلك الغرضَ الذي قصدنا إليه فنقول:

إنَّ من البيّن أنَّ في نوع الإنسان قوةً ما زائدة على القوى التي ذُكِرت للنفس الحيوانية، وهي التي بها تُدرَكُ الكليات العامة، وذلك أن الإنسانَ قد يُدرِك بالحس

---

(١) في الأصل حاكيه، وفي (ب) حاكيه.

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ب) وساقط من الأصل.

(٣) في (ب) تقتنص.

(٤) صاحب البريد كان عيناً للدولة يكتب أخبار الولاية التي هو فيها، ويرسلها إلى الديوان.

(٥) في (ب) ينتهي.

(٦) ساقطة من (ب).

أنَّ جسمين بعينهما لا يحلان في مكان واحدٍ فيمنع[1] ذلك تصديقه بأنَّ كلَّ جسمين لا يحلان في مكان [واحد ويشاهد][2] كلاً منها أعظم من جزئه[3]. ويمكنه على مثال ذلك أن يستنبط من العلم [بالمقدمات][4] العلم بالنتائج، ويؤلفَ الأقيسةَ، ويفرّقَ بين ما هو برهان مؤدٍ إلى اليقين وما ليس كذلك، وما يوقع [سكون النفس وغير ذلك من أنحاء التصديقات كالنتائج الشعرية، والسفسطائية وغير ذلك][5]. ويقتدر على استنباط الصنائع الخفية. وبالجملة سائر الأشياء الإنسانية التي يحجب عنها كل حيوان[6] غير الإنسان كالعلوم الرياضية، والعلوم الإلهية، وسائر الصنائع[7] النظرية فيميز بينهما بفكرة، وروية وتأمل. ويعلم من ذلك أن بالإنسان[8] قوةً زائدة على قوى الحيوان بلغ بها إلى هذا الحال، ويسمى النطق. فنقول إن هذه القوة وإن استعانت بالقوى الحيوانية في بعض الأحيان[9]، فإنها غير محتاجة إليها ولا تفتقر إلى إعانتها[10] في سائر الأوقات، بل تدرك مدركاتها مجردة عن المواد، فلا يحتاج فيها إلى استخدام الحواس. وهذا هو موضع السؤال في قوله: بماذا تردُّ على من زعم أن النطق تابع للنفس الحيوانية؟ أي إن القوة الناطقة هي مطيَّةُ اختلافِ الخلْق، ومزلَّةُ أقدامِ أهلِ النظر عن سُنَن الحق، وقد ترجحت فيه الأقوال، وكثر بسببه الجدال. فزعمت طائفة من قدماء الفلاسفة أنَّ النفس أمرٌ كُلّيٌ عامٌ، وإنه يفيض[11] على

(١) في (ب) فيتبع.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب) وفي الأصلين كلاماً أعظم.

(٣) في (ب) جزء.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في الأصل التي ليست توجد لبني من الحيوان.

(٧) في (ب) وسائر النظرية .. بفكرة ويعلم.

(٨) في الأصل، وفي (ب) الإنسان.

(٩) في (ب) الأحوال.

(١٠) في (ب) إعامها.

(١١) في الأصل يقبض.

الأجسام فيضَ الشمسِ على ما يقعُ عليه[1] شعاعها، فيعطي كل مادة قدر استحقاقها، وأنها ليست حالة في الأجساد، وإنما هي مؤثرة فيها لضرب من المناسبة كما يفعل المغناطيس في الحديد، وليس أحدهما حالاً[2] في الآخر، وأنها لا تزال مؤثرة في الجسم ما دام مستعداً لقبول الأثر. فإذا فسد استعدادهُ بَطُلَ فعلُها فيه كما يبطلُ فعلُ المغناطيس في الحديد عند فساد الحديد، أو تغيره [بما يلقى عليه من النور، وغيره][3].

وزعم آخرون أن النفس عرض، وأنها تحدث مع اعتدال المزاج، فإذا اختل المزاج، وفسد نظام الجسم[4]، عدمت النفس.

وذهبت طائفة أن النفس هي الدم، وأنها جسم، واحتجوا في ذلك بأقاويل خطابية[5]، وشعرية ولغوية. وجروا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ في لغة العرب إذ يقول شاعرهم[6]:

تسيل على حَدّ الظُّباتِ[7] نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل

وبظاهر[8] قول رسول الله ﷺ: لا بأس بمن ليس له نفسٌ سائلةٌ تموتُ في الطّعام،

---

(١) في (ب) على ما يقع شعاعها عليه.

(٢) في الأصل حال وهو خطأ.

(٣) في (ب) وتغيره، وما بين القوسين ساقط من (ب). وإذا كان يقصد بالنُور النّورةَ فهي حجر يحرق ويصنع منه الكلس. انظر السامي في الأسامي: ١٤٦.

(٤) في (ب) وصلاحيته.

(٥) في (ب) خطأية.

(٦) هو السموأل كما ورد البيت في ديوانه ٩١.

(٧) في الأصل الضباه. وفي لسان العرب (نفس)، تسيل على حد الظبات.. وليست على حد الظبات تسيل. وله أو لعبد الملك بن عبدالرحيم الحارثي في شرح ديوان الحماسة ١١٧ للمرزوقي. انظر المعجم المفصل ٦/ ٣٣٢.

(٨) في (ب) وبقول.

أي بما ليس له دَم[1]، وأقاويل أخرى لا يحصى عددُها كثرةً. وهم مع ذلك مختلفون في حالها بعد فساد الجسم اختلافاً كبيراً. فطائفة منهم تزعم أنْ لا وجودَ للنفس بعد الموت، ولا البدن أيضاً. وهؤلاء هم الملحِدةُ [المعطّلة][2] وليس لهم على ما يدّعونه من برهانٍ مُتَّبع، ولا قول مستمَعٌ، وفي إقامة البرهان على [صحة][3] ما ذهب إليه مخالفوهم بيانٌ لفساد دعواهم[4] [وذهبت طائفة أخرى إلى أن الأبدان هي التي تُبعَثُ بعد الموت نفسُها. وذهبتْ أخرى إلى أن النفوسَ هي التي تُبعَث دونَ الأبدان][5] وذهبت طائفة أخرى إلى أنَ النفوس والأبدان تبعثان معاً[6].

والقائلون ببقاء[7] النَّفس أيضاً على اختلاف كبير. فمنهم من يقولُ أنْ أنفُسَ الناسِ على ثلاثةِ [أقسام: فريق بَرٌّ مؤمن وهو يُثابُ بخلود، أو مؤمن فاسق وهو بين أن يعاقَب أو لا يُعاقَب، أو يعاقب وقتاً ما، ثم يثاب بعد ذلك.

وقال آخرون: لا يخلد[8] في العقاب مؤمن لا وكافر.

وقائل: أنه لا يخلد أيضاً في الثواب مؤمن، ولا كافر.

وقوم يقولون: إنَّ النفس تعود إلى البدن بعد الموت، وإنَّ الثوابَ والعقابَ لهما جميعاً، ويكون ثوابُ النفس السرورَ والاطّلاعَ على عالم الملكوت، وإدراكَ حقائق الموجوداتِ، وذلك هو كمالُها، ولذّتها التي هي في حقها أعظمُ من اللّذات الجسمانية عند الحواس. وثوابُ الجسم باللّذات المحسوسة الجسمانية، والعذاب لهما

(١) في حديث النخعي: كل شيء ليست له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا سقط فيه. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٣.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في الأصل دعاويهم.
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٦) في (ب) تبعث جميعاً.
(٧) في (ب) تبقى النفس.
(٨) الصفحة غير منقوطة الحروف.

أضداد ذلك، وهذا الذي هو الحقُّ اليقين من بين سائر الآراء الأخر.

والذين ذهبوا إلى أن النفوسَ هي الباقيةُ بعدَ فناءِ الأجساد أوجبوا[1] الثواب والعقاب على حسب ما[2] هو للنفس مع الجسد.

ومن القائلين إنَّ النفس جسم. ومن يعتقدُ أن النفسَ هو[3] من عالم النور، وأن الجسم من عالم الظلمة، وأن سعادة النفس، ونعيمَها هو الخلاصُ من الجسد، ووصولُها إلى عالم الأفلاك وأنَّ الشقاوةَ هي بقاؤها في العالم المظلم وهؤلاء هم المجوسُ والمانويةُ، ومن يجري مجراهم.

وفرقة ترى أنَّ السعادةَ هي خلوصُ النّفسِ من الانفعالاتِ بالآثارِ الطبيعيةِ، وإنَّ الشقاوةَ ضدّ ذلك، وهؤلاء هم المحققون من الفلاسفة المعروفون بالمشّائين.

وفرقة تذهب إلى أن سعادةَ النّفس الانتقالُ من أجسامٍ متعبة مسخَّرة، مُهيأة إلى أجسام أعلى منها، وذلك بحسب درجات الشقاوة.

ومن هؤلاء من يرى أنها بآخرة عند بلوغها في التنقل إلى أشرف الأجسام تخلص عن ملابسة الدون[4] وإن ذلك غاية سعادتها. وهؤلاءِ كلُّهم أهلُ التناسخ، وهم أيضاً على فرقٍ كثيرة. ولو رُمْنا تعديدَ جميع الاعتقادات في النفس لاقتضى ذلك كتاباً مفرداً قائماً بذاته. وفيما ذكرناه كفاية. ونحن نتبع ذلك بحجج القائلين بإثبات بقاء النفس بعد الجسد مثابةً، أو معاقبةً على حسب ما تقَدَّم من عملِها، إذ كانت الآراءُ المذكورةُ تكاد ينحصرُ محصولُها في قسمين: فقسم منها يوجب بقاءَ النَّفَس بعد فراقِ الجسد، وقسم يوجب فناءها. والذين يثبتون عَوْد الجسم مع النفس ليسوا منكرين لبقاء النفس بل لا يسوغ أن يعتقدَ ذو تمييزٍ، ونظر ساد بغير ذلك. وأكثر ما

(١) في الأصل أرجو.
(٢) في الأصل ومومن.
(٣) في الأصل أعلافها.
(٤) الدون: الحقير.

ذكر من آراء القائلين بالتناسخ وأمثالهم، فإنما يفتح من رموز من الفلاسفة قصدوا بها ردعَ العوام بالأمور القريبة من أذهانهم؛ لأنهم رأوا أكثر الخلق[1] غير متهيئين لتصور المعقولات الخارجة عن سلطان الحس، فلا يفهمون اللذة العقلية، ولا النعيمَ، ولا الشقَاء إلاَّ ما كان جسمانياً فعرض من ذلك][2] أن قالوا: من غلبت عليه القوة الغضبية انتقل إلى سبع، ومن غلبت عليه القوة الشهوانية انتقل إلى خنزير، وكذلك في سائر الأخلاق النفسانية؛ لأن هذه القوى تؤثر[3] عند استحكامها، وغلبتها أفعال هذه[4] الحيوانات.

فاشتهرت هذه الآراء حتى صارت معتقدات القوم على أنها هي الحق نفسه، وليست كذلك[5].

فمن الأدلة التي استدل بها من رأى جوهرية النفس وبقاءَها أنَّ الإنسانَ يباين سائر الحيوانات بمعنى زائد على الحيوانية، يكون بإدراك المعاني الكليةِ المجردةِ عن المادة، ولنسم[6] العقل الهيولاني، والنفس الناطقة ومعنى النطق هو هذا الإدراك وبهذه القوة تحصل المعقولات الأوَل المدرَكة من غير تعلُّم، ولا طلبٍ، بل يجدُها الإنسانُ حاصلةً في ذهنه، ومعلومةً له منذ أول نشوئِه كأنَّها مولودةٌ معه، ولا يدري مع ذلك كيف حصَلْت، ولا من أين حصلت، وذلك مِثْل أنَّ المتناقضين لا يجتمعان، والكل أعظمُ من جزء، واشباهها، ولابد أن تكون لهذه المعاني حامل، فأما أن يكون جسماً أو عرضاً، أو شيئاً آخر ليس بجسم، ولا عرض. ومحال[7] كونه عرضاً؛ إذ العَرَض لا يحمل شيئاً. ومحال أن يكون جسماً؛ لأن الجسم منقسمٌ، والمعاني الكلية

(١) في الأصل الحق.
(٢) ما بين القوسين ورقتان ووجه ساقط من (ب).
(٣) كذا في الأصل ولعلها تشبه أو تناظر.
(٤) في (ب) تلك.
(٥) في الأصل لذلك.
(٦) في الأصل ولنسمي، وفي (ب) ولسم.
(٧) في الأصل و(ب) ومجال.

غير منقسمة أصلاً؛ إذ لو انقسمت لم يخل أن يكونَ لأجزائها معنى كلّها، أو لا يكون لها ذلك [فإن كان لها معنى كلها كانت محمولة على الأجزاء كحمل الأجناس على الأنواع، والأنواع على الأشخاص][1] ومحال أن يكونَ لكل معنى غير موجود في الأجزاء وأن يقول قائل أن ذلك المعنى يكون لكل عند اجتماع الأجزاء بعد أنْ لم يكن لها، فليس المعنى الموجود لكلٍ اذاً منقسماً، ولا هو لاحق للأجزاء عند اجتماعها. وبقي أن يقول قائل أن الصورة الكليةَ منقسمةٌ إلى أجزاء معنوية فتكون لها أجزاء كالأشخاص تحت النوع أو الأنواع[2] تحت الجنس. ثم عند اجتماعها يحصل المعنى الكلي. وذلك أيضاً محال، فضلاً عن أنَّ الأمر إنْ كان كذلك، فالانقسام غير عارض لها لما تحتها.

ولا يجوز أن يقال أنها منقسمة انقسام الحد والرسم، إذ لا يخلو من أن تكون هذه الأجزاء كلية أو شخصية [فإن كانت شخصيةً كان حدّ الأمر الكلي مُركباً[3] من أجزاء شخصية، وذلك محال][4]، وإن كانت كليةً فيتسلسل[5] ذلك فتكون صورة مركبة تركيبات[6] لا نهاية لها بالفعل، وذلك محال، أو تنتهي إلى صورة كلية غير منقسمة في ذواتها كالأجناس[7] الأول، وذلك أيضاً محال؛ لأن هذه لا تحل جسماً لامتناع القسم[8] عليها. فتبين من هذا أن الصورةَ الكليةَ غيرُ حالّةٍ في الأجسام، فليس النفسُ إذاً جسمٌ ولا عرضٌ[9] بل معنى آخر فلنسمِّه جوهراً بسيطاً. وأيضاً لو كانت النفس جسماً لامتنع في حقها العلم بالنقيضين، وذلك أن

(١) زيادة من الأصل ساقطة من (ب).
(٢) في (ب) أو للأنواع.
(٣) في الأصل مركباً.
(٤) ما بين القوسين زيادة من الأصل ساقطة من (ب).
(٥) في (ب) كحالة فإن تسلسل.
(٦) في (ب) مركبة من كليات.
(٧) في (ب) على الأجناس.
(٨) في (ب) القسمة.
(٩) في الأصل وفي (ب) جسماً، ولا عرضا.

الجسم لا يجتمع فيه المتناقضان[1]، والنفس إذا أدركت أحد النقيضين أدركت الآخر على المور، فيجتمع فيها صورة النقيضين معاً. وليس الجسم كذلك، فليست إذاً جسماً، وكيف يكون كذلك، ومن شأن القوى الملتبسة بالأجسام أن يدركها الضعف عند ضعف آلتها الجسمية.

والقوة العقلية تزداد كمالاً مع سنّ الشيخوخةِ، وإن كان الجسمُ في غاية الضّعف، فلو كانت ملابسةُ[2] الجسم ملابسَة القوةِ الحسية لضعفت عند ضعف الجسم كما تبطل القوة الباصرة أو تختل عند اختلال العين أو فسادها. وكذلك سائر القوى، وللزمها أيضاً ما يَلزمُ هذه من الضَّعف عند إدراك أخفى[3] مدركاتِها عَقِبَ إدراكها أعظمها وأبينها مفاجأة. وإذا طالت مدةُ احساسِها أو بطلانِها عند ذلك رأساً كما يكون من بطلان[4] السمع عند سماع الأصوات الهائلة أحياناً، وكما يكون من اقمرار[5] العين عند النظر إلى قرص الشمس، فلا يدرك ما كان نوره دون نورها إلا بعد حين.

والعقلية أقوى ما كانت على الإدراك إذا كدَّتْ في مدركاتِها. ومما يستدلون به أيضاً على قيام النفس بذاتها أن الصُورَ إذا حلَّتْ في الجسم انفعل بحلولها فيه. وبيّنٌ[6] أنَّ الجسم بذاته لا يلبس صورةً، ويخلعُ أخرى إذ الشيءُ الواحدُ لا يكون فاعلاً ومنفعلاً في حال واحد.

---

(١) في (ب) النقيضان.

(٢) في الأصل ملامسة.

(٣) في (ب) من ضعفها .. اخفاء.

(٤) في (ب) فساد.

(٥) في الأصل اقرار. والصواب من (ب) والاقمرار هو ذهاب البصر مؤقتاً من قولهم: قمر الرجل يقمر قمراً حار بصره في الثلج فلم يبصر.

(٦) في (ب) وتبين.

ومن خواص النفس الناطقة الانتقالُ من تصوُّرٍ وصورةٍ ما منتقلة[1] إلى أخرى، ولا يخلو أن يكون ذلك للنفس أو للجسم، أو لهما جميعاً. ولا يجوز أن يكون ذلك الجسمُ كما تَقدَّم، ولا أيضاً[2] بالشركة مع غيره لتلك العلة. فإذاً القسم الثالث وهو أنَّه فعلٌ للنفس فقط[3] وإذا كانت النفسُ تستغني في إدراك مُدركاتها عن الجسد فهي إذاً قائمة بذاتها، وتبين ذلك بالمطالبة أيضاً من الأشياء التي يُظَنُّ أنها آلةٌ للعقل [كالقلب] أو الدماغ يدركها العقل. ومعنى الإدراك إنما هو حصول صورة المدرِك في المدرك، ولا معنى لهذا الإدراك إذا كانت صورة الآلة حاصلةً أبداً في المدرَك على ما فُرِض، فينبغي أن يكونَ أبداً مدرَكاً، وليس كذلك، إذ كان تارة يدرك وآخر يغفل عن الإدراك قيل إن الصورة التي تدركها الآلة هي غير صورة الآلة. فأما أن تحل في القوة المدركة من غير مشاركة الجسم، فيدل على أنها قائمة بذاتها، وليست في الجسم، وأما أن تكون[4] مشاركة الجسم حتى تكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة. ففي الجسم الذي هو الآلة، ومثل هذا الجسم الذي هو الآلة فيكون ذلك محالاً، وهو اجتماع صورتين متماثلتين في جسم واحد، كاجتماع سوادين في محل واحد، ولا يمكن ذلك إلا بتغايرٍ بين السوادين. وإلاَّ لم يحصل تعدُّدٌ[5]. وذلك أيضاً محال. فهذه إشارة كافية في بيان جوهرية النفس[6]، وإنها ليست بجسم. فأما إنها باقية بعد فناء الجسم فهو بعد تقدم ما تقدَّمَ سهلٌ، وذلك أنه إذا وضُحَ أنَّ النفسَ جوهرٌ قائمٌ بذاتِه لم يحلْ به فسادُ غيْره. ويتبين ذلك بوجه آخر، ولكن بعد أن تقدم بيان حدوث النفس مع الجسد فنقول: إنه لو كانت النفس قبل الجسد كانت إمّا

(١) في الأصل منفعلة، وفي (ب) معقولة.
(٢) في (ب) ولا اتصاله أيضاً.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب) بمشاركة.
(٥) في (ب) لم يحصل بعدد.
(٦) في الأصل الجسم.

واحدةً أو متكثرة ومحال كثرتها؛ إذ الكثرة مفتقرة إلى تغاير. وإذا فُرِضت النفس مجردة مثلَ[1] الجسد فلا عوارض لتغايرها. ومحالٌ أيضاً أن تكون واحدة، وهي متصلة [بأبدان كثيرة][2]؛ إذ الاتصالُ والانفصالُ من صفات المقادير، وقد بطل كونها جسماً، وكان مع ذلك يلزم أن تكون معلومات الأشخاص الإنسانية واحدة، لأن النفس التي تحصل بها العلومُ واحدةٌ، وليس كذلك. فهي إذاً حادثةٌ مع الجسد بفيض إلهي يستفيده الجسد عند اعتداله من واهب الصور؛ ولأن واهب الصور باقٍ فيلزم بقاء النفس، إذ بقاءُ المعلول ببقاء العلة. وليس يقدح في ذلك قولُ المعترضِ أنّها كما احتاجت إلى البدن في حدوثها، فهي محتاجة إليه في بقائها[3]، لأنه شرط للحدوثِ لا عِلّةٌ، كما إنَّ الصانِعَ قد يفتقِرُ إلى الآلةِ في مصنوعهِ، ثم هو غنيٌّ عنها عند كماله. والوجه في كونه شرطاً أنَّ العلةَ التي تحدث عنها الأنفسُ لا تقتضي حصرَ ما يحدثُ عنها في عددٍ، إذ لا عددَ اولي من عدد، وحدوث الواحد منها أو الاثنين، أو الثلاثة، وبالجملة سائر الأعداد على حدٍّ سواء[4] حتى يستعد الجسم لقبول النفس، ويترجح حينئذ الوجودُ على العدم، ولا يصح أن تكون تلك النفس منتقلةً عن جسمٍ آخر [ناطق أو غيره][5] كما يزعم أهل التناسخ، لأن كلَّ نطفة استعدت لقبول[6] نفس حتى استحقت نفساً من واهب الصور، فيجتمع في جسم واحد نفسان، وذلك بيِّن مُحال. وإذ قد تبين أن النفس قائمة بذاتها غير مفتقرة إلى غيرها، فهي مستعدة لقبول المعقولات من الفيض الإلهي من غير حاجة إلى شيء من الأشياء غير ذاتها، وإنما يمنعها من ذلك عند أول الأمر اتصالُها بالجسم، وشغلُها

---

(١) في النسختين قبل.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في الأصل مقامها.
(٤) في (ب) في الإمكان فامكان العدم الموجود على حد سواء.
(٥) في (ب) حيوان أو غيره.
(٦) كررت مرتين في الأصل.

بتدبيره، وكونُه غير مستحكم الترتيب[1] فاللّذةُ التي ينالُها عند كونِها في الجسم، وهي الإدراك الخاص بها إذ كمالُ[2] كل قوة هو الذي يسمى لذة، تكون ضعيفة إلاّ أنها سالمة من الألم، وكذلك حكم نفوس[3] الأطفال فإنها غير متألمة، ولا ملتذة بعد الموت، وعُبِّر عن [ذلك][4] في لسان الشرع بالبرزخ بين[5] الجنة والنار.

وأما النفوس التي لم تتصور المعقولاتِ الحكمية، فإنها بعد الموت تكون على قسمين: قسم منها كانت لها عقائد وهمية لا خفية فاسدة، فإذا بطُلت القوةُ الوهميةُ ببطلان الجسد، بقيت مجردةً عن العقائد، ومعلومٌ أنَّ كمالَها في اقتناء العقائد الحقية، فتبقى متشوقةً إليها، وليس لها آلةٌ تعينها[6] على تحصيلها[7]. وكانت هذه الحال أعظمَ اشتياقاً إليها منها عند كونها في الجسد؛ لأنه حينئذ يعوقها عن كمالها، فيكون ذلك التشوق إثماً، وعقاباً وغماً. فإن كانت خالية من العقائد الفاسدة، لكنها قد طابقت القوى البدنية في أفعالها الحسية حتى استلذتها، وألفتها فسيكون لها أيضاً نزوع، وطلب، وشوق[8] فيتضاعف عليها العذاب، وتتراكم لديها الحسرات، إلا أنَّ حالَها في ذلك أظهرُ من حال الأولى، إذ كانت لا تفارقها بآخرة، لأنها إنما تشتاق إلى أمرٍ واجب[9] لها إشفاقَةَ الإلف. فإذا استمرت مفارقتها له بطل إلفُها فإن كانت أفعالُها حسنة، وليست ذاتَ عقائد، فالقول فيها كالقول في نفوس الصبيان. ولذلك قال رسول الله ﷺ إن أكثر أهل الجنة البلْهُ[10]. وأما النفس الكاملة في العِلم المقصرة

---

(١) في (ب) التركيب.
(٢) في الأصل كمل.
(٣) في الأصل النفوس.
(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٥) في (ب) بكونها هي.
(٦) في الأصل بعينها وكذا في (ب).
(٧) في الأصل: وسوف.
(٨) في الأصل: وسوف.
(٩) في الأصل واجب.
(١٠) الحديث في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٥٣ وفيه أن المراد بالبله من غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس، وفي ٣/ ٢٥٥ يشرحها بقوله هو الذي يظن به الحمق فإذا فُتش وجد عاقلاً، أما الأبله الذي لا عقل له فغير مراد بالحديث.

في العمل[١] الصالح، المتبعة لزخارف الطبيعة، والشهوات البدنية فلها الكمال من حيث العلم إلا أنها تكون متألمةً لمفارقة ما ألِفتْه من تلك الأمور، ولكنها أيضاً تزاول ذلك -الألم كما قلنا فيما تقدم-[٢]. ولذلك قال ﷺ: لن يخلُدَ في النار من في قلبه ذرة من إيمان[٣].

وأما إذا كانت النفس كاملة في العلم والعمل فتكون بعلمها متطلعة على الحقائق، وبعملها متجردةً عن العوائق، فتلك هي النفس المطمئنة التي قال الله تعالى: ﴿يا يأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٤] لا يطّبيها[٥] نزاعٌ إلى شيء فاتها بل هي بنفسها بَهجةٍ، وإلى ربها ناضرة، إذ كانت قد سبقَ لها عقلُ الأمور المفارقة، وتشبهت بالجواهر البسيطة، وذلك اللذةُ العظمى والمسرةُ[٦] الكبرى التي لا تقدِّرُ العبارةُ قدرَها ولا يمكن من لم يلتذ بها وصفها. كما قال ﷺ[٧]: (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾[٨].

وكيف لا يكون ذلك، وقد اتصلت بالحق المحضّ، والخيرِ[٩] البحت، وارتفعت الوسائطُ بينها وبين مطلوبِها أو كُشِفتِ الحجُب دونَ معشوقِها، ومحبوبِها؟ نسأل الله توفيقاً إلى الهداية، والرشدَ بفضلِه فهذا ما اقتضى الوقت ذكره من هذا الفن.

---

(١) في الأصل العلم وهو خطأ.

(٢) في (ب) في ما قبلها.

(٣) في (ب) لا.

(٤) سورة الفجر الآية ٨٩.

(٥) قوله لا يطبيها من الطب، وهو الشهوة والإرادة لسان العرب طبب.

(٦) في (ب) والسعادة.

(٧) الحديث في سنن الدارمي ٩٨، ١٠٥، مسند الإمام أحمد، ٢/ ٣١٣، ٣٧٠، ٤٧٠، ٤٣٨، ٤٦٢، ٤٩٥، ٥٠٦ وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٤/ ٤٥١.

(٨) الآية من سورة الإنسان ٧٦.

(٩) في (ب) والحيز، والبحت هو الخالص من كل شيء.

المقولات العشر:

قوله: وما الدليل على أن المقولات عشر، ولعلها لا تدخل تحت حصر؟

يعني بالمقولات: الأجناس العالية. والجنس هو المقول على كثيرين مختلفي النوع[١] في جواب ما هو.

وقد أجتمع رأي كثير من أهل النظر على أن الأجسام التي لا يوجد جنسٌ أعلى منها عشرة، واحدٌ منها جوهرٌ، وتسعةٌ أعراضٌ. وإنما كان ذلك لأن الكليات على [ضربين][٢] ضرب يُعرفُ من موضوعاتها كلِّها ذواتِها، ولا يُعرَفُ من موضوع أصلاً شيئاً خارجاً عن ذاته. وضرب يعرف من موضوعاته ذواتها، ومن موضوعاتٍ أخر أشياء خارجة عن ذواتها.

فالأول: مخصوص باسم الجوهر. والثاني باسم العرض والجوهر مثل السماء [والكواكب][٣] والأرض. وأجزائها. وبالجملة سائر الأجسام[٤].

وأما الأعراض فهي ما قوامهُ بهذه الجواهر كالبياض والسواد، والحرارة، واليُبْس، وهي تنقسم إلى ما لا يحتاج في تصوُّر ذاته إلى أمرٍ خارجٍ عنه، وإلى ما يحتاج إلى ذلك. فالذي لا يحتاج هو الكمية، وهي[٥] العرض الذي يلحق الجوهر [بسبب التقدير، والزيادة، والنقصان، والمساواة، وهذا لا يحتاج في تصويره إلى الالتفات إلى شيء آخر خارج منه. والثاني: الكيفية وهي العرض الذي يلحق الجوهر][٦]، ويحسن الجواب به عن السؤال بكيف في جواب كيف. هو مثل الألوان والطعوم

(١) في (ب) مختلفين.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب) أحكام.
(٥) في (ب) وهي.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).

والرائحة، والملاسة، والخشونة، والصلابة، واللين، وامثال هذه، وما هو من الملكات كالفقه والعلم، وغير ذلك.

فأما الأَعراض التي يُحتاج في تَصوُّرِ ذواتِها إلى أمر خارج عنها، فهي سبعة:

الإضافة، وهي حالة تعرض للجوهر من جهة كون غيره في مقابلته كالأبوة والبنوة، وأمثال ذلك.

والأيْنُ وهو: ما يعرض للجوهر من كونه في مكان ومتى: وهو كون الجوهر في زمان كونه بالأمس وعامٌ أوَّل.

والوضع وهو نسبة أجزاء جسم الحيوان بعضها إلى بعض ككونه جالساً وقائماً، ومتكئاً، ومضطجعاً.

والحدة[1] وتسمى الملكة فهو: كون الشيء بحيث يحيط به ما ينتقل بانتقاله كونه متعمماً، متطيلساً، وأشباه ذلك.

وأن يفعل وهو: كون الشيء مؤثراً في الحالة التي يكون فيها مؤثراً إلا أن يكون ذلك بالقوة[2].

وأن ينفعل وهو كون الشيء مؤثراً أو قابلاً للانفعال من غيره كتسخُنِ الماء وبرده، وما أشبه[3] ذلك. فهذه هي الموجودات العشرة[4] التي تسمى المعقولات. وهي الأجناس العامة لسائر الموجودات في عالم الكون والفساد،

فأما الجواهر البسيطة التي هي العقول المجردة، والنفوس التي قد تبين وجودها، وكثرتها، فليست هي داخلة بالجملة في هذه ، بل كل واحدٍ منها جنس بنفسه،

---

(١) في الأصل كالحدة.

(٢) في (ب) وأن يفعل في الحالة كونه فاعلاً في الغير ومؤثراً.

(٣) في (ب) وما جانس.

(٤) يلاحظ أن المؤلف في بداية الفقرة ذكر أن عددها سبع.

وبذلك يتبين أن المقولات كثيرة.

وقد ظن قوم أن التأليف أيضاً مقولة زائدة على العشر، وليس كذلك، إذ كان التأليف يحتاج في أن يحصل إلى اجتماع أشياء، وأن يوضع بعضها عند بعض على ترتيب ما. وهذا هو إضافة.

وظن قوم آخرون أن أصنافَ النِسَبِ كلّها إضافية[1]، وأنَّ الاَيْنَ[2] اضافةُ الشيء إلى مكان، ومتى إضافة إلى زمان. فتكون المقولات عندهم سبعة، وكذلك أيضاً في أن يفعل وان ينفعل أنهما شيءٌ واحد[3]، وليس كذلك. ومن أراد استقصاء علم هذه الأشياء على التمام فيحتاج إلى النظر فيها في مظانها، وفيما ذكرنا هنا كفاية.

قوله: **كم أصناف التآليف الذاتية؟ وما السببية منها والوجودية؟**

يعني بذلك تآليف البراهين، ويعني بالذاتي ها هنا المحمولات الذاتية التي تستعمل أجزاء براهين، وهي صنفان:

أحدهما: الذي جوهر موضوعاته وطباعها أنْ تحمل عليها هذه المحمولات، وذلك مثل قولنا كل إنسان حيوان.

والثاني: هو الذي جوهره وطباعه أن يوجد في موضوعاته. وهذه تسمى الأعراض الذاتية، مثل وجود الحركة والسكون في الأجسام الطبيعية. وتأتلف هذه على ما ذكره أبو نصر في كتاب البرهان على ثمانية أصناف: فيكون بعضها منتجاً[4] وبعض غير منتج، وبعضها براهين، وبعضها غير براهين، وبعضها برهان سبب وجود أو برهان وجود فقط، وبرهان سبب فقط. وبرهان الوجود هو الذي يوجد الحد الأوسط فيه سبباً موجوداً لأمر، ويكون سببهُ الشيءَ الذي يتبين وجوده في ذلك الأمر.

---

(١) في (ب) إضافة.

(٢) في (ب) الابن.

(٣) في الأصل: شيء واحد.

(٤) يعني الفارابي محمد بن حمد ت(٣٣٩هـ) وقد مرت ترجمته.

مثال ذلك[١] أنْ تبين كُريّةُ القمر نموَ ضوئه قليلاً قليلاً. فنقول[٢]: القمر ينمــو[٣] ضوؤه قَليلاً قليلاً، وما ينمو ضوؤه قليلاً قليلاً فهو كري الشيء[٤].

فقد تبين كُريَّة شكل القمر بنمــو الضـوء، ونمـو الضـوء سـببه الكُريَّـة، وبرهـان السبب بخلاف ذلك، وهو أن يتبين نمو ضوءِ القمر قليلاً قليلاً بكُريَّةِ الشكل، فيقال: القمر كريُّ الشكل، وما هو كُريُّ الشكل فضوؤه ينمــو قليـلاً قليـلاً. فـالقمر ينمـو ضوؤه قليلاً قليلاً. فالأول: الذي يعطي الوجــود، فقـد جـرت عـادتهم أن يُسـمُّوه دليلاً، ولا يطلقون اسم البرهان إلاّ على ما كان يعطي السببَ، والوجودَ معاً، وكلُّ واحدٍ من برهان، إنَّ، ولِمَ، أي برهانِ السبب.

وبرهان الوجود ينقسم إلى قسمين، فأحد قســمي برهـان لـه يفيـد بذاتـه العلـم بوجود الشيء، وسبب وجوده معاً. والثاني: يفيد العلم بالسبب فقط. ولا محالـة أنَّ هذا يتقدمه بالوجود، إذ لا يُسأل عن السَّبب، والوجودُ مجهــولٌ، وبرهـان إنَّ أيضـاً ينقسم إلى قسمين[٥]، قسمٌ يفيدُ العلـمَ بوجـود شـيء، وهـو الـذي يسـمى دليـلاً. والفرق بين برهانِ إنَّ، وبرهان لِمَ أنَّ الحدَّ الوسَـطَ في برهـان لِـمَ عِلَّـةٌ، وسـببٌ في وجود محمولِ النتيجةِ في موضوعها. وإنَّ الحد الأوسط في برهان إنَّ معلولُ الوجود مجهولُ النتيجةِ[٦] في موضوعها.

علم الكلام:

قولــه: ثـم هتـف بصـاحب علـم الكـلام فقـال: بمـاذا تـرد في مسـألة القطـر[٧] علـى النظام؟

---

(١) في (ب) مثال.
(٢) في (ب) فيقال.
(٣) في (ب) نمو وفيها ضوئه.
(٤) في (ب) والقمر كري الشكل.
(٥) في (ب) صنفين: صنف العلم.
(٦) في الأصل و(ب) محمول.
(٧) في الأصل مسألة الطفرة.

النّظام من معتزلة أهل المتكلمين[1] وهو يذهب في أمر الجزء إلى خلافِ ما يذهب إليه عامةُ أهل الكلام، إذ هم يعنون بالجزء جزءاً غير منقسم يسمونه الجوهرَ الفرد، وإنه حالٌ من الأعراض، والكيفيات، وإنَّ سائر الأجسام مركبةٌ من أجزاء هذه صفتها، وإنَّ كلَّ جسمٍ إذا جزئ فلا بد أن ينتهي في تجزئته إلى أجزاء لا تنقسم إلاّ بالقوة، ولا بالفعل، وإنها متماثلة في سائر الأجسام، وإنما تختلف الأعراض. ويحتجون على ذلك بحجج اقناعية منها:

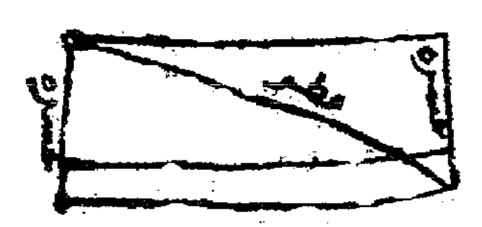
إنه لو كانت الأجسامُ كلُّها يمكن فيها التجزء إلى غير نهاية لكانت الحصاة مساويةً للجبل، إذ ساوته في مساوقة التجزء. وهذا كلامٌ خَلِقٌ نازلٌ جداً؛ إذ المساواة في قبول التجزء ليست المساواة في القدر[2]. والذين ينازعون في هذه الدعوى ربما أتوا على تصحيح دعواهم استمرار التجزُء إلى غير نهاية، بأدلة هي أقوى وأحق أن تتبع، فمنها أنَّ الجواهر[3] التي يزعم خصمُهم أنَّ الجسم يتركبُ منها لا تخلو أن تكون عند التركيب بتماس[4] أو تداخل، فإن فرضوا أنها تتماس كان الجوهر الواحد يماسُّه جوهران من جهتين مختلفتين أو جواهر كثيرة، ولا يمكن ذلك إلا بأن تختلفَ جهاتُ التماس، وإذا اختلفت كانت بينها أبعادٌ، وإذا كان كذلك فقد بطُلَ ما فُرِضَ من علم[5] التجزئ.

فأما مسألة القطر، [الطفرة][6] التي اعترض بها عليهم النّظام فهي: أننا نفرض على ما يدَّعونه مربعاً كلّ ضلعٍ من أضلاعه عشرة أجزاء، ونتوهم حركةَ ضلعٍ آخر على الضلعين الآخرين، المركب كلُّ واحد منهما من عشرة، بحيث يقطع في حركته من كلّ واحد منهما جزءً فسيقطع القطر[7]، وهو الخط الآخذ من أحد زوايا المربع

(١) في (ب) أهل الكلام وهو مذهب.
(٢) في (ب) العدد.
(٣) في الأصل الجوهر.
(٤) في (ب) يتماس أو يتداخل بعدها في (ب) لا تختلف الجهات إلا وفيها بعد، وقد فرضوا أن ليس لها بعد.
(٥) في الأصل عدم.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٧) في الأل النظر.

إلى الزاوية الأخرى المقابلة لها، وبتقطيع المربع بمثلثين متساويين، فإن كان[1] الخطُّ المتحركُ يقطعُ منه جزءاً كما يقطع كلٌّ واحدٍ من الضلعين، فإنه إذا انتهى إلى آخر الضلعين قَطعَ القُطرَ بعشرةِ أجزاء، فيكون القُطرُ مساوياً للضلع، وذلك محال بالأدلّة الهندسية، وبغيرها. وإن قطع منه جزءٌ أو أقل من جزء بطل ما أسسوه[2] من كون الجسم مركبا من أجزاء لا تنقطع[3]. وإن قُطِع جزآن كان القطر مِثْلاً[4] الضلع المتحرك. [وهذا المعنى الذي اضطرهم إلى القول بالطفرة وهي أن يتحرك][5] الضلع المتحرك على القطر حركةً أسرع من حركته على الضلعين على سبيل الطفر أي الوثوب. وذلك من سفه القول وباطله[6].

وهذه صورة ذلك:



وما يستدل به على تجزء الأجسام إلى ما لانهاية أنه لو فُرضَت خمسةُ جواهر، وُرتِّبت[7] صفاً واحداً كخط مستقيم، ووضع جزآن على طرفي الخط، لم يكن مانع عند عاقل من تقدُم حركةِ الجزئين حتى يلتقيا[8]، وأنْ تقدرَ[9] حركتُهما حركةً

(١) في (ب) فإن كان ما يقطع منه.
(٢) في (ب) ما استق.
(٣) في (ب) الجسم لا ينقسم.
(٤) في (ب) مثل وبعدها، وذلك أيضاً محال.
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٦) في (ب) وذلك كله باطل. وبعدها والحق إذاً إنَّ للآخر والأول.
(٧) في (ب) ورتب.
(٨) في الأصل: يلتقيان وهو خطأ.
(٩) أصاب الكلمة خرم في (ب).

متساوية. وإذا تمَّ ذلك فلابدَّ أن يقطع كلٌّ واحد منهما من الجوهر الذي هو الوسط من الخمسة جزءاً، فقد بطلت بذلك الدعوى فإذا [قد تجزأ الجوهرُ الوسَطُ][1] وإلا فيلزم أن يقال: ليس في القدرة[2] أن يصل أحد الجوهرين المتحركين إلى الاخر بحركة متساوية بل إذا كان ابتدأ أحدهما يتحرك[3] إلى أن يصل إلى الثاني وصل الآخر إلى الثالث[4] من الجهة الأخرى، أو وقف عن الحركة، [وكفى بهذا القول شناعة][5]. والأدلة في هذا الباب كثيرة، [وإنما اعتمدنا على الاختصار][6].

يقع الإثبات والإبطال؟

قوله: ما صيغة دليل الصرف إلى الامتناع، والمحال، ومن كم وجه

[أمّا][7] الصرف إلى الامتناع فهو الذي يسميه قوم قياس الخلف، وهو أن يفرض المسألة المشكوك فيها، ويضاف إليها مقدمة مصدَّق بها، فينظُر ما يلزم من اقترانها[8]، فإن لَزِم من ذلك محالٌ علم أنه لم يأت من المقدمة البينة الصدق، وإنما أُتي من قِبَل المشكوك فيها، فيعلم أنها محال، ويكون نقيضُها بالضرورة محال حقاً[9]، وكذلك يكون.

مثالُه: أن المقدمة المشكوكَ فيها: كل حيوان تحرك فكُّه الأسفل دون الأعلى. فيضاف إليها: التمساح حيوان مفتح. التمساح، يحرك فكه[10] الأعلى دون الأسفل.

---

(١) زيادة ليست في الأصل.
(٢) في (ب) الإمكان.
(٣) في (ب) تحريكهما وانتهى أحدهما إلى.
(٤) في (ب) لم يمكن أن تتحرك حتى تلقى الثالث.
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) زيادة ليست في الأصل.
(٨) في (ب) إقرارها.
(٩) في (ب) بالضرورة حق.
(١٠) في الأصل فحكه.

وهذه معلومة الكذب والمقدمة البينة بنفسها أنَّ التمساح حيوانٌ، فيعلم أنَّ الكذِبَ إنما أتيَ به من قبل المشكوكِ فيها، وهي أنَّ كلَّ حيوانٍ تحرك فكُّه الأسفل فنقيضها إذاً حق[1] وهو: ليس كل حيوان يحرك فكه الأعلى.

قوله: **وكم من وجه يقع الإثبات أو الابطال؟**

لما كانت ضروب الأشكال الجلية[2] المنتجة أربعة عشر [فرضاً][3] في الشكل الأول أربعة، اثنان تنتجان السَّلْب، وضروب الشكل الثاني أربعة كلها تنتج السلب[4] وضروب الشكل الثالث ستة، ثلاثة منها تنتج السلب، وثلاثة تنتج الايجاب، فإنَّ الذي يُنتجُ السَّلب هو الذي يصلح للإبطال تسعة أضرب[5]، والذي يصلح للإثبات خمسة أضرب. وأما قياس الخَلْق[6] فهو يصلُح للإثبات والإبطال جميعاً. والأقيسةُ الشَّرطية أيضاً تصلح للإثبات والإبطال على حسب الاستثناء منها.

الكيمياء:

رجع قوله: **ثم جعجع بصاحب الكيمياء.**

جعجع: أي صوَّتَ به تصويتاً فيه ترديدٌ، وتهويلٌ. وأصلُ الجَعْجعةِ صوتٌ الرحى[7]، والجعجعةُ أيضاً الحبْسُ للإبل، ومنعُها من السير. ومن ذلك كتاب[8]

---

(١) في (ب) الحق.
(٢) في (ب) الجميلة وما بعدها غير مقروءة.
(٣) في (ب) سوالب.
(٤) في (ب) سوالب.
(٥) في (ب) كان ذلك يصلح للإبطال سبعة أضرب، وهو خطأ لأنها مع الذي يصلح للإثبات يجب أن تكون أربعة عشر كما نص المؤلف أول الفقرة.
(٦) كذا في (ب) وفي الأصل غير منقوطة.
(٧) في الأصل الرجاء.
(٨) في (ب) كتب.

عبيدالله بن زياد[١] إلى عمرو بن سعد: أنْ جعجعْ بحسينٍ ومَنْ معه. يعني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. يقال: جعجعَ بالقوم اذا أناخَ بهم، مأخوذٌ من جعجعةِ الإبلِ عند إناختِها. فأما قول ابن قيس بن الأسلت:

من يَذُقِ الحرْبَ يجِدْ طعمَها مُرّاً وتتركه بجَعْجاعِ[٢]

فإنما عنى به الأرض الصلبة، ويقال لها الجَعجاع.

والكيمياء هي المعروفة عند أهلِها بالصناعةِ العُظمى، وإنما سُمِيت كيمياءَ اشتقاقاً من الاكتماء أي الاختفاء. وبحق اشتق لها هذا الاسم.

قوله: أي روح يصير جسداً لا يبلى أبداً، وما حجر القوم وطيارهم، وكيف أثالهم[٣] ونارهم؟ الى آخر الفصل.

أهل الصناعة يوقعون[٤] اسمَ الروح على ما كان له سَرَيانٌ، وقوةٌ، وفعلٌ في[٥] غيره من المعدنيات كالزئبق والكبريت، والزرنيخ، والنوشاذر، وأشباهها، فأمّا الأجساد عندهم فيعنون بها ما انفعل من المعادن لهذه كالحديد، والنحاس، والفضة والرصاص وغيرها [وهي عندهم على ضروبٍ ظاهرٍ، وغير ظاهر فالظاهرة، كالفضة، والغير ظاهر كالأسرب والروح الذي يصير عندهم جسداً هو الزئبق. فأما الجسدُ][٦] الذي لا يبلى [أبدا][٧] فهو الذهب، والياقوت. والحجر عندهم هو ما وقع التدبير فيه. ولهم فيه اختلاف كثير، وهذيان طويل كبير[٨].

---

(١) هو عبيدالله بن زياد المعروف بزياد ابن أبيه والي العراق المشهور في العصر الأموي.
(٢) كتب البيت نثراً في نسخة الأصل والبيت في ديوانه ٧٨، والمفضليات ٢٨٤.
(٣) في (ب) يرفعون. والتصويب من المقامة نفسها. الأثال: آله التصعيد، والطيّار هو الزئبق.
(٤) في الأصل وغيره.
(٥) في الأصل وغيره.
(٦) ما بين القوسين زيادة في الأصل.
(٧) زيادة من الأصل فقط.
(٨) في (ب) وهذيان طويل.

وقوم آخرون منهم يوقعون[1] هذه الأسماء على معانٍ أخـر، وكذلـك يفعلـون في النار[2]. ويقولونَ أنَّ هذه أسماء مرموزة[3] وإن حقائقها أخر، عند أهل الصنعة. ولهم في ذلك تطويل ليس عليه تعويل. ولست أسمح باطلاق عنان القول بما ليس بمهم.

التنجيم:

قوله: ثم رجع إلى المنجِّم وقال: أيُّها المفتونُ[4] بالغرور، المدَّعي علمَ ما في الصدور خاب والله قدحُك، وخبا زندُك وقدحك[5].

القِدْح: واحد القداح[6] التي كان أهل الجاهلية يتخذونها للميسر، وهـي سـبعة: الفذ[7]، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمصفح، والمعلى.

فهذه التي لها انصباء. والمنيح لا نصيب له.

قال أبوعبيد: سألت الأعراب: كيف كانوا يقامرون بالقِداح، فلم يعرفوها.

قال غيره: كانوا يقبضون بهذه القداح، ويجعلـون لكـل منهـا نصيبـاً، ويدفعـون للمُفيض[8] ما يخرج له، وأفضلها نصيباً [الرقيب والمعلى][9].

---

(١) في (ب) يرفعون.

(٢) في (ب) يذهبون إلى أنه غيره، وكذلك الأثال والنار.

(٣) في (ب) بانها رموز.

(٤) أصاب الكلمة خرم في (ب).

(٥) العبارة الأخيرة لم ترد في (ب).

(٦) عدد اللحياني القداح العشرة، وذكر بعد النافس المُسبَل، ثم المعلّى، ولم يذكر المصفَّـح، وقـال إن هناك ثلاثة لا أنصباء لها وهي السفيح والمنيح والوغد. وذكر المصفح في موضع آخر. انظـر مادة (صفح) في لسان العرب. وقال هو السادس من سهام الميسر، ويقال له المسبل.

(٧) الفذ هو الأول من قداح الميسر. وقال اللحياني وفيه فرض واحد، وله غُنْم نصيـب واحـد إن فاز، وعليه غرم نصيب واحد إن خاب ولم يفز.

(٨) المفيض: هو الذي يفيض القداح اي يضرب بها، ويجبلها عند القمار، لأنها تقع منبتة متفرقـة. لسان العرب (فيض).

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ب).

قوله: وعلى هناتِك، وعلّتِك.

الهنة[1]: [العلة]، والغميزة والضعف. يريد بالمنجّم ها هنا صاحبَ علمِ أحكام النجوم[2] والتنجيم يقع على غير ذلك. وقد تقدم ذكره.

والذي يذهب إليه أهل هذه الصناعة هو نوع من التخييل، والتمويه فينسبون إلى الكواكب أفعالاً إنسانيةً تلزم على أمزجة مخصوصة، وهيآتٍ معلومة فيصفونها بحسب ما ينسبونه إليها من الأفعال كتصويرهم المريخ بصورة جندي منتصل[3] سيفاً، لما كانوا ينسبون إليه الحرب والتسليط[4]، والقهر[5]، ويصفونه أيضاً بالحرارة إذْ من شأنِ الحرارة الحدةُ والحركةُ. ويصفون زحلاً بالبرد واليُبْس لما ينسبونه إليه من أضداد هذه الأمور[6] المنسوبة إلى المريخ. فأماثلهم[7] يجعلون ذلك على سبيل الاستعارة، وعوامهم يرون أن هذه الأمزجة موجودة للكواكب حقاً. وذلك محالٌ لما تبين في الطبيعيات من أن الاسطقسات إنما هي[8] في عالم الكون والفساد.

فأما أفلاك [الدائرة فإنها بريئة الكيفية الاسطقسية[9]. ومن الأفعال التي تنسب إلى أنها تحدثها بإضافة بعضها إلى بعض إضافةً[10] تحصل منها أصنافٌ للأشكال[11]

---

(١) في (ب) الهنات. وما بين القوسين زيادة منها.

(٢) في الأصل الاحكام واسم النجوم.

(٣) في (ب) فيقولون في المريخ أنه بصورة حسن منتض. والنصل: السيف، واستنصل: استخرج.

(٤) في (ب) والنشاط.

(٥) القهر زيادة من (ب).

(٦) في (ب) الأحوال المنسوبة.

(٧) في (ب) فخواصهم.

(٨) أصاب الكلمتين خرم في (ب).

(٩) في (ب) فبريئة من كيفيات الاسطقسات بالجملة.

(١٠) في (ب) للإضافة التي.

(١١) في الأصل أصنافاً. وفي (ب) أصناف الشكل.

التي يسمونها إقراناً، وتسديساً، وتثليثاً، وتربيعاً. وبإضافتها أيضاً إلى مواضعها من البروج الإضافات التي يسمونها البيوتَ والحدودَ، والوجوهَ، والمثلثات، وأشباه ذلك. وبالجملة فإنها ليست بينها وبين العالم السفلي نسبةٌ ولا اتصال[1] يوجب لها الفعل فيه لاسيما في الأمور الإرادية[2] والتصرفات الإنسانية، والذي يذهب إليه منتحلو هذه الصناعة من أن الدليل على صحة التجربة باطل من أجل أن التجربة تقتضي التكرار، ونصب الفلك لا تتكرر فيكون منها تجزئة.

فإنْ ادُعي التكرار للنصب لم يصح لزومُ الفعلِ المنسوب إلى أفعال النجوم من أراء عديدة، ولو استمرّ لم يعط يقيناً، لأن اليقين لا يحصل عن أي شيء اتفق [بل عن أشياء بعينها ليست التجزئةُ منها، وإن كانت الكواكب مزمعة[3] أن تكون لها أفعال في العالم منسوبة إليها، أو بتوسطها، فبالحري[4] أن تكون نحو ما تحدثه الشمس من التسخين واليبس، والقمر من التبريد، والترطيب أو نوعاً من الكيفيات التي يلزم عنها في النبات والحيوان، والأنهار، والأمطار، والمعادن. فإن كان في قوة الإنسان العلمُ بما يكون من هذه الأشياء قبل كونِها من علمه بالتشكيلات فإن علمَ النجوم على هذا صادق فقط.

فأما حجة أهل الأحكام في الاعتراض عليهم باتفاق هلاكِ جماعة كثيرةٍ في وقعة، أو غرقهم في سفينة[5]، وأنه لا يجوز أن يكون للأحكام النجومية أتفقت في حقهم فإنهم ينسبون ذلك إلى طالع السفر[6] إن كان أو طالع اللقاء. ويقولون أن

(١) بعدها في (ب) معنى.
(٢) في (ب) الأفعال الاختيارية.
(٣) في (ب) صناعة الأحكام. ومزمعة من أزمعت على أمر إذا ثبت عليه عزمك.
(٤) في (ب) فبالحرس.
(٥) في (ب) كالغرقى والقتلى في الملاحم، والسفن.
(٦) أصاب الكلمة خرم في (ب).

الكليات[1] تحكم علىالجزئيات. وأمثال هذا من الأقاويل الخطابية التي الاشتغال[2] بها فضول لا فائدة فيه.

قوله: **ثم صمت ينتظر جنى دبره، ويرتقب حصاد بذره.**

الدبر النّحْل: وهو جمع لا واحد له من لفظه، والدّبر أيضاً الزنابير. قال الأحوص ابن محمد:

أنا ابن الذي حمت لحمَهُ الدّ[3]

يفخر بأنَّ جدَّه عاصم بن ثابت بن الأفلح، وكان آلى أن لا يمسّ مشركاً. فغزا جماعةٌ من المسلمين فأصيبوا جميعاً، فمثَّل بهم المشركون غَيره، فإنهم لما أرادوا المثلة به بعث الله عليهم مثلَ الظُّلة من الدُبْرِ فحمته منهم.

قوله: **صوح نبت النهار.**

صوَّح النبت: إذا قحل[4] واصفر، وآذن بحصاد. واستعار ذلك لوقت الأصيل، وهو في آخر النهار.

قوله: **اكتظ المسجد بالزحام.**

أي اكتظَ مَنْ في المسجد، مشتقّ من الوكظ والوكظ[5]: الدفع. يقال: وكظه وزبنه[6] أي دفعه. ومنه سميت الزبانية لدفعهم أهل النار فيها.

---

(١) في (ب) هذا من الأقاويل.

(٢) بعدها: باعادتها. وهنا تنتهي نسخة (ب).

(٣) هو في ديوانه ٢٠٠ وتتمته فيه:

بر قتيل اللحيانِ يوم الرجيع

(٤) قحل الشيء يقحل: يبس.

(٥) في الأصل: والوعظ.

(٦) في الأصل ورسه.

قوله: الهينمة[١].

الهيمنة، والغمغمة[٢] صوت لا يفهم معناه. وأخـذ النعـاس بـالكظم أي: غلـب واستحوذ.

وضرب الله على الآذان: حال بينهما وبين الادراك. يعني عند النوم. ومنـه قولـه تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾[٣].

وأقوى الجميع أي: أقفر ممن فيه. والأرض القوى أي المقفرة.

والمكان الباقع الخالي. ومنه ما جاء في الخبر: اليمين الفـاجرة تـدع الديـار بلاقـع خراباً مقفرة[٤].

هذا -أعزك الله- ما انتهى إليه شَأْوُ القول فيما ندبتني إليه وحضضتني عليه.

قد قابلت أمرك فيه بالطاعة، وبذلت جُهدَ الاستطاعة مُؤْثراً للاختصار، ومُمْسكاً عن طريق الاكثار. ولو سامحتُ جماحَ الخاطر لاتعبتُ النظَرَ، ولم آمـنْ عليـك السَّأْمَ والضجر، إذ كان كلُّ نوعٍ مما خضتُ فيه غيرَ واقـفٍ عنـد حـد، ولا منحصـرٍ عنـد غاية، واثقاً منك بجميل الإغضاء، والصفحِ عن التصفح والاستقصاء.

فعـين الرضـا عـن كـل عيـب كليلـةٌ ولكـنَّ عـينَ السَّـخطِ تُبـدي المسـاويا

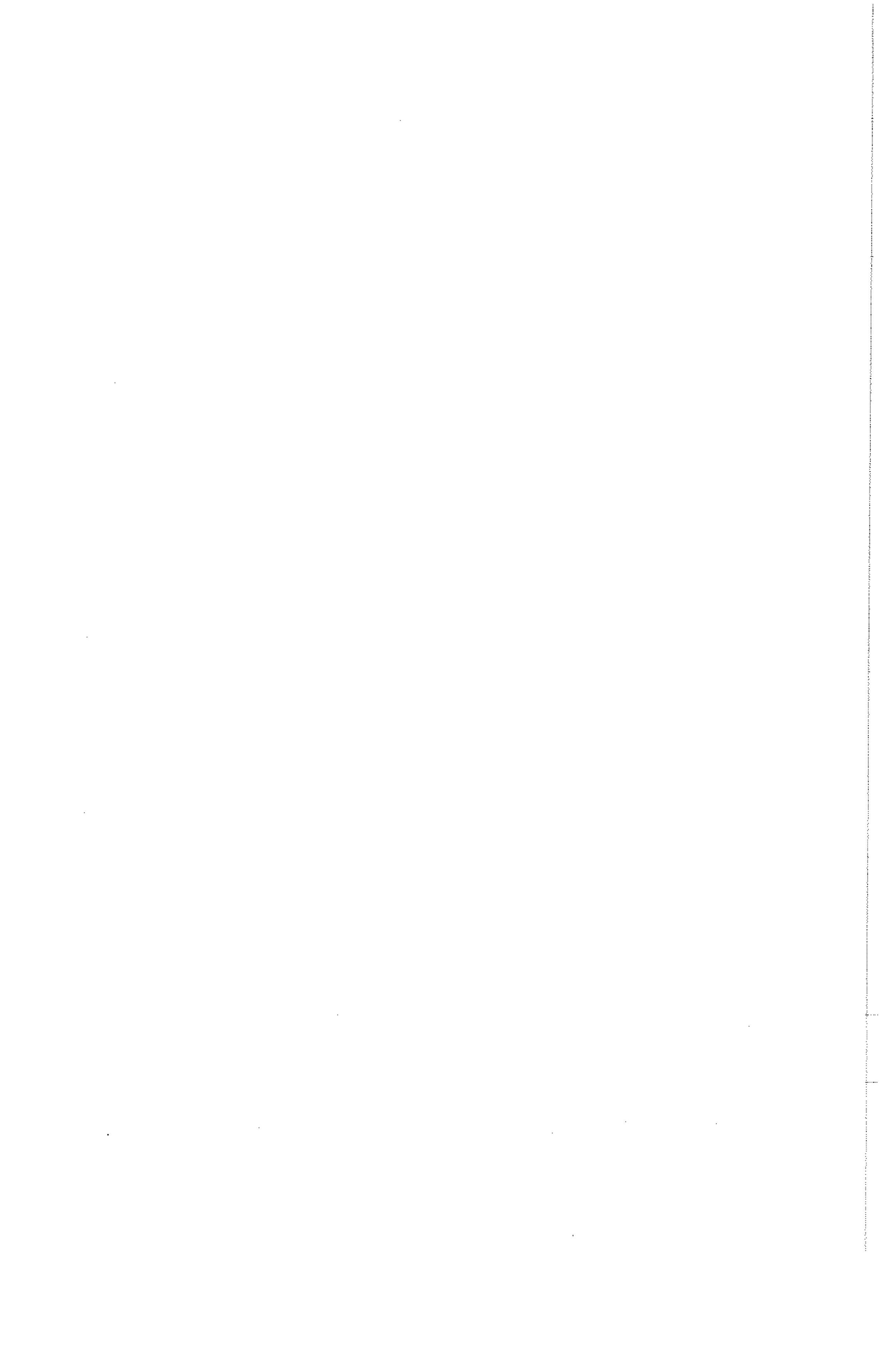
وإلى الله الرغبة في الهداية إلى رشادِ القول والعمل، والعصمةُ من الخطايا والزلل، وهو حسبي وعليه المتكل. وصلى الله على سيّدنا محمد وآله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) في الأصل بهيم. والتصويب من نصّ المقامة.
(٢) في الأصل والغنيمة.
(٣) الآية في سورة الكهف ١٨.
(٤) في الأصل مقفرا. والحديث في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٥١ يريد أن الحالف بهـا يفتقـر، ويذهب ما في بيته من الرزق. وقيل أن يفرق الله شمله، ويغير عليه ما أولاه من نعمة.



المصادر
والمراجع



- القرآن الكريم.

- أبجد العلوم -القنوجي- دمشق- وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٧٨.

- أسد الغابة- ابن الأثير (٦٣٠هـ)- تحقيق علي محمّد معوض، والشيخ عادل حمد عبدالموجود دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الإصابة في تمييز الصحابة- ابن حجر العسقلاني. بيروت، دار صادر.

- إعراب القرآن- أحمد بن إسماعيل النحاس- تحقيق زهير غازي زاهد، بغداد، وزارة الأوقاف.

- أعلام النساء- عمر رضا كحالة. بيروت ط٣ والطبعات الأخرى.

- الأغاني- لابن الفرج الأصفهاني- القاهرة، عدة طبعات.

-أمالي، القالي، أبو علي القالي إسماعيل القاسم ٣٥٦هـ. القاهرة، دار الكتب ١٩٥٣.

- أمثال العرب- د. أميل بديع يعقوب. بيروت- دار الجيل ١٩٩٥.

- إنباه الرواة على أنباء النحاة- القفطي ٦٤٦هـ. تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم- القاهرة، دار الكتب ١٩٥٠-١٩٥٥.

- البرهان في علوم القرآن- بدرالدين محمّد بن عبدالله الزركشي. تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم. القاهرة، مكتبة التراث

- بغية الوعاة- السيوطي. تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم- بيروت- المكتبة العصرية.

- البيان والتبيين- الجاحظ- تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة ١٩٦٠.

- تاج العروس- الزبيدي، محمّد مرتضى (ت ١٢٠٥) طبعة الكويت.

- تاريخ الأدب العربي- كارل بروكلمان- المترجم إلى العربية.

- تاريخ الأمم والملوك- الطبري (٣١٠هـ)- القاهرة- دار المعارف.

- تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي- القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.

- تاريخ الحكماء- القفطي- بغداد- مكتبة المثنى (بالاوفسيت).

- تاريخ ثغر عدن- لابن مخرمة عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد. القاهرة مكتبة مدبولي ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- تاريخ الفلك- نلينو. الطبعة الثانية.

- تاريخ الموسيقى- سليم الحلو. بيروت، دار مكتبة الحياة.

- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك- قدري طوقان- ط٢.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال- المزي (يوسف بن عبدالرحمن ٧٤٢هـ). تحقيق بشار عواد- بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٨٥.

- التوفيقات الإلهامية- محمّد مختار باشا- تحقيق محمّد عمارة. المؤسسة العربية للدراسة والنشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- الجامع للعروض والقوافي- لأبي الحسن أحمد بن محمّد العروضي. تحقيق زهير زاهد غازي وهلال ناجي، بيروت، دار الجيل ١٩٩٦.

- جمهرة أمثال العرب- العسكري، أبوهلال، الحسن بن عبدالله (كان حياً سنة ٣٩٥هـ)- تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل ١٩٩٣.

- جمهرة اللغة- ابن دريد- حيدر آباد- (بغداد بالأوفسيت ١٩٧٠).

- جمهرة إنساب العرب- ابن حزم، تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٦٢م.

- الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري- د. محمّد رضا حسن الدجيلي.

- الحيوان- الجاحظ (٢٥٥هـ) أبوعثمان عمرو بن بحر. تحقيق عبدالسلام

هارون- القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٨م.

- خريدة القصر وجريدة العصر- للعماد الكاتب- القسم المصري، تحقيق د. أحمد أمين، ود. (شوقي ضيف، ود. إحسان عباس.

- خزانة الأدب- البغدادي (عبدالقادر بن عمر ١٠٩٣هـ)، القاهرة المكتبة السلفية ١٣٤٧- ١٣٥١هـ.

- الخصائص- ابن جني، أبوالفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمّد علي البجاوي، بيروت الطبعة الثانية).

- ديوان أبي فراس الحمداني- رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه، بيروت، دار صادر ١٩٦٠.

- ديوان الأحوص الأنصاري- جمع وتحقيق عادل سليمان جمال، القاهرة مكتبة الخانجي ١٤٦١هـ/ ١٩٩٠م.

- ديوان الأعشى- تحقيق محمّد حسين- مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية.

- ديوان امرئ القيس- تحقيق حنا الناصوري- بيروت، دار الجيل.

- ديوان امرئ القيس- تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب.

- ديوان البحتري- تحقيق محمّد التونجي، دار الكتاب العربي ١٩٩٤ وطبعة دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٧.

- ديوان بشار- تحقيق محمّد الطاهر عاشور، مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٦٦.

- ديوان بشر ابن أبي خازم- تحقيق عزة حسن، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٢.

- ديوان تأبط شراً- إعداد وتقديم طلال حرب، بيروت، دار صادر ١٩٦٩.

- ديوان جران العود- رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب ١٩٣١ وط دار الكتب ١٩٩٠.

- ديوان جرير- بيروت، دار صادر ١٩٦٠.

- ديوان حاتم الطائي- رواية هشام بن محمّد الكلبي- تحقيق عادل سليمان، مطبعة المدني.

- ديوان الحطيئة- تحقيق نعمان أمين طه- مكتبة الخانجي ١٩٥٨.

- ديوان الخنساء- بيروت، دار صادر ١٩٦٠.

- ديوان دريد بن الصمة القشيري- تحقيق محمّد خير البقاعي، دار صعب ١٩٨١.

- ديوان ذي الرمة- تحقيق عمر فاروق الصباع، دار الأرقم، وطبعة المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- ديوان ذي الرمة- شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي- تحقيق عبدالقدوس، أبوصالح، دمشق ١٩٧٢وشرح أحمد حسين محمد- بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٤.

- ديوان ابن الرومي- شرح أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية ١٩٩٤.

- ديوان زهير بن أبي سلمى- صنعة الأعلم الشنتمري.

- ديوان السري الرفاء- تحقيق حبيب الحسني، بغداد، منشورات وزارة الثقافة ١٩٨١.

- ديوان طرفة بن العبد- شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطيف الصقال، المؤسسة العربية، دمشق ١٩٧٥.

- ديوان العباس بن مرداس- تحقيق يحيى الجبوري- بغداد، وزارة الثقافة ١٩٦٨.

- ديوان عبيد بن الأبرص- بيروت، دار صادر ١٩٦٤.

- ديوان عروة بن الورد- تحقيق وشرح كرم البستاني بيروت، دار صادر ١٩٥٣.

- ديوان علقمة الفحل- شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب، دار الكتاب ١٩٦٩.

- ديوان علي بن الجهم- تحقيق محمّد خليل مردم- ط ٢ بيروت- لجنة التراث.

- ديوان عمرو بن معد يكرب- تحقيق هاشم الطعان- بغداد- وزارة الإعلام.

- ديوان أبي فراس- رواية أبي عبدالله الحسن بن خالويه، بيروت دار صادر ١٩٦٠.

- ديوان الفرزدق- بيروت، دار صادر ١٩٦٠، وط الصاوي بمصر.

- ديوان كثير عزة- تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٩١. وطبعة أخرى بتحقيق قدري مايو، دار الجيل ١٩٩٥.

- ديوان كعب بن مالك الأنصاري- تحقيق سامي مكي العاني ١٩٦٦، بغداد.

- ديوان كعب بن زهير- صنعة السكري، القاهرة، الدار القومية ١٩٥٠.

- ديوان لبيد- شرح الطوسي- تحقيق حنا نصر حنا، دار الكتاب العربي ١٩٨٦.

- ديوان عُمر بن ربيعة- إعداد طلال حرب- بيروت- دار صادر ١٩٦٩.

- ديوان النابغة الذبياني- تحقيق الطاهر بن عاشور- الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع للجزائر ١٩٧٦.

- ديوان ابن هرمة- تحقيق محمّد جبار المعيبد، النجف، مطبعة الأدب ١٩٦٩.

- الذخائر والتحف- القاضي أحمد بن الرشيد (ت٥٦٣هـ)- تحقيق د. محمّد حميدالله.

- الرد على النحاة- ابن مضاء- دراسة وتحقيق محمّد إبراهيم البنا، القاهرة دار الاعتصام ١٩٧٩. وتحقيق دسوقي ضيف القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٧.

- الروضتين في أخبار الدولتين- لأبي شامة الدمشقي.

- سر صناعة الاعراب- لابن جني (أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي ٣٩٢هـ)، تحقيق مصطفى السقا وآخرون- القاهرة ١٩٥٤.

- سنن الدارمي- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي- دار إحياء السنة المحمدية.

- سير أعلام النبلاء - الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مأمون الصاغرجي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- لابن العماد الحنبلي، بيروت، دار الكتب العلمية.

- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية- تحقيق عبدالحميد الراضي، بغداد مطبعة العاني ١٩٦٨.

- شرح ديوان الأخطل- تحقيق إيليا سليم الحاوي- بيروت، دار الثقافة ١٩٧٩.

- شرح ديوان أبي تمام- الخطيب التبريزي- دار الكتاب العربي ١٩٩٤.

- شرح ديوان جرير- تحقيق نعمان محمّد أمين طه- القاهرة، ذخائر العرب ١٩٨٦.

- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري- ضبط وتصحيح البرقوقي، بيروت ١٩٨٠.

- شرح ديوان الحماسة- المرزوقي أحمد بن محمّد ٤٢١هـ- تحقيق أحمد أمين-، وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٥٠- ١٩٥٣.

- شرح ديوان الخنساء- لأبي العباس ثعلب- تحيق فايز محمّد، دار الكتاب العربي ١٩٩٦.

- شرح ديوان المتنبي- تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ط٢ ١٩٣٩ وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠.

- شرح القصائد السبع الطوال- لابن الأنباري (أبوبكر محمّد بن القاسم)، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٣.

- شرح كتاب الحماسة- لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي (ت٤٦٧هـ)، دراسة وتحقيق محمّد عثمان علي - الدوحة.

- شعر دعبل الخزاعي- صنعة عبدالكريم الاشتر، دمشق ١٩٨٣.

- شعر زهير بن أبي سلمى- صنعة الأعلم الشنتمري، حلب، المكتبة العربية ١٩٧٠.

- الشعر والشعراء- ابن قتية، أبومحمد عبدالله بن مسلم. ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٢، ومطبعة دار الكتب العلمية.

- شعر عروة بن أذينة- تحقيق يحيى الجبوري- مكتبة الأندلس ١٩٧٠.

- شعر عمرو بن أحمد الباهلي- تحقيق حسين عطوان- دمشق، مطبعة مجمع اللغة العربية.

- شعر الكميت- جمع داود سلوم، بغداد ١٩٦٩.

- شعر المسيب بن علس- تحقيق أنور سويلم- جامعة مؤتة ١٩٩٤.

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل- الخفاجي (أحمد بن محمّد ١٠٦٩هـ)- القاهرة، المطبعة الذهبية ١٢٨٢هـ- ١٨٦٥م).

- الصبح المنير في شعر أبي بصير- ميمون بن قيس، والأعشيين الآخرين- الكويت، دار ابن قتيبة ١٩٩٣.

- الصناعتين- للعسكري (أبوهلال الحسن بن عبدالله، كان حياً سنة ٣٩٥هـ) تحقيق علي محمّد البجاوي، محمّد أبوالفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب المصرية ١٩٥٢).

- الصحاح- إسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق أحمد عبدالغفور عطار- بيروت- دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد- الأدفوي (جعفر بن ثعلب الشافعي ٧٤٨هـ)- الدار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

- طبقات فحول الشعراء- ابن سلام- تحقيق أحمد محمّد شاكر- مطبعة المدني -
- طبقات فقهاء اليمن- عمر بن علي بن سمرة الجعدي (٥٨٦هـ)- تحقيق فؤاد سيد- بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٥٧.

- طبقات النحويين واللغويين- للزبيدي (أبوبكر محمّد بن الحسن الإشبيلي ٣٧٩هـ)، تحقيق أبوالفضل إبراهيم- القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٥٤.

- العبر في خبر من غبر- الذهبي- تحقيق د. صلاح الدين المنجد، وفؤاد سيد- الكويت ١٩٦٠- ١٩٦٣.

- عروض الورقة- الجوهري (أبونصر إسماعيل بن حماد)- تحقيق محمّد العلمي- الدار البيضاء ١٩٨٤.

- العقد الفريد- لابن عبد ربه- تحقيق أحمد الزين، وأحمد أمين، وإبراهيم الأبياري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

- العمدة- لابن رشيق) علي بن الحسن ٤٦٣ه!)- تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد- القاهرة ١٩٣٤.

- عمدة الكتاب- الزجاجي يوسف بن عبدالله (ت٤١٥هـ)- تحقيق ابتسام مرهون الصفار، وليد بن أحمد الحسين- بريطانيا ١٤٥٠هـ/ ١٩٩٥.

- العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق د. إبراهيم، السامرائي ود. المخزومي- بغداد- وزارة الثقافة والإعلام.

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني_ يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمّد بن علي (ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م)- تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة

١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- الفهرست- ابن النديم- تحقيق رضا تجدد. ط إيران.

- فهرست المخطوطات- فؤاد سيد- القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٦٣.

- فوات الوفيات- ابن شاكر الكتبي- تحقيق د. إحسان عباس.

- الكافي في العروض والقوافي- الخطيب التبريزي- تحقيق حسن عبدالله.

- الحساني، مؤسسة عالم المعرفة. ونشرة خاصة عن الجزء الأول في المجلد الثاني عشر لمجلة معهد المخطوطات.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي ٩٧٥هـ، مؤسسة دار الرسالة.

- لسان العرب - ابن منظور الافريقي، (ت٧١١هـ)، بيروت- دار صادر.

- مجمل اللغة- لابن فارس (أبوالحسين أحمد)- تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد- القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٤٧.

- مجلة المشرق- السنة الخامسة ١٩٠٢.

- محاضرات في تاريخ النقد- د. إبتسام مرهون الصفار، ود. ناصر حلاوي- بغداد ١٩٩٠.

- المخصص- لابن سيدة (أبوالحسن علي بن إسماعيل ٤٥٨هـ)- القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية.

- مخطوطات الأوقاف- إعداد محمّد أسعد طلس، بغداد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر- المسعودي أبوالحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ)، تحقيق محد محيي الدين عبدالحميد- القاهرة ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ.

- المستقصى في أمثال العرب- الزمخشري، أبوالقاسم جار الله، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)- تحقيق محمّد عبدالرحمن خان- حيدرآباد الدكن ١٩٦٢.

- مسند الإمام أحمد- تحقيق أحمد محمّد شاكر وحمزة أحمد أمين، القاهرة، دار الحديث ١٩٩٥.

- مطالع البدور في منازل السرور- الغزولي علي بن عبدالله (ت٨١٥هـ)- القاهرة، مطبعة الوطن ١٢٩٩- ١٣٠٠هـ.

- المعاني الكبير في أبيات المعاني- ابن قتيبة عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)- حيدرآباد الدكن ١٩٤٩.

- معجم الأدباء- ياقوت الحموي البغدادي (٦٢٦هـ)- تحقيق مرجليوت، مصر ١٩١٨.

- معجم أطراف الحديث- إعداد أبي طاهر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت.

- معجم البلدان- ياقوت الحموي البغدادي- تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي- بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٠، وطبعة بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- معجم السفر- السلفي (أبوطاهر أحمد بن محمّد الأصفهاني ٥٧٦هـ)، تحقيق بهيجة الحسني- بغداد، دار الحرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧١م.

- معجم الشعراء- المرزباني (أبوعبدالله محمّد بن عمران ٣٨٢هـ)- طبعة مكتبة القدس وطبعة دار الكتب العلمية ١٩٨٢.

- معجم شواهد العربية- عبدالسلام محمّد هارون- القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٧٢.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها- أحمد مطلوب- مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٦.

- معجم مصطلحات العروض والقافية- د. محمّد علي الشوابكة، ود. أنور سويلم جامعة مؤتة ١٩٩١.

- معجم المطبوعات العربية، والمعربة- اليان سركيس- مطبعة سركيس، مصر

١٣٤٦هـ/ ١٩٨٨م.

- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية- اميل بديع يعقوب- بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٦.

- مفاتيح العلوم- الخوارزمي (محمد بن أحمد ٣٨٧هـ)، مطبعة الشرق ١٤٣٢هـ.

- المفضليات- المفضل بن محمّد بن يعلى الضبي (ت١٦٨هـ)- تحقيق أحمد محمّد شاكر وعبدالسلام محمّد هارون، دار المعارف ١٩٦٤.

- المقفى الكبير- تقي الدين المقريزي (٨٥٤هـ/ ١٤٤١م)- تحقيق د. محمّد البعلاوي- بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- المنتظم- لابن الجوزي (٥٩٧هـ)- حيدآباد الدكن ١٣٥٧هـ/ ١٣٥٩هـ.

- من الشعر المنسوب إلى الإمام الوصي علي بن أبي طالب - بيروت، دار بيروت.

- الموشح- المرزباني أبوعبدالله محمّد بن عمران (ت ٣٨٢هـ)- تحقيق محمّد حسين شمس الدين- بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

- نشوار المحاضرة- التنوخي (أبوعلي المحسن بن علي ٣٨٤هـ)- م١ نشر مرجليوث- القاهرة ١٩٢١.

- نقد الشعر- قدامة بن جعفر- تحقيق كمال مصطفى ١٩٦٣ وطبعة بتصحيح س.أ. بونيبكر- ليدن- بريل ١٩٥٦.

- النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية- لأبي محمّد عمارة بن أبي الحسن الحكمي- تحقيق هر تويغ درنبرغ، القاهرة مكتبة مدبولي ١٤١١هـ/ ١٩٩٣.

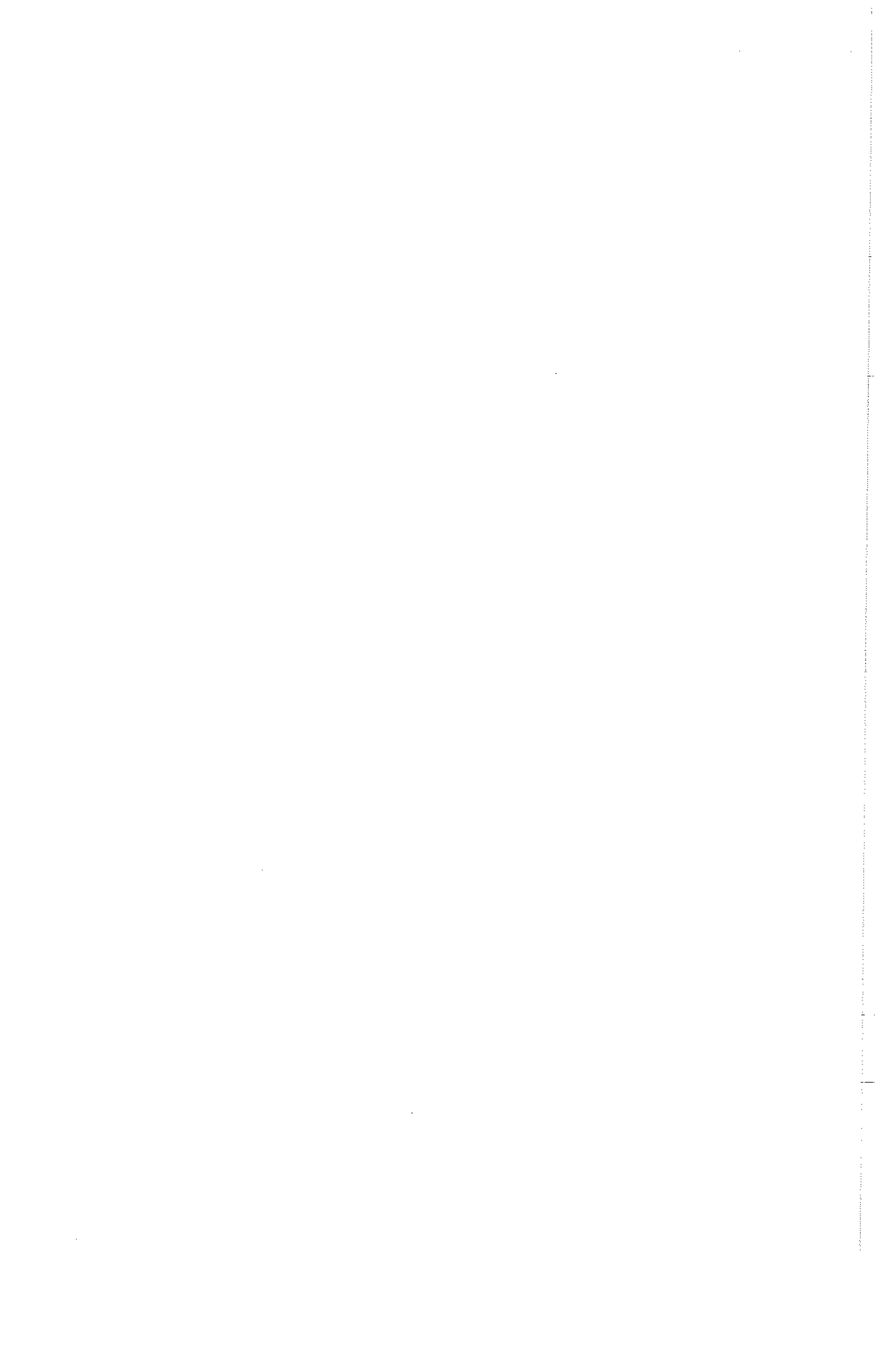
- النهاية في غريب الحديث- ابن الأثير- بيروت- دار الكتب العلمية ١٩٩٧، إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٤١١هـ/ ١٩٩١.

- وفيات الأعيان- ابن خلكان (أبوالعباس أحمد بن محمّد ٦٨١هـ)، تحقيق

إحسان عباس- بيروت، دار صادر.

- وفيات الدهر- الثعالبي أبومنصـــور (ت٤٢٩هـ)- تحقيـق محمّـد محيـي الديـن عبدالحميد- مصر، مطبعة حجازي ١٣٦٦ه/ ١٩٤٧م.

الفهارس



١- فهرس الآيات الكريمة

٢- فهرس الأحاديث الشريفة

٣- فهرس الأمثال

٤- فهرس الأشعار

٢٤٩	فرمنا	المسلمين
٢٤١	افنى	نره
٦٧	أرجى	لاقيا
٣٤٥	فعين	المساويا
٢٣٧	علقتها	لتركي

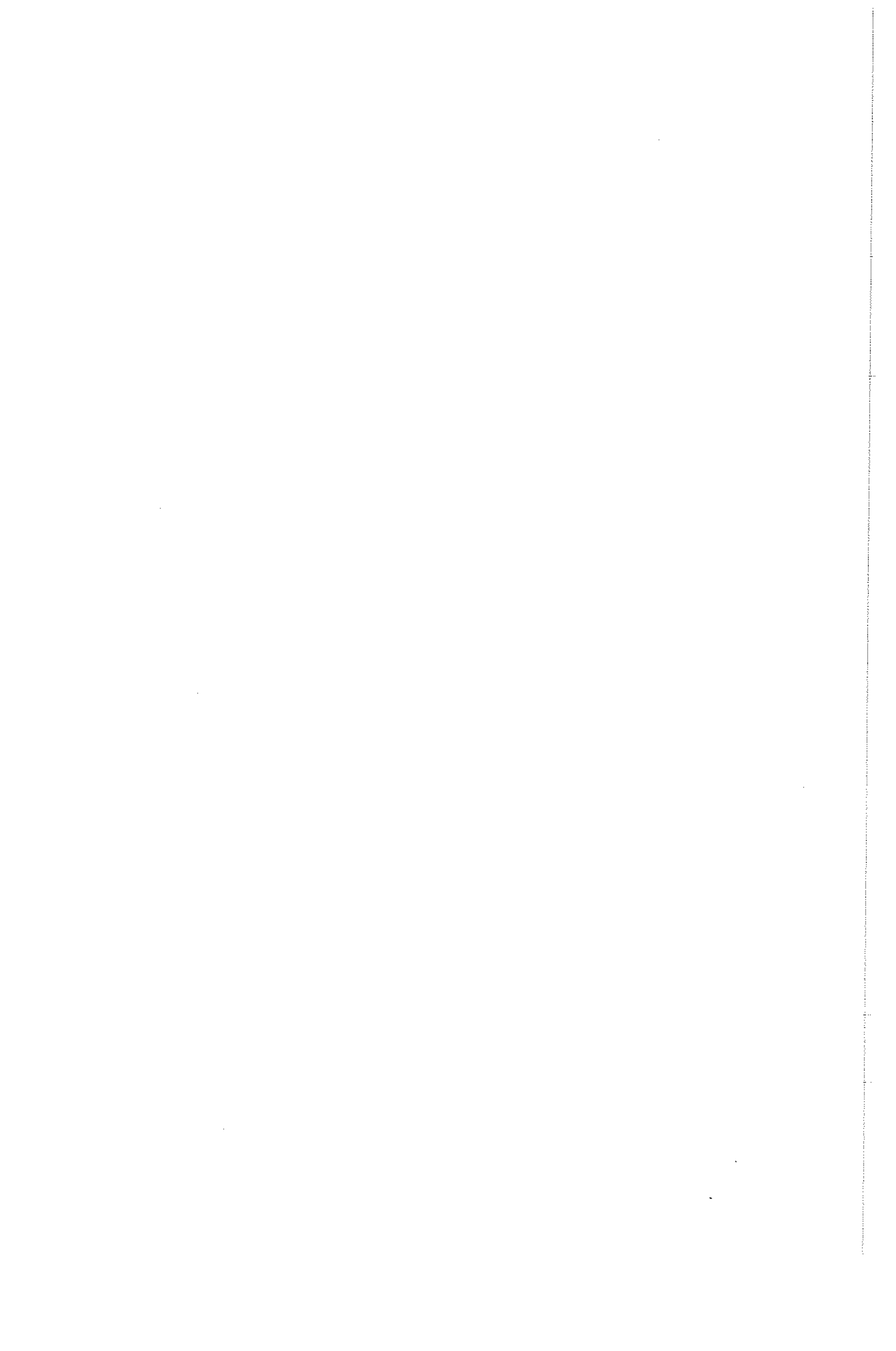
٥- فهرس الأعلام

٦- القبائل والأقوام

٧- الأماكن والبلدان

٨- الكتب

٩- المعارف العامة



فهرس الموضوعات

المحتوى[1]

[1] لم يكن في كتاب المقامة الحصيبية عناوين جانبية مما اضطرنا إلى وضعها تسهيلا للقارئ.